

دار الكتب والوثائق القومية

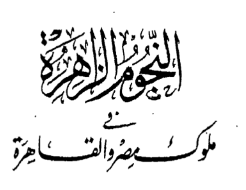
مركز تحقيق التراث

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة



دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث



النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

(٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ)

الجزء العاشر

الطبعة الثانية
(مصورة عن الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

ابن تغرى بردى، يوسف بن تغرى بردى، 1410 - 1470.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة/ تأليف
جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى
. ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية
للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، [2005]-
مج 10 ؛ 29 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
تدمك 5- 0423 - 18 - 977

٩٦٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٥/٢٣٨٧٧
I.S.B.N. 977 - 18 - 0423 - 5

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحابته والمسلمين

الجزء العاشر

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر

هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ٱبن السلطان الملك النـاصر أبى المعالى محمد ٱبن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . جلس على تخت المُلك بالإيوان[1] من قلعـة الجبل بعهـد من أبيه إليه صبيحة تُوُفِّىَ والدُه، وهو يوم الخميس حادى عشرين ذى الحجّة سـنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ولقّبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور على لقب جدّه . والمنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك الترك بديار مصر، والأوّل من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وٱتّفق الأمراء على إقامة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحَمَوِىّ، حَمُو الملك المنصور هـذا فى نيابة السلطنة بديار مصر كونه من أكابر الأمراء، وأيضا صِهْر السلطان، ويكون الأمير قَوْصون النـاصرىّ مدَبِّر المملكة ، ورأس المَشُورة، ويُشاركه فى الرأى الأمير بَشْتَك الناصرىّ ، وتمّ ذلك ورُسم بتجهيز التشاريف والخِلَع إلى نوّاب البلاد الشاميّة على يد الأمير قُطْلُوبُغَا الفخـرىّ، ورُسم له بتحليف الأمراء والنوّاب بالبـلاد الشاميّة على

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

العادة . ونُودِى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضّة والذهب بسعر الله تعالى ، فسُرّ الناس بذلك ، فإنهم كانوا قد آمتنعوا من التعامل بالفضة وألّا تكون معاملتهم إلّا بالذهب . ثم أُفْرِج عن بركة الحبش(١) ، وكان النَّشْو قد أخذها من الأشراف ، وصار يُنفق فيهم من بيت المال . ثم كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم وألّا يُرْمَى على بلاد الأجناد شعيرٌ ولا تبنٌ .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجّة(٢) أنعم الملك المنصور على عشرة أمراء بإمرة طبلخاناه . ثم جمع القضاة فى يوم السبت سلخه فى جامع(٣) القلعة للنظر فى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان وإعادته إلى الخلافة ، وحضر معهم الأمير طاجار الدَّوَادار فآتفقوا على إعادته لعهد أبيه إليه بالخلافة بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قُوص(٤) .

ثم فى يوم الآثنين ثانى المحرّم سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة خلَع السلطان على جميع الأمراء المقدّمين فى المَوْكب بدار العدل(٥) ، وطلع القضاة وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العبّاس أحمد على الدرجة الثالثة من تخت السلطان ، وعليه خِلْعة خضراء وفوق عمامته طَرْحة سوداء مرقومة بالذهب ، ثم خرج السلطان من باب السرّ(٦) على العادة إلى الإيوان فقام له الخليفة والقضاة ومن كان جالسا من الأمراء ، وجلس على

(١) راجع الآستدراك الوارد فى ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) فى الأصلين : « يوم الجمعة ثانى عشرين ذى الحجة » . وما أثبتناه عن السلوك للقريزى والتوفيقات الإلهامية . (٣) هو الجامع الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) دار العدل المذكورة هنا المقصود بها دار العدل التى أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون باسم الإيوان بالقلعة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) المقصود بباب السر هنا باب خاص من أبواب القصور الملكية التى يسكنها الملوك بقلعة الجبل ، وهو غير باب سر القلعة .

الدرجة الأولى دون الخليفة، وقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله عزّ وجلّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية و إقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونُصرة الدين، ثم قال : فوّضتُ إليك جميع أحكام المسلمين، وقلّدتُك ما تقلّدتُه من أمور الدين .

ثم تلا قوله تعالى : [إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] (1) ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.
وجلس بجيء في الحال بخِلْعة سوداء فألبسها الخليفةُ السلطانَ بيده ، ثم قلّده سيفا عربيًّا، وأخذ القاضي علاء الدين عليّ بن فضل الله كاتب السرّ في قراءة عهد الخليفة للسلطان حتّى فرَغ منه ، ثم قدّمه إلى الخليفة فكتب عليه، ثم كتب بعده قُضاة القضاة بالشهادة عليه، ثم قُدِّمَ السِّماط فأكلوا وانقضت الخدمة .

ثم قَدِم الأمير بَيْغَرا في يوم الخميس خامس المحرّم من عند الأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكَرَك وقد حلّفه بمدينة الكَرَك لأخيه السلطان الملك المنصور هذا، ففرِح الناس بذلك .

ثم في يوم الأحد ثامن المحرّم قُبِضَ على الأمير بَشْتَك الناصريّ ، وذلك أنه طلب أن يستقرّ في نيابة الشام ، ودخل على الأمير قَوْصُون وسأله في ذلك وأعلمه أنّ السلطان كان قبل موته وعده بها وألَحّ في سؤاله ، وقَوْصُون يُدافعه ويحتجّ عليه بأنه قد كتب إلى الأمير أَلْطُنْبُغَا الصالحيّ نائب دِمَشق تقليدًا باستمراره في نيابة

(1) التكملة عن السلوك .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

دِمَشق على عادته ولا يليق عزلُه سريعا ، فقام عنه بشتك وهـو غير راضٍ ، فإنه كان قـد تَوَهَّمَ من قوصـون وخَشِى منه على نفسه وطلب الخروج من ديار مصر لمـا كان بينهما قديما من المنافرة، ولأنَّ قَوْصُون صار الآن مُتَحَكِّمًا فى الدولة ، فلمّا خرج بشتك من عند قوصون وهو غير راضٍ سعى بِخَاصِّكيَّة السلطان وحَمَل إليهم مالا كثيرا فى السرّ ، و بعث إلى الأمراء الكِبَار وطلب منهم المساعدة ، فما زالوا بالسلطان حتى أنعم عليه بنيابة الشام وطلب الأميرَ قوصون وأعلمه بذلك فلم يُوافقه، وقرّر مع السلطان أنه يحـدّث الأمراء فى ذلك ويَعِـدُهُم بأنه يُولِّى بشتك إذا قَدِم الأمير قُطْلُوبُغَا الفخرى من تحليف نائب الشام و بنسخة اليمين ، فلمّا دخل الأمراء عرّفهم السلطان طلبَ بشتك بنيابة الشام فأخذوا فى الثناء عليه والشكر منه ، فآستدعاه وطيّب خاطره ووعده بها عند قـدوم الفخرى ، ورَسم له بأن يتجهز للسفر، فظن بشتك أن ذلك صحيح ، وقام مع الأمراء من الخدمة ، وأخذ فى عرض خيوله وبعث لكل من أكابر الأمراء المقـدّمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسـين بالقماش المذهب الفاخر، وبعث معها أيضا الهُجُنَ ، ثم بعث إلى الأمراء الخاصّكيّة مثل مَلِكْتَمُر الحجازى وأَلْطُنْبُغَا المـارِدَانى شيئا كثيرا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف . وفرّق عِدّةً من الجوارى فى الأمراء بحيث إنه لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه . ثم فرّق على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جارية بعد ما شوّرهنّ بالأقمشة والزراكش وزوجهنّ . وفرّق من شونته على الأمراء اثنى عشر ألف إردب غلة . وزاد بشتك فى العطاء حتى وقع الإنكار عليه وآتّهمه السلطان والأميرُ قَوْصُون بأنه يُريد الوثوب على السلطان وعَملوا هـذا من فعله حُجّة [للقبض](1) عليه ، وكان مما خَصّ الأمير قَوْصُون من تفرقة بَشْتَك فى هذه النَّوْبة حَجَرَيْن من حجارة معاصير

(١) زيادة عن السلوك .

القصب بما فيهما من القنود(٢) والسكر والأعسال والأبقار والغلال والآلات(١)، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة فى أراض ملك له، وغير ذلك، فأدهش الأمراءَ كثرةُ عطائه، وآستغنى منه جماعة من مماليكه وحواشيه . ولما كثُرت القالةُ فيه بأنّه يريد إفساد الدولة خلا به بعضُ خواصّه وعرّفه ذلك وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال: هم إذا قبضوا علىّ أخذوا مالى وأنا أحقّ بتفرقته منهم، وإذا سَلِمتُ فالمال كثير. هذا وقد قام قَوْصُون فى أمر بَشْتَك المذكور قياماً حتّى وافقه السلطانُ على القبض عليه عند قدوم قُطْلُوبُغَا الفخرىّ، فأشاع قوصون أنّ بشتك يريد القبض على الفخرىّ إذا حضر فبلغ ذلك بعضَ خواصّ قُطْلُوبُغَا، فبعث إليه من تلقّاه وعرّفه بما وقع من تجهيز بشتك وأنّه على عَزْم من أن يلقاك فى طريقك ويقتلك، فكن على حَذَر، فأخذ قُطْلُوبُغَا من الصالحيّة(٣) يحترز على نفسه حتّى نزل سِرْياقوس(٤) وآتّفق من الأمر العجيب أنّ بَشْتَك خرج إلى حوشه بالرَّيْدَانِيّة(٥) خارج

(١) فى الأصلين: «بما فيها». وما أثبتناه عن السلوك. (٢) القنود: واحده قند: عسل قصب السكر إذا جمد. ويقال إنه فارسىّ معرب. (٣) الصالحية: إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٤) قرية مصرية. راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٥) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على الريدانية (ص١٣٩ ج٢) أن الريدانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلبى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعزلدين الله. كان يحمل المظلة على رأس الخليفة وآختص بالخليفة الحاكم بأمر الله إلى أن قتله الحاكم فى سنة ٣٩٣ هـ.

وأقول: إنه لما كان بستان الريدانية يقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة، وكان العمار ينتهى إليه فقد أطلق آسم الريدانية على البستان وعلى مايجاوره من الأراضى الرملية الفضاء التى كانت تمتد فى ذلك الوقت ما بين المكان الذى فيه اليوم ميدان الأمير فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التى فيها الآن مدينة مصر الجديدة، يؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التى وقعت فى الريدانية فى عهد المماليك والتى وقعت بينهم وبين الترك. وذكرها ابن إياس فى تاريخ مصر فى عدة مواضع، وكلها تدل على أن الريدانية كانت فى الجهة السابق ذكرها. يدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى الصغرى والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة.

ولا يزال يوجد من بقايا بستان ريدان الأراضى الزراعية الواقعة الآن على جانبى شارع بين الجناين وشارع أحمد بك سعيد بأراضى ناحية الوايلى الصغرى خارج باب الحسينية بالقاهرة.

القاهرة لِيَعْرِض هُجْنَه و جِماله فطار الخبرُ إلى قُطْلُوبُغا أنّ بشتك قد خرج إلى الرَّيْدَانيّة
فى آنتظارك ، فآستعدّ قطلوبغا ولبس السلاح من تحت ثيابه وسار حتّى تلقّاه عِدّة
كثيرة من مماليكه وحواشيــه وهو على أُهْبــة الخروج للحرب، وخرج عن الطريق
وسلك من تحت الجبل لينجو من بَشْتَك وقد قَوِى عنده صحّة ما بلغــه ، وكان عند
٥ بَشْتَك عِلْم من قدومه، فلمّا قَرُب من الموضع الذى فيه بشتك لاحت له غُبْرة خيل
فحَدَس بشتك أنّه قُطْلُوبُغا الفخرى قد قَدِم ، فبعث إليه أحدَ مماليكه يبلّغه سلامَه
وأنّه يقف حتّى يأتيــه فيجتمع به، فلمّــا بلَغ الفخرىَّ ذلك زاد خوفُه من بشتك،
فقال له : ســلِّم على الأمير وقل له : لا يمكن آجتماعه بى قبل أن أقف قُــدّام
السلطان ، ثم بعد ذلك آجتمع به و بغــيره ، فمضى مملوك بشتك وفى ظن قُطْلُوبُغا
١٠ أنّه إذا بلّغه مملوكُه الجوابَ رَكب إليــه ، فأمَر قُطْلُوبُغا مماليكَه بأن يسيروا قليلًا
قليلًا، وساق هــو بمفرده مِشوارًا واحدًا إلى القلعة ، ودخَل إلى السلطان وبلّغــه
طاعةَ النــوّاب وفرحَهم بأيّامه ، ثم أخذ يعرّف السلطانَ والأمير قَوْصُــون وسائرَ
الأمراء بمــا آتّفق له مع بَشْتَك ، وأنّه كان يُريد معارضتَه فى طريقه وقتْلَه فأعلمه
السلطانُ وقوصونُ بمــا آتّفقا عليه من القَبْض على بشتك ، فلمــا كان عصرُ اليــوم
١٥ المذكور، ودخل الأمراءُ إلى الخدمــة على العادة بالقصر وفيهم الأمير بشــتك ،
وأكلوا السِّماط تقــدّم الأميرُ قطلوبغا الفخرىّ والأمير طُقُزْدَمُر إلى بشتك وأخذا
ســيفَه وكتّفاه وقُبِض معه على أخيــه (١) أَيْوَان وعلى طُولُوتَمُر ومملوكَيْن من المــاليك
السلطانيّة كانا يلوذان ببشتك ، وقُيِّــدوا جميعًا وسُفِّروا إلى الإسكندريّة فى اللّيــل
صحبــةَ الأمير أَسَنْدَمُر العُمَرِىّ وقُبِض على جميع مــاليكه ووقَعت الحَوْطَة على
٢٠ موجوده ودُوره وتُتُبِّعت غِلْمانُه وحواشيه ، وأنعم السلطانُ من إقطاع بَشْــتَك

(١) فى أحد الأصلين : «على أخو يه» . وما أثبتناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك.

على الأمير قَوْصُون بخُصوص الشَّرْق[1] زيادةً على ما بيده ، وأخذ السلطانُ المطرية[2] ومُنية آبن خَصِيب[3] وشبرا[4] ، وفرّق بقيّة الإقطاع على مَلِكْتَمُر الحجازي وغيره من الأمراء. فلمّا أصبحوا يوم الاثنين تاسع المحرم حُمِلت حواصل بَشْتَك[5] ، وهي من الذهب العَيْن مائتا ألف دينار مصريّة ، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكَلْفَتاه الزَّرْكَش شيء كثير جدًّا ، هذا بعد أن فرّق غالب موجوده حسب ما تقدّم ذكرُه على الأمراء والمماليك . ثم أخرج السلطانُ الأمير أحمد شادّ الشَّرَبْخاناه منفيًّا إلى طَرَابُلُس لميله مع بَشْتَك .

(١) خصوص الشرق : بلدة كبيرة تعرف اليوم بآسم «الحمام» بمركز أبنوب بمديرية أسيوط بمصر . ووردت في معجم البلدان لياقوت باسم «الخصوص» . قال : وهي قرية من أعمال صعيد مصر شرق النيل ، كل من فيها نصارى . وفي تقويم البلدان لأبي الفدا : «الخصوص قرية كبيرة قبالة أسيوط في شرق النيل» . ووردت في التحفة السنية لآبن الجيعان : «الخصوص وكفورها من الأعمال الأسيوطية» .

وبالبحث تبين لي أن خصوص الشرق أو الخصوص كانت ناحية ذات زمام واسع . وفي فك الزمام الذي عمل في عهد السلطان سليمان العثماني سنة ٩٣٣ هـ تقسم هذا الزمام على ناحية الخصوص الأصلية وهي الحمام وعلى كفورها وهي أبنوب وبنو رزاح وبنو إبراهيم والسوالم وبنو محمد وكوم أبي شهيل (كوم أبي شسيل الآن) وبنو زيد والأكراد وبنو مر وكلها حول الحمام المذكورة بمركز أبنوب . وكانت بلدة الحمام هذه تعرف بآسم الخصوص إلى سنة ١٢٣٠ هـ التي فك فيها زمام مديرية أسيوط في عهد محمد علي باشا الكبير ، ففي تلك السنة وردت باسم الحمام لأول مرة في دفاتر المساحة والمكلفات ، وبذلك آختفى آسم الخصوص أو خصوص الشرق من عداد النواحي المصرية ، وظهر آسم الحمام ، ولا يزال أغلب سكانها نصارى إلى اليوم ، وهذا يؤيد ما ذكره عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان .

ويوجد في مصر ناحيتان أخريان بآسم الخصوص : إحداهما قرية الخصوص إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ، وكانت تعرف بخصوص عين شمس لمجاورتها لمدينة عين شمس التي كانت بضواحي القاهرة . والثانية ناحية خصوص سعادة ، وهذه كانت تعرف أخيرا بآسم كفور العايد ، ثم قسم زمامها على خمس قرى بمركز بلبيس بمديرية الشرقية ، وبذلك آختفى آسم خصوص سعادة وآسم كفور العايد من عداد النواحي المصرية .

(٢) قرية مصرية بضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هي مدينة المنيا قاعدة مديرية المنيا بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس ، والأستدراك الوارد في صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) المقصود بشبرا هنا ناحية شبرا الخيمة إحدى قرى ضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) في الأصلين : «وهو من الذهب ... الخ» . وما أثبتناه عن السلوك .

وفى يوم الخميس أنعم السلطان على أخويه : شعبان ورمضان كلّ واحد بإمْرة.
وفيــه قبَض السلطان على الأمير ناصر الدين محمد آبن الأمير بَكْتَمُر الحاجب لشىء
أوجب ذلك . وفى يوم الآثنين ثالث عشرين المحرّم خلَع السلطان الملك المنصور
أبو بكر على الأمير طُقُزْدَمُر الحَمَوِىّ بنيابة السلطنة بالديار المصريّة، وكان رُشّح لهـا
قبل تاريخه، فلَبِس الخلْعة وجلَس فى دَسْت النيابة وحكَم وصرّف الأمور . وفى يوم
الآثنين سَلْخه قبَض السلطان على الأمير آقْبُغا عبد الواحد وعلى أولاده، وخلع على الأمير
طُقْتَمُرْ(١) الأحمدىّ وآستقرّ أُستادارا عوضا عن آقبغا المذكور ، ورسم للأمير طَيْبُغا
المجــدىّ والى القاهرة بإيقاع الحَوْطة على موجود آقبغا ، وسُلّم ولدُه الكبيرُ إلى المُقَدَّم
إبراهيم بن صابر . وأصبح يومُ الثلاثاء أوّل صــفر فتحدّث الأمراءُ أن يترل فى تَرْسيم(٢)
المجْدىّ ليتصرّف فى أمره ، فنَزَل فى صُحبة المجْدىّ وأخذ فى بيع موجوده ، وكان
السلطان قد حَلَف قديما أنّه متى تسلطن قبَض عليه وصادره وضربه بالمقارع لأمور
صدَرت منه فى حقّه أيام والده الملك الناصر . فكان ممّا أُبيع لآقبغا عبــد الواحد
سراويلُ لزوجته بمائتى ألف درهم فضّــة وقَبْقَاب وخُفّ وسَرْمُوجة(٣) بخمسة وسبعين
ألف درهم ، وثار به جماعةٌ كثيرة من الناس ممن كان ظلمهم فى أيام تحكّمه وطلبوا
حقوقهم منــه وشَكَوْه ، فأقسم السلطان لئن لم يُرضهم ليسمرنّه على جمل ويُشَهّره
بالقاهرة ففرّق فيهم مائتى ألف درهم حتى سكتوا ، وكادت العامة تقتله لولا المجدىّ
لسوء سيرته وكثرة ظلمه أيّام ولايته . وفى يوم الأربعاء تاسع صفر قبَض السلطان

(١) فى الأصلين : «طقزدمر» . وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك والمنهل الصافى والدرر الكامنة . وكانت وفاته سنة ٧٤٧ هـ . وقــد آنفرد صاحب تاريخ سلاطين المماليك بأن آستقراره أستادارا عوضا عن آقبغا عبد الواحد كان فى يوم الثلاثاء ٢٦ ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ .

(٢) الترسيم هو الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة بعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة (عن دوزى) .

(٣) راجع حاشية رقم ٢ ص ١٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

على المقدّم إبراهيم بن صابر وسلّمه لمحمد بن شمس [الدين](١) المقدّم وأُحيط بأمواله ، فوجَدَ له نحو سبعين حِجْرة(٢) فى الجُشار(٣) ومائة وعشرين بَقَرة فى الزرايب ومائتى كبش وجُوقتين كلاب سَلُوقية(٤) وعِدّة طيور جوارح مع البَازْدَارِيّة(٥) ، ووُجد له من الغلال وغيرها شىء كثير .

ثم قدِم الخبر على السلطان من الأمير طَشْتَمُر حُمّص أخضر الساقى نائب حلب بخروج ابن دُلْغادر عن الطاعة وموافقته لأَرْتَنَا متملّك الروم على المسير لأخذ حلب ، وأنّه قد جَمَعَ بأَبُلُسْتَيْن(٦) جمعًا كثيرا ، وسأل طَشْتَمُر أن يُنجده بعسكر من مصر ، فتشوّش السلطان لذلك وعوّق الجواب . وفيه رَسم السلطان بضرب آقْبُغَا عبد الواحد بالمقارع فلم يُمكّنه الأمير قَوْصُون من ذلك فآشتدّ حَنَق السلطان وأطلق لسانه بحضرة خاصّكيّته فى حقّ قَوْصُون وغيره ، وفى ذلك اليوم عَقَد السلطانُ نكاحَه على جاريتين من المولّدات اللّاتى فى بيت السلطان ، وكتَب القاضى علاء الدين بن فضل الله كاتبُ السرّ صداقَهما ، فخلع عليه السلطان وأعطاه عشرة آلاف درهم ، ورَسم السلطان لجمال الكُفاة ناظر الخاصّ أن يُجهّزهما بمائة ألف دينار ، فشرَع جمالُ الكُفاة فى عمل الجَهاز ، وبينما هو فى ذلك رَكب الأمير قَوْصُون على السلطان بجماعة من الأمراء فى يوم السبت تاسع عشر صفر وخلَعوه من المُلك فى يوم الأحد عشرينه ، وأُخرج هو وإخوتُه إلى قُوص(٧) صحبةَ الأمير بَهادُر(٨) بن جَركْتَمُر .

(١) التكملة عن السلوك للمقريزى . (٢) فى لسان العرب : « الحجر : الفرس الأنثى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر . والجمع أحجار وحجورة وحجور » . (٣) الجشار : مكان رعى الماشية من خيل وغيرها . (٤) سلوقية : نسبة إلى سلوق كصبور : بلدة باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب ، أو إلى سلوق : بلدة بإرمينية (عن شرح القاموس) . (٥) راجع حاشية رقم ٣ ص ١٧٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٧) قوص : مدينة بصعيد مصر وهى قاعدة مركز قوص بمديرية قنا . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس . والاستدراك الوارد فى صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) فى الأصلين : « صحبة الأمير بهادر وجركتمر » . وما أثبتناه عن السلوك .

وكان سببُ خَلْع الملك المنصور هذا أنّ المنصور كان قَرَّب الأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيّ وشُغِفَ به شَغَفًا كثيرا، ونادم الأمير مَلِكْتَمُر الحجازيّ واختصّ به و بالأمير طاجار الدَّوَادَار و بالأمير قُطْلِيجا الحَمَوِى و جماعة من الخاصّكيّة ، وعَكَف على اللّهو وشُرب الخمر وسماع الملاهى فشقّ ذلك على الأمير قَوْصُون وغيره لأنّه لم يُعْهَد من مَلِك قبله شُرْب خمرٍ فيما رُوِى ، فحملوا الأمير طُقُزْدَمُر النائب على محادثته فى ذلك وكفِّه عنه فزاده لومُه إغراءً وأفحش فى التّجاهُر باللّهو، حتى تكلّم به كلُّ أحد من الأمراء والأجناد والعامّة، فصار فى الليل يَطلب الغِلْمانَ لإحضار المغانى، فغَلَب عليه السُّكْرُ فى بعض الليالى فصاح من الشُّبّاك على الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور: هاتِ لى قطقط[1] ، فقال أَيْدُغْمُش : ياخَوَنْد ، ما عندى فَرَس بهذا الاسم ، فتكلّم بذلك السَّلَاخُورِيّة[2] والرَّكابيّة[3] وتداولته الألسنة .

قلت : وأظن قطقط كانت امرأة مغنيّة . والله أعلم .

فلمّا زاد أمرُه طلب الأمير قَوْصُون طاجار الدَّوَادَار والشِّهابىّ شادّ العمائر ، وعنّفهما ووبّخهما وقال لهما : سلطانُ مصر يَليق به أن يَعمل مقاماتٍ ويُحضِر إليه البَغايا والمَغانى ! أهكذا كان يفعل والده ؟ وعرّفهم أن الأمراءَ قد بلغهم ذلك وتشوّش خواطرُهم، فدخلوا وعرّفوا السلطانَ كلامه ، و زادوا فى القول، فأخذ جلساءُ الملك المنصور فى الوقيعة فى قَوْصُون والتحدُّث فى القبض عليه وعلى الأمير

(١) فى السلوك : « ابن عطعط » . وورد أيضاء فى ابن إياس (ج ١ ص ٢١٠) باسم « عطعط فى جملة أبيات من الشعر وقال : إنه اسم لمغن كان يغنى بمصر والشام» . (٢) ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى (ص ٤٦٠ ج ٥) أن السراخور هو الذى يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما سرا ومعناه الكبير ، والثانى خور ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف . والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية كما ذكر المؤلف ، وهو تحريف فى أصل الكلمة صوابه السراخورية . (٣) الركابية هم الذين يركبون خيول السلطان والأمراء لتسييرها وترويضها أو لتدريبها على السباق .

قُطْلُوبُغا الفخرىّ والأمير بِيبَرْس الأحمدىّ والأمير طُقُزْدَمُر النائب ، فَنَمّ عليهم الأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوِىّ لقَوْصُون ، وكان قد آستماله قوصون بكثرة العطاء فيمن آستمال من المماليك السلطانيّة . وعرّفه أن الاتّفاق قد تقرّر على القَبْض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة ، فآنقطع قوصون عن الصلاة وأظهر أنّ بِرِجْله وجَعًا ، وبَعث فى ليلة السبت يُعرّف بِيبَرْس الأحمدىّ بالخبر ويحُثّه على الركوب معه ، وطلب المماليك السلطانيّة وواعدَهم على الركوب وملأهم بكثرة المواعيد ، ثمّ بعَث إلى الأمير الحاج آل ملك والأمير جنكلى بن البابا وهؤلاء أكابر الأمراء فلم يطلُع الفجرُ حتّى ركب الأمير قَوْصُون من باب سِرّ القلعة[1] بمماليكه ومماليك السلطان وسار نحو الصحراء ، وبعث مماليكه فى طلب الأمراء فأتاه جَرَكْتَمُر وبهادُر[2] وبَرْسُبُغا وقُطْلُوبغا الفخرىّ والأحمدىّ وأخذوا آقبغا عبد الواحد من ترسيم طَيْبُغا المَجْدىّ ، فسار معه المجدىّ أيضا ، ووقفوا بأجمعهم عند قُبّة النصر[3] ودَقّت طبلخاناتهم ، فلم يبق أحد من الأمراء حتّى أتى قَوْصُون ، هذا والسلطان وندماؤه وخاصّكيّته فى غفلة لهَوِهم وغَيْبة سُكْرهم إلى أن دَخَل عليهم أربابُ الوظائف ، وأيقظوهم من نومهم وعرّفوهم ما دُهوا به ، فبعَث السلطانُ طاجار الدوادار إلى الأمير طُقُزْدَمُر النائب يسألُه عن الخبر ويستدعيه ، فوجد عنده جَنكلى بن البابا والوزير وعدّة من الأمراء المقيمين بالقلعة ، فآمتنع طُقُزْدَمُر من الدخول على السلطان ، وقال : أنا مع الأمراء حتّى أنظر ما عاقبة هذا الأمر ، ثم قال لطاجار : أنت وغيرك سببُ هذا ، حتى أفسدتم السلطانَ[4] بفسادكم ولَعِبكم ، قلْ للسلطان يجمع مماليكَه ومماليكَ أبيه حولَه ، فرجع طاجار وبلّغ السلطانَ ذلك ، فخرج السلطان إلى الإيوان وطلَب المماليك ، فصارت

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) فى أحد الأصلين : « السحرة » . وفى السلوك : « الثغرة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) فى السلوك : « حتى أفسدتم السلطنة بفسادكم » .

كلّ طائفة تخرج على أنّهـا تدخل إليـه فتخرج إلى باب القُلّة(١) حتى صاروا نحـو الأربعمائة مملوك ، وساروا يداً واحدة من باب القُـلّة إلى باب القلعة(٢) ، فوجدوه مُغْلقـا فرجعوا إلى النائب طُقُزْدَمُر بعـد ما أحرقوا بوالى باب القلعة وأنكروا عليه وعلى مَنْ عنده من الأمراء (أعنى عن الأمير طُقُزْدَمُر) ، فقـال لهم طُقُزْدَمُر : السلطان آبن أسـتاذكم جالس على كرسىّ المُلْك وأنتم تطلبون غيره . فقالوا : ما لنا آبن أستاذ ، وما لنـا أستاذٌ إلّا قَوْصُون ، آبن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا ومضَوْا إلى باب القـرافة(٣) وهدموا منه جانبـا وخرجوا فإذا خيول بعضهـم واقفة فركب بعضهم وأردف عدّةً منهم ومشى باقيهم إلى قُبّة النصر ففرح بهم قوصون والأمراء وأركبوهم الخيول وأعطَوْهم الأسلحة وأوقفوهم بين أصحابهم ، ثم أرسـل قوصون الأمير مسعود [بن خَطـير](٤) الحاجب إلى السلطان يطلب منـه مَلِكْتَمُر الحجازىّ ويَلْبُغَا اليحْياوىّ ، وهمـا من أمراء الألوف الخاصّكيّة وطاجار الدّوادار وغيرهم ، ويعرّفه أنه أستاذه وأستاذ جميع الأمراء وآبن أستاذهم وأنهـم على طاعته وإنمـا يريدون هؤلاء لِمـا صدر منهم من الفساد ورَمْى الفِتن ، فطلع الأمير مسعود فوجد السلطان بالإيوان من القلعة ، وهم حوله فى طائفة من المماليك فقبّل الأرض وبلّغه الرسالة ، فقال السلطان : لا كيدَ ولا كرامة لهم . وما أُسّير مماليكى ومماليك أبى لهم ، وقد كذَبوا فيما نقلوا عنهـم ومهما قدروا عليه يفعلوه ، فمـا هو إلّا أن خرج عنـه الأمـيرُ مسعود حتى آقتضى رأيه بأن يركب بمن معـه وينزل من القلعة ويطلب

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة والحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) المقصود به باب القلعة العام الذى كان يعرف بباب المدرج . راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٩٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) المقصود هنا باب القرافة الذى يفصل بين القاهرة وبين قرافة الإمام الشافعى وما جاورها من الجبانات الأخرى . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وقد ظهر أخيرا باب القرافة المفتوح فى سور صلاح الدين الممتد من القلعة إلى الفسطاط بجوار باب السيدة عائشة ويفصلهما مدفن تمرباى الحسينى . (٤) التكملة عن السلوك .

النائب طُقُزْدَمُر ومَن عنده من الأمراء والمماليك ويدقّ كوساته ، فتوجه إلى الشّباك وأَمَر أَيْدُغْمُش أمير آخور أن يَشُدّ الخيل للحرب ، فأخبره أنه لم يبق في الإسطبل غلامٌ ولا سايسٌ ولا سلاخُوريّ (١) يشدُّ فرسًا واحدا، فبعث إلى النائب يستدعيه فامتنع عليه ، و بعث الأميرُ قوصُون بُلك الجمدار و بَرْسبغا إلى طُقُزْدَمُر النائب يُعلماه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه و إلا زحف على القلعة وأخذهم غَصْبا (٢) ، فبعث طُقُزْدَمُر إلى السلطان يُشير عليه بإرسالهم ، فعلم السلطان أن النائب وأمير آخور قد خذلاه ، فقام ودخل على أمّه فلم يجد الغرماء بُدًّا من الإذعان ، وخرجوا إلى النائب ، وهم الأمير مَلِكْتَمُر الحجازيّ وأَلْطُنْبغا الماردانيّ و يَلْبغا اليَحْياويّ ، وهؤلاء مقدمو الألوف ، وأحدُ خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون ـــ رحمه الله ـــ وطاجار الدّوادار والشهابيّ شادّ العمائر وبَكْلَمِش الماردينيّ وقُطْلِيجا الحَمَويّ ، فبعثهم طُقُزْدَمُر النائب إلى قَوْصُون صحبة بُلك الجَمدار و بَرْسُبغا ، فلمّا رآهم قوصون صاح في الحاجب أن يُرجّلهم عن خيولهم من بعيد فأُنزلوا إنزالاً قبيحًا وأُخذوا حتى أُوقفوا بين يدي قوصون ، فعنّفهم ووبّخهم وأمر بهم فقُيّدوا وعُملت الزناجير (٣) في رقابهم ، والخُشُب في أيديهم ثم تركهم في خيم ضُربت لهم عند قُبّة النصر . واستدعى طُقُزْدَمُر النائب والأمير جَنْكلي بن البابا والوزير والأمراء المقيمين بالقلعة والأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور فنزلوا إليه واتّفقوا على خَلْع الملك المنصور وإخراجه ، فتوجّه الأمير بَرْسُبغا في جماعة إلى القلعة وأخرج الملك المنصور و إخوته وهم سبعة نفر ، ومع كلّ منهم مملوكٌ صغير وخادمٌ وفرس و بُقْجَة قماش ، وأركبهم إلى شاطئ النيل وأنزلهم في حَرّاقة (٤) وسار بهم إلى قُوص ،

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٢) يلاحظ أن أفعالا مضارعية وغيرها من التراكيب . وردت في الأصلين والسلوك للقريزي مخالفة لقواعد اللغة فآثرنا إبقاءها على ما هي عليه للوقوف على بعض أساليب مؤرخي القرون الوسطى . (٣) جمع زنجير، وهو السلسلة .
(٤) الحراقة : سفينة صغيرة .

ولم يترك بالقلعة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون إلا كُجُك، ثم سلّم قوصُون الأمراء المقيّدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خِزانة[1] شمائل وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوى، فإنّه أفرج عنـه، وكان يوما عظيما بالديار المصريّة من إخراج أولاد السلطان الملك الناصر على هـذه الصورة، وحَبْس هؤلاء الأمراء الملوك فى خِزانة شمائل وتهتّك حُرَم السلطان على إخراج أولاد الناصر، وكَثُر البكاءُ والعَويلُ بالقاهرة، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام . وبات قوصون ومَن معه ليلة الأحد بخيامهم فى قبّة النصر خارج القاهرة، وركبوا بُكرة يوم الأحد العشرين من صفر إلى قلعة الجبل واتّفقوا على إقامـة كُجُك ابن الملك الناصر محمد فى السلطنة، فاقيم وجلس على كرسىّ المُلك حسب ما يأتى ذكرُه فى أوّل ترجمته . وخُلع الملك المنصور فى يوم السبت تاسع عشر صفر من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، فكانت مدّة مُلكه على مصر تسعة وخمسين يوما، ومن حين قلّده الخليفة [ثمانية و][2] أربعين يوما، لأنّه لمـّا تسلطن كان الخليفة [الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان][3] المستكفى لم يتمّ أمرُه فى الخلافة، ثم انتظم أمرُه بعـد ذلك فبايع المـلكَ المنصورَ حسب ما ذكرناه، وخلـع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلّم القلعة بغير قتال مع كثرة مَن كان معه من خواصّ أمراء أبيـه ومماليكه، خِذْلان من الله تعالى !

(١) هذه الخزانة كانت من سجون القاهرة، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٨٨ ج ٢) فقال : كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور، عرفت بالأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب . وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا، يحبس فيها من وجب عليـه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة، وما زالت هـذه الخزانة على ذلك إلى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى سنة ٨١٨ هـ وأدخلها فى جملة ما هدمه من الدور التى أدخلها فى مدرسته .

وأقول : إن هـذه الخزانة من ضمن الأماكن التى دخلت فى بنـاء جامع المؤيد المجاور لباب زويلة بشارع المعز لدين الله (السكرية سابقا) بالقاهرة . وكانت فى القسم الجنوبى من المسجد بجوار السور القديم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) تكملة يقتضيها السياق .

وفى خلعه من السلطنة وإخراجه إلى قُوص مع إخوته عِبْرة لمن آعتبر، فإن والده الملك الناصر محمد بن قلاوون كان أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان المستكفى بأولاده وحواشيه إلى قُوص منفيًّا مرسَّما عليه فقُوصِصَ الملك الناصر عن قريب فى ذرّيته بمثل ذلك ، وأُخْرِجَ أولادُه أعزّ مماليكه وزوجُ آبنتـه ، وهو قَوْصُون الناصرىّ ، فتوجّه الملك المنصور مع إخوته إلى قُوص وصحبتهُ بهادر بن جَرِكْتَمُر[1] مثل الترسيم عليه وعلى إخوته ، وأقام بها نحو الشهرين ، ودَسّ عليه قَوْصون عبدَ المؤمن متولّى قوص فقتـله وحَمَل رأسَـه إلى قوصون سرًّا فى أواخر شهر ربيع الآخر من سـنة آثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكتَموا ذلك عن الناس . فلمّا أُمْسك قوصون تحقّق الناس ذلك ، وجاءَ من حاقق بَهادُر أنّه غرّق طاجار الدوادار وآستحسّ على قتل المنصور ، فطُلب عبـد المؤمن وقُرِّر فآعترف فسمّره السلطان الملك الناصر أحـمد آبن الملك النـاصر محمـد بن قلاوون ، وقد تسلطن بعـد أخيه كُجُك آخذا بدم أخيـه الملك المنصور هذا .

وكان الملك المنصور سلطانًا كريما شابًا حُمِل اليه مالُ بشتك ومال آقبغا عبد الواحد ومال بَرْسـبُغا فوهَب ذلك جميعَه إلى الخاصّـكيّة الأمراء من مماليك والده مثـل مَلِكْتَمُـر الحجـازىّ وأَلْطُنْبغا المـاردانىّ ويَلْبُغا اليَحْيَاوِىّ وطـاجار الدّوادار ، وهؤلاء كانوا عظماء أمراء الألوف من الخاصّكيّة وأعيان ممـاليك الملك الناصر محمد آبن قلاوون وأصهاره وأحبّهم وأحبُّوه ، فآلتهى بهم عن قَوْصُون وقَوِى بهم بأسُه ، فخاف قَوْصُون عاقبةَ أمره وتقرب خُشْدَاشِيتُه إليه فدبّر عليه وعليهم حتّى تمّ له ذلك ، وكانت الناس تباشرتْ بيُمْن سلطنته ، فإنه لمـّا تسلطن آنتظمت الأمورُ على أحسن

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

ما يكون ولم يقع بين النـاس خلافٌ ولا وقع سيفٌ حتّى خالف قَوْصُون، فرموه بأمور وقبائح ودواهى، وآدّعَوْا أنّه كان ينزل هو والمذكورون من مماليك أبيه إلى بحر النيل و يركَب معهم فى المراكب وأشياء من ذلك، الله أعلم بصحّتها . ولم يكن مَسْك بَشْتَك بخاطره ولا عن أمره إلّا مراعاة لخاطر قَوْصُون لِما كان بينهما من أيام أستاذهما الملك الناصر محمد من المنافرة . وكان الملك المنصور شابًّا حُلْوَ الوجه، فيه سُمْرة وهَيَفُ قَوام، وكان تقديرُ عمره ماحول العشرين سنة، وكان أحْلَى الإخوة وأشجعَهم . زوّجه أبوه بنت الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحَمَوِىّ .

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِىّ فى تاريخه : وعَمِل الناس عزاءه ودار جواره[1] فى الليل بالدرارك[2] فى شوارع القاهرة أيّاما، وأبْكَيْن الناس وتأسّفوا عليه لأنّه خُذِل، وعُمِل عليه وأُخِذَ بغتةً، وقُتِل غضًّا طريًّا، ولو آستمرّ لجاء منه ملك عظيم، كان فى عزمه ألّا يُغَيِّر قاعدةً من قواعد جَدّه الملك المنصور قلاوون، ويُبْطِل ما كان أحدثه أبوه من إقطاعات العُرْبان و إنعـاماتهم، وغير ذلك . انتهى كلام الصلاح الصَّفَدِىّ بآختصـار .

وأمّا أمر بَشْتَك وحبسه فإنه كان من أجلّ ممـاليك الملك الناصر محمـد بن قلاوون، وكان ثَقُل عليه فى أواخر أمره، فإنه لمّـا مات بَكْتَمُر الساقى وَرِثه فى جميع أمواله[3]، فى داره وإسطبله . وتزوّج بآمرأته أمّ أحمد بن بكتمر الساقى وآشترى جاريته

---

(١) الصواب فيه : « ودارت جواريه » .

(٢) كذا فى الأصلين والمنهـل الصافى وأعيان العصر وأعوان النصر للصـفدى (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٩) وهى محرّفة عن الدرابك ، جمـع دربكّة ودربوكّة ، سريانية الأصـل وهى معروفة (عن دوزى) .

(٣) فى الأصلين : « فى جميع أحواله » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى .

خُوبِي[1] بستة آلاف دينار، وكان معها من القُماش ماقيمتُه عشرة آلاف دينار، وأخذ ابنَ بَكْتَمُر عنده . وكانت الشرقية[2] تُحْمَى لبَكْتَمُر الساقى فحماها هو بعده، فعَظُم ذلك على قَوْصُون ولم يَسَعْه إلّا السُّكات لمَيْل السلطان إليه . وكان مع هذه الرياسة الضخمة غير عفيف الذَّيْل عن المَليح والقبيح، وبالغ فى ذلك وأفرط حتّى فى نساء الفلّاحين وغيرهم . وكان سبب قُربه من أُستاذه الملك الناصر أنّ الملك الناصر قال يوما فى مبدأ أمره لمجد الدين السَّلّامِيّ[3] : أريد أن أشترى لى مملوكًا يُشبه بُوسَعيد آبن خَرْبَنْدَا ملك التّتار، فقال مجد الدين : دَعْ ذلك، فهذا بَشْتَك يُشْبهه لافرقَ بينهما فحظِيَ عنده لذلك . ولمّا نَدَبه السلطان لمَسْك تَنْكِز وتوجّه إلى الشام للحَوْطة على مال تَنْكِز، ورأى أمرَ دِمَشْق طَمِع فى نيابتها ولم يجسُر يُفاتح السلطان فى ذلك، وبقِىَ فى نفسه منها حَزَازة، فلمّا مَرِض السلطان وأشرف على الموت ألبس بَشتك مماليكه، فإنّه كان بلَغه عن قَوْصُون أنّه ألبس مماليكه، ثم آنتظم الأمر على أن السلطان جَعل آبنه أبا بكر ولىّ عهده ، وقد قدّمنا ذكرَ ذلك كلّه مفصّلا فى أواخر ترجمة الملك الناصر . فلمّا وقع ذلك قال بَشْتَك : لا أُوافق على سلطنة أبى بكر، ما أُريد إلّا سيّدى أحمد الذى بالكَرَك . فلمّا مات السلطان وسُجِّيَ قام قَوْصُون إلى الشُّبّاك وطلب بَشْتَك وقال له : يا أمير تعالَ، أنا ما يجىء منّى سلطان، لأنّى كنت أَبيع

(١) ترجم لها صاحب الدر الكامنة وضبطها بالعبارة فقال : «خوبى العوّادة، بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها موحدة مكسورة . كانت مغنية فائقة فى ضرب العود ... ماتت بعد الأربعين وسبعمائة» .

(٢) الشرقية المقصود بها هنا إقليم الشرقية إحدى مديريات الوجه البحرى بمصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى (بتشديد اللام) مجد الدين بن الخواجا تاجر الخاص فى الرقيق . ولد سنة ٦٧١ هـ وهو الذى سعى مع النوين جوبان فى الصلح بين الملك الناصر وبوسعيد ملك التتار وآزدادت وجاهته بين الملكين . توفى سنة ٧٤٣ هـ (عن الدرر الكامنة) .

الطَّسْما[1] والكشاتوين[2] فى البلاد وأنت آشتريتَ منّى، وأهلُ البلاد يعرفون ذلك منّى، وأنت ما يجىء منك سلطان، لأنّك كنتَ تبيع البُوزا[3]، وأنا آشــتريتُ ذلك منك، وأهل البلاد يعرفون ذلك كلّه، فما يكون سلطانًا مَنْ عُرِف بيع الطسما والبُرْغَالى[4]، ولا من عُرِفَ ببَيْع البوزا، وهذا أستاذنا هو الذى أوصى لمن هو أخبرُ به من أولاده، وهــذا فى ذمّته وما يسعنا إلّا آمتثال أمره حيًّا وميّتا ، وأنا ما أُخالفك إن أردت أحمد أو غيره ، ولو أردت أن تَعمَل كلّ يوم سلطانًا ما خالفتُك ؛ فقال بَشْتَك : كلّ هذا صحيح، والأمر أمرُك، وأحضَرَا المصحف وحلَف كلٌّ للآخر وتعانقا ، ثم قاما إلى رجلَى السلطان فقبّلاهما و بَكَيَا، ووضعا آبن السلطان على كرسىّ الملك . وقد تقدم ذكْرُ ذلك كلّه، وتمّ الأمر بينهما على ذلك، حتى بدا لبَشْتَك أن يلى نيابة الشام فعاكسه قَوْصُون فثارت الكمائن والضغائن القديمة بينهما حتى وقع ما حكيناه، وأُمسك بَشْتَك وآعتُقل بالإسكندريّة إلى أن قُتل فى محبسه بالإسكندرية بعد أيام فى سلطنة الملك الأشرف كُجُك آبن الملك النّاصر محمد بن قلاوون فى شهر ربيع الآخر من سنة آثنتين وأربعين المذكورة، حسب ما يأتى ذكْره . وبَشْتَك هــذا أوّل من أُمسك من أمراء الدولة الناصريّة . وكان كريمــا مُهابا، كان يَذْبَح فى سِمــاطه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بدّ منه، خارجا عن الدجاج والإوز والحَلْوَى . انتهى ترجمة الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون . رحمه الله تعالى .

---

(١) الطسمة كلمة فارسية : قطعة سير من الجلد، تسحذ عليها الموسى إذا نبت، تعريب تاسمة .

(٢) جاء فى ترجمة عثمان بن محمد بن لؤلؤ الأمير فخر الدين أحد الأمراء الطبلخاناه بدمشق ما يأتى : «كان يعمل بيــده عدّة صنائع ويزركش ويطرز ويعمل الكشاتوين» . انظر أعيان العصر للصفدى (ج ٢ قسم ثان لوحة ٤٤٢) ويستفاد من ذلك أن الكشاتوين نوع من تطريز الجلد .

(٣) البوزة هى الشراب المعروف المتخذ من الأرز أو الشعير أو الذرة العويجة .

(٤) البرغالى : خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب . راجع رحلة ابن بطوطة (جـ ٢ ص ٤٤٥) والحاشية رقم ٤ ص ٣٢١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ذكر ولاية الملك الأشرف علاء الدين كُجُك (١) على مصر

هو السلطان الملك الأشرف علاء الدين كُجُك ابن السلطان الملك الناصر، ناصر ناصر الدين أبي المعالى محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي . جلس على تخت المُلك باتفاق الأمراء بعد خَلْع أخيه أبي بكر ابن الملك الناصر محمد فى يوم الاثنين حادى عشرين صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وركب بشعار السلطنة ولُقِّب بالملك الأشرف ولم يَكْمُل له من العمر خمس سنين، وقيل كان عمره دون سبع سنين . وأمه أم ولد تُسمَّى أُرْدُو تركية الجنس وهو السلطان الرابع عشر من ملوك الترك بديار مصر، والثانى من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون . ولما تمّ أمره فى السلطنة جلس الأمراء واشتوروا (٢) فيمن يقيمونه فى نيابة السلطنة فرُشِّح الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور فامتنع أيدغمش من ذلك فوقع الاتفاق على الأمير قَوْصُون الناصرى فأجاب وشرط على الأمراء أن يُقيم على حاله فى الأشرفية (٣) من القلعة ولا يخرج منها إلى دار النيابة (٤) خارج باب القُلّة من القلعة، فأجابوه الأمراء

(١) ورد فى تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ١٧٧) : « وأما تسميته بكجك فهو لفظ أعجمى معناه بالعربى صغير، فإن والده لحظ فيه حال التسمية أنه سيلى بعده الملك وهو صغير، والملوك لهم فراسة فى الأمور قبل وقوعها » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) الأشرفية، المقصود بها هنا قاعة الأشرفية التى كانت بالقلعة وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأقام فى مكانها الإيوان . وراجع الحاشية الخاصة بقاعة الأشرفية بالقلعة رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هذه الدار تكلم عليها المقريزى فى خططه (ص ٢١٤ ج ٢) فقال: كان بقلعة الجبل بالقاهرة دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٧ هـ وسكنها نواب السلطنة وكانوا يجلسون بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ وصار موضعها ساحة، وأبطل النيابة والوزارة أيضا، فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره فى نيابة السلطنة، ولكنه لم يجلس فيها بسبب القبض عليه . وأول من جلس بها بعد تجديدها هو الأمير شمس الدين آق سنقر نائب =

إلى ذلك ، فآستقرّ من يومه فى النيـابة ، وتصرّف فى أمور المملكة ، والسلطانُ آلةٌ فى السلطنة ، فقال فى ذلك بعضُ شعراء العصر :

سلطاننا اليومَ طفلٌ والأكابرُ فى * خُلْف وبينهمُ الشيطان قد نَزَغا
فكيف يَطْمع مَن تُغْشيه مَظْلَمةٌ(1) * أن يبلُغ السُّؤْلَ والسلطانُ ما بَلَغا

٥ ثم آتفقت الأمراء على إخراج الأمير أَلْطُنْبُغا المـارِدانىّ من الحبس فأُخرج من يومه . وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرين صفر أخرج الأمير قُطْلُوبُغا الحَمَوىّ وطاجار الدّوادار ومَلِكْتَمُر الحجازىّ والشّهابىّ شادّ العمائر من حبس خزانة شمائل بالقاهرة ، وحُملوا إلى ثغر الإسكندرية فسُجنوا بهـا . وتوجّه الأمير بُلَك الجَمَـدار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طَشْتَمُر الساقى المعروف بحِمّص أخضر والأمراء ، وتوجّه

١٠ الأمير بَيْغَرَ إلى دِمَشْق بمثـل ذلك إلى نائبها الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحىّ ، وتوجّه الأمير جَرِكْتَمُر بن بهادُر إلى طرابُلُس وحَمَاة لتحليف نُوّابها والأمراء ، وكَتَب إلى الأعمال بإعفاء الجنـد عن المغارم . ثم ركب الأمير قَوْصُـون فى يوم الخميس رابع عشرينه فى دَسْت النيابة ، وترجّل له الأمراء ومشَوا فى خدمته ، وأخَذَ وأعطى وأنفق على

= السلطنة فى أيام الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأوّل جلوسه فى شباكها كان فى يوم أوّل صفر سنة ٧٤٣ هـ وتوارثها النوّاب بعده .

١٥ ولما تكلم القلقشندى فى صبح الأعشى على الباب الثالث من أبواب القلعة وهو بابها الأعظم (ص ٣٧٤ ج ٣) قال : ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفى قبلى هذه الدركاه تقع دار النيابة وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب .

وبالبحث تبين لى أن هذه الدار قد آندثرت وأنها كانت واقعة فى الحوش الداخلى للقلعة الذى به الآن

٢٠ تكنات الجيش ، لأن باب القلعة وهو بابها الأعظم الذى كان يعرف بالباب المدرج لا يزال واقعا فى الحائط الغربى للقسم البحرى من القلعة وهو القسم الذى به تكنات الجيش ، وكان الباب المذكور يوصل مباشرة إلى الدركاه وإلى دار النيابة التى أقيم فى مكانها بعض هذه التكنات .

(1) كذا فى الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسلوك وآبن إياس : « ... من مسته مظلمة » .

الأمراء لكلّ أمير مائة ومقدّم ألف : ألف دينار ، ولكلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ؛ ولكلّ أمير عشرة مائتى دينار ، ولكلّ مقدّم حلْقة خمسين دينارا ، ولكلّ جندى خمسة عشر دينارا .

ثم فى يوم [السبت] [1] سادس عشرينه سَمَّر قَوْصُون ولىّ الدولة أبا الفَرَج آبن خَطير صِهْر النَّشْو ، وكان قد توصّل إلى الملك المنصور بسِفَارة أُستاذه مَلِكْتَمُر الحجازىّ ، ووقع منه أمور حقدها عليه قوصون لوقتها ، ولمّا سُمِّر أُشْهِر على جمل بمصر والقاهرة وقد أُشعلت الشموع بالحوانيت والشوارع ودقّت الطبول وفرِح الناس بتشهيره فرَحا زائدا لأنّه كان ممّن بَقِى من حواشى النَّشْو وأصهاره ، وفيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المِعْمار [2] :

قد أخلف النَّشْوَ صِهْرُ سُوءٍ * قَبِيحُ فِعْـــل كما تَرَوْهُ
أراد للشـــرّ فَتْـحَ بابٍ * فأغلَقُـــوه وسَمَّـــرُوهُ

ولمّا كان يومُ الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل من سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة أنعم قَوْصُون على أحد وعشرين مملوكا من المماليك السلطانية بإمْرِيات : منهم ستة طبلخاناه والبقيّة عشرات . وفى رابع عشر شهر ربيع الأوّل توجّه الأمير طُوغان لإحضار الشهابىّ أحمد آبن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكَرَك محتفظاً به لِيُنفَى إلى أُسْوان [3] . وسببُ ذلك أنّه ورد كتاب مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانى نائب الكَرَك يتضمّن أنّ أحمد المذكور خرج عن طَوْعه وكثُر شغَفُهُ بشباب أهل الكَرَك وآنهماكه فى معاقرة الخمر ، وأنّه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكَرَكيين على قتله وطلب الإعفاء

(١) زيادة عن السلوك يقتضيها السياق .
(٢) توفى سنة ٧٤٩ هـ عن الدرر الكامنة .
(٣) أسوان : مدينة مصرية وهى قاعدة مديرية أسوان بصعيد مصر. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

من نيابة الكَرَك . ثمّ فى يوم السبت سابع عشر(١) شهر ربيع الأوّل المذكور خلَع على الأمير طُقُزْدَمُر الحَمَوِىّ نائب السلطنة بديار مصر بنيابة حَمَاة عوضا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيّد الأيُّوبى، وأنعم على الملك الأفضل بتقدمة ألف بدمَشْق، وأنعَم على الأمير آقبُغا عبد الواحد بإمرة بِدمَشق، ورَسم لسفره [إليهـا](٢) . وفى يوم الخميس ثانى عشرينه جلس السلطان الملك الأشرف كُجُـك على تخت الملك وخلَع على جميع الأمراء وأرباب الدولة بدار العـدل ، وقبّل الأمراء الأرض بين يديه ثم تقدّموا إليه على قَدْر مراتبهم وقبّلوا يدَه فكان عِدّةُ الخِلَع فى هذا اليوم ألفا ومائتى خِلْعة . ثم فى تاسع عشرينه ورَد كتاب الشهابىّ أحمد ٱبن الملك الناصر محمد من الكَرَك بأنه لايحضر إلى القاهرة حتى يأتيَه أكابرُ الأمراء إلى الكَرَك ويُحلِّفهم ، ثم يحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكَرَك ، و يحضر بعد ذلك ، و ينتصب سلطاناً فأجيب بأنه لم يُطلب إلّا لشكوى النائب منه ، وجُهِّزت له هديّة سنيّة ، وأنّه يحضر حتى تُعمل المصلحة ، فلم يكن بعـد أيّام إلّا وحضر الأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانِىّ نائب الكَرَك إلى القاهرة فى يوم الخميس رابع عشر ربيـع الآخر ، وأخبَر الأمير قَوْصُون وغيره بامتناع الشهابىّ أحمـد من الحضور ، وأنّه أقام على الخـلاف ، فاجتمع الأمراء بالقصر فى يوم الجمعة خامس عشره للمَشُورة فى أمر أحمد المذكور ، حتّى تقرّر الأمر على تجريد العساكر لأخذه .

ثم فى يوم السبت سادس عشره ٱبتـدأت الفتنة بين الأمير قَوْصـون و بين المماليك السلطانية ، وذلك أنّ قوصون أرسـل يطلب من مقدّم المماليك مملوكا

---

(١) فى الأصلين « تاسع عشر » . وما أثبتناه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية وما يقتضيه السـياق .

(٢) زيادة عن السلوك .

من طبقة الزُّمُرُّذِيّة[(1)] جميل الصورة ، فمنعه خُشْداشِيتُه أن يخرج من عندهم ، فتلطّف بهم المقدّم حتّى أخذه ومضى به إلى قَوْصُون فبات عنده ، ثم طَلَب من الغد نحو أربعة مماليك أُخَر أو خمسة ، منهم شَيْخُون[(2)] وصرغتمش وأَيْتَمَش عبد الغنى ، فامتنع خُشْدَاشِيتُهم من ذلك ، وقام منهم نحو المائة مملوك وقالوا : نحن مماليك السلطان ، ما نحن مماليك قَوْصُون ، وأخرجوا الطواشى المقدّم من عندهم على أقبح وجه ، فمضى المقدّم إلى قوصون وعرّفه الحال ، فأَخْرَج إليهم قوصون الأمير بَرْسبُغا الحاجب وشَاوِرشى دَوَاداره فى عدّة من مماليكه ليأتوه بهم ، فإذا بالمماليك قد تعصّبوا مع كبارهم وخرجوا على حَمِيّة يريدون الأمير بيبَرْس الأحمدىّ ، فإذا به راكب ، فمضَوْا إلى بيت الأمير جِنْكَلى بن البابا[(3)] فلَقُوه فى طريقهم ، فقالوا له : نحن مماليك السلطان مُشْتَرى ماله ، فكيف نترك آبنَ أستاذِنا ونخدُم غيره ، مَنْ هو مملوك مثلُنا فينال غرضَه منّا ويَفْضَحنا بين الناس ! وجَهَروا له بالكلام الفاحش ، فتلطّف بهم جِنْكَلى فلم يرجعوا عمّا هم عليه لِحَنَق منهم ، وقال : أنتم الظالمون بالأمس ولمّا خرجتم قلتُ لكم : طُقُزْدَمُر نائب السلطنة : ارجعوا إلى خدمة

(1) فى الأصلين : «الزمندارية» . وما أثبتناه عن السلوك للقريزى . وورد فى خططه فى الكلام على الطباق بساحة الإيوان (ص ٢١٤ ج ٢) : «وأفرد جنس الخطا والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية» .

(2) كذا ورد فى الأصلين . وفى غالب كتب التراجم والتاريخ وردت بنون و بغيرنون .

(3) يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خط درب آبن البابا (ص ١٣٤ ج ٢) أن هذا الخط كان واقعا فى المنطقة التى يحدها من بحرى شارع نور الظلام وما فى آمتداده غربا إلى مستشفى النساء بأرض الحوض المرصود ، ومن الغرب عطفة حمام بابا ، ومن الجنوب حارة نجم الدين وما فى آمتدادها شرقا إلى حارة بنت المعمار ، ومن الشرق شارع الألفى بالقاهرة . وربمـا أنه لا يزال يوجد من آثار الأمير جنكلى بن البابا حمامه المحتفظ بآسمه إلى اليوم بعطفة حمام بابا السابق ذكرها فيكون موقع بيته فى العطفة المذكورة ، لأنه مجاور للحمام ، وقد آندثر ودخل فى الدور بتلك الجهة .

[أبن][1] أستاذكم قلتم : ما لنا أبنُ أستاذ غير قَوْصُون، والآن تشكوا منه ! فٱعتذروا له
ومضَوْا به ؛ وقد حضر الأحمدىّ فٱجتمعوا به ، وتوجّهوا إلى مَنْكَلى بُغَا الفخرىّ
فإذا قد وافاه بَرسُبغا من عند قَوْصُون، فأرادوا أن يُوقعوا به فكفّهم الفخرىّ عنه ،
هذا وقَوصون قد بلغه خبرُهم ، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء فما زال به مَنْ عنده
٥ حتّى سكن إلى بُكرة النهار، فكانت تلك الليلة ليلة مَهُولة .

ثمّ طلب الأمير قَوصون جَنْكَلى والأحمدىّ والفخرىّ وبقيّة الأمراء إليه ،
وأغراهم بالمماليك السلطانيّة وخوّفهم عاقبةَ أمرهم من آستخفافهم بالأمراء ،
فبعثوا بالأمير مسعود الحاجب إليهـم ليُحضرَهم فإذا جَمْعُهم قد كَثُف وكَثُر، فلم
يلتفتوا إليــه فعاد فخرج إليهم ألطُنْبُغا المــاردانىّ وقُطْلُوبُغا الفخرىّ وهمــا أكبرُ
١٠ الأمراء الخاصّكيّة من خُشْدَاشِيّتهم، وما زالا بهم حتّى أخذا مَنْ وقع عليه الطلب ،
ودخلوا بهــم إلى قَوْصون، فقبّلوا يدَه فقــام لهم وقبّل رأسهــم وطيّب خواطرَهم
ووعدهم بكلّ خير وٱنصرفوا ، وفى ذهن قَوْصون أنّه قــد حصَل الصلح ، وذلك
فى يوم السبت . فلمّا كانــ [ليــلة][2] الآثنين وقت الغــروب تحالف المــاليك
الناصريّة على قَتْــل قَوْصون وبعثوا إلى مَنْ بالقاهرة منهــم ، فبات قَوْصون
١٥ — وقــد بلغه ذلك — على حذَر ، وركب يوم الآثنين ثامن عشر ربيــع الآخر
المَوْكبَ مع الأمراء تحت القلعة، وطلب أَيْدُغْمُش أمير آخور، وأخذ قَوْصون يلوم
الأمراء فى إقامته فى نيــابة السلطنة ، وهم يترضّوه ويَعِدوه بالقيام معــه ، فأدركه
الأمير بِيبَرْس الأحمدىّ وأعلمه بأنّ المــاليك السلطانيّة قد آتفقوا على قتله ، فمضى
بهم (أعنى الأمراء) إلى جهة قُبّة النصر فٱرتجّت القلعة وقُفلت أبوابُها ، ولبِسَت

٢٠ (١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) زيادة عن السلوك .

المماليك السلطانية السلاحَ بالقلعة وكَسَرُوا الزَّرَدْخَاناه[1] السلطانية، هذا وقد امتلأت الرُّمَيلة[2] بالعامة، وصاحوا يا ناصرية! نحن معكم، فأجابوهم من القلعة، فأشاروا لهم بالتوجه إلى بيت قَوْصون[3] فتوجهوا نحوه وكَسَرُوا بابه وهجموا عليه، وكَسَروا مَنْ كان يَرمِي عليهم من أعلى البيت، و بلَغ ذلك قَوْصون، فعاد بمن كان معه، وأوقعوا بالعامة

(١) يستفاد مما ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى على وظيفة إمرة جاندار (ص ٢٠ ج ٤)، وما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على أمير جاندار (ص ٢٢٢ ج ٢) أن صاحب هذه الوظيفة علاوة على وظائفه الأصلية كان هو أيضا المتسلم للزردخاناه، وكانت أرفع الاعتقالات والسجون قدرا، ومن اعتقل أو سجن بها لا تطول مدته بها بل يقتل أو يخلى سبيله .

ومن هـذا الوصف يتبين أن الزردخاناه كانت مكانا يعتقل فيه من يأمر السلطان باعتقالهم، ولكن يفهم من عبارة المؤلف ووصفه للزدخاناه السلطانية أنها لم تكن فى وقته معتقلا بل كانت خزائن للسلاح، يؤيد ذلك أن القلقشندى لما تكلم على السلاح خاناه (ص ١١ ج ٤) قال : ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزردخاناه ومعناها بيت الزرد، وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقسى والنشاب والرماح والدروع المتخذة من الزرد المسانع وغيرها من سائر أنواع السلاح . قال : وفى هذه السلاح خاناه من الصناع المقيمين بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة و يسمى صانع ذلك بالزردكاش وهى لفظة عجمية معناها صانع الزرد وهذا ما يقصده المؤلف .

و يستفاد مما ذكره ابن إياس فى مناسبات متنوعة أشار فيها إلى الزردخاناه فى الصفحات رقم ١٤٣، ٢٥٥، ٣٨٣، ٤٧٥ من الجزء الرابع من كتاب بدائع الزهور أن باب الزردخاناه كان واقعا فى الحوش السلطانى السابق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

و بالبحث عن مكان الزردخاناه فى الحوش الذى فيه الآن قاعة العدل الضر بخانة القديمة تبين لى أن الزردخاناه مكانها اليوم مجموعة المبانى القديمة التى خرب بعضها الواقعة بين الحوش من قبلى و بين جامع الناصر محمد بن قلاوون من بحرى، وفيها ساقية قديمة، ويحدها من الشرق الطريق الموصلة من الحوش إلى بئر يوسف، ومن الغرب الطريق الموصلة من الحوش الى جامعى الناصر ومحمد على بالقلعة بالقاهرة .

(٢) كانت من الميادين الواسعة تحت قلعة الجبل بالقاهرة، وتعرف الآن بالمنشية وبها ميدان صلاح الدين . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هو بذاته إصطبل قوصون السابق التعليق عليه . راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

حتّى وصلوا إلى سور القلعة فرماهم المماليك من أعلى القلعة بالنُّشّاب وأَحْموا العامّة ، فقُتل فى المعركة الأميرُ محمود صِهْر الأمير جَنْكَلِى بن البابا بسهم نُشّاب من القلعة ، وقُتِل معه آخرُ، ووصلوا حاشية قَوْصُون (١) إلى إسطبل قوصون، فقد بدأ النهب فيه ، فقتلوا من العامّة جماعة كثيرةً وقبضوا على جماعة ، فلم تُطِق المماليك السلطانيّة مقاومةَ الأمراء فكفُّوا عن القتال وفتحوا باب القلعة لهم ، فطلَع إليهم الأمير بَرْسُبُغا الحاجب وأنزل ثمانية من أعيان المماليك السلطانيّة إلى قَوْصون . وقد وقف قوصون بجانب زاويةِ تقيّ الدين رجب (٢) تحت القلعة ، فَوسّط قَوْصون منهم واحداً اسمه صربغا ، فإنّه الذى فتح خزائن السلاح وألبس المماليك ، وأَمَر به قَوْصُون فعُلِّق على بابَ زوِيلَة ، وأراد أن يُوسِّط البقيّة فشفَع فيهم الأمراء ، فحُبِسوا بخزانة شمائل مقيّدين . ثم رَسم

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) هذه الزاوية ذكرها المقريزى فى خططه باسم زاوية تقى الدين (ص ٤٣٢ ج ٢) فقال : إنها تحت قلعة الجبل . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٢٠ هـ لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشيرك العجمى ، وكان وجيها محترما عند أمراء الدولة ، ولم يزل مقيما فيها إلى أن مات بها يوم ٨ رجب سنة ٧١٤ هـ ، وما زالت منزلا لفقراء العجم إلى وقتنا هذا .

وأقول : إنه من زيارتى لهـذه الزاوية وقراءتى لما فيها من الكتابات التى فى اللوحات الرخام المثبتة فى حوائطها تبين لى أن الذى أنشأها هو الملك المنصور حسام الدين لاشين للشيخ تقى الدين رجب العجمى فى شهر صفر سنة ٦٩٧ هـ وأن الملك الناصر محمد بن قلاوون وسع مصلى الزاوية وذلك فى سنة ٧٢٦ هـ .
وأنّ الملك الظاهر أبا سعيد جقمق جدّدها فى سنة ٨٤٧ هـ . ثم تبين لى أيضا أن تقى الدين المذكور مات فى سنة ٧٢٤ هـ كما ورد فى ترجمته فى الدرر الكامنة لابن حجر وفى السلوك للمقريزى وليس فى سنة ٧١٤ هـ كما ورد فى الخطط المقريزية . وهذه الزاوية لا تزال موجودة إلى اليوم ، وقد تجدد أغلب مبانيها وهى عامرة الشعائر الدينية بدرب اللبانة المتفرع من سكة المحجر تحت القلعة بالقاهرة ، وتعرف هذه الزاوية بتكية العجمى أو تكية تقى الدين البسطامى نسبة الى الشيخ محمد البسطامى أحد مشايخها السابقين ، المتوفى فى رمضان سنة ٩٠٥ هـ .
وقد اختلف المؤرخون فى والد تقى الدين رجب هذا ، ففى الخطط المقريزية : « رجب بن أشيرك » . وفى الدرر الكامنة : « رجب بن اشترك » . وفى هامش الدرر : « رجب بن أميرك » .

قوصون بتسمير عدّة من العوامّ فسُمِّر منهم تسعة على باب زويلة، ثم أَمر بالركوب على العامّة وقبضهم ففرّوا حتّى إنهم لم يقدروا منهم على حَرْفوش[1] واحد، ثم طلع قَوْصُون إلى القلعة قريب العصر، ومَدَّ للأمراء سِماطًا فأكلوا وبَقِيت الأطلاب[2] والأجناد واقفة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة، وكان جملة من قُتِل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلا وٱنصرف الناس . ٥

ثم فى ليلة الثلاثاء طلع الأمير بَرْسبُغا الحاجب إلى طِباق[3] المماليك بالقلعة ومعه عِدّة من المماليك وقَبضوا على مائة مملوك منهم وعُمِلوا فى الحديد وحُبِسوا بخزانة شمائل، فمنهم من قُتِل ومنهم من نُفِى من مصر . ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر سَمَّر قوصون تسعة من العوامّ . ثم فى يوم الأربعاء عشرينه سَمَّر قوصون أيضا ثلاثة من الطواشيّة فى عِدّة من الحَرَافِيش على باب زويلة ، وسبب ذلك أنّ قوصون ١٠ لمّا نَزَل من القلعة ومضى إلى قُبّة النصر وقابلته المماليك السلطانيّة أخذت الطواشيّة فى الصياح على نسائه وأفحشوا فى سَبّهنّ ، وٱستمر الطواشيّة فى التسمير حتى مات أحدهم وشُفِع فى الآثنين . ثم عَرَض قوصون مماليك الأطباق ، وأنعم على مائتين منهم بإقطاعات كبيرة ، وعيَّن جماعة منهم بإمريات . ثم أكثر قوصون من الإحسان إليهم وبينما قوصون فى ذلك قَدِم عليه كُتب نائب الشام وأمراء الشام . ١٥ وفيها كُتب أحمد ٱبن السلطان الملك الناصر لهم مختومة لم تُفَكّ ففتحها قوصون فإذا فيها لنائب الشام أنه كاتَب لنائب حلب الأمير طَشْتَمُر الساقى حمص أخضر وغيره

---

(١) الحرفوش من الناس : السافل .

(٢) الأطلاب : هم الحرس الخاص لأمراء المماليك ، يحملون سلاحا كالأجناد وهم الجند .

(٣) الطباق هى مبانى المماليك بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . ٢٠

وأنهم آتفقوا معه وأكثر من الشكوى من قوصون، فأوقف قوصون الأمراء عليها وما زال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك .

وفى هذه الأيام ظهرت المماليك التى كانت الفتنة بسببهم عند خُشْدَاشيّتهم ، فسُلِّم صرغتمش إلى الأمير أَلْطُنبُغا المـارِدانى ، وسُلِّم أيْتَمُش إلى الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور، وسُلِّم شَيْخون إلى الأمير أُرْنُبُغَا السِّلاح دار ، وهؤلاء الأمراء الثـلاثة ناصريّة .

ثم أُشيع بالقاهرة أنّ أحمد آبن الملك الناصر قد تحرّك من الكَرَك فى طلب المجىء إلى الديار المصريّة ، فكثُر الآضطراب ووقع الشروع فى تجهيز العساكر صحبةَ الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى ، وآستحلفه قَوْصون ، وبعث إليه بعشرة آلاف دينار ، وعيّن معه أيضا الأميرَ قُمَارِى أخا بكتمر الساقى ومعهما أربعة وعشرون أميرا ، ما بين طبلخانات وعشرات ، وأنفق على الجميع . ثم بعث قَوْصُون إلى قُطْلُوبُغَا الفخرى بخمسة آلاف دينار أخرى عند سفره وركب لوَدَاعه صحبةَ الأمراء ، حتى نزل بالرَّيْدَانية[1] فى يوم الثلاثاء[2] خامس عشرين ربيع الآخر ، وكلّ ذلك فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة . هذا والأمراء لم يكن منهم أحد راضيًا بسفر هذه التجريدة ، بل أشار الأمير الحاج آل ملك والأمير جَنْكَلى بن البابا على قَوْصُون بأنه لا يُحرِّك ساكنًا فلم يَقْبل قوصون ، وكانا أشارا عليه بأنّه يكتب إلى أحمد بن الناصر يعتُبه على مكاتبته لنائب الشام وغيره ، فكتب إليه بذلك فأجاب بأنّ طُوغان أسمعه كلامًا فاحشًا وأغلظ عليه فى القول فحَمَله الحَنَق على مكاتبة نائب الشام ، وأنّ قوصون والده بعد والده ونحو ذلك ، فلم يُقْنِع قوصون ذلك ، وجهّز العساكر لأخذه ، وبعد خروج العساكر ركب الأمير قوصون فى يوم الثلاثاء ثالث جُمَادَى الأولى إلى سِرْيَاقوس وصحبتـه الأمراء على عادتهم [توجه

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون : « فى يوم الآثنين ... الخ » .

السلطان[١] ثم عاد]. وبعد مدّة يسيرة ظهر للأمير قوصون مخالفةُ الأمير طَشْتَمُر الساقى-
نائب حَلَب المعروف بحمّص أخضر، وسبب مخالفته أنّه شقّ عليه إخراج أولاد أستاذه
الملك الناصر إلى الصعيد، وأيضا تجهيز العساكر لقتال أحمد آبن الملك الناصر بالكَرَك،
وكان قد بعث إليه أيضا أحمد آبن الملك الناصر يشكو من قوصون، وأنه يريد
القبض عليه ويطلب منه النُّصرة عليه، فكتب طَشْتَمُر إلى أمراء الديار المصريّة ٥
وإلى قوصون بالعَتْب، فقبض على قاصده بقَطْيا[٢] وسُجِن، وكتب قوصون إلى الأمير
أَلْطُنْبُغا الصالحىّ- نائب الشام بأن الأمير طَشْتَمُر حمّص أخضر نائب حلب شرع
يتكلم فى إقامة الفتنة وأنه لا يُصْغى إلى قوله، وبعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا
والتحف فأجاب أَلْطُنْبُغا نائب الشام بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

ولما تمّ لقَوْصُون ذلك وقع بينه وبين الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور، وكادت ١٠
الفتنة تقوم بينهما وأغلظ أيدغمش لقوصون فى الكلام، وسببه أن بعض مماليك
أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأنّ قوصون قرر مع بَرْسُبُغا الحاجب أن يبيت
بالقاهرة ويركب فى عدّة من مماليك قوصون ويكبس على أيدغمش، فأخذ أيدغمش
فى الآحتراز، وآمتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعّك، وكان ذلك بعد أن
تصالحا بعد تفاوضهما بمدّة يسيرة، وصار أيدغمش إذا سيّر قوصون النائب بالرُّمَيْلة[٣] ١٥

(١) العبارة المحصورة ما بين المربعين [ ] غير ظاهرة المعنى فى حين أنها لم ترد فى السلوك للقريزى.

(٢) قطيا: بلدة مصرية كانت فى الطريق ما بين مصر والعريش، وقد آندثرت. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٣) هى التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. وأضيف إلى ما سبق ذكره أن الرميلة المذكورة كانت قبل التنظيم الحالى وقبل تسميتها ميدان صلاح الدين ٢٠ مقسمة إلى ثلاث مناطق: الأولى الرميلة، وكانت تطلق على الفضاء الذى يقع اليوم بين جامع السلطان حسن وجامع المحمودية والقلعة ومبنى مركز بوليس قسم الخليفة، وهذه المنطقة هى بذاتها التى كانت تعرف قديما =

فى أيام المواكب يُغلق أيدغمش باب الإسطبل السلطانى ، و يوقف طائفــة من الأوجاقية عليه ، فاشتهر الخبرُ بين النــاس وكثُرت القالةُ ، و بلغ قوصونَ تغيرُ خاطر أيدغمش عليه ، لحلف للأمراء أنه ما يعرف لتغيره سببا ، فما زالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع القلعة ، وعرّف قوصون بحضرة الأمراء ما بلغــه ، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ، ولا عنده من خبر وتصالحا . وبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإسطبل الناقل إليه فوشاه قوصون إليه ولم يُعاقبه .

ثم قَدِم الخبر بوفاة الأمير بَشْتَك الناصرىّ المقدم ذكره بمَحْبِسه بثغر الإسكندريّة ، فاتُّهم قوصون بقتله ، وكان الأمير قوصون قد أنشأ قاعة لجلوسه مع الأمراء من داخل باب القُلّة[1] وفتح فيها شُبّاكا يُطِلّ على الدَّرْكاه ، وجلس فيه مع الأمراء ، ومدّ سماطًا بالقاعة المذكورة وزاد فى سماطه من الحَلْوَى والدَّجاج والإوزّ ونحو ذلك ، وأكثر من الخِلَع والإنعامات ، وصار يجلس مع الأمراء بالقاعة المذكورة ، فلمّا قَدِم الخبرُ بموت بَشْتَك تغيّر خاطرُ جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم لموته ، فما زال بهم قوصون حتّى صالحهم وحلف لهم .

ثم قَــدِم الخبرُ من عند المؤمن والى قُوص بأن الملك المنصور أبا بكر وَجَد فى نفسه تغيّرا ، وفى جسده ترعّكا لَزِم الفراش منه أياما ومات ، واتُّهم قوصون أيضا بأنه أمر عبدَ المؤمن بقتــله ؛ فتغيّر لذلك خاطرُ الأمراء والممــاليك الناصرية قاطبة وهم يوم ذاك عساكر الإسلام ومَنْ سواهم فقليل .

= سوق الخيل . والمنطقة الثانية قراميدان أى الميدان الأسود ، وهى الواقعة قبلى الأولى لغاية سجن مصر ، وهاتان المنطقتان تدخلان الآن فى ميدانى محمد على وصلاح الدين تحت القلعة . وأما المنطقة الثالثة فكانت تعرف بأسم تحت السور ، ومكانها اليوم ميدان السيدة عائشة وكانت تسمى تحت الســور ، لأنها تقع خلف السور الذى يفصل بين هذا الميدان وبين قراميدان ، ولا يزال السور المذكور قائما فى ظهر مجموعة المساكن المطلة على ميدان السيدة عائشة من الجهة الشرقية بقسم الخليفة بالقاهرة .

(١) فى الأصــلين : « من داخل باب القلعة » . وما أثبتناه عن السلوك .

ثم قَدِم الخبر على قوصون بنزول العسكر الذى صحبة الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى على مدينة الكَرَك وقد آمتنعت منه وآستعدّ أهلها للقتال، وكان الوقت شتاءً فأقام العسكر نحو عشرين يوما فى شدّة من البرد والأمطار والثلُوج وموت الدواب، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللّعن والتوبيخ وشنُّوا الغارات عليهم وصاروا يقطعون قِرَبَهم ورَوَاياهم؛ هذا وقوصون يمد الفخرى بالأموال ويحضّه على لزوم الحصار . ٥

ثم قَدِم الخبر من دِمشق بأن تَمُـر الموسوى قَدِم من حلب وآستمال جماعة من الأمراء إلى طَشْتَمُر الساقى حمّص أخضر نائب حلب ، فكتب قوصون بالقبض عليه . ثم حمـل قوصون تشريفًا إلى نائب حلب المذكور فلم يرضَ نائب حلب بالتشريف وردّه، وكتب إلى قوصون يَعْتُبه على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد، فأجابه قوصون بأعذار غير مقبولة . ١٠

ثم قَدِم الخبر على قوصون أيضا من شَـطّى أمير العرب بأنّ قطلوبغا الفخرى قد خامر على قوصون ، وحلَف لأحمـد بن الناصر هو ومن معه من الأمراء وأنّهم أقاموا أحمـد سلطانًا ولقّبوه بالملك الناصر؛ وذلك بمكاتبـة الأمير طَشْتَمُر الساقى نائب حلب له يَعْتُبه على موافقة قوصون وقد فعـل بأولاد أستاذه ما فعل ، ويَعْزِم عليه أنه يدخل فى طاعة أحمد، ويقوم بنُصْرته، فصادف ذلك من الفخرى ضَجَرَه من الإقامة على حِصار الكَرَك وشدّة البَرْد وعِظَم الغلاء، فجمع مَن معه وكتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة وقرّر الصلح معه، وكتب لنائب حلب بذلك فأعاد جوابَه بالشكر، وأعلمه بأن الأمير طُقُزْدَمُر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بنُصْرة أحمد . وكان الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام قد أحسّ بشىء من هذا فآحترس على الطُّرُقات، حتّى ظَفِر بقاصد طَشْتَمُر نائب حلب على طريق بعلبك ومعه كتب فأخذها منه، وبعث بها إلى قَوْصُون، فقَدِمت ثانى يوم ورود كتاب شَطّى بمخابرة ١٥ ٢٠

الفخرى، فإذا فيها : «الملكى الناصرى» فآضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرّفهم ماوقع وأوقفهم على الكُتب، وذكر لهم أنّه وصل منه إلى قُطْلُوبُغا الفخرى فى هذه السَّفْرة مبلغُ أربعين ألف دينار سوى الخيل والقُماش والتُّحَف . ورسم بإيقاع الحَوْطة على دور الأمراء المجرَّدين مع الفخرى إلى الكَرَك، فما زال به الأمراء حتى كفّ عن ذلك .

٥ وألزم مباشريهم بحمل ما وصل إليهم وبجميع حواصلهم، وصار قَوْصُون فى أمر مَرِيج مما بلغه، وكتَب إلى الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقى حمّص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حِمْص ونائب صفد ونائب طرابلس، وكتب إليهم قوصون بالسمع والطاعة إلى طاعة نائب الشام، وحَمل إليهم النفقات؛ فلما بلغ أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام ذلك تجهّز وخرج من دمشق بعساكرها فى جمادَى الآخرة فتلقّاه الأمير

١٠ أَرُقْطاى نائب طرابُلس على حِمْص وصار من جملة عساكره ، وأخبره بكتاب نائب حلب إليه يدعوه لموافقته وأنه أَبَى عليــه . ثم بعث ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طُقُزْدَمُر نائب حماة من آستماله وحلّفه على طاعة الملك الأشرف كُجُك . ولمـا بلغ طشتمر حمص أخضر مجىءُ ألطنبغا نائب الشام إليه أرسل آستدعى آبنَ دُلْغَادر فقدم عليه فآتفق معه على المسير إلى أَبُلُسْتَيْن، وسار به ومعه ماخفّ من أمواله وأخذ أولاده

١٥ ومماليكه فأدركه عسكرُ حلب، وقد وصل إليهم كتابُ نائب الشام بالآحتراس عليه ومَنْعه من الخروج من حلب، فقاتلوه عِدّةَ وجوه فلم ينالوا منه غرضا، وقُتِل من الفريقين خمسةُ نفر وعادوا وأكثرهم جَرْحَى . فلما وصل طشتمر إلى أَبُلُسْتَيْن كتب إلى أَرْتَنَا يستأذنه فى العبور إلى الروم فبعث إليه أرتنا بقاضيه وعِدّة من ألزامه، وجهّز له الإقامات، فمضى طشتمر إلى قَيْصَرِيّة(1)، وقد توجّه أرتنا لمحاربة آبن دِمرْدَاش بعد

٢٠ أن رتّب لطشتمر كلّ يوم ألفى درهم .

(1) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وأما أَلْطُنْبُغا الصالحىّ نائب الشام فإنّه قـدم إلى حلب وكتَب إلى قَوْصُـون يُعلمه بتسحُّب طَشْتَمُر نائب حلب إلى جهة الروم، وأنّه آستولى على مدينة حلب، فقَدِم كتابه على قوصون فى يوم الأربعاء ثانى شهر رجب . ثم فى يوم الآثنين سابع رجب فرّق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجرَّدين مع قُطْـلُوبُغَا الفخرى الخارجين عن طاعة قوصون، وعِدّتُهم آثنان وثلاثون أميرا، منهم أمراء طبلخانات ستة عشر، وأمراء عشرات ستة عشر، وأميران مقدمان : الفخرى وقُمارِى .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين رجب قدِم الأمير الشيخ على بن دِلَنْجِى القازانىّ أحد أمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرىّ من الكَرَك إلى دِمشق، وأنّه يريد موافقته مع ألطنبغا الصالحى نائب الشام، وكان من خَبَره أنّ الأمير ألطنبغا لمـا دخل حلب أخذ موجود طشتمر حمص أخضر وباعه ، وبينما هو فى ذلك بلغه دخولُ قطلوبغا الفخرى بمَنْ معه إلى دِمَشق، وأنّه دعا للنـاصر أحمد، وقد وافقه آق سُنْقُر السَّلّارِى نائب غزة وأصلم نائب صفد ومن تأخر من أمراء دِمشق بها، مثل سَنْجَر الجُمَقْدَار وتَمُر الساقى وأن آق سُنْقُر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصـل أحد من مصر إلى ألطنبغا الصالحى، وأن قطلوبغا أخَذَ فى تحصيل الأموال من دِمَشْق للنفقة على الأمراء والجنـد ، وأن الأمير طُقُزْدَمُر نائب حماة قَدِم عليـه فى غد دخوله ، ورَكِب الفخرى وتلقّاه وقَوِى بهم وآستخدم جندا كثيرة ونادى بدمشق من أراد الإقطاع والنفقة فليحضُر، وأخذ مالا كثيرا من التجّار، وأَكْرَهَ قاضى القضاة تقِى الدين بن السبكى حتى أخذ مال الأيتام وأَخَذَ أُجَرَ الأملاك والأوقاف لثلاث سـنين لجمع مالا عظيما ، وأنّه جماعات من الأجناد والتُرْكُمان، وكتَب أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد البطالين، وأنعم على البطّالين بالخيل والقماش والسلاح، وحلّف الجميع للسلطان الملك الناصر أحمـد بن الناصر محمد بن

قلاوون ، وعَمِل برسمه العصائبَ السلطانيّة والسناجق الخليفتية والكنابيش والسروج والغاشية والقبّة والطّير وسائر أُبَّهــة السلطنة ، وكتب إلى الملك الناصر أحمد يعرّفه بذلك فأجابه الناصر بالشكر والثناء ، فلما سمــع قوصون ذلك جمَع الأمراء للمَشورة فاتّفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزة فتوجه بَرَسْبُغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين علىّ بن طُغْريل فى جماعة .

ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا نائب الشام على يد أُطْلَمِش الكَرِيمى بأن يســير من حلب إلى قتال الفخرى بدَمَشق ، فتوجّه أطلمش الكريمى من البريّة لانقطاع الطريق حتّى وصل إلى حلب ، وعرّف ألطنبغا الخبر ، فخرج ألطنبغا بمن معه من العساكر وســار حتى قَدِم حِمْص ، وقد خرج الفخرى من دِمَشق ونزل على خان لاچين وأمسك المضيق ، وأقام الجبليّــة والعَشــير على الجَبَلَيْن و وقف هو بالعسكر فى وسط الطريق .

وأما ألطنبغا فإنّه حلّف من معــه من العساكر وسار من حِمْص يريد الفخرى حتى قرُب منه . وعدَدُ الجَمعيْن نحو ثلاثة عشر ألف فارس ، فتمهّل ألطنبغا كراهيةً لسفك الدماء ، وأرسل إلى الفخرى رُسُلا ، ودام على ذلك ثلاثة أيام فلم يتمّ بينهما أمر ، و بعث قُطْلُوبُغا الفخرى إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يَعِدُهم [ويستميلُهم][1] حتى وافقوه . فلمّــا تَعِبت الرُسُل بينهم ومات العسكر[2] من شــدّة البرد بعث ألطنبغا فى الليل جماعةً من أصحابه ليهجموا على الفخرى من ورائه ، و يلقاهم هو من قدّامه ، وَركب من الغد ، فمــال كلُّ أمير بمَن معه من أصحابه إلى جهة الفخرى ، وصاروا من جملته ، فلم يبقَ معه سوى أَرُقْطاى نائب طرابلس وأَسَنْبُغا بن [بَكْتَمر][3] البو بكرى

(١) زيادة عن السلوك . (٢) فى السلوك : « وهلك العساكر من شدة البرد » .
(٣) التكملة عن الدرر الكامنة فى أعيان المـائة الثامنة والمنهل الصافى .

وأَيْدَمُر المَرْقَبِي من أمراء دمشق فآنهزموا على طريق صفد إلى جهة غزة ، والقوم في أثرهم بعد أن كانت بينهم وقعةٌ هائلة ، انهزم فيها أَلْطُنْبُغا نائب الشام .

ثم آلتفت الفخرى إلى جهة دمشق وترك السير خلف ألطنبغا حتى دخل دمشق مؤيدًا منصورا ، وكتب في الحال مع البريد إلى الأمير طَشْتَمُر الساقى حمّص أخضر نائب حلب يعرّفه بنُصْرته و يدعوه إلى الحضور من بلاد الروم ، وأنه في آنتظاره بدمشق . ثم حلف الفخرى ومن معه للملك الناصر أحمد وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السِّكّة بآسمه .

وأما ألطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنه وصل إلى غَزّة بمن معه فتلقاهم الأمير بَرْسُبُغا الحاجب ورُفْقَتُه ، وكتب ألطنبغا إلى قوصون بما وقع فلما بلغ قوصونَ الخبرُ قامت قيامتُه وقَبَض على أحمد شادّ الشرابخاناه[(1)] وعلى قَرَطاى أُستادار الفخرى . ثم قَدِم على قوصون كتابُ الفخرى يعتبُه على إخراج أولاد أستاذه إلى قُوص وقَتْل الملك المنصور أبي بكر ، وأن الآتفاق وقع على سلطنة الملك الناصر أحمد ، ويُشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد في تقليده نيابتَها ، فقام قوصون وقعد لما سمع ذلك ، وجمع الأمراء فوقع الآتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة ، فجهز قوصون لكل من ألطنبغا نائب الشام وأَرُقْطاى نائب طرابلس ثلاثين بَذْلَة قماش وثلاثين قباء مُسَنْجَبة بطرازات زَرْكَش ومائتى خُفّ ومائتى كَلْفتاه وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما ، وجهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بَذْلات وأَقْبِية بسِنْجاب وكُسوة لمماليكهم وحواشيهم ، وأخذ قوصون في الإنعام على المماليك السلطانية ، وأخرج ثلثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره ، حتى

(١) في السلوك : « وقبض على إخوة أحمد شاد الشربخاناه » .

يخرج بالعساكر إلى الشام ، وأخرج أربعمائة قرقل[1] وعدة زرديات وخوذ وغيرها .
وأنعم على جماعة من المماليك السلطانيــة بإمريات ، وغير إقطاعات جماعة منهم .
ثم كتب قوصون إلى الأمراء بمسيرهم من غزة إلى جهة القاهرة ، وهيأ لهم الإقامات
والخيول ، و بعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم .

و بينما قوصون فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين رجب
وقت العشاء الآخرة ، وسبب ركوبهم عليــه تنكر قلوب الأكابر عليــه لأمور بدت
منه ، منها : قتل الأمير بشتك الناصرى بغير ذنب ، وهو أعز خشداشيته ، ولم يكفه
ذلك حتى قتل الملك المنصور أبا بكر وهو ابن أستاذه ، وكان يكفيه الخلع من الملك .
ومنهــا قوة الوحشة بينــه و بين الأمير أيدغمش النــاصرى أمير آخور وهو أكبر
خشداشيته ، فأخذ أيدغمش يدبر عليه . وغير خواطر جماعة كثيرة عليه ، إلى أن
كان من انتصار قطلوبغا الفخرى على ألطنبغا الصالحى نائب الشام ، وكان قوصون
قد احتفل لقدوم ألطنبغا نائب الشام ومن معه احتفالا زائدا ، وفتح ذخيرة السلطان
وأكثر من النفقات والإنعــامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصكيــة
ستمائة ألف دينــار ، فشاع بأنه يريد يتسلطن نخاف أيدغمش وغيره من تحكمه فى
السلطنة ، وحرض الأمراء الخاصكية حتى وافقه الأمير علاء الدين ألطنبغا المــاردانى
والأمير يلبغــا اليحياوى فى عدة من المــاليك السلطانية ، و جمــع كثير من أكابر
الأمراء ، منهم : الأمير الحاج آل ملك والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا واتفقوا
الجميع أنهم يسيروا جميعا إلى الكرك عنــد قدوم ألطنبغا نائب الشــام وخروجهــم
إلى لقــائه .

---

(١) راجع تفسير هــذه الكلمة وما بعدها فى ص ١٤٦ حاشــية « ٣ ، ٤ » من الجزء التــاسع من هــذه الطبعة .

فلما كان يوم الاثنين[1] ركب الأمير قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة وطلب الأمير تلجك[2] ابن أخته وأخرجه إلى لقاء الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام، وقد ورد الخبر بنزوله على بلبيس[3] ليأتى به سريعا، فوافاه ومن معه إلى بلبيس، فسأله فى القدوم إلى القاهرة بسرعة، فلم يوافقه على السرعة وقصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أوّل شعبان، وبات ليلة الثلاثاء[4] على بلبيس وركب من الغد ونزل ٥ سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون، وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه الى بركة الحاج[5]، وإذا بطلب قوصون وسنجقه قد وافوه فى نحو مائة مملوك، وأعلموه أنّ فى نصف الليل ركبت الأمراء واحتاطت بإسطبل قوصون، ثم حصروه فى قلعة الجبل، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم؛ هذا ما كان من أمر ألطنبغا نائب الشام. ١٠

وأمّا أمر قوصون فإنّه لما بعث تلجك ليأتيه[6] بالأمير ألطنبغا نائب الشام سريعا تحقق أيدغمش وأصحابه أنّ قوصون فهم عنهم ما دبّروه فتواعد الأمير أيدغمش مع من وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكرك، فجهّز كلّ منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السور من قلعة الجبل ونزلوا إلى الأمير أيدغمش بالإسطبل

---

(١) كذا فى الأصلين والسلوك. ولكن السياق يقتضى أن تكون العبارة هكذا: «فلما كان يوم ١٥ الثلاثاء ... الخ». (٢) كذا فى الأصلين والسلوك. وفى الدرر الكامنة: «... وابن أخيه بلجك» بالباء الموحدة والجيم. وفى هامشها: «تلحك» بالتاء المثناة والحاء المهملة.

(٣) مدينة مصرية قديمة وهى قاعدة مركز بلبيس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) كذا فى الأصلين والسلوك. والسياق يقتضى أن تكون العبارة هكذا: «وبات ليلة الأربعاء ... الخ». ٢٠

(٥) قرية من ضواحى القاهرة بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

(٦) فى أحد الأصلين: «ليأتيه بالخبر بالأمير ألطنبغا ... الخ».

السلطانى، ثم مضى كلٌّ واحد إلى إسطبله فلم ينتصف الليــل إلا وغالب الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعة، وهم: الأمير ألطنبغا المـارِدانىّ ويلبغا اليحياوىّ وبهادُر الدِّمرداشى والحاج آل ملك والجاولى وقُمارِى الحسَنى[1] أمير شِكار وأرنبغا وآق سُنقُر السَّلاَّرىّ، وبعثوا إلى إسطبلات الأمراء مثل جَنكلى بن [محمد بن][2] البابا

٥ وبيبرس الأحمدى وطُرغاى[3] وقياتَمُر[4] والوزير ولبست مماليكهم وأخرجت أطلابهم؛ ثم خرج إليهـم الأمير أيدغمش بإليكه ومَنْ عنـده من الأوجاقيّة، ووقفوا جميعا ينتظرون نزول قَوْصُون إليهم فأحسّ قوصون بهم وقد انتبه فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة فأتاه منهم اثناعشر أميرا، منهم جَنكلى بن البابا وقياتَمُر والوزير، ولبست مماليكُ قَوْصون التى كانت عنده بالقلعة وسألته أن ينزل ويُدرك إسطبله ويجتمع بمن فيه

١٠ من مماليكه، وكانوا سبعمائة مملوك، وكان قوصون يغترّ بهم ويقول: إيش أُبالى بالأمراء وغيرهم، عندى سبعمائة مملوك ألقى بهم كلَّ مَنْ فى الأرض، فلم يوافقهم قوصون على النزول لما سَبق فى القِدَم. وأقام قَوْصُون بالقلعة إلى أن طلع النهار، فلمّا لم يظهر له حركةٌ طمع أيدغمش فيه، وأمر الأوجاقية أن تطلع إلى الطبلخاناه[5] السلطانية

(١) فى السلوك: «الحسينى». (٢) التكلة من الدرر الكامنة.

١٥ (٣) هو طرغاى بن عبد الله الناصرى سيف الدين. توفى سنة ٧٤٣ هـ عن المنهل الصافى.

(٤) كذا فى الأصلين. وفى السلوك: «قباتمر» بالباء الموحدة بعد القاف.

(٥) يستفاد مما ورد فى كتابى صبح الأعشى والخطط المقريزية عن كلمة طبلخاناه أنها وجهت إلى أربعة أغراض: الأول وهو الأصل، أنها تطلق على دار الطبل. والثانى على الطبول وما يتبعها من الآلات. والثالث على رجال الجوق أى الفرقة الذين يحملون الطبول. والرابع أنها كانت من أسماء الرتب التى تمنح للأمراء.

٢٠ فأما الطبلخاناه ومعناها دار الطبل فذكرها المقريزى فى خططه باسم الطبلخاناه تحت القلعة (ص ٢١٣ جـ ٢) فقال: إن الطبلخاناه الموجودة تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التى عمرها الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٦١هـ، ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٢هـ وبنى فى مكانها الطبلخاناه المذكورة.

=

وأخرجَ لهم الكُوسات(١)، فدَقُّوا حربيًّا. ثم نادى أَيْدُغْمُش: معاشرَ أجناد الحَلْقة ومماليك السلطان والأجناد [و] البطّالين يحضُروا، ومَنْ ليس له فرس وليس له سلاح يحضُر و يأخذ له الفرس والسلاح و يركب معنا، و يقاتل قَوْصُون، فأتاه جماعة كثيرة من أجناد الحَلْقة والمماليك مابين لابس سلاح وراكب و بين ماش وعلى حمار . وأقبلت العامّةُ كالجَرَاد المُنْتَشِر لما فى نفوسهم من قَوْصون، فنادى لهم أيدغمش يا كَسّابة(٢): عليكم بإسطبل قوصون إنهبوه فأحاطوا به ومماليكُ قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عِدّةً كثيرة، فركب مماليكُ يَلْبُغَا اليَحْيَاوى(٣) من أعلى بيت يلبغا . والبيت المذكور هو الآن موضع مدرسة السلطان حسن . وكان بيت يلبغا يُشرف على بيت قوصون ، فلمّا طلعوا مماليك يلبغا اليحياوى تسلّطوا على مماليك قوصون

= و بالبحث تبين لى أن الطبلخاناه السلطانية مكانها اليوم القاعات المجهولة الآن مخازن لمهمات الجيش المصرى الواقعة على يسار الداخل من باب العزب وهو الباب الغربى لقلعة القاهرة ، وكان يسمى قديما باب السلسلة أو باب الإصطبل .

ولما تكلم القلقشندى فى صبح الأعشى على الطبلخاناه (ص ٨ ج ٤) : قال : وهى طبول متعددة معها أبواق وزمارات وكوسات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، وتدق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب .

وذكر القلقشندى (فى ص ١٥ ج ٤) أن الطبلخاناه هى الرتبة الثانية من رتب أرباب السيوف وتمنح للأمراء الذين يكونون تحت قيادة الواحد منهم أربعون فارسا . قال : ومن أمراء الطبلخاناه كذلك أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال (الأقاليم) وأكابر الولاة .

(١) الكوسات هى صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . و يقصد المؤلف من ذلك أن الكوسات دقت لجمع المماليك و إعلان الحرب بين الفريقين المتنازعين . راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) الكسابة : الذين همهم فى الحرب كسب الغنائم . (عن كترمير) .

(٣) هذا البيت هو بذاته قصر يلبغا اليحياوى الذى سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . ومدرسة السلطان حسن سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ورمَوا عليهم بالنُّشاب مساعدةً للعوام ، وخرجوا منهـم جماعة كثيرة وحالوا بينهم وبين العامة ، فهجمت العامّة عند ذلك إسطبل قوصون ونهبوا زَرَدْخَاناته وحواصلَه وأموالَه وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكابدة شديدة وطلَعوا إلى القصر ونهبوا مافيه ، وقوصون ينظر ذلك من شباك القلعة و يقول : يامسلمين ! ما تحفظون هذا المـال ، إما أن يكون لى أو يكون للسلطان ، فقال أيدغمش : هذا شكرانه للناس ، والذى عندك فوق من الجوهر والتُّحَف يكفى السلطان . وصار قوصون كلّما همّ الركوب بمماليكه كسّروا عليه الخاصكيّة وقالوا له : يا خَوَنْد غدا نركب ونقتل هؤلاء ، وصاروا يهوّنوا عليه أمر أيدغمش وأصحابه لباطن كان لهم مع أيدغمش ، حتى كان من أمره ما كان .

ولـمّـا هجمت العامة بيت قوصون خرجوا مماليكه منه على حَمِيّة وشقُّوا القاهـرة وتوجّهوا إلى عند الأمير أَلْطُنْبُغَا الصالحى نائب الشام ، فبعث أَيْدُغْمُش فى أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام ومَن معه بالسلام عليهم ، وأن يمنعوا ممـاليك قَوْصُون من الاختلاط بهم ، فإنّ الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آق سنقر قادمان فى جَمْع كبير لأخذ مماليك قوصون وحواشيه . فأمر ألطنبغا نائب الشام مماليكَ قوصون وتلجك وبَرْسُبُغَا الحاجب أن يكونوا على حِدة ، ولبسوا الجميع وأخذ الأمير برسبغا ممـاليك قوصون و جماعته إلى جهة الجبل ، فلقيَهم الأمير يلبغا اليحياوى بمن معه على بُعد ، وكان ذلك بعد ما امُسك قوصون ، فسار خلفهم إلى قرب إطْفِيح [1] . وقيل فى أمر مماليك قوصون غير ذلك على ما سنذكره بعد القبض على قوصون .

وأمّا قوصون فإنه بقِى واقفـا بشُبّاك القلعة والعـامّة تنهب فى بيتـه فلم يمض إلا ساعات من النهار حتى نُهِب جميعُ ما فى إسطبله ، وقوصون يضرب يدًا على يد

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ويقول: يا أمراء! هذا تصرّف جيّد، يُنْهَب هذا المال جميعُه، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون . ثم بعث قوصون إلى أيدغمش يقول . إنّ هذا المالَ عظيمٌ وينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتُنادى بنهبه؟ فردّ جوابَه : نحن قصدُنا أنت ولو راح هذا المال وأضعافه، هذا كلّه والقلعة مغلّقة الأبواب، وجماعةُ قوصون يرمون من الأشرفيّة[1] بالنُّشّاب إلى أن قرُب العصر، والعامّة تجمع نُشّابهم وتُعطيه لمن هو من جهة أيدغمش . فلما رأى قوصون أمرَه فى إدبار سلّم نفسَه، ودخل عليه الأميرُ بُلُكَ الجَمَدَار ومَلِكْتَمُر السَّرْجَوانى[2] بأمراه أن يُقيم فى موضع حتى يحضُر ابن أُستاذه من الكَرَك فيتصرّف فيه كما يختار، فلم يجد بُدًّا من الإذعان، وأخذ يُوصى الأمير جَنْكَلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الحُجّاب على أولاده ، فأُخذ وقُيِّد ومضَوْا به إلى البُرْج[3] الذى كان بَشْتَك فيه، ورَسم عليه جماعة من الأمراء . وكان الذى تولّى مَسْكَه وحبسه جَنْكَلى بن البابا وأمير مسعود الحاجب وأَرُنْبُغا أمير جَانْدَار .

وأمّا الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحىّ نائب الشام ومَنْ معه فإن بَرْسُبُغا وتلجك والقَوْصُونيّة لمّا فارقوا الطنبغا المذكور سار الطنبغا وأَرُقْطاى والأمراء يريدون

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) سبق أن ذكر مؤلف هذا الكتاب فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ فى الجزء السابع من هذه الطبعة أنه لما وصل الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى إلى مصر احتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ، ويستفاد من ذلك أن البرج المذكور كان من القصور السلطانية وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وأما البرج الذى يشير إليه المؤلف هنا فهو برج آخر كان من سجون القلعة . وبالبحث عن مكانه تبين لى أنه كان موجودا . ولما جدد محمد على باشا مبانى القلعة بين سنتى ١٢٢٨ و ١٢٤٤ هـ هدم ذلك البرج وجدد فى مكانه برجا أصغر من القديم لا يزال قائما إلى اليوم، ويعرف ببرج المقطم لأنه يشرف على جبل المقطم وهو قائم فى الساحة التى بها ثكنات الجيش على يمين الداخل من البوابة الداخلية بقلعة الجبل .

القاهرة، وأشار ألطنبغا نائب الشام على أرقطاى نائب طرابلس أن يرد برسبغا وتلجك والقوصونية ويُقاتل بهم أَيْدُغْمُش، فإنّه ينضمّ إليه جميعُ حواشى قوصون ويأخذوا أيدغمش ويُخرجوا قوصون ويُقيموه كبيرا لهم أو يُخرجوه إلى حيث يختار، ويقيموا سلطانا أو ينتظروا أحمد فلم يُوافقه أَرُقْطاى على ذلك لعفّته عن سَفْك الدماء . فلمّا أعيا أَلْطُنْبُغَا أمره سارا (١) نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش وهو واقف تحت القلعــة بأصحابه فاقبــل أيدغمش عليهما وعانقهما وأمرهما أن يطلعا إلى القلعــة فطلعا . ثم أرسل أيدغمش الأمير قازان والأمير آق سُنْقُر خلف بَرْسُبُغا و تلجك ومن معهما . وجلس أيدغمش مع ثقــاته من الأمراء وقرّر معهم تسفيرَ قوصون فى الليــل إلى الإسكندريّة ، والقبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أَرُقْطاى نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغــد ، فكان كذلك وقُبِض عليهــم ، وتسفيرَ الأمير بيــبَرْس الأحمدىّ والأمير جَنْكَلى بن البابا لإحضار السلطان الملك الناصر أحمد من الكرك . ثم أُخرِج بالأمير قوصون من سجنه بقلعة الجبل فى ليلة الخميس مع مائة فارس حتّى أوصلوه إلى النيل وركب البحر ومُضِى به إلى الإسكندرية فسُجن بها على ماسيأتى ذكــرُه .

وأمّا ما نُهِب لقوصون فى هــذه الحركة فشىء كثير، فإنه كان فى حواصله من الذهب النَّقْد أربعمائة ألف دينار عين فى أكياس، ومن الحوائص الذهب والكَلْفَتَات الزركش والأوانى فشىء لا يحصر، وثلاثةُ أكياس أَطْلس فيها فصوص وجواهر مثمّنة بمــا يُنيف على مائة الف دينار، ومائةٌ وثمانون زَوْج بُسط، منهــا ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا، كلُّها من عمل الروم وآمِد وشِيرَاز، وستة عشر زَوْجا

(١) فى الأصلين والسلوك : «فلما أعيا ألطنبغا أمره سار نحو القاهرة حتى وافيا أيدغمش ... الخ» . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

من عمل الشريف[1] بمصر . وأربعةُ أزواج بُسُط حرير لا يقوم عليها لحسنها، فٱنحطّ سعر الذهب من كَثْرة ما نُهِب لقَوْصون، حتّى صُرِف بأحد عشر درهما الدينار ممّا صار وكَثُر في أيدي الناس بعد ما كان الدينار بعشرين درهما، ولأنّ أَيْدُغْمُش نادى بعد ذلك بالقاهرة ومصر أنّ من أحضر من العامة ذهبًا لتاجر أو صَيْرَفي أو مُتَعيِّش يُقْبَض عليه ويُحْضَر به إلى أيدغمش، فكان مَن[2] معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يُدْفَع إليه من غير توقُّف، فرخُص سعرُ الذهب لذلك، وكثُرت مرافعاتُ الناس بعضهم لبعض فيما نُهِب، بجَمَع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك، فإن العامة يوم نُهِب إسطبل قوصون أخذوا من قَصْره حتّى سقوفه وأبوابه ورُخامه وتركوه خرابًا . ثم مضوا إلى خانقاته[3] بباب القرافة فمنعهم صوفيّتها من النهب فما زالت العامّة تقاتلهم حتّى فتحوها، ونهبوا جميع مَا فيها حتى سلبوا الرجال والنساء ثيابَهم، فلم يدعوا لأحد شيئًا، وقطعوا بُسُطَها وكسروا رُخامها وأخربوا بِركتها، وأخذوا الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشَعَّثوا الجُدُر، ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون وهم في حَشْدٍ[4] عظيم فنهبوها وخرّبوها وما حولها، وتتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة والحُكورة وبولاق والزَّرِيبة[5] وبركة[6] قُرْموط وباعت العامة السقوف والأواني بأخسّ

(١) الشريف: اسم صانع اشتهر في صناعة البسط في هذا العصر. وانظر المقريزي (ج ٢ ص ٧٣).

(٢) في أحد الأصلين: «فكان من معه ذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه منه ... الخ». وفي الأصل الآخر: «فكان من معه من الذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه فيه». وما أثبتناه عن السلوك.

(٣) خانقاة قوصون سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٤) رواية السلوك: «وهم في وحشة عظيمة».

(٥) يقصد بها زريبة قوصون التي سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٦) في الأصلين: «وبركة الفيل». وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن السلوك للمقريزي، لأن بركة قرموط كانت واقعة فيما بين اللوق والمقس (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة). وأما بركة الفيل فوقعها الآن خط الحلمية الجديدة (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة).

الأثمان وصارت العامة إذا أرادوا نهب أحد قالوا : هذا قوصونى ! . فيذهب في الحال جميعُ ماله ، وزادت الأوباش فى ذلك حتى خرجوا عن الحدّ وشمل الخوفُ كلّ أحد ، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكينَ العامّة من النهب ، فأمر لسبعة من الأمراء ، فنزلوا إلى القاهرة ، والعامّة مجتمعةٌ على باب الصالحيّة (١) فى نهب بيت القاضى الغُورىّ (٢) الحنفىّ ، فقبضوا على عِدّة منهم وضربوهم بالمَقارِع وشهّروهم فانكفّوا عن نهب الناس . انتهى .

وأمّا أصل قوصون واتّصاله بالملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار ساقيه أعظمَ مماليكه هو وبَكْتَمُر الساقى ، لأن قوصون كان ممن حضر إلى الديار المصريّة من بلاد التُّرك صحبةَ [خَوَنْد (٣)] بنت أزْبَك خان التى تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو غير مملوك ، فلمّا كان فى بعض الأيام طلع قوصون إلى القلعة فى خدمة بعض التُّجار فرآه السلطان الملك الناصر فأعجبه ، فقال للتاجر : لأىّ شىء ماتبيعنى هذا المملوك ؟ فقال التاجر : هذا ما هو مملوك ، فقال الملك الناصر : لا بُدّ أن أشتريه ، ووزَنَ ثمنه مبلغَ ثمانية آلاف درهم ، وجهّز الثمن إلى أخيه صُوصُون إلى البلاد (٤) . ثم أنشاه الملك الناصر وجعلَه ساقيًا ، ثم رقّاه حتى جعله أمير مائة ومقدّم ألف ، وعَظُم

---

(١) المقصود هنا المدارس الصالحيـة التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بخط بين القصرين بالقاهرة . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يستفاد من عبارة اجتماع العامة على باب الصالحية فى نهب البيت المذكور أن القاضى المذكور كان ساكنا فى المدارس الصالحية المشار إليها فى الحاشية السابقة . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على رحبة وزير بغداد (ص ٥٠ ج ٢) أن القاضى المذكور هو حسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورى الحنفى ، قدم هو والوزير نجم الدين محمود بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد من العراق إلى مصر فى شهر صفر سنة ٧٣٨ هـ .

(٣) زيادة عن خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣٠٧) .

(٤) يريد بها بلاد القبجاق التى نزح منها قوصون إلى الديار المصرية .

عند الملك الناصر وحظى عنده وزوّجه بآبنته وهى ثانية بنت زوّجها الملك الناصر لمماليكه فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة،وكان له عُرْس(١) حفل،آحتفل به الملك الناصر، وحمل الأمراء التقادمَ إليه فكان جملة التقادم خمسين ألف دينار . ولما كان يقع بينه و بين بَكْتَمُر الساقى منافسة يقول قَوْصُون : أنا ماتنقلت من الإسطبلات إلى الطّباق، بل آشترانى السلطان وجعلنى خاصّكيًّا مقرّبا عنده دفعة واحدة، فكان الملك الناصر يتنوّع فى الإنعام على قوصون حتى قيل إنه دفع إليه مرة مفتاح زَرَدْخانات الأمير بكتمر الساقى بعد موته، وقيمتها ستمائة ألف دينار، قاله الشيخ صلاح الدين الصفدىّ فى «تاريخه» . ثم تزايد أمر قوصون حتى وقع له ماحكيناه . وآستمر قوصون بسجن الإسكندرية هو وأَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام وغيرهما حتى حضر الملك الناصر أحمد من الكَرَك وجلس على كرسى الملك بقلعة الجبل حسب ما يأتى ذكره، آتفق آراء الأمراء على قتل قوصون فجهّزوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صُبْح إلى الإسكندريّة فتوجّه إليها وخَنَق قوصون وألطنبغا نائب الشام وغيرهما فى شوّال سنة آثنتين وأربعين، وقيل فى ذى القعدة على ما يأتى بيان ذلك فى وقته .

وخلّف قوصون عدّة أولاد من بنت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان أميرا جليلا كريما خيِّرا شجاعا ، وكان يُعطِى العطايا الهائلة ، وكان إذا ركب للصيد فى أيام أستاذه يركب فى خدمته ثُلُث عسكر مصر، وكان يركب قدّامه بالقاهرة مائة نقيب، وكان أخوه صوصون أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية، وقيل أمير طلبخاناه . وكان وقع بين قوصون و بين تَنْكِز نائب الشام، فلما قُبِض على تنكز وحُمِل إلى القاهرة ما عامله قوصون إلا بكل خير . ولما أُمسك قوصون وقُتِل قال فيه الصلاح الصفدى :

(١) تقدّم فى ص ٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة أن عقد زواج آبنة الناصر محمد بن قلاوون على الأمير قوصون كان فى سنة ٧٢٦ هـ

قَوْصــونُ قد كانت له رتبــةٌ * تســمو على بدر السما الزاهرِ
لحطّــه فى القيْــد أيْدُغْمُشٌ * من شاهقٍ عالٍ على الطائرِ
ولم يجــد من ذلّه حاجبًا (١) * فأين عينُ الملك النــاصرِ
صــار عجيبًا أمرهُ كلُّه * فى أوّل الأمر وفى الآخــرِ

٥ وقال فى قوصون وفى واقعته عدّةٌ من الشعراء من الشعر والبَلَالِيق (٢) والأزجال، وعَملت الحلوانيّة مثالَه فى حلاوة العَلَالِيق (٣)، فقال فى ذلك جمال الدين إبراهيم (٤) الأديب المعمار :

شخصَ قوصونَ رأينا * فى العَــلالِيق مسمَّرْ
فَعجبنا منــه لمّا * جاء فى التسمير سُكّرْ

ولبعض عوامّ مصر قصيدة «كان وكان» أوّلها :

١٠ من الكَرَكْ جانا الناصرْ * وجَبْ معهْ أسْد الغابَهْ
ووقعتك يامير قوصونْ * ما كانت آلّا كدّابَهْ

وأشياء غير ذلك، وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى ذكر أيدغمش وما فعله بمصر.

وأما أيدغمش فإنه آستمرّ مدبّر الديار المصريّة وقام بأمر السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون وجمعَ الأمراء وخلَع الملك الأشرف علاء الدين كُجُك

١٥ آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون من المُلك فى يوم الخميس أوّل شعبان من سنة

(١) رواية السلوك: «صاحبا». (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٣) ذكر المقريزى فى الكلام على ســوق الحلاويين فى الجزء الثانى ص ١٠٠ أن فيه من السكر المعمول بالصناعة ما يحير الناظر حسنها ... ومن أحسن الأشياء منظرا ما كان يصنع من السكر فى المواسم

٢٠ مثل خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بخيوط على الجوانب فمنها مايزن عشرة أرطال إلى ربع رطل تشترى للأطفال فلا يبق جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده وتمتلئ أسواق البلدين : مصر والقاهرة وأريافهما من هذا الصنف .

(٤) توفى سنة ٧٤٩ هـ عن الدرر الكامنة .

آثنتين وأربعين وسبعمائة، فكانت مدّة سلطنته على مصر خمسة أشهر وعشرة أيام،
ولم يكن له فيها من السلطنة إلّا مجرّد الأسم، فقط وليس له من الأمر شيء، وذلك
لصغَر سنّه، وكان المتصرّف في المملكة في سلطنته الأمير قوصون. وكانت إذا حضرت
العَلَامة أعطى قَوْصون الأشرف كُجُك في يده قلمًا، وجاء الفقيهُ الذى يُقرئه القرآن
فيكتب العلامة والقلم في يد الأشرف كجك، وآستمرّ الأشرف كجك بعد خلعه من ٥
السلطنة في الدور السلطانية تحت كَنَف والدته وهو ووالدته في ذلّ وصَغَار وهَوَان
مع من تسلطن من إخوته، لاسيّما مع أُمّ الملك الصالح إسماعيل، فكانت في كلّ
قليل إذا توعّك ولدُها الملك الصالح إسماعيل، وكان كثير الضعف تتّهم المذكورة
أنها تتعمّد له بالسِّحر وتأخذ جواريَها وحواشيَها وتعاقبهم، وأخذت منها جملةً
مستكثَرة فدامت على هذا مدّة سلطنة الملك الصالح، حتى نزل مرّة إلى سرحة ١٠
سِرْياقوس وبعث دَسّ عليه أربعة خدّام طواشيّة فقتلوه على فراشه في سنة
ست وأربعين وسبعمائة، وله من العمر آثنتا عشرة سنة، وعظُم مُصابه على والدته،
بل على الناس قاطبة. رحمه الله تعالى.

ذكر ولاية الملك الناصر أحمد على مصر

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد آبن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد آبن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . تسلطن بعد خلع أخيه الأشرف كُجُك، وكان بُويع بالسلطنة قبل خلع كُجُك أيضا وهو بقلعة الكَرَك حسب ما ذكرناه فى واقعة قُطْلُوبُغَا الفخرى مع أُلْطُنْبُغَا الصالحىّ نائب الشام . وأمّ الملك الناصر هذا كان آسمها بَيَاض ، كانت تُجيد الغناء وكانت من عتقاء الأمير بهادُرآص رأس نَوْبة ، وكانت تُعرف بقُومة(١)، وكان للناس بها آجتماعات فى مجالس أُنسهم ، فلمّا بلغ السلطانَ الملك الناصر خبرُها طلبها وآختصّ بها وحَظِيت عنده فولَدت أحمد هذا على فراشه . ثم تزوّجها بعد ذلك الأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانِىّ فى حياة الملك الناصر محمد . آنتهى .

قلت : والملك الناصر أحمد هذا هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة والثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . والآن نذكر ماوقع بالديار المصريّة بعد خلع الأشرف كُجُك إلى حين دخول الملك الناصر هذا إليها من الكَرَك . ولمّا قبض أَيْدُغْمُش على قَوْصون وخلَع الملك الأشرف كُجُك من السلطنة حسب ما تقدّم ذكرُه بعث بالأمير جَنْكَلِى بن البابا والأمير بِيبَرْس الأحمدىّ والأمير قُمَارى أمير شِكار إلى الملك الناصر أحمد بالكرك وعلى يدهم كُتُب الأمراء يخبرونه بما وقع ويستدعونه إلى تخت مُلكه . ثم جلس الأمير سيف الدين أيدغمش والأمير أُلْطُنْبُغَا المارِدانى والأمير بهادر الدمرْدَاشى والأمير يَلْبُغَا اليَحيَاوِىّ وآستدعوا الأمراء فلما حضروا أَمرَ أيدغمش بالقبض على ألطنبغا الصالحى الناصرى نائب الشام وعلى الأمير

(١) فى السلوك : « وكانت شهرتها قونية » .

أَرُقْطاى نائب طرابُلُس وسُجِنا بقلعة الجبل وأمسكوا بعدهما سبعة أمراء أُخَر[(١)] من أمراء الطبلخاناه والأمير قياتَمُر أحد مقدّمى الألوف وجَرِكْتَمُر بن بهادُر أيضا من مقدّمى الألوف وعدّة أمراء أُخر، حتى كانت عِدّة مَنْ قُبِض عليه من الأمراء فى هذا اليوم خمسة وعشرين أميرا . ثم كتب الأمير أيدغمش إلى الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى يعرفه بما وقع ويحرضه على الحضور صحبة السلطان الملك الناصر . ثم طلب أَيْدُغْمُش جمالَ الدين يوسف والى الجيزة وخلَع عليه بولاية القاهرة ، فنزل إلى القاهرة فإذا بالعامّة فى نهب بيوت مماليك قوْصُون فقبَض على عشرين منهم وضربهم بالمقارع وسجنهم بعدما شهّرهم ، فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش وصاحوا عليه : ولَّيْتَ على الناس واحد قَوْصُونى مايُخلِّى منا واحدا ! وعرفوه ماوقع فبعث الأَوْجاقية فى طلبه فوجدوه بالصّليبة[(٢)] يريد القلعة فصاحت عليه الغوغاء : قوصونى! يا غَيْرِيَّة[(٣)] على الملك الناصر ، ورَجموه من كلّ جهة ، فقامت الجبليّة والأَوْجاقية فى ردّهم فلم يُطيقوا ذلك ، وجرت بينهم الدماء ، فهرَب الوالى إلى إسطبل أَلْطُنْبُغا[(٤)] المارداني ، وحمتْه مماليك ألطنبغا من العامّة ، فطلب أيدغمش الغوغاء وخيّرهم فيمن يلى فقالوا : نجم الدين الذى كان وَلِى قبل آبن المُحْسِنى ، فطلبه وخلَع عليه فصاحوا بحياة الملك الصالح الناصر :

---

(١) رواية السلوك : « وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناه ... الخ » .

(٢) المقصود خط الصليبة بالقاهرة ، وقد علقنا على الصليبة فى الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا فى الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون نسج الكلام هكذا : « يامن تغارون على الملك الناصر » . (٤) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على قصر يلبغا اليحياوى (ص ٧١ ج ٢) أن قصر ألطنبغا الماردانى وفيه إسطبله هدمه السلطان الناصر حسن مع قصر يلبغا اليحياوى وأنشأ فى موضعهما مدرسته الموجودة الآن باسم جامع السلطان حسن بميدان محمد على تحت القلعة بالقاهرة . ومن وصف المقريزى لهذين القصرين وموضعهما يتبين أن قصر يلبغا اليحياوى كان شاغلا للقسم الجنوبى الشرقى من أرض جامع السلطان حسن ، وأن قصر ألطنبغا الماردانى كان شاغلا للقسم الشمالى الغربى منه .

إعزل عنا آبن رخيمة المقدم وحامص رفيقه، فأذن لهم فى نهبهما فتسارع نحو الألف منهم إلى دار آبن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى [(١)] فنهبوه ونهبـوا بيت رفيقه ثم آنكفّوا عن الناس .

وفى يوم الجمعة ثانى شعبان دُعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد . وفى يوم الآثنين خامسه تجمّعت العامّة بسـوق الخيل [(٢)] ومعهم رايات صُـفْر وتصايحوا بالأمير أَيْدُغْمُش : زوّدنا لنروح إلى أُستاذنا الملك الناصر ونجىء صحبتَه، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والرواتب فى كلّ منزلة . وتوجهوا مسافرين من الغد . وفى يوم الأربعاء سابع شـعبان وصل الأمراء من سجن الإسـكندريّة الذين كان سجنهم قوصون حتى أفـرج عنهم أَيْدُغْمُش، وهم الأمير مَلِكْتَمُر الحجازىّ وقُطْلِيجَا الحَمَوِىّ وأربعة وخمسون نفرا من المماليك الناصريّة . وكان قوصون لمّا دخل إلى الإسكندرية مقيّدا وافوه هؤلاء بعـد أن أُطلقوا فسلموا عليه سـلام شامت فبكى قوصون وآعتذر لهم بما صدر منه فى حقّهم . وعند ماقدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت النـاس لرؤيتهم فـكان لقدومهم يومٌ مشهود، حتى طلعوا إلى القلعة فتلقّت خَوَنْد الحجازية بنت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن دار آبن رخيمة و بيت رفيقه حامص كانا مجاورين لبيت الأمير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى الذى كان واقعا برحبة كوكاى . ويستفاد مما ذكره المقريزى على هذه الرحبة (ص ٤٩ ج ٢) وعلى المدرسة القطبية (ص ٣٦٨ و ٣٩١ ج ٢) أن رحبة كوكاى كانت واقعة على رأس شارع خان أبو طاقية عند تلاقيه بشارع سوق السمك المتفرع من شارع الخرنفش بقسم الجمالية بالقاهرة، وأن المدرسـة القطبية هى المعروفة الآن بجامع محب الدين أبو الطيب الواقع على رأس شارع خان أبو طاقية المذكور . ومن هذا الوصف يتبين أن هذه البيوت الثلاثة كانت واقعة بالقرب من الجامع المذكور وليس لها أثر اليوم .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وراجع أيضا الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

زوجها مَلِكْتَمُر الحجازىّ بجُدّامها وجواريها، ومغانيها تَضرب بالدفوف والشّبّابات[1] فرحًا به، ومعها أختها زوجة بَشْتَك تساعدها بالفرح وهى شامتة بقوصون لكونه قتلَ زوجها بَشْتَك الناصرىّ قبل تاريخه هذا . وأختها بنت الملك الناصر الأخرى زوجة قوصون بجانبها فى عَويل وبُكاء وصِياح ولَطْم على قوصون . وقد ٱفترق جوارى الملك الناصر وأولاده فرقتين ، فرقة مع الحجازية وفرقة مع القَوْصُونيّة ، والعجبُ أن هذا الفرح والعزاء كان قبل ذلك بالعكس ، فكان العزاء إذ ذاك فى بيت الحجازىّ، والفرح فى بيت قوصون، والآن العزاء فى بيت قوصون والفرح فى بيت الحجازى وزوجة بشتك وإن كان فرط فى زوجها الفَرَط، فهى تساعد أختها الحجازية شماتةً بقوصون، فحالُها كقول مَن قال :

وما من حُبِّه أحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرين

فٱنظُر إلى هذا الدهر وتقلباته بأسرع وقت من حال إلى حال، فنعوذ بالله من زوال النِّعَم .

ثم قَدِم بعد ذلك كتب الأمراء المتوجّهين إلى الكَرَك لإحضار الملك الناصر، أنهم لمّا قربوا من الكرك بعث كلّ منهم مملوكه يعرّف السلطان الملك الناصر بحضورهم إلى الكرك فبعث إليهم الملك الناصر رجلا نَصْرانيًا من نصارى الكرك يقول : يا أمراء، السلطان يقول لكم : إن كان معكم كتب فهاتوها أو مشافهة فقولوها، فدُفِعت الكتبُ إلى النصرانىّ فمضَى بها ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم وقال عن السلطان : سلِّم على الأمراء وعرّفهم أن يقيموا بغَزّة حتى يَرِد عليهم ما يعتمدوه . وحضر مملوك من قبله يأمر الأمير قُمارِى بالإقامة على ناحية

(١) الشبابات، جمع شبابة (بالباء المشددة) : قصبة الزمر المعروفة مولدة (عن شفاء الغليل) .

صافيتا[1]، ثم بعث إلى الأمراء بخاتم وكتاب يتضمّن إقامتهم على غَزّة والاعتذار عن لقائهم، فعاد جَنْكَلى والأحمدى إلى غَزّة وتوجّه قمارى إلى ناحية صافيتا، فلمّا وقف الأمير أيْدُغْمُش على ذلك كَتَب من فوره إلى الأمير قطلوبغا الفخرىّ يسأله أن يصحب السلطانَ الملك الناصر فى قدومه إلى مصر ليجلس على تخت مُلكه . ثم كَتَب أيدغمش للامراء بغَـزّة بالإقامة بها فى آنتظار السلطان، وعرّفهم بمكاتبة الفخرىّ وأخذ أيدغمش فى تجهيز أمور السلطنة ، وأشاع قدومَ السـلطان خوفاً من إشاعة ماعامل الناصرُ أحمدُ به الأمراءَ فيفسُد عليه مادبّره، فلما قَدِم البريد بكتاب أيدغمش إلى دمشق وافَى قدومَ كتاب السلطان أيضا من الكَرَك يتضمّن القبضَ على طُرُنْطاى البَجْمَقْدار[2] والأمير طَيْنَال ، وحَمْل مالهم إلى الكرك . وكان قطلوبغا الفخرى قد ولّى طينال نيابة طرابُلُس وطرنطاى نيابةَ حِمْص فآعتذر الفخرى بأنّ طينال فى شُـغل

(١) اسم لقضاء فى شمـالى طرابلس الشام ، يحد شمالا بلواء اللاذقية وشرقا بحصن الأكراد وجنوبا بقضـاء عكار وغربا بالبحر الأبيض المتوسط . وهو يشمل القسم الجنوبى من جبال النصيرية ، وقصبته فى القرون الوسطى قلعة صافيتا أو برج صافيتا وهى الحصن الصليبى الشهير ، المبنى على فرع من فروع جبال النصيرية الذى فتحه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ . وآنتزعه من أيدى الصليبيين .

وكان يحيط بالقلعة سوران : الأوّل كثير الأضلاع والآخر بمثابة مدخل عمومى للحصن ، وكان بين السورين مخازن مقبوّة وإسطبلات ، وقد صارت البلدة الحالية صافيتا فى مكان هذه المخازن والإسطبلات . ولا يزال البرج الداخلى للحصن قائما وهو اليوم كنيسة للروم الأرثوذكس على شبكل متوازى الأضلاع ، طوله ٣١ مترا وعرضه ١٨ مترا .

وقصبة صافيتا منتظمة وأهلها متعلمون ، وعدد سكانها يربو على ٢٥٠٠ نفس .

(راجع الكلام على صافيتا فى كتاب ولاية بيروت الجزء الثانى ص ٣٢٨ وما بعدها . وراجع تقويم سوريا وفلسطين لبدكر ص ٣٥٢) .

(٢) ورد هـذا اللقب فى بعض المصادر التى تحت يدنا : « طرنطاى البشمقدار » وهـو يعينه : « البجمقدار » لأن بشمق أو بجمق معناه النعل باللغة التركية ، ودار معناه ماسك وعليه يكون المعنى الذى يحمل نعل السلطان . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بحركة الفرنج ، وأشار عليه بألّا يحرّك ساكنًا فى هذا الوقت ، وسأله سُرعة حضور السلطان ليسير بالعساكر فى ركابه إلى مصر ، وأكثر الفخرى من مُصادرة النـاس بدمَشق . ثم قَدِم الأمير طَشْتَمُر الساقى المعروف بحمّص أخضر نائب حلب كان من بلاد الروم إلى الشام فتلقاه الفخرى وأنزله فى مكان يليق به ، وكان فى كتاب النـاصر أنه لا يخرج من الكَرَك حتّى يحضُر الأمير طَشْتَمُر من بلاد الروم ، فكتب الفخرى بحضوره إلى الناصر وأنّه يُسرع فى مجيئه إلى دِمَشق . وأخذ الفخرى أيضا فى تجهيز ما يحتاج السلطان إليـه ، وفى ظنه أنّ السلطان يسير إليه بدِمَشْق فيركب فى خدمته بالعساكر إلى مصر ، فلم يشعُر الفخرى إلّا وكتابُ السلطان قد وَرَد عليه مع بعض الكَرَكيّين يتضمّن أنّه يركب من دِمَشق ليجتمع مع السـلطان على غَزّة فشقّ ذلك عليه وسار من دِمشق بعساكرها وبمن أستخدمه حتّى قدِم غزة فى عِدّة كبيرة فتلقّاه الأمير جَنْكَلِى والأحمدى وقُمـارى أمير شكّار .

وأمّا أمر الديار المصريّة فإنّ الأميرين يَلْبُغَا اليَحْيَاوى ومَلِكْتَمُر الحجازى تفاوضا فى الكلام حتّى بلغَـا إلى المخاصمة ، وصار لكل منهما طائفـة ولَبِسوا آلة الحرب فتجمّعت الفوغاء تحت القلعة لنَهْب بيوت من عساه ينكسر من الأمراء ، فلم يزل الأمير أيْدُغْمُش بالأمراء حتّى آنكفوا عن القتال ، و بعث إلى العامة عِدّةً من الأَوْجاقيّة فقبضوا على جماعة منهم وأودعهم بالسجن .

ثم فى يوم الخميس سابع شهر رمضان قَدِم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من قُوص إلى القاهرة ، وعِدّتُهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم وهَرَعت العامّة إليهم فخرجوا من الحَرَّافة وركبـوا الخيول إلى القرافة حتى جاءوا تربةَ[1] جَرِكْتَمُر صاحت

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن هذه التربة خربها العامة من ذاك الوقت حتى صارت كوم تراب ، ولذلك ليس لها أثر اليوم .

العامّة هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور وهجموها وأخذوا مافيها وأخربوها
حتى صارت كوم تراب ، فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة وافاهم الأمير
جمال الدين يوسف والى القاهرة كان، فنزل وقبّل رُكْبَة رمضان ابن الملك الناصر
فرفسه برجله وسبّه وقال له : أتنسى ونحن فى الحرّاقة عند توجّهنا إلى قُوص وقد
٥ طلبنا منك أُكلًا من الجيزة فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله ما عندنا شىء ! فصاحت
بهم العامّة : بالله مكّنا من نهبه ، هذا قوّصونى ! فأشار بيده أن انهبوا بيته فتسارعوا
فى الحال إلى بيته المجاور لجامع الظاهر بالحُسَيْنِيّة (١)، حتّى صاروا منه إلى باب الفتوح ،
فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح ، وبعث الأمير أَيْدُغْمُش أيضا
لجماعة ليردّوهم عن النهب ، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة، وقد تقاتل القوم
١٠ حتّى كفّهم عن القتال فكان يوما ، مَهُولا (٢) ، قُتِل فيه من العامّة عشرة رجال ، وجُرِح
خَلْق كثير ولم ينتهب شىء .

ثم قدم الخبر من غَزّة بقدوم الفخرى وطَقُزْدَمُر (٣) إلى غَزّة واجتماعهم مع جَنْكَلى
والأحمدى وقُمارى ، وهم فى انتظار السلطان ، وأنّ الأمير أيدغمش يحلّف جميع
أمراء مصر وعساكرها للملك الناصر على العادة ، فجُمِعوا بالميدان (٤) . فأُخرِجت نسخة
١٥ اليمين المحضّرة ، فإذا هى تتضمّن الحَلِف للسلطان ثم للأمير قُطْلُوبُغَا الفخرى فتوقّف

(١) جامع الظاهر لا يزال قائما بميدان الظاهر بالقاهرة . وبالبحث تبين لى أن الجهة التى كانت مشغولة بالمساكن حول هذا الجامع فى ذاك الوقت هى الجهة الغربية ، وبناء على ذلك يكون بيت جمال الدين يوسف والى القاهرة المذكور فى المنطقة الواقعة الآن بين ميدان الظاهر وبين شارع الخليج المصرى .

(٢) فى السلوك : « قتل فيه من القاهرة ... الخ » .

٢٠ (٣) كذا فى الأصلين . ولم ترد هذه الكلمة فى السلوك .

(٤) المقصود هنا الميدان الذى تحت القلعة و يعرف اليوم بميدان صلاح الدين بالقاهرة . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الأمراء عن الحلف لقطلوبغا الفخرى ، حتى ابتدأ الأمير أيدغمش لحلف فتبعه الجميع خوفاً من وقوع الفتنة .

وأمّا أمر الفخرى والأمراء فإنّهم لمّا وصلوا إلى غزّة جمع لهم نائبها آق سنقر الإقامات من الشعير والغنم . ثم كتب الأمراء جميعا إلى الملك الناصر بقدومهم إلى غزّة وعرّفوه بذلك واستحثوه على سرعة الحضور صحبة مماليكهم والأمير قمارى ٥ أمير شكار ، فساروا إلى الكرك ، وكان قد سبقهم إلى الكرك الأمير يحيى بن طايربغا صهر الأمير أيدغمش يستحث الملك الناصر أيضا على المسير الى مصر ، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة . ثم أتاهم كاتب نصرانى وبازدار يقال له أبو بكر و يوسف بن النصال وهؤلاء الثلاثة هم خاصة الملك الناصر أحمد من أهل ١٠ الكرك ، فسلّموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب ، فشقّ ذلك على الأمير قمارى وقال لهم : معنا مشافهات من الأمراء للسلطان ، لا بدّ من الاجتماع به ، فقالوا : لا يمكن الاجتماع به ، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة فأعلمونا بها ، فلم يجدوا بدًّا من دفع الكتب إليهم ، وأقاموا إلى غد فجاءتهم كتب مختومة وقيل للأمير يحيى بن طايربغا : اذهب إلى عند الأمراء بغزّة فساروا عائدين إلى غزة ، فإذا ١٥ فى الكتب الثناء على الأمراء وأن يتوجهوا إلى مصر ، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده ، فتغيّرت خواطر الأمراء وقالوا وطالوا ، وخرج الفخرى عن الحدّ وأفرط به الغضب ، وعزم على الخلاف ، فركب إليه طشتمر حمّص أخضر والأمير جنكلى ابن البابا والأمير بيبرس الأحمدى ، وما زالوا به حتّى كفّ عمّا عزم عليه ، ووافق على المسير ، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش ، وتوجّهوا جميعا من غزّة ٢٠ يريدون مصر . وكان أيدغمش قد بعث ابنه بالخيل الخاصّ إلى السلطان ، فلمّا وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل ، ورسم بعوده إلى أبيه ؛

وأخرج رجلا من الكرك يُعرف بأبى بكر البَـازْدار ومعه رجلان ليبشّروا بقــدومه ، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش فى يوم الاثنين خامس عشرينه[1] ، وبلّغوه سلام السلطان وعرّفوه أنّه كان قـد ركب الهُجُن وسار على البريّة صحبةَ العرب ، وأنه يُصابح أو يُماسى ، فخلَع عليهـم وبعث بهم إلى الأمراء ، فأعطاهم كلّ أمير من الأمراء المقدّمين خمســة آلاف درهم ، وأعطاهم بقيّة الأمراء على قـدْر حالهم ، وخرج العامّة إلى لقائه .

فلمّا كان يوم الأربعاء سابع عشرين شهر رمضان قدِم قاصدُ السلطان إلى الأمير أَيْدُغْمُش بأنّ السلطان يأتى ليلاً من باب القرافة ، وأمر أن يُفتح له باب السرّ حتى يعبُرَ منــه ، ففتحه وجلس أيدغمش والطُّنْبُغَا المـاردانى حتى مضى جانبٌ من ليلة الخميس ثامن عشرينه أقبل السلطان فى الليل فى نحو العشرة رجال من أهل الكَرَك ، وقد تلَثّم وعليــه ثيابٌ مُفَرَّجة فتلقوه وسلّموا عليه ، فلم يقف معهم ، وأخذ جماعتَه ودخل بهم ، ورجع الأمراء وهم يعجبون من أمره ، وأصبحوا وقد دُقَّت البشائر بالقلعة وزُيِّنت القاهرة ومصر ، واستدعى السلطانُ أيدغمشَ فى بكرة يوم الجمعة ، فدخَل عليــه وقبّل له الأرض فاســتدناه وطيّب خاطرَه ، وقال له : أنا ما كنتُ أتطلع إلى الملك وكنتُ قانعًا بذلك المكان ، فلمّا سيّرتم فى طلبى ما أمكننى إلا أن أحضُر كما رسمتم ، فقام أيدغمش وقبّــل الأرض ثانيًــا ، ثم كتب عن السلطان إلى الأمراء الشاميّين يعرّفهم بقــدومه إلى مصر وأنه فى انتظارهم ، وكتب علامته بين الأسطر : « المملوك أحمد بن محمد » . وكتب إليهم أيدغمش كتابا ، وخرج مملوكهُ بذلك على البريد فلقيهم على الوَرّادة[2] فلم يُعجبهم هيئةُ عبــور السلطان إلى مصر ، وكتبوا

(١) يريد : « خامس عشرين رمضان سنة ٧٤٢ هـ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

إلى أيدغمش أن يخرج إليهم هو والأمراء إلى بنرياقوس ليتفقوا على ما يفعلوه .
فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان الأمراء من طلوع القلعة ، ورسم لكل أمير
أن يعمل سماطه في داره ، ولم ينزل السلطان لصلاة العيد ، وأمر الطواشي عنبر
السحرتي مقدم المماليك ونائبه الطواشي الإسماعيلي أن يجلسا على باب القلعة ويمنعا
من يدخل عليه ، وخلا بنفسه مع الكركيين . وكان الحاج علي «إخوان سلار»[(1)] إذا أتى ٥
بطعام للسلطان على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البازدار وأطعماه شِشْنِي الطعام
وتسلما السماط منه وعبرا به إلى السلطان ، ويقف الحاج علي «إخوان سلار» بمن
معه حتى يخرج إليهم الماعون .

وحكى الرئيس جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان آستدعاه
وقد عرض له وجع في رأسه فوجده جالسا وبجانبه شابٌّ من أهل الكرك جالس ، ١٠
وبقية الكركيين قيامٌ فوصف له ما يلائمه وتردد إليه يومين وهو على هذه
الهيئة . انتهى .

ثم في يوم الأحد تاسع شوال قدم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري والأمير
طشتمر الساقي حمص أخضر وجميع أمراء الشام وقضاتها والوزراء ونواب القلاع
في عالم كبير حتى سدوا الأفق ونزل كثيرٌ منهم تحت القلعة في الخيم ، وكان خرج إلى ١٥
لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولي وألطنبغا المارداني وغيرهم ، وأخذ

---

(1) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٥ ص ٤٧١) في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف
من الأتباع والحواشي والخدم أن إخوان سلار هو لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطاني القائم مقام
المهتار في غير المطبخ من البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما خوان وهو الذي يؤكل عليه . والثاني
سلار وهي فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول : مقدم الخوان . والعامة تقول «إخوان سلار» بألف ٢٠
في أوله وهو لحن .

الفخرى يتحدّث مع أيدغمش فيما عمـله[1] السلطان من قدومه فى زىّ العُربان واختصاصه بالكَرَكيّين ، وإقامة أبى بكر البازدار حاجبَه ، وأنكر عليـه ذلك غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقته على خَلْعه وردّه إلى مكانه ،فلم يُمَكِّنه طشتمر حمص أخضر من ذلك ، وساعده الأمراء أيضا ، وما زالوا به حتى أعرض عمّا همّ به ، ووافق الأمراء على طاعته . فلمّا كان يوم الاثنين عاشره لبس السلطان شعار السلطنة وجلس على تخت الملك ، وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وقضاةُ مصر الأربعة وقُضاة دمشق الأربعة ، وجميعُ الأمراء والمقدمين وبايعه الخليفة بالسلطنة وقبـلوا الأرض بين يديه على العادة . ثم قام السلطان على قدميه فتقدّم الأمراء و باسُوا يده واحداً بعد واحد على قَدْر مراتبهم ، وجاء الخليفة بعدهم وقضاةُ القضاة ماعدا القاضى حُسام الدين الغورىّ الحنفىّ ، فإنه لمّـا طلَع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتّى يُؤذَّنَ لهم على العادة جَمَع عليه [طَبّاخُ المطبخ السلطانىّ][2] بعضَ صِبْيان المطبخ جَمْعًا من الأوباش لِحقْد كان فى نفسه منـه عند ما تحاكم هو وزوجتُه عنده قبل ذلك ، فأهانه القاضى المذكور ، فلمّا وجد الطباخ الفُرصة هجم عليه بأوباشـه ومدّ يدَه إلى الغُورىّ من بين القضاة وأقاموه وحرّقوا عمامتَـه فى حلْقه وقطعوا ثيابه وهم يصيحون : ياقَوْصُونِىّ ! ثم ضربوه بالنعال ضرباً مُبَرِّحًا ، وقالوا له : يا كافر يا فاسـق ! فارتجّت القلعة ، وأقبل عَلَم دار[3] حتى خلّصه منهـم وهو يستغيث يامسلمين ! كيف يَجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين ؟ فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش وجروهم إلى الأمير أَيْدُغْمُش فضربهم وبعث طائفة من

(١) فى أحد الأصلين والسلوك : « فيما عليه ... الخ » .

(٢) تكملة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لقب على الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب ، وهو مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو العلم ، والثانى فارسى وهو « دار» . والمعنى : ممسك العلم . (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٣) .

الأوجاقية ، ساروا بالغُورى إلى منزله ولم يحضر المَوْكب وثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحية[(١)] ونهبوه ، فكان يوما شنيعا .

ثم في يوم الخميس ثالث عشره عمِل السلطان موكبا آخر وخلع على سائر الأمراء قاطبةً ، وأنعم على الأمير طَشْتَمُر حُمّص أخضر بعشرة آلاف دينار وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بما[(٢)] حضر معه من البلاد الشامية وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضّة ، ونزل في موكب عظيم بمن حضر صحبتَه من أمراء البلاد الشامية وهم الأمير سنجر الجُمَقْدار[(٣)] وتَمُر الساقى وطُرُنْطاى البَجْمَقْدار[(٤)] وآقْبُغا عبد الواحد وتَمُر الموسوى وأَبن قَراسُنْقر وأَسَنْبُغا بن البوبكرى وبَكْتَمر العلائى وأصلم نائب صفد . ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين ، ورَسَم له أن يكون يوسف البازدار ورفيقه مقدمى البَازْدارِيّة ، ومقدمى الدولة ، وخلع السلطان عليهما كَلْفتاه زَرْكش وأقبية طَرْدوحش بحوائص ذهب ، فحكما مصر في الدولة وتكبّرا على الناس وسارا بحُمْق زائد .

ثم في يوم السبت خامس عشره خلَع على الأمير طشتمر الساقى حُمّص أخضر بأستقراره في نيابة السلطنة بالديار المصريّة فتوجه بخلعته وباشر النيابة ، وجلس والحجاب قيامٌ بين يديه والأمراء في خدمته . وفي يوم الأثنين سابع عشره أخرج

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) هكذا في الأصلين والسلوك .

(٣) الجمقدار أى حامل الدبوس أمام السلطان وهو مركب من كلمتين : « جمق » ومعناه دبوس ، و« دار » ومعناه حامل أو ماسك . ويلاحظ أن سنجر هذا تقدم ذكره في الجزء الثامن في غير موضع باسم « سنجر الجمقدار » وفي الجزء التاسع كذلك ، ولكن صوبناه في الجزء التاسع في موضع آخر باسم « سنجر البشمقدار » عن بعض المصادر . وقد ترجح لدينا أخيرا أنه الجمقدار لا البشمقدار لاختلاف الوظيفتين .

(٤) هو طرنطاى البشمقدار .

السلطانُ عبدَ المؤمن بن عبد الوهاب السُّلَامى والى قُوص من السجن، ورسَم بتسميره فسُمِّرَ على باب البِيمارِستان المنصورىّ[(١)] بمسامير جافية شنيعة، وطِيف به مدّة ستة أيام وهو يُحادِث الناس فى الليل بأخباره، ومما حدّثهم به أنه هو الذى كان وثب على النّشو ناظر الخاصّ وضرَبه بالسيف، حسب ما ذكرناه فى ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون بن أمر النشو، وأنّه لما سقطت عمامتُه عن رأسه ظنّها رأسَه.

وكان إذا قيل له: اصبِر ياعبد المؤمن، فيقول: أسأل الله الصبر، ويُنْشِد كثيرا قوله:

يُبْكَى علينا ولا نَبْكِى على أحدٍ * لنحن أغلظ أكبادًا من الإبِل

وكان السبب لقتله ومُثْلته هذه أنه قَتَل الملك المنصور أبا بكر بن الناصر محمد بقُوص بأمر قَوْصُون[(٢)]، ثم شُنِق بعد ذلك فى يوم السبت ثانى عشرين شوّال على قنطرة السدّ وأكلتْه الكلاب. ثم قبَض السلطان على أحد وعشرين أميرا وأخرجهم إلى الإسكندريّة صحبة الأمير طَشْتَمُر طُلَّليه[(٣)].

ثم فى يوم الخميس سابع عشرينه خلَع على الأمير الحاجّ آل ملك بنيابة حماة عوضا عن طُقُزْدَمُر الحموىّ وعلى بيبرس الأحمدى واستقر فى نيابة صفد عوضا عن أَصْلَم الناصرى وعلى آق سنقر، واستقر نائب غَزّة على عادته. وفى مستهلّ ذى القعدة خلَع على الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى بنيابة دِمَشق وعلى الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور بنيابة حلب. ثم فى يوم الثلاثاء ثانيه استقرّ قارِى أمير شكار أمير آخور عوضا عن أيدغمش، واستقر أحمد شادّ الشَّرَبْخاناه أمير شِكار، واستقر آقبغا عبد الواحد فى نيابة حِمْص. ثم أنعم السلطان على الأمير زين الدين قَرَاجا بن دُلْغَادِر بإنعامات

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٢) راجع الاستدراك الوارد فى ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٣) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٩ هـ. وسمى «طلليه» لأنه كان اذا تكلم قال فى آخر كلامه: «طلليه». وفى الدرر الكامنة: طشتمر طلكيه» بالكاف بعد اللام.

كثيرة وكتب له بالإمرة على الأَزْكُان ونيابة أَبُلُسْتين . وفى يوم الأحد سابع ذى القعدة خرج الأمير أيدغمش متوجّها إلى نيابة حلب . وفى يوم الاثنين خامس عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجّها إلى نيابة دمشق ومعه من تأخّر من عساكر الشام ، وخرج الأمير نائب السلطنة بالقاهرة لوداعه وجميع الأمراء ومدّ له سماطا عظيما . ٥

ولما توجّه الفخرى وأيدغمش وغيرُهما من الديار المصرية وبقى الأمير طَشْتَمُر الساقى حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة قبضَ عليه السلطان بعد خروج الفخرى بخمسة أيام ، وذلك فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة .

وسبب القبض على طشتمر أنه بقى يعارض السلطان بحيث إنه كان يَرُدُّ مراسيمَه ويتعاظَم على الأمراء والأجناد تعاظمًا زائدا ، وكان إذا شَفَع عنده أحدٌ من الأمراء ١٠ فى شَفاعة لا يقبلها ، وكان لا يقف لأمير إذا دخَل عليه ، وإذا أتتْه قصّة عليها علامةُ السلطان بإقطاع أو غيره أخَذَ ذلك منه وطَرَد مَنْ هى بآسمه ، وأخرق به[1] ، وقرّر مع السلطان أنه لا يُمضِى من المراسيم إلّا ما يختاره ، ورَسم للحاجب بألّا يقدِّم أحدٌ قصّة للسلطان إلّا أن يكون حاضرًا ، فلم يتجاسر أحد أن يقدّم قصّة للسلطان فى غَيْبته . وأخذ إقطاع الأمير بِيبَرْس الأحمدى وتَقدمتَه لولده ، فكرهته الناس ، ١٥ وصارت أربابُ الدولة وأصحابُ الأشغال كلّها فى بابه ، وتقرّبوا إليه بالهدايا والتُّحَف ، وآنفرد بتدبير الملك ، وحطّ على الكَرَكيّين ومنعهم من الدخول على السلطان ، فلم يتهيّأ له ذلك . وكان ناصر الدين المعروف بفار السُّقُوف قد توصّل إلى الكركيين حتى آستقرّ إمامَ السلطان يُصَلّى به الخمس وناظرَ المشهد النّفيسىّ عوضا عن تقىّ الدّين على بن القَسْطَلّانى خطيب جامع عمرو وجامع القلعة ، وخلَع عليه ٢٠

(١) رواية السلوك : « وأحدق به » .

السلطان بغير علم طَشْتَمر النائب ، فبعث إليـه طشتمر عِدّة نُقباء ونَزَع الخِلْعة من عليه وسلّمه إلى المقدّم إبراهيم بن صابر ، وأمر بضربه و إلزامه بحمل مائة ألف درهم ، فضربه آبنُ صابر ضربا مُبَرِّحا وآستخرَج منـه أربعين ألف درهم . ثم أفرج عنه بشفاعة أَيْدُغْمُش والفخرى فيه بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلُع القلعة . ثم أخذ قُصير[1] مُعين من مباشرى قَوْصُون وأحاط بما فيه من القُنود والأعسال والسكّر وغير ذلك ، فعظُم مافعله على السلطان وعلى الأمراء ، فإنّه خرج عن الحدّ ، إلى أن قرر السلطان مع مقدّم المماليك عَنْبَر السَّحَرْتى والأمير آق سنقر السّلّارى فى القبض على طشتمر وعلى قُطْلُوبغا الفخرى ، وأن يَستدعى ممـاليك بَشْتَك وقوصون و يُنزلهم بالأطباق من القلعة و يُعطيهم إقطاعات بالحلْقة ليصيروا من جملة مماليك السلطان خوفا من حركة طشتمر النائب .

ثم رتّب السلطان عنده مماليك بداخل القصر للقبض على طشتمر أيضا . وكان ممـا جدّد طشتمر فى نيابته أن مَنَع الأمراء أن تُدْخل ممـاليكَها إلى القصر ، و بَسَطَ من باب القصر بساطا إلى داخله كما كان فى الأيام الناصريّة فصار الأمير لا يدخل إلى القصر إلّا بمفرده ، فكان مادبَّره عليـه . ثم دخل هو أيضا بمفرده ومعه ولداه إلى القصر ، وجلس على السِّماط على العادة ، فعند مارُفِع السماط قبَض كشلى[2] السلاح دار أحدُ المماليك السلطانية وكان معروفا بالقوّة على كتِفَيْه من خلف ظهره قبضًا عنيفا . ثم بدَر إليه جماعة من المماليك وأخذوا سـيفَه وقيّدوه وقيدوا ولديه ، ونزل أمير مسعود الحاجب فى عدّة من المماليك السلطانية فأوقع الحَوْطة[3] على بيتـه وأخذ

(١) فى الأصلين : « قطر معين » . وفى السلوك : « قصر معين بالغور » والصواب فيه : قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن ، يكسر فيه قصب السكر ، كان ذلك فى القرون الوسطى . انظر معجم ياقوت (ص ١٢٦ جـ ٥) (وانظر فلسطين الإسلامية لاسترانج ص ٣٢ و ٤٩٠) .

(٢) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى بعض المصادر التى تحت يدنا : « كشكلى » .

(٣) سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

ممـاليكه فسجنهم . ثم خرج فى الحال ساعة القبض على طَشْتَمر الأمير أَلْطُنْبُغا المـاردانى والأمير أُرُنْبغا أمير سـلاح ومعهما من أمراء الطبلخاناه والعشرات نحو خمسة عشر أميرا ومعهم أيضا من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس، وتوجّهوا ليقبضوا على الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى ، وكَتَب للأمير آق سنقر الناصرى نائب غَزّة بالركوب معهم بعسكره وجميع مَنْ عنده ومَنْ هو فى معاملته، وكان الفخرى قد ركب من الصالحية(١) ، فبلغه مَسْك طشتمر ومسيرُ العسكر إليه من هَجّان بعث به إليه بعضُ ثقاته ، فساق إلى قَطْيا(٢) وأكل بهـا شيئا، ثم رحَل مسرعا حتى دخل العريش(٣) فإذا آق سنقر بعسكره فى انتظاره على الزعقة(٤)، وكان ذلك وقت الغروب فوقف كلٌّ منهما تُجاه صاحبه . حتى أظلم الليل سار الفخرى بمن معه وهم ستون فارسا على البرّية ، فلمّا أصبح آق سُنْقُر عَلِم أن الفخرى فاته، ومال أصحابه على أثقال الفخرى فنهبوها وعادوا إلى غَزّة . واستمرّ الفخرى سائرا ليلته ، ومن الغد حتّى انتصف النهار وهو سائق فلم يتأخر معه إلا سبعةُ فرسان، ومبلغُ أربعة آلاف وخمسمائة دينار، وقد وصل يُبْنَى(٥) وعليهـا الأمير أَيدُغْمُش وهو نازل فترامَى عليه ، وعرّفه بمـا جرى وأنه قطع خمسة عشر بَرِيدا فى مَسير يوم واحد، فطيّب أيدغمش خاطرَه وأنزله فى خَيْمة وقام له بمـا يليق به ، فلمّا جَنّه الليل أَمَر به فقُيِّد وهو نائم وكتب بذلك إلى السـلطان مع بُكَا الخضرى ، وكان السلطان لمـّا بلغه هروبُ الفخرى تنكّر على الأمراء

(١) الصالحية هى إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية بمصر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) ذكرها صاحب صبح الأعشى فى (ج ١٤ ص ٣٧٨) على أنهـا مركز من مراكز البريد ما بين العريش ورفح .

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

واتّهمهم بالمخامرة عليه ، وهمّ فى يوم الاثنين أن يمسكهم ، فتأخّر عن الخدمة الحاولى فى يوم الاثنين المذكور ، وهو تاسع عشرين ذى القعدة وتأخّر معه جماعة كبيرة . فلمّا كان وقتُ الظهر بعث لكل أمير طائر إوزّ مَشْوِىّ وسأل عنهم ؛ ثم بعث إليهم آخر النهار أن يَطْلُعوا من الغد . فجاء بُكَا الخُضَرى عشيّة يوم الثلاثاء مستهلّ ذى الحجّة، ومعه البشارةُ بالقبض على سيف الدين قُطْلُوبُغا الفخرى، فسُرَّ السلطانُ بذلك ، وكَتَب بحمله إلى الكَرَك . فلمّا طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضاهم السلطان وبشّرهم بمسك الفخرى ، ثم أخبرهم أنه عَزَم على التوجّه إلى الكَرَك ، وتجهّز وأخذ الأموال صحبته ، وأخرج الأمير طَشْتَمُر حمّص أخضر مُقَيَّدا فى محارّة[1] فى ليلة الأربعاء ومعه جماعة من المماليك السلطانيّة موكّلون به .

ثم تقدّم السلطان إلى الخليفة بعد ماولّاه نظر المشهد النَّفِيسِىّ عوضا عن ابن القَسْطَلّانِىّ أن يسافر معه إلى الكَرَك ، ورَسَم لجمال الكُفاة ناظر الجيش والخاصّ ، وللقاضى علاء الدين علىّ بن فضل الله كاتب السرّ أن يتوجّها معه إلى الكَرَك . ثم رَكِب السلطان ومعه الأمراء من قلعة الجبل فى يوم الأربعاء ثانيه بعد ما أمّر ثمانية من المماليك السلطانية وخلَع عليهم على باب الخزانة ، وخلَع على الأمير شمس الدين آق سنقر السَّلّارى وقرّره نائب الغَيْبَة ، وخلَع على شمس الدين محمد بن عَدْلان بآستقراره قاضى العسكر ، وخلَع على زَيْن الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر البِسْطامِىّ وآستقرّ به قاضى قضاة الحنفيّة بالديار المصرية عوضا عن حُسام الدين الغُورى . فلمّا سار السلطان حتى قرب قُبّة النصر[2] خارج القاهرة وقف حتّى قَبّل الأمراءُ يدَه على مراتبهم ورجعوا عنه ، فنزل فى الحال عن فرسه، ولبس

(١) المحارة : مركب يشبه الهودج .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثياب العُرْبان وهى كامليّة مُفَرّجة وعمامةٌ بلثامين ، وسائر الكَرَكيّين فى طريقه ، وترك الأمراءَ الذين معه وهم قُمارى وَمَلِكْتَمُر الحجازى وأبو بكر وعمر آبنا أرْغُون النائب مع المماليك السلطانية والطُّلُب ، وتوجّه على البَرِيّة إلى الكَرَك [وليس معه إلّا الكركيون ومملوكان] (١) وهم فى أثَره فقاسوا مَشقّة عظيمة من العطش وغيره حتى وصلوا ظاهر الكرك وقد سبقهم السلطان إليها، وقدمها فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجّة ، وكتب للأمراء بالديار المصرية يعرّفهم بذلك ويُسلّم عليهم ، فقَدِم كتابُه القاهرة فى يوم الخميس سابع عشر ذى الحجّة .

ولمّا دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يُمَكِّن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى كاتب السرّ وجمال الكُفاة ناظر الجيش والخاصّ فقط . ورَسَم أن يَسير الأمير المقدَّم عَنْبَر السَّحَرْتى بالمماليك السلطانية إلى قرية الخليل (٢) عليه السلام، وأن يسير قُمارِى وعمر آبن النائب أرغون والخليفة إلى القُدس الشريف (٣) . ثم رَسَم

(١) زيادة عن السلوك .

(٢) تسمى حبرون أو جيرون على تسمية دمشق باسم جيرون وهى مدينة من أعمال فلسطين ، وتقع فى وهدة بين جبال كثيفة الأشجار . بها قبر إبراهيم و إسحاق و يعقوب عليهم السلام . وفى طريقها قبر يونس عليه السلام . وتقع على خط عرض ٣١/٣١ شمالا وخط طول ٣٥/٨ شرقا . راجع فهرس الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك فى الكلام على القدس وصبح الأعشى (ج ٤ ص ١٠٢) وتقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل وأطلس فيليب الجغرافى .

(٣) هى أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يوليه سنة ١٠٩٩ وأسسوا فيها مملكة آستمرّت حتى خلصها منهم صلاح الدين الأيوبى بعد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب «أحسن التقاسيم» المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . سكانها ٨٥ ألف نسمة . تقع على خط عرض ٣١ / ٤٧ شمالا وخط طول ٣٥ / ١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فيليب » .

السلطان لمقدّم المماليك عنبر السَّحَرْتى أن ينتقل بالمماليك السلطانية من الخليل إلى غَزّة لغلاء الأسعار بالخليل، وفى أثناء ذلك وصل أمير على بن أَيْدُغْمُش بالفخرى مقيَّدا إلى غزة وبها العساكر، فبعث السلطان إليه من تسلّم منه الفخرى وأعاد آبن أيدغمش إلى أبيه ولم يجتمع به، فسجَن السلطان قُطْلُوبُغَا الفخرى وطَشْتَمُر حمص أخضر بقلعة الكَرَك بعد ما نَكَّل بالفخرى وأُهين من العامة إهانةً(١) زائدة.

ثم كتب السلطان لآق سُنْقر السَّلّارى نائب الغَيْبَة(٢) بإرسال حريم الفخرى إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسير الفخرى بيوم، فجهزهُنّ إليه، فأخذ أهل الكرك جميعَ مامعهنّ حتى ثيابهنّ، وبالغوا فى الفُحْش بهنّ والإساءة. ثم كتب السلطان لآق سنقر السلارى نائب الغيبة بالديار المصرية أن يُوقع الحَوْطة على موجود طَشْتَمُر حمص أخضر وقُطْلُوبُغَا الفخرى، ويُحمل ذلك إليه بالكَرَك. وكان شأن الملك الناصر أحمد أنه إذا رَسَم بشىء جاء كاتبٌ كَرَكىٌّ لكاتب السرّ وعرّفه عن السلطان بما يريد، فيكتب كاتب السرّ ذلك ويُناوله للكاتب الكركى حتى يأخذ عليه علامةَ السلطان، ويبعثه حيث يرسم به، هذا ما كان من أمر الملك الناصر.

وأما العسكر المتوجِّه من القاهرة إلى غَزّة فإن آبن أَيْدُغْمُش لمّا قَدِم عليهم بمدينة غزة ومعه الفخرى أراد الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا المارداني أن يؤخّره عنده بغزة حتّى يراجع فيه السلطان فلم يُوافقه آبن أيدغمش، وتوجّه به إلى الكرك، فرحَل ألطنبغا الماردانى وبقيّة العساكر عند ذلك إلى جهة الديار المصريّة فقَدموها يوم السبت سادس عشرين ذى الحجّة وآنعكف السلطان على اللّهو وآحتجب عن الناس

(١) فى الأصلين: «إهنة». وما أثبتناه عن السلوك.

(٢) فى أحد الأصلين والسلوك: «نائب غزة». وتصحيحه عن الأصل الآخر وما تقدم ذكره فى ص ٦٦ من هذا الجزء، وما سيذكره المؤلف بعد قليل.

إلّا الكَرَكيّين . ثم بلغه تغيُّر خواطر الأمراء فأخذ فى تحصين قلعة الكرك ومدينتها وأشحنها بالغلال والأقوات والأسلحة .

وأمّا أمر الديار المصرية فإنه شَــقّ عليهم غَيْبةُ السلطان منها ، وآضطربت أحوال القاهرة وصارت غوغاء ، وصار عنــد أكابر الأمراء تشويش كثير لمـّا بلغهم من مُصاب حريم الأمير قطلوبغا الفخرى . وبقى الأمير آق سنقر السَّلّارى ٥ فى تخوف عظيم فإنه بلغه بأن جماعة من الممـاليك الذين قُبِض على أستاذهم (١) قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه ، فترك آق سنقر الركوب فى أيام المواكب أياما حتى آجتمع الأمراء عنــده وحَلَفوا له . ثم آتّفق رأىُ الأمراء على أن كتبوا للسلطان الملك الناصر أحمد كتابا فى خامس محرم ســنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بأنّ الأمور واقفة لغَيْبة السلطان ، وقد نافق غالبُ عُرْبان الصعيد وغيره وطَمِــع أرباب الفساد ، ١٠ وخيفت السُّبُل وفسدَت الأحوال ، وســألوا حضوره إلى الديار المصرية وأرسلوا الكتاب على يد الأمير طُقْتَمُر (٢) الصلاحىّ فتوجّه طقتمر إليه ، ثم عاد إلى الديار المصرية بجوابه فى حادى عشره : بأننى قاعد فى موضع أشتهى ، وأىّ وقت أردتُ حضرت إليــكم ؛ وذكر طَقْتَمُر أنّ السلطان لم يُمكِّنه الآجتماع به ، وأنه بعث مَن أخذ منه الكتاب ، ثم أرسل إليه الجواب . ١٥

وقَدِم الخبر بأنه قَتَل الأمير طَشْتَمُر الساقى حمّص أخضر ، والأمير قُطْلُوبغَا الفخرى ، وكان قصد قتلهما بالجوع ، فأقاما يومين بلياليهما لا يُطعمان طعاما ، فكسرا قَيْدَهما — وكان السلطان قد ركب للصــيد — وخَلَعا باب السجن ليلا وخَرَجا إلى

(١) فى أحد الأصلين : « الذين قبضوا على أستاذهم » . وعبارة السلوك : « بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا ... الخ » . (٢) هو أحد المماليك الناصرية ، تنقل ٢٠ فى المناصب الى أن تأمر وناب فى حمص . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٤٧ هـ .

الحارس فأخذا سيفه وهو نائم فأحسّ بهما، وقام يَصيح حتى لحقه أصحابه فأخذوهما وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقَدِم فى زىّ العُرْبان ووقف على الخندق وأحضرهما وقد كثُرت بهما الجراحات ، فأَمَر يوسف ورفيقَــه بضرب أعناقهما ، وأخذ يسبُّهما فردّا عليــه السبَّ ردًّا قبيحًا ، وضُرِبَت رقابهما ، فلمّــا بلغ الأمراءَ ذلك ٱشتدّ قلقُهم .

ثم قَدِم كتاب السلطان للأمراء يُطيِّب خواطرهم و يعرّفهم أن مصر والشام والكرك له ، وأنه حيثما شاء أقام ، ورَسَم أن تُجَهَّز له الأغنام من بلاد الصعيد ، فتنكرت قلوب الأمراء[(١)]، ونفَرت خواطرهم وتكلّموا فيما بينهم فى خَلْعه ، حتى ٱتفق الأمراء على خَلْعه من السلطنة ، وإقامة أخيه إسماعيل ٱبن الملك الناصر محمد ، فخُلِــع فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرّم من سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما ، منها مدّة إقامته بمدينة الكَرَك ، ومراسيمُه نافذةٌ بمصر أحد وخمسين يوما . وإقامته بمصر شهران[(٢)] إلا أياما .

وكان لمّــا خرج من الديار المصرية متوجّها إلى الكَرَك جمع الأغنام التى كانت لأبيه وأغنام قَوْصُون ، وعِدتُها أربعة آلاف رأس وأربعمائة رأس من البقر التى كان ٱستحسنها أبوه ، وأخذ الطيور التى كانت بالأحواش على ٱختلاف أنواعها ، وحمَلها على رءوس الحمّالين إلى الكَرَك ، وساق الأغنام والأبقار إليها ، ومعهم عدّة سقّايين ، وعرَض الخيــول والهُجُن ، وأخذ ما ٱختاره منها ومن البَخَاتى وحُمُر الوحش والزرازيف والسِّباع ، وسيّرها إلى الكرك . ثم فتح الذخيرة وأخذ منها جميعَ ما فيها من الذهب والفضة وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه

(١) فى الســلوك : « فتنكرت قلوب الفقراء » .
(٢) فى الســلوك : « وإقامته بمصر شهران وأيام » .

فى مدة سلطنته . وتتبّع جوارى أبيه حتى عرَف المتموِّلات منهنّ ، فصار يبعث
إلى الواحدة منهنّ يُعرِّفها أنه يدخل عليها الليلة فإذا تجمّلت بحليها وجواهرها ارسل
مَنْ يحضرها إليــه ، فإذا خرجت من موضعها ندَب مَن يأخذ جميعَ ما عندها ، ثم
يأخذ جميعَ ما عليها ، حتى سلَب أكثرهنّ . ثم عَرَض الرِّكْبخاناه ، وأخذ ما فيها من
السروج والُلجُم والسلاســل الذهب والفضة . وأخذ الطائر الذهب الذى كان على ٥
القُبّة ، وأخذ الغاشيَة الذهب وطَلَعات السناجق ؛ وما ترك بالقلعة مالاً إلّا أخذه ،
وآستمرّ بالكرك .

فلمّا تسلطن أخوه الملك الصالح إسماعيل حسب ما يأتى ذكره أرسل إلى الكرك
يطلب من أخيه الناصر أحمد هذا شعائر الملك ، وما كان أخذه من الخزائن وغيرها ،
فلم يلتفت الناصر إلى كلامه ، فندَب السلطان الملك الصالح تجريدةً لحصاره بالكرك ، ١٠
واستمرّ يبعث إليه تجريدة بعد أخرى سبع تجاريد ، حتى إنّه لم يبق بمصر والشام أمير
إلا تجــرّد إلى الكرك مرّة ومرّتين إلى أن ظَفِروا به حسب ما يأتى ذكر ذلك كلّه
مفصّلا فى ترجمة الملك الصالح إسماعيل . ولـمّا ظَفِروا بالملك الناصر أحمد قيّدوه
وحبسوه بالكرك بعد أن حاصروه بها مدّة سنتين وشهر وثلاثة أيام ، حتى قُبِض عليه ،
أتلف فيها أموالا كثيرة فى النفقات على المقاتلة ، وأخذ أمرُه يتلاشى وهلك مَنْ ١٥
عنده بالجوع . وضرَب الذهب وخلَط به الفضّة والنحاس ونفق ذلك فى الناس ،
فكان الدينار الذى ضرَبه يُساوى خمسة دراهم .

وكان القبض على الملك الناصر من الكرك فى يوم الاثنــين الظهر ثانى عشرين
صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وكُتِب بذلك إلى السلطان ، فأرسل السلطان
الملك الصالح الأمير مَنْجَك اليُوسفىّ الناصرىّ السلاح دار إلى الكرك فقتلــه وحزّ ٢٠
رأسه وتوجّه بها إلى القاهرة .

وكان الملك الناصر أحمد هذا قد أخرجه أبوه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكَرَك وهو صغير، لعلّه لم يبلغ العشر سنين، فرُبّىَ بالكرك وأحبّ أهلها وصارت له وطناً، وكان نائب الكرك إذ ذاك مَلِكْتَمُر السَّرْجَوَانِىّ زوج أمّه. ثم أرسل إليه أبوه أخويه: إبراهيم وأبا بكر المنصور فأقاموا الجميع بالكرك إلى أن طلبهم والدهم، وأعاد الناصر هذا إلى الكرك ثم طلبه ثانيا وزوّجه ببنت الأمير طَايَرْبُغَا من أقارب الملك الناصر، ثم أعاده إلى الكرك.

وكان الناصر هذا أحسن إخوته وجها وشكلا، وكان صاحب لِحْيَة كبيرة وشعر غزير، وكان ضخما شُجاعا صاحب بَأْس وقُوّة مُفْرِطة، وعنده شهامةٌ مع ظلم وجبروت، وهو أسوأ أولاد الملك الناصر سيرةً مع خِفَّة وطَيْش.

*
* *

السنة التى حكم فى أوّلهـا المنصور أبو بكر إلى حادى عشرين صفر على أنه حَكَم من السنة المـاضية تسعة أيام. ثم حكَمَ فيهـا من صفر إلى يوم الخميس أوّل شعبان الملك الأشرف كُجُك. ثم حكَمَ فيما بقى منها الملك الناصر أحمد هذا، والثلاثة أولاد الناصر محمـد بن قلاوون حسب ما تقدّم ذكره، والسنة المذكورة سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة.

فيها وقعت حادثة غريبـة وهى[1] أن رجلا بوَارِدِيًّا[2] يقال له محمد بن خلف بخُطّ السُّيُوفِيّين[3] من القاهرة قُبِض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحْضِر

---

(١) فى الأصلين: «وهو» والتصويب عن السلوك.

(٢) كذا فى الأصلين والسلوك. ويفهم من سياق الكلام أن كلمة «بواردىّ» معناها من يبرد الطيور ويملحها حتى لا يتطرق إليها الفساد.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

إلى محتَسِب القاهرة فوُجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عِدّةُ أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك أفراخ حمام ألف ومائة وستة وتسعون، فرخا . وزراز بر عدّة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، و جميعها قد نَتُنَت وتغيّرت أحوالها، فأُدِّب وشُهِّر .

وفيها تُوُفِّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغا الصالحىّ الناصرىّ نائب الشام مقتولا بسجن الإسكندرية . كان أصله من صِغار مماليك المنصور قلاوون، ورُبِّى عند الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتوجّه معه إلى الكَرَك، فلما عاد الملك الناصر إلى مُلكه أنعم عليه بإمره عشرة وجعله جَاشْنَكِيرَه، ثم ولّاه حاجبا. ثم نقله من الحجوبيّة إلى نيابة حلب بعد موت أَرْغُون النائب، فسار فيها سيرةً مشكورة وغزا بلاد سِيس، حتّى أخذها بالأمان، وقال فى ذلك العلّامة زَيْن الدين عمر بن الوَرْدِى قصيدة طَنّانة أوّلها :

جِهادُك مقبولٌ وعامك قابلُ * ألا فى سبيل المجد ما أنت فاعلُ

وعَمّر الأمير ألطنبغا المذكور فى نيابته بحَلَب جامعا فى شرقيّها [1]، ولم يكن إذ ذاك داخل سور حلب جامع تُقام فيه الخطبة سوى الجامع الكبير الأُمَوِىّ، وأقام بحلب حتى وقع بينه و بين تَنْكِز نائب الشام، فشكاه تَنْكِز إلى الملك الناصر فعزله عن نيابة حلب، وولّاه نيابة غَزّة إلى أن غَضِب السلطان على تنكز وولّاه عوضه نيابة الشام الى أن مات الملك الناصر وتسلطن أولاده آنضمّ ألطنبغا هذا إلى قَوْصون، فكان

(١) لا يزال إلى اليوم من مشاهير جوامع حلب . بناه بطرف الميدان الأسود سنة ٧١٨ هـ كما هو ثابت على بابه الكبير الغربى الى اليوم، وهو أوّل جامع بنى بها بعد الجامع الأموى الكبير داخل سورها شرق المدينة وبين بابيه الشرقى والغربى حوش عظيم . وقد كمل بناؤه سنة ٧٢٣ هـ ولا تزال قبته البديعة تحتفظ برونقها وضخامة بنائها، وقد رمم جداره القبلى الشرقى الداخل فى بناء السور أبو السعادات محمد بن الملك الأشرف قايتباى سنة ٩٠٣ هـ كما رممت الجامع كله دائرة الأوقاف فى حلب سنة ١٢٤٠ هـ فعاد إليه بعض رونقه القديم . (انظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٣٧٠ وما بعدها) .

ذلك سببا لهلاكه ؛ وقد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلا . وكان أميرا جليـلا شجاعا مشكور السيرة ومات وقد جاوز الخمسين سنة من العمر .

وفيها تُوُفِّى ملك التتـار أُزْبَك خان بن طُغْرلجا بن مَنْكُوتَمُر بن طُغَان بن بَاطُو[1] آبن دُوشى خان بن جنكز خان . ومات أُزْبَك خان بعد أن مَلَك نحوًا من ثلاثين سنة ، وكان أسلم وحسُن إسلامه وحرّض رعيته على الإسلام فأسـلم بعضُهم ، ولم يَلْبَس أُزْبَك خان بعد أن أسلم السَّرَاقُوجَات[2] ، وكان يَلْبَس حِياصةً من فولاذ ويقول : لُبْس الذهب حرامٌ على الرجال ، وكان يميـل إلى دِين وخير ، ويتردّد إلى الفقراء ، وكان عنده عدل فى رعيته ، وتزوّج الملك الناصر محمد بآبنته . وكان أُزْبَك شجاعا كريمـا مليحَ الصورة ذا هَيْبَة وحُرمة . ومملكتُه متسعة ، وهى من بحر قُسْطَنْطِينِيَة[3] إلى نهر إِرْتِش[4] مسيرة ثمـانمـائة فرسخ ، لكن أكثرذلك قُرًى ومراع . ووَلِى المُلْك بعده جَانِى بَك[5] خان .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الناصرى مقتولا بسجن الإسكندرية فى شهر ربيع الآخر . وكان إقطاعه يَعْمَل بمـائتى ألف دينار فى كلّ سـنة ، وأنعم عليه أستاذُه الملك الناصر محمد فى يوم واحد بألف ألف درهم . وكان راتبه لسماطه فى كلّ يوم خمسين رأساً من الغنم وفَرَسا ، لابدّ من ذلك . وكان كثير التِّيه لا يُحَدِّث

---

(١) فى المنهل الصافى : « ابن باتو » بالتاء المثناة بدل الطاء . (٢) السراقوجات ، جمع سراقوج ، وهى طاقية تترية كان يلبسها ملوك التتار فى العصور الوسطى . (راجع الملابس عنـد العرب لدوزى ص ٣٧٩ ، والقاموس الفارسى الإنجليزى لاستينجاس . وكترميرص ٢٣٥ جزء أول) .

(٣) هو بحر بنطش وهو البحر الأسود الآن . (٤) فى الأصلين : « نهر أريس » . وما أثبتناه عن دائرة المعارف الإسلامية وخرائط المساحة الحديثة . وهو أكبر النهيرات التى تمد نهر أوبى فى سيبريا . وسـيأتى الكلام على مملكة أزبك خان بأوفى من هـذا عند الكلام على الطاعون الذى وقع فى سنة ٧٤٩ هـ . (٥) كذا فى أحد الأصلين والسلوك . وفى الأصل الآخر : « جانبك » .

مباشريه إلا بتَرْجُمان . وهو صاحب القصرين القصرين (١) والحمّام (٢) بالقرب من سُوَيْقة (٣) العِــزّى والجامع (٤) عند قنطرة طُقُزْدُمُر (٥) خارج القــاهرة . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : «وكان بَشْتَك أهيفَ القامة، حُلْو الوجه . قرَّبه السلطان وأدناه، وكان يُسمِّيه فى غَيْبته بالأمير، وكان إقطاعه سبعة عشرة [إمرة] (٦) طبلخاناه أكبر من إقطاع قَوْصون، وما يَعْلَم قوصون بذلك» .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين طاجار بن عبد الله الناصرى الدَّوادار قتيلًا بثغر الإسكندرية . وكان من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه، ورقّاه حتى ولّاه الدَّوَادَارِيّة ، وكان ممّن انضم إلى الملك المنصور أبى بكر فقُبِض عليه عند خَلْعه وقُتِل .

وفيها تُوُفِّى الأمير سيف الدين جَرِكْتَمُر بن عبد الله الناصرىّ قتيلا .

وتُوُفِّى الأمير قوصون بن عبد الله الناصرىّ الساقى قتيلا بثغر الإسكندرية فى شوّال، وقد مرّ من ذكره مافيه كفاية عن تكراره ثانيا .

وتُوُفِّى الملك الأفضل علاء الدين على ابن الملك المؤيَّد عماد الدين إسماعيل [ابن الملك الأفضل على] (٧) ابن الملك المظفَّر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفَّر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه ابن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادِى بن مَرْوان

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) حمام الأمير بشتاك الناصرى لم يذكره المقريزى فى خططه . وهو لا يزال قائما بشارع سوق السلاح الذى كان يسمى سويقة العزى على رأس عطفة حمام بشتاك بالقاهرة . وهو من الحمامات الكبيرة وواجهته مكسوّة برخام ملوّن جميل وعليها اسمه . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) هو جامع الأمير بشتاك الناصرى . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٨ ج ٩ من هذه الطبعة .

(٥) هى قنطرة طقزدمر التى تعرف اليوم بقنطرة درب الجماميز بالقاهرة . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن السلوك .

(٧) التكلة عما تقدم ذكره فى ترجمة أبيه ص ٢٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الأيوبي صاحب حماة وابن صاحبها . مات بدمشق ، وهو من جملة أمرائها بعد ما باشر سلطنة حماة عشرين سنة إلى أن نقله قوصون إلى إمرة الشام، وولى نيابة حماة بعده الأمير طقزدمر الحموى . وكانت وفاته فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة .

٥ وتوفى الأمير شرف الدين، وقيل مظفر الدين موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا ابن مانع(١) بن حديثة بن عصية(٢) بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل بمدينة تدمر(٣) . وكان من أجل ملوك العرب، مات بحماة فى العشر الأخير من جمادى الأولى .

وتوفى الحافظ الحجة جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن على بن عبد الملك بن أبى الزهر القضاعى الكلبى المزى الحلبى المولد، ولد ١٠ بظاهر حلب فى عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة ، ومات بدمشق فى ثانى عشر صفر(٤) ، وكان إمام عصره أحد الحفاظ المشهورين . سمع الكثير ورحل وكتب وصنف . وقد ذكرنا عدة كبيرة من مشايخه وسماعاته فى ترجمته

(١) فى صبح الأعشى (ج ٤ ص ٢٠٦) : « ابن مانع » بالتاء المثناة .

(٢) كذا فى الدرر الكامنة والسلوك . وفى صبح الأعشى وأحد الأصلين : « ابن عقبة » . وفى الأصل ١٥ الآخر : « ابن غضبة » وفى أحد المصادر : « ابن غضية » وقد رجحنا روايتى ابن حجر والمقريزى لأنهما حجة فى ذلك .

(٣) مدينة قديمة : معناها بالآرامية مدينة « النخل » وكانت عامرة ذات تجارة واسعة مثل سلع «البتراء» وهى واقعة بطرف بادية الشام فى الشمال الشرقى من دمشق شرقى حمص على خط عرض ٣٤/١٨ شمالا وعلى خط الطول ٣٨/٣٤ شرقا . كانت تمر بها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل ٢٠ الميلاد ، وزادت أهميتها بعد سقوط البلاد فى أوائل القرن الثانى للميلاد ، وكان لها شأن عظيم مع الرومان خصوصا فى عهد ملكتها الزباء . ولا تزال قرية صغيرة بها آثار قديمة من أعمدة وصخور . ومن سنة ١٩١١ تراجعت حتى أصبحت تابعة لحمص الى الآن (راجع فهرس الخريطة الكبرى للمالك الإسلامية وأطلس فيليب الجغرافى وتاريخ حلب للطباخ وانظرها من الجزء الثامن من الإكليل للهمدانى) .

(٤) فى أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج٤ ص ٥٧٩ أنه توفى ليلة الأحد الثالث عشر من صفر .

فى « المنهل الصافى » ونبذة كبيرة من أخباره . ومن مصنفاته « كتاب [1] تهـذيب الكمال » وهو فى غاية الحسن فى معناه .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين تَمُر بن عبد الله الساقىّ الناصرىّ أحدُ أمراء الألوف فى يوم الأحد ثامن [2] عشرين ذى الحجة . وكان من أكابر الأمراء ومن أعيان خاصكيّة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومماليكه .

وتُوُفِّى القاضى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن فخر الدين خليـل بن إبراهيم الرسعنى [3] الشافعى قاضى حلب بها ، وكان فقيهـا فاضلا ، ولى القضاء بحلب وغيرها وأفتى ودرّس .

وتوفى الأمير علاء الدين على آبن الأمير الكبير سيف الدين سَلّار فى شهر ربيع الآخر . وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية .

وتُوُفِّى خطيب جامع دِمَشق الأُمَوىّ الشيخ بدر الدين محمد آبن قاضى القضاة جلال الدين محمد القَزْوينى الشافعىّ . وكان فاضلا خطيباً فصيحاً .

وتُوُفِّى الأمير ركن الدين بيبَرْس بن عبد الله الناصرىّ السـلاح دار نائب الفتوحات بآياس [4] وغيرها . وكان من أجلّ الأمراء الناصريّة . كان شجاعا كريما ، وله المواقف المشهودة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وتسع أصابع . والله تعالى أعلم .

---

(١) توجد منـه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية وبعض أجزاء غير متابعة من نسـخة أخرى بأرقام مختلفة .

(٢) فى أحد الأصلين : «ثانى عشرين ذى الحجة» . وفى السلوك : «ثامن عشرين ذى القعدة» .

(٣) الرسعنى (بفتح الراء والعين وسكون المهملة) : نسبة الى رأس عين : مدينة بالجزيرة وقرية بفلسطين .

(٤) فى أحد الأصلين : « ببالس » وصوابه ما أثبتناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك ، وما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ذكر ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل آبن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد آبن السـلطان الملك المنصور قلاوون وهو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع من بنى محمـد بن قلاوون . جلس على تخت الملك فى يوم الخميس[1] ثانى عشرين المحرم سـنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بعـد خلع أخيه الملك الناصر أحمد بآتفاق الأمراء على ذلك لما بلغهم عن حُسن سيرته ، فإنه قيل للأمراء لمّا أخرج قوصون أولادَ الملك الناصر إلى قُوص كان إسماعيل هذا يصوم يومى الآثنين والخميس، و يشغَل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن مع العِفّة والصِّيانة عمّا يُرمَى به الشّباب من اللّهو واللّعب ، فلمّا بلغهم ذلك آتّفقوا على إقامته فى الملك وسلطنوه وحلّفوا له الأمراء والعساكر وحلَف لهم أيضا السلطان الملك الصالح إسماعيل المذكور ألّا يُؤذِى أحدا وألا يَقبِض على أمير بغير ذنب ، فتمّ أمرُه، ولُقِّب بالملك الصالح ، ودُقّت البشائر، ونُودى بزينة القاهرة ومصر، ورَسَم بالإفراج عن المسجونين بثغر الإسكندرية ، وكَتَب بالإفراج أيضا إلى الوجه القبلى والبحرى[2] وألّا يُترَكَ بالسجون إلّا من آستحقّ عليه القتل . وآستقرّ الأميرُ

(١) فى التوفيقات الإلهامية أنه بويع فى الثانى عشر من المحرم سنة ٧٤٣ هـ .

(٢) تنقسم أراضى الدولة المصرية من الوجهة الجغرافية الطبيعية من العهـد الفرعونى إلى اليوم إلى قسمين رئيسين ، وهما الوجه البحرى الذى يمتـد فى شمال القـاهرة على شكل مروحة و ينتهى حده البحرى بالبحر الأبيض المتوسـط ، و يقال له أسـفل الأرض أو مصر السـفلى . وأما الوجه القبلى فهو الذى يمتد على جانبى النيل من جنوب القاهرة الى آخر حدود مصر الجنوبيـة ، و يقال له أعلى الأرض أو مصر العليا أو الصعيد ، وقد تكلمنا عليه تفصيلا فى الحاشية رقم ٣ ص ٤٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

أَرْغُون العلائى زوج أُمّ الملك الصالح رأس نوبة[(١)] ، ويكون رأس المَشُورة ومدبّر السلطنة وكافل السلطان . وآستقرّ الأمير آق سُنْقُر السَّلّارى نائب السلطنة بالديار المصرية . وكتَب للأمراء ببلاد الشام والنوّاب بآستمرارهم وأرسل إليهم الخِلَع على يد الأمير صُنْغُمُر الصلاحىّ ، وكتَب بتقليد الأمير أَيْدُغْمُش نائب حلب بنيابة الشام ، وآستقرّ عوضه فى نيابة حلب الأمير طُقُزْدَمُر الحموى نائب حَمَاة . ٥
وآستقرّ فى نيابة حماة عوضا عن طقزدمر الأمير علم الدين سَنْجَر الجَاوْلى .

ثم كتب السلطان الملك الصالح إسماعيل إلى أخيه الملك الناصر أحمد بالسلام و إعلامه أنّ الأمراء أقاموه فى السلطنة لمّا علموا أنه ليس له رغبة فى مُلك مصر، وأنّه يُحب بلاد الكَرَك والشَّوبك وهى تحكُّمك وملكُك ، وسأله أن يُرسل القُبّة والطَّيْر والغاشية والنِّمجاة وتوجّه بالكتّاب الأمير قُبْلَاى ، وخرج الأمير بَيْغَرا ومعه ١٠ عِدّةٌ من الأوجاقية لجرّ الخيول السلطانية من الكَرَك الذى كان الملك الناصر أخذهم من الإسطبل السلطانى، وتوجّه الجميع إلى جهة الكرك . ثم فى يوم الأربعاء ثامن عشرين المحرم قَدِم الأمراء المسجونون بثغر الإسكندرية إلى القاهرة، وعدّتهم ستة وعشرون أميرا، منهم الأمير قياتَمُر وطَيْبُغا المَجْدِىّ وآبن طُوغان چق وأَسَنْبُغا آبن البو بكرى وآبن سُوسُون وناصر الدين محمد بن المحسنى والحاجّ أُرُقطاى نائب ١٥ طرابُلُس فى آخرين، وطلعوا إلى القلعة وقبّلوا الأرض بين يدى السلطان . ثم رَسَم السلطان أن يجلس أُرُقطاى مكان الأمير علم الدين سَنْجَر الجاولى المنتقل إلى نيابة حماة، وأن يتوجّه البقيةُ على إمريات ببلاد الشام .

(١) هو لقب على الذى يحدث على مماليك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم . والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذا من رأس الإنسان لأنه أعلاه . والنوبة واحدة النوب ، وهى المرّة بعد الأخرى . ٢٠
والعامة تقول لأعلاهم فى خدمة السلطان : « رأس نوبة النوب » وهو خطأ ، لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : «رأس رءوس النوب» أى أعلاهم عن صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٥٥) .

وفى يوم السبت أوّل صفر قَدِم من غزّة الأمير قُمارى أمير شِكار والأمير أبو بكر بن أَرْغون النائب والأمير مَلِكْتَمُر الحجازى وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، ومقدّم المماليك الطَّواشى عَنْبر السَّحَرْتى والمماليك السلطانية مفارقين الملك الناصر أحمد . وفيه خرج الأمير طُقُزْدَمُر الحموى من القاهرة لنيابة حلب .

٥ وفى يوم الاثنين ثالثه خَلَع على الأمير سَنْجَر الجاولى نائب حماة خِلْعة السفر ، وخلَع فيه أيضا على الأمير مسعود بن خَطِير الحاجب خِلْعة السفر لنيابة غزّة ، وخلع على القاضى بدر الدين محمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله ، واستقرّ فى كتابة السرّ بدِمَشق عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد . ورَسَم بسفر مماليك قَوْصُون والأمير بَشْتَك إلى البلاد الشامية متفرّقين ، وكَتَب إلى النوّاب بذلك . وفيه استقرّ الأمير

١٠ جَنْكَلى بن البابا فى نظر البِيمارِسْتان المنصورىّ بين القصرين عوضا عن سنجر الجاولى . وجلس الأمير آق سنقر السّلّارى بدار النيابة[1] بعد ما عَمّرها وفتح شُبّاكا . ورَسَم له أن يُعطى الأجناد الإقطاعات[2] من ثلثمائة دينار إلى أربعمائة دينار ويُشاور فيما فوق ذلك . واستقرّ المَكِين[3] إبراهيم بن قَرَوِينة فى نظر الجيش . وعيّن ابن التاج إسحاق لنظر الخاصّ كلاهما عوضا عن جَمال الكُفاة بحكم غَيْبته بالكَرَك عند الملك

١٥ الناصر أحمد . وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه .

وفى يوم الاثنين رابع عشرين صفر خلَع السلطان على جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم الخِلَع السنيّة . وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه قَدِم القاضى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السرّ و جمال الكُفاة ناظر الجيش والخاصّ من الكَرَك إلى

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

٢٠ (٢) فى السلوك : « ورسم له أن يعطى الأخباز من ثلثمائة إلى أربعمائة دينار ، و يشاور ...الخ » .

(٣) توفى سنة ٧٧١ هـ . (عن الدرر الكامنة) .

الديار المصرية مفارقين الملك الناصر بحيلة دبّرها جمال الكُفاة، وقد بلّغه عن الناصر أنه يُريد قتلهم[١] خوفا من حضورهم الى مصر ونقلهم لما هو عليه من سوء السيرة، فبذل جمال الكُفاة ليوسف البَازْدَار مالًا جزيلا حتى مكّنهم من الخروج، فأقبل عليهم الأمراء والسلطان، وخلع عليهم بٱستمرارهم على وظائفهم .

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأوّل رَسَم السلطان للأمير أَلْطُنْبُغَا المارِدَانىّ الناصرىّ بنيابة حماة عوضا عن الأمير سَنْجَر الجَاوْلى وكتب بحضور سنجر الجاولى الى نيابة غَزّة عوضا عن أمير مسعود ونقل أمير مسعود الى إمرة طبلخاناه بدِمَشق .

وقدِم الخبر من شَطّى أمير العرب بأن الملك الناصر أحمد قرّر مع بعض الكَرَكيّين أنه يدخل الى مصر ويقتُل السلطانَ فتشوّش الأمراء لذلك فوقع الآتفاق على تجريد العساكر لقتال الملك الناصر وأخذه من الكَرَك . وفى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر توجّهت التجريدة الى الكَرَك صحبة الأمير بَيْغَرا، وهذه أوّل التجاريد الى الكَرَك لقتال الملك الناصر أحمد، وفى عقيب ذلك حدَث للسلطان رُعاف مستمرّ فٱتهمت أمه أُمُّ السلطان الأشراف بُكُك خَوَنْد أُرْدُو بأنّها سحرته، وهجمت عليها وأوقعت الحَوْطة على موجودها وضربت عدّة من جواريها ليعترفْن[٢] عليها ، فلم يكن غير قليل حتّى عُوفى السلطان، ورَسَم بزينة القاهرة، وحملت أمّ السلطان الى المَشْهد النفيسىّ قِنْديلَ[٣] ذهب، زنتُه رطلان وسبع أواق ونصف أوقية .

(١) كذا فى الأصلين، ولعله يريد بالجمع ما فوق الواحد .

(٢) فى أحد الأصلين : « ليعترضوا عليها » . وما أثبتناه عن السلوك للقريزى ولم ترد هذه العبارة فى الأصل الآخر.

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٩ من الجزء التاسع والحاشية رقم ٣ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ثم قَدِم الخبر على يد إياز الساقى بموت الأمير أَيْدُغْمُش نائب الشام بَخأة، فوقع الآختيار على آستقرار الأمير طُقُزْدَمُر الحموى نائب حلب مكانه فى نيابة الشام وآستقر الأمير أَلْطُنْبُغا المَـارِدانِى عوضا عن طقزدمر فى نيابة حلب، وآستقرّ الأمير يَلْبغا اليَحْيَاوِى فى نيابة حماة عوضا عن المـاردانى .

ثم أنعم السلطان على أَرْغُون العلائى بإقطاع الأمير قُمارِى بعد موته، وكَتَب السلطان لنائب صَفَدَ وغزّة بالنَّجْدة للأمير بَيْغَرا لحصار الملك الناصر بالكَرَك .

ثم قَدِم الخبر من شَــطِّى أنه ركب مع العسكر على مدينــة الكرك وقاتلوا أهل الكرك وهزموهم إلى القلعة، وأنّ الملك الناصر أذعن وسأل أن يُمْهَل حتى يكتب إلى السلطان لِيُرسِل من يتسلّم منه قلعة الكرك، فرجعوا عنه فلم يكن غير قليل حتى آستعدّ الملك الناصر وقاتلهم .

وفى يوم الأربعاء رابع شهر رجب كانت فتنةُ الأمير رمضان أخى الســلطان، وسببُ ذلك أنّ السلطان كان أنعم عليــه بتقدمة ألف، فلمّــا خرج السلطان إلى سِرْيَاقوس(١) تأخّر رمضان عنــه بالقلعة وتحدّث مع طائفة من المـماليك فى إقامتــه سلطانا وآتفقوا على ذلك، فلمّا مَرِض السلطان الملك الصالح هــذا وآسترخى قَوِىَ أمره، وشاع ذلك بين الناس وراسَل تُمُكَا الخُضَرِى ومَنْ خرج معه من الأمراء، وواعد من وافقه على الركوب بقُبّة(٢) النصر، فبلَغ ذلك الســلطانَ ومدبِّر دولته الأمير أَرْغُون العلائى، فلم يعبأ بالخبر إلى أن أهلّ شهر رجب، جهّز الأميرُ رمضان خيولَه وهُجُنه بناحية بِرْكة الحَبَش(٣)، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء، فبلغ الأمير آق سنقر أمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الاستدراكات ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

آخور عند الغروب بما هو فيه من الحركة ، فندَب عدّةً من العُرْبان ليأتوه بخبر القوم ، فلمّا أتاه خبرُهم سار إليهم وأخذ جميع الخيل والهُجُن عن آخرهم من خلف القلعة وساقهم إلى الإسطبل السلطاني وعرّف السلطان والعلائي أرْغون (١) من باب السرّ بما فعله فطلباه إليهما فصَعِد بما ظَفِر به من أسلحة القوم ، فآتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده والآحتفاظ بهم ، فلمّا طلع الفجر خرج أرغون العَلائي من بين يدى السلطان وطلب إخوة السلطان ووكّل بهم ووكّل ببيت رمضان جماعةً حتى طلَعت الشمس ، وصَعِد الأمراء الأكابر إلى القلعة فآستدعى السلطان لهم وأعْلموه بما وقَع ، فطلبوا سيدى رمضان إليهم فآمتنع من الحضور وهم يُلِحّون فى طلبه إلى أن خرجت أمّه وصاحت عليهم ، فعادوا عنه إلى أرْغون العلائى ، فبعث أرغون بِعدةٍ من المماليك والخُدّام لإحضاره فخرج فى عشرين مملوكا إلى باب القُلّة (٢) وسأل عن النائب ، فقيل له عند السلطان مع الأمراء فمضى إلى باب القلعة وسيوفُ أصحابه مُصْلَتة (٣) ، وركب على خيول الأمراء ، ومرّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة فلم يجد أحدا من الأمراء ، فتوجّه إلى جهة قُبّة النصر خارج القاهرة ووقف هناك ومعه الأمير تَكَا الخُضَرى وقد آجتمع الناس عليهم ، وبلغ السلطانَ والأمراءَ خبرُه فأُخرج السلطانُ محمولا بين أربعة لما به من الآسترخاء ، وركب النائبُ وآق سنقر أمير آخور وقُمارى أخو بَكْتَمُر الساقى وجماعةٌ أُخَر ، وأقام أكابرُ الأمراء عند السلطان وصُفّت أطلابُهم تحت القلعة ، وضربت الكوسات حربيا ، ونزلت النقباء

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

فى طلب الأجناد ، وتوجّه النائب إلى قُبّة النصر ، ووقف بمن معه تُجاه رمضان ، وقد كثُرَ جمع رمضان من أجناد الحُسَيْنيّة ومن مماليك تُكا والعامّة ، وبعث النائب يُخبر السلطان بذلك ، فمن شدّة ما آنزعج نهضت قوته ، وقام قائما على قدميه بعد ما كان يئس من نفسه من عِظَم آسترخاء أعضائه ، وأراد الركوب فقام الأمراء وهنّوه بالعافية وقبّلوا له الأرض وهوّنوا عليه أمر أخيه رمضان ، ولا زالوا به حتّى جلس مكانه ، فأقام إلى بعد الظهر والنائب يُراسل رمضان ويَعِده بالجميل ويُخوّفه العاقبة ، وهو لا يلتفت إلى قوله ، فعزم النائب على الحملة عليه هو ومن معه ودَقّ طبلَه فلم يثبُت العامّة المجتمعة على رمضان وآنفلّوا عنه وآنهزم هو وتُكا الخُضَرى فى عدّة من المماليك إلى البريّة ، والأمراءُ فى طلبه فعاد النائب إلى السلطان ؛ فلمّا كان بعد العشاء الآخرة من ليلة الخميس أُحضِر رمضان وتُكا الخُضَرى وقد أدركوهما بعد المغرب ، ورموا تُكا بالنُّشاب ، حتى ألقوه عن فرسه وقد وقف فرس رمضان من شدّة السَّوْق فوُكّل برمضان مَن يحفظه ، وأُذن للأمراء بنزولهم إلى بيوتهم ، وطلَعوا من بكرة يوم الخميس إلى الخِدْمة على العادة ، وجلَس السلطان وطلَب مماليك رمضان ، فأُحضروا فأمر بحبسهم فحُبِسوا أياما ، ثم فرّقهم السلطان على الأمراء ، ثم خلَع السلطان على الأمراء وفرّق عليهم الأموال .

وفى يوم الآثنين سادس عشره وصل قاصدُ الأمير بَيْغَرَا المتوجّه إلى الكَرَك بمن معه من العساكر بعد ما حاربوا الملك الناصر أحمد بالكرك وقاتلوه قتالا شديدا ، وجُرِح منهم جماعة وقلّت أزوادُهم ، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصريّة . وفيه خلع السلطان على طُرُنْطاى البَشْمَقْدار بنيابة غزّة عوضا عن الأمير عَلَم الدين سَنْجَر الجَاوْلى ، وكتب بقدوم الجاولى إلى مصر . وفى يوم الثلاثاء

رابع عشرينه[1] وسّط السلطان تُكا الخُضَرى بسوق الخيل تحت القلعة ووسّط معه مملوكين من المماليك السلطانية . وفى هذا الشهر وقف السلطان الملك الصالح صاحب الترجمة ثلثى ناحية سَنْدَبِيس[2] من القليوبيّة على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى عليه الصلاة والسلام، فتمّت عِدّة خُدّام الضريح الشريف النبوى بذلك أربعين خادما . ٥

قلت لله دره فيما فعل ! وعلى هذا تحسد الملوك لا على غيره .

ثم اتّفق الأمراء مع السلطان على إخراج تجريدة ثانية لقتال الملك الناصر بالكرك، فلمّا كان عاشر شعبان خرج الأمير بيبَرْس الأحمدى والأمير كُوكاى فى ألفى فارس تجريدة للكرك، وكتب السلطان أيضا بخروج تجريدة من الشام مضافا إلى من خرج من الأمراء والعساكر من الديار المصريّة، وتوجّه الجميع ونُصبت المناجيق على الكرك وجَدُّوا فى حصارها . ١٠

وأما الملك الصالح فإنّه بعد خروج التجريدة خلَع على جمال الكُفاة بعد ما عُزل وصُودر باستقراره مشيرَ الدولة بسؤال وزير بغداد فى ذلك بعد أن أُعيد إلى الوزارة ونزلا معا [بتشاريفهما[3]] .

---

(١) فى الأصلين : « رابع عشرين شعبان » وما أثبتناه عن السلوك للقريزى وما يقتضيه السياق لأن فتنة الأمير رمضان كانت فى رجب . ١٥

(٢) من القرى المصرية القديمة ، اسمها الأصلى « دسبندس » وردت فى كتاب فتح مصر لابن عبد الحكم ضمن القرى التى نزل بها العرب فى الحوف الشرقى . وفى القرن السادس الهجرى حرف اسمها إلى سنديس فوردت به فى تحفة الإرشاد فى أسماء البلاد من أعمال الشرقية ، ثم فى التحفة السنية لابن الجيعان من أعمال القليوبية ، وهى اليوم إحدى قرى مركز قليوب بمديرية القليوبية بمصر . ٢٠

(٣) تكملة عن السلوك يقتضيها السياق .

. وفى ذى القعدة رتّب السلطان دروسا للمذاهب(1) الأربعة بالقُبة(2) المنصوريّة ووقف عليهم وعلى قُرّاء وخُدّام وغير ذلك ناحيةَ دهمشا(3) بالشرقيّة فآستمرّ ذلك وعُرف بوقف الصالح .

ثم فى يوم الأربعاء عاشر المحرّم سنة أربع وأربعين وسبعمائة قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آق سنقر السّلاري نائب السلطنة والأمير بيغرا أمير جاندار صِهر آق سُنقُر المذكور والأمير قَراجا الحاجب وأخيه أولاجا، وقُيّدوا ورَسم بحبسهم فى الإسكندرية ، وخرج الأمير بُلُك على البريد إلى المجرّدين إلى الكرك فأدركهم على السّعيدية(4)، وطيّب خواطرهم وأعلمهم بالقبض على الأمراء وعاد سريعًا؛ فقَدِم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره ، وبعد وصوله قبض السلطان على طَيبُغا الدّوادار الصغير، وكان سبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آق سُنقر كان فى نيابته لا يردّ قاصدا ولا قصّة تُرفع إليه ، فقصده الناس من الأقطار وسألوه الرِّزَق والأراضى التى أَنْهَوْا أنّها لم تكن بيد أحد، وكذلك نيابة القلاع والأعمال والرواتب و إقطاعات الحَلْقة، فلم يردّ أحدًا سأله شيئا من ذلك سواء أكان ما أنهاه صحيحا أم باطلا ، فإذا قيل له : هذا الذى سأله يحتاج أن يكشف عنه تغيّر وجهه وقال : ليش تقطع رِزْق الناس ؛ وكان إذا كَتب بالإقطاع لأحد فيحضُر صاحبه من سفره أو تَعافَى من مرضه وسأله فى إعادة إقطاعه

---

(1) فى المنهل الصافى : « رتب دروسا للقضاة الأربعة » وعلى هذه الرواية يتزن السياق مع قول المؤلف : « و وقف عليهم ... الخ » .

(2) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٣٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(3) من القرى المصرية القديمة . وردت فى التحفة السنية لآبن الجيعان بآسم دهمشا الحمام . وهى اليوم إحدى قرى مركز بلبيس بمديرية الشرقية بمصر .

(4) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

قال له : هذا أخذ إقطاعك ونحن نعوّضك، ففسدت الأحوال لا سيّما البلاد الشامية، فكتب النوّاب بذلك للسلطان ، فكلّمه السلطان فلم يرجع وقال : كلّ من طلب منى شيئا أعطيته، وما أردّ قلمى عن أحد ، بحيث إنه كان تُقدّم إليه القصّة وهو يأكل فيترك أكله ، ويكتب عليها من غير أن يعلم ما فيها ، فأغاظ له بسبب ذلك الأمير شمس الدين آق سُنْقر الناصرىّ أمير آخور، واتّفق مع ذلك أنّه وُشِىَ به أنّه مباطن مع الملك الناصر أحمد، وأنّ كُتُبه تَصل إليه فقرر أرْغُون العلائىّ مسكه مع السلطان، فأُمسك هو وحاشيته، هذا ما كان من أمره .

وفى يوم الجمعة ثانى عشر المحرم من سنة أربع وأربعين المذكورة خلع السلطان على الأمير الحاجّ آل ملك، وآستقر فى نيابة السلطنة عوضا عن آق سُنْقر السّلاّرى المذكور . ثم فى ثانى عشر صفر قدم الخبر بوفاة الأمير أَلْطُنْبُغا الماردانىّ الناصرىّ نائب حلب ، فرسم السلطان للأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوِىّ نائب حَمَاة بآستقراره فى نيابة حلب عوضه، وآستقر فى نيابة حماة الأمير طُقْتَمُر الأحمدى نائب صفد وآستقر بلك الجمدار فى نيابة صفد . وتوجه الأمير أرغون شاه بتقليد يلبغا اليحياوى وتوجه الأمير ألطنبغا البُرْناق بتقليد نائب حماة .

وفى يوم السبت خامس عشرين صفر قدم الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كُوكاى بمن معهما من المجرّدين إلى الكَرَك ، فركب الأمراء إلى لقائهم ، وآستمر الأمير أَصْلَم على حصار الكرك وهى التجريدة الثانية للكرك، وعرّفوا الأمراء السلطان أنّه لا بدّ من خروج تجريدة ثالثة سريعا تقوية لأصلم لئلا يتنفّس الناصر ويدوم الحصار عليه ، فعيّن السلطان جماعة من أعيان الأمراء وتجهّزوا وخرجوا فى يوم الآثنين رابع شهر ربيع الآخر[1]، وهم الأمير جَنْكَلى بن البابا والأمير آق سُنْقر الناصرىّ

(١) فى السلوك : « شهر ربيع الأول » .

الأمير آخور والأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانِىّ والأمير عمر بن أَرْغُون النائب فى أربعة آلاف فارس تقويةً لأصلم، وهذه التجريدة الثالثة (١) إلى الكرك، وتوجّه صحبتهم عِدّةُ حجّارين ونجّارين ونقّابين ونفْطيّة، وخرج السلطان أيضا فى يوم سفرهم إلى سِرْياقوس على العادة كالمودِّع لهم .

وفى هـــذه الأيام آشتدّ نائب السلطنة الحاجّ آل مَلَك على والى القاهرة ومصر فى بيع الخمور وغيره من المحرّمات ، وعاقبَ جماعةً كثيرة على ذلك وكان هذا دَأْب النائب من يوم أخرب خِزَانة (٢) البنود فى العام المـاضى وأراق خمورها وبناها مسجدا، وحَكّرها للنـاس فعمروها دورًا . وكان الذى يُفْعل فى خزانة البُنُود مِن المعاصى والفِسْق يُسْتَحَى من ذكره فعفّ الناس فى أيام نيابة آل ملك المذكور عن كثير من المعاصى خوفاً منه، وآستمرّ على ما هو عليه من تتبّع الفواحش والخواطئ وغير ذلك حتّى إنه نَادَى : من أحضر سكرانا واحدًا معه جَرّة خمر خلَع عليه فقعد العامّة لشَرَبَة الخمر بكلّ طريق ، وأَتَوْه مرّة بجندىّ قـد سَكِرَ فضربه وقطع خبزَه وخَلَع على من قَبَض عليه، ووقع له أمور مع بيعة الخمر يطول الشرح فى ذكرها .

وكان يجلس فى شُبّاك النيابة طول النهار لا يَمَلّ من الحُكْم ولا يسأَم ، وتروح أصحابُ الوظائف ولا يبقى عنده إلّا النقباء البطّالة حتى لا يفوته أحد، وصار له مهابةٌ

(١) فى السلوك : « وهى التجريدة الرابعة » .

(٢) خزانة البنود وهى الرايات والأعلام ، ذكرها المقريزى فى خططه فقال : إنه كان بهـا ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع أى أنها كانت قائمة على مساحة واسعة من الأرض ، كما يدل عليها حدودها المذكورة فى الحاشية الخاصـة بها . وغير معقول أن يقام على هذه المساحة الكبيرة مسجد واحد . ولعل المقصود أن الحاج آل ملك أقام المسجد الذى أشار إليه المؤلف فى مكان الحانة التى كانت تباع فيها الخمور بخط خزانة البنود لتطهير تلك البقعة .

وبالبحث عن مكان المسجد المذكور فى منطقة خزانة البنود تبين لى أنه آندثر وليس له أثر اليوم بين مبانى تلك المنطقة . هذا مع العلم بأن هذا المسجد الذى أنشأه آل ملك فى سنة ٧٤٣ هـ هو غير المدرسة الملكية التى أنشأها الحاج آل ملك الجوكندار المذكور فى سنة ٧١٩ هـ تجاه داره التى كانت بخط المشهد الحسينى ، فإن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع أمّ الغلام بالقرب من جامع سيدنا الحسين بالقاهرة ، وكان له جامع آخر خارج باب النصر وقد آندثر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

عظيمة وحُرْمةٌ كَفّت الناس عن أشياء كثيرة حتى أعيان الأمراء، حتى قال فيه بعضُ شعراء عصره :

ال مَلِك الحجّ غدا سَعْدُه * يملأُ ظهرَ الأرض مهما سَلَكْ

فالأمرا من دونه سُوقةٌ * والمَلِك الظاهر هو المَلَكْ

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر جُمادَى الأولى[1] قَدِم الأمير أَصْلَم و[أبو بكر][2] بن أَرْغُون النائب وأُرُنْبُغَا من تجريدة الكَرَك بغير إذن واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات فى أصحابهم وقلّة الزاد عندهم، فقَبِل السلطان عُذْرَهم، ورَسَم بسفر طُقْتَمُر الصلاحىّ وتَمُر الموساوىّ فى عشرين مقدَّما من الحَلْقة وألفى فارس نجدةً لمن بَقِىَ من الأمراء على حصار الكرك فساروا فى سَلْخه، وهذه التجريدة الرابعة بل الخامسة، فإنّه تكرر رواح الأمراء فى تلك التجريدة مرّتين .

ثم بعد مدّة رَسَم السلطان بتجهيز الأمير علم الدين سَنْجر الجاولىّ والأمير أَرُقْطَاى والأمير قُمارِى الأستادار وعشرين أمير طبلخاناه وثلاثين مقدّم حلقة فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال فى ألفَىْ فارس إلى الكرك وهى التجريدة السادسة وتوجّه معهم أيضا عِدّةُ حَجّارين ونقّابين ونفْطية وغير ذلك .

وفى مستهلّ شهر رمضان[3] فَرَغت عمارة السلطان الملك الصالح إسماعيل صاحب الترجمة من القاعة التى أنشأها المعروفة الآن بالدهيشة[4] الملاصقة للدور السلطانية المُطِلّة على الحوش وفُرِشَت بأنواع البُسُط والمقاعد الزَّرْكَش .

(١) كذا فى الأصلين . وفى السلوك للقريزى : « وفى يوم الأحد سابع عشرين جمادى الأولى قدم الأمير أصلم ... الخ » . (٢) التكملة من السلوك .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك للقريزى . ومن الحاشية التالية يتضح أن هذا الخبر سابق لأوانه، وقد جرت عادة المؤلف أن ينقل عن السلوك للقريزى وقد ورد فيه ذكر شهر رمضان بعد شهر شوّال سنة ٧٤٤ هـ

(٤) هى قاعة كبيرة مرتفعة البناء، تدهش كل من نظر إليها بفخم بنائها وحسن زخرفها وجمال فراشها الفاخر، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن الدهيشة عمرها الملك الصالح عماد الدين =

قلت : هى الآن مجاز لأوباش الرعيّة لمن له حاجة عند السلطان من التركمان والأعراب والأوغاد والأتباع . ولله درّ القائل :

وإذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وجلس السلطان الملك الصالح فيها، وبين يديه جواريه وخدمه وحرمه، وأكثر السلطان فى ذلك اليوم من الخلع والعطاء، وكان السلطان قد اختصّ ببيبغا الصالحى وأمّره وخوّله فى النّعم وزوّجه بابنة الأمير أرغون العلائى مدبّر مملكة السلطان وزوج أمّه، والبنت المذكورة أخت السلطان لأمّه، وكثر فى هذه الأيام استيلاء الجوارى والخدّام على الدولة وعارضوا النائب فى أمور كثيرة حتّى صار النائب يقول لمن يسأله شيئا : روح إلى الطواشى فلان فينقضى شغلك . واستمرّ السلطان يكثر من الجلوس فى الدهيشة بأبّهة عظيمة إلى الغاية .

ثم رسم السلطان بإحضار المجرّدين إلى الكرك وعيّن عوضهم تجريدة أخرى إلى الكرك وهى التجريدة السابعة، فيها الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى وعشرون أمير طبلخاناه وستة عشر أمير عشرة، وكتب بخروج عسكر أيضا من دمشق ومعهم المنجنيق والزّحّافات، وحمل إلى الأحمدى مبلغ ألفى دينار، وكذلك[1]

ــ إسماعيل بن محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٥ هـ بإشراف أبجيج المهندس، وجلب لبنائها من دمشق وحلب أربعة آلاف قطعة من الحجر الأبيض والأحمر نقلت على ظهور الجمال حتى وصلت إلى قلعة الجبل، ونقل إليها الرخام من بيوت الأمراء والكتّاب حتى تمت فى شهر رمضان من تلك السنة، وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجل وصفه .

ويلاحظ أن المؤلف ذكر أنشاء عمارة هذه الدهيشة فى مستهل رمضان سنة ٧٤٤ هـ، والأرجح أنها تمت فى الشهر المذكور من سنة ٧٤٥ هـ كما ذكر المقريزى .

وبما أن الدهيشة المذكورة كانت ملاصقة للدور السلطانية من جهة ومطلة على الحوش من أخرى فبالبحث عن مكانها تبين أنها اندثرت وكانت تقع فى الجهة الشرقية القبلية من جامع محمد على بالقلعة بالقاهرة .

(١) فى السلوك : « ولكوكاى ألف دينار » .

لكُوكاي ، ولكلّ أمير طبلخاناه خمسمائة دينار[1] ، ولكلّ أمير عشرة مائتي دينار ،
وأرسل أيضا مع الأحمدى أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك
طائعا ، وجهّز معه تشاريف كثيرة ، وعُيِّنت لهم الإقامات ، وكان الوقت شتاء
فقاسوا من الأمطار مشقّات كثيرة ، وأقاموا نحو شهرين وخرّج معهم ستة آلاف
رأس من البقر ومائتى رأس جاموس ونحو ألفى راجل فآستعدّ لهم الملك الناصر ، ٥
وجمع الرجال وأنفق فيهم مالا كثيرا ، وفرّق فيهم الأسلحة المُرْصَدة بقلعة الكرك ،
وركّب المَنْجنيق الذى بها ، ووقع بينهم القتال والحصار إلى ما سيأتى ذكره .

ثم رسم السلطان بالقبض على الأمير آقُبغا عبد الواحد فقُبِض عليه بدمشق
في عدّة من أمرائها وسُجِنوا بها لميلهم للملك الناصر أحمد ، وآشتدّ الحصار على الملك
الناصر بالكرك وضاقت عليه هو ومن معه لقلّة القوت ، وتخلّى عنه أهلُ الكرك ، ١٠
وضجروا من طول الحصار ، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه ، فحُمِلت إليهم الخلع
ومبلغ ثمانين ألف درهم . هذا وقد آستهمّ السلطان فى أوّل سنة خمس وأربعين
وسبعمائة بتجريدة ثامنة إلى الكرك ، وعيّن فيها الأمير مَنْكلى بُغَا الفخرى والأمير قُمارى
والأمير طَشْتَمُر طَلَلَيه ، ولم يجد السلطان فى بيت المال ما يُنفقه عليهم فأخذ مالاً
من تُجّار العجم ومن بنت الأمير بَكْتَمُر الساقى على سبيل القَرْض وأنفق فيهم ، وخرج ١٥
المجرّدون فى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهؤلاء
نجدة لمن توجّه قبلهم خوفًا أن يَمَلّ من كان توجّه من القتال ، فيجد الناصر فرجًا
بعودهم عنه ، وقُطِعت المِيرة عن الملك الناصر ، ونفِدت أموالُه من كثرة نفقاته
فوقع الطمع فيه وأخذ بالغٌ ، وكان أجلّ ثقاته فى العمل عليه وكاتب الأمراء ووعدهم
بأنّه يُسلِّم إليهم الكرك وسأل الأمان فكُتِب اليه من السلطان أمانٌ وقدم إلى القاهرة ٢٠

(١) فى السلوك : « أربعمائة دينار » .

ومعه مسعود وآبن أبي الليث[1] وهما أعيان مشايخ الكرك فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضي، وكان من جملة ما طلبه بالغ وحده [نحو][2] أربعمائة وخمسين ألف درهم في السنة، وكذلك أصحابه .

ثم ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون فلم يكن غير ساعة حتى آنهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخل العسكر أفواجا وآستوطنوها، وجدّوا في قتال أهل القلعة عدّة أيام، والناس تنزل إليهم منها شيئا بعد شيء حتى لم يبق عند الملك الناصر أحمد بقلعة الكرك سوى عشرة أنفس فأقام يرمي بهم على العسكر وهو يجدّ في القتال ويرمي بنفسه وكان قوي الرمي شجاعا إلى أن جرح في ثلاثة مواضع وتمكنت النقابة من البرج وعلقوه وأضرموا النار تحته، حتى وقع . وكان الأمير سنجر الجاولي قد بالغ أشدّ مبالغة في الحصار وبذل فيه مالا كثيرا .

ثم هجم العسكر على القلعة في يوم الاثنين ثاني عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة فوجدوا الناصر قد خرج من موضع وعليه زردية وقد تنكب قوسه وشهر سيفه فوقفوا ، وسلموا عليه فردّ عليهم وهو متجهم[3] وفي وجهه جرح، وكتفه أيضا يسيل دما ، فتقدّم إليه الأمير أرقطاي والأمير قماري في آخرين ، وأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به وأجلسوه، وطيبوا قلبه وهو ساكت لا يجيبهم ، فقيدوه ووكلوا به جماعة ، ورتبوا له طعاما ، فأقام يومه وليلته ، ومن باكر الغد يقدّم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئا إلى أن سألوه أن يأكل فأبى أن يأكل ، حتى يأتوه بشابّ يقال له : عثمان ، كان يهواه فأتوه به فأكل .

(١) في السلوك : «ومعه مسعود بن أبي الليث» .
(٢) زيادة عن السلوك يقتضيها السياق .
(٣) في الأصلين : « متحمم » . وما أثبتناه عن السلوك . والمتجهم من تجهمه إذا آستقبله بوجه كريه .

عند ذلك ، وخرج الأمير آبن بَيْبُغَا حارس طَيْر بالبشارة إلى السلطان الملك الصالح وعلى يده كُتُب الأمراء فقَدِم قلعة الجبل في يوم السبت سابع من عشرين(١) صفر، فدقّت البشائر سبعة أيام . وأخرج السلطان مَنْجَك اليُوسُفِيّ الناصريّ السلاح دار ليلًا من القاهرة على البُخْت لقتل الملك الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء في ذلك، فوصل إلى الكرك وأدخل عليه من أخرج الشاب من عنده، ثم خنقه ٥ في ليلة رابع شهر ربيع الأول، وقطع رأسه وسار من ليلته ولم يُعلِم الأمراء ولا العسكر بشيء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قَطَع مَنْجَك مسافة بعيدة، وقَدِم بعد ثلاثة أيام قلعة الجبل ليلا، وقدَّم الرأس بين يدى السلطان، وكان ضخما مهولا، له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته وبات مرجوفا ، وطلب الأمير قُبْلَاى الحاجب ، ورَسَم له أن يتوجّه لحفظ الكَرَك إلى أن يأتيه نائب لها ، وكتب السلطان بعود ١٠ الأمراء والعساكر المجرّدين إلى الكرك ، فكانت مدّة حصار الملك الناصر بالكرك سنتين وشهرا وثلاثة أيام(٢) . ثم قَدِم الأمراء المجرّدون إلى الكرك فخلَع السلطان على الجميع وشكرهم وأكثر من الثناء عليهم . ثم خلع على الأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوَانيّ باستقراره في نيابة الكرك على ما كان عليه قديما ، وجهّز معه عدّة صناع لعمارة ما تهدّم من قلعة الكرك وإعادة البُرج على ما كان عليه، ورَسَم بأن يَخْرُجَ مائة مملوك ١٥ معه من مماليك قَوْصُون وبَشْتَك الذين كان الملك الناصر قد أسكنهم بالقلعة، ورتَّب لهم الرواتب ويخرُج منهم مائتان إلى دِمَشق وحماة وحِمْص وطرابُلُس وصَفَد وحلب فأُخرِجوا جميعا في يوم واحد، ونساؤُهم وأولادُهم في بكاء وعويل، وسخّروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها .

---

(١) في الأصلين : «ثامن عشرين صفر» . وما أثبتناه عن التوفيقات الإلهامية وما يقتضيه السياق . ٢٠
(٢) في السلوك : «وثمانية أيام» .

ثم وقعت الوحشــة بين الأمير أرْغُون العــلائى والأمــير ملَكْتَمُر الحجــازى
و بين الحاج آل ملك نائب السلطنة وصار الحجازى والعلائى معا على آل ملك النائب،
ووقع بين آل ملك والحجازى أمور يطـول شرحها، وكان الحجازى مُولَعا بالخمر
وآل الملك يَنْهَى عن شُربها، فكان كلّما ظفر بأحد من حواشى الحجازى مثّل به فتقوم
٥ قيامةُ الحجازىّ لذلك، وتفاوضا غيرَ مرّة بسبب هـذا فى مجلس السلطان، وأَرْغُون
العلائى يَميل مع الحجازى لِمـا فى نفسه من آل ملك وداما على ذلك مدّة.

وأما السلطان فإنه بعد مدّة نزل إلى سرْياقوس بتجمُّل زائد على العادة فى كل
سنة. ثم عاد إلى القلعة بعد أيام، فورد عليه قُصّاد صاحب الروم وقُصّاد صاحب
الغرب. ثم بدا للسلطان الحجّ فتهيّأ لذلك وأرسل يطلب العُرْبان وأعطاهم الأموال
١٠ بسبب كِرَاء الجمال، فتغيّر مزاجُه فى مستهلّ شهر ربيع الأول ولزِم الفراش ولم يخرج
إلى الخدمة أياما، وكثرت القالة بسبب ضعفه، وتحسّنت الأسعار. ثم أُرجِف
بموت السلطان فى بعض الأيام، فأُغلقت الأسـواق حتى ركب الوالى والمحتسب
وضربوا جماعة وشهّروهم، ثم آجتمعوا الأمراء ودخلوا على السلطان وتلطّفوا به حتّى
أبطل حركة الحجّ، وكتب بعَوْد طُقْتَمُر من الشام، وآستعادة الأموال من العُرْبان،
١٥ وما زال السلطان يتعلّل إلى أن تحرك أخوه شعبان وآتفق مع عدّة مماليك وقد آنقطع
خبرُ السلطان عن الأمراء، وكَتَب السلطان بالإفراج عن المسجونين من الأمراء
وغيرهم بالأعمال، وفُرِّقت صدقات كثيرة، ورُتِّبت جماعة لقراءة «صحيح البخارى»
فقَوِى أمرُ شعبان، وعزَم أن يقبِض على النائب فآحترز النائب منـه، وأخذ أكابر
الأمراء فى توزيع أموالهم وحُرَمهم فى الأماكن، ودخلوا على السلطان وسألوه أن
٢٠ يَعْهَــد لأحد من إخوته، فطلب النائبَ وبقيّةَ الأمراء فلم يحضُر إليه أحد منهم،
وقد آتفق الأمير أَرْغُون العلائى مع جماعة على إقامة شـعبان فى الملك، وفرّق فيهم

مالا كبيرا ، فإنه كان أيضا ابن زوجته بشقيق الملك الصالح إسماعيل لأبيه وأمه ،
وأقام مع أَرْغُون غُرْلُو وتَمُرْ الموساوى وامتنع النائب من إقامته وصاروا حزبين ،
فقام النائب آل مَلَك فى الإنكار على سلطنة شعبان ، وقد اجتمع مع الأمراء
بباب القلّة وقبض على غُرْلُو وسجنه وتحالف هو وأرغون العلائى وبقية الأمراء
على عمل مصالح المسلمين .

٥

ومات السلطان الملك الصالح إسماعيل فى ليلة الخميس[1] رابع شهر ربيع الآخر
سنة ست وأربعين وسبعمائة ، وقد بلغ من العمر نحو عشرين سنة ، فكُتِمَ موتُه ،
وقام شعبان إلى أمّه ومَنع من إشاعة موت أخيه ، وخرج إلى أصحابه وقرّر معهم
أمره ، فخرج طَشْتَمُر ورَسْلان بَصَل إلى مَنْكَلى بُغَا ليستعطفوا الأمير أَرُقْطَاى والأمير
أَصْلَم ، وكان النائب والأمراء علموا من العصر أن السلطان فى النزع واتفقوا على
النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة ، فدخل الجماعة على أرقطاى ليستميلوه لشعبان
فوعدهم بذلك ، ثم دخلوا على أصلم فأجابهم وعادوا إلى شعبان ، وقد ظنوا أن أمرهم
تمّ ، فلما أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أَرْغُون العلائى والأمير سَلْكْتَمُر الحجازى وتَمُر
الموساوى وطَشْتَمُر طَلَليه ومَنْكَلى بُغا الفخرى وأَسَنْدمر وجلسوا بباب القُلّة فأتاهم
الأمير أرقطاى والأمير أصلم والوزير نجم الدين محمود والأمير قُمارى الأستادار وطلبوا
النائب فلم يحضر إليهم ، فمضوا كلُّهم إلى عنده واستدعوا الأمير جَنْكَلى بن البابا
واشتوروا فيمن يولوه السلطنة فأشار جنكلى أن يرسل إلى المماليك السلطانية ويسألهم
من يختاروه فإنّ مَنْ اختاروه رضيناه سلطانا ، فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم
رضوا بشعبان سلطانا ، فقاموا جميعا ومعهم النائب إلى داخل باب القُلّة ؛ وكان

١٠

١٥

(١) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى المنهل الصافى : «وتوفى فى العشرين من ربيع الأوّل سنة
ست وأربعين وسبعمائة » . وفى ابن إياس : «مات يوم الخميس حادى عشرى ربيع الأوّل سنة ست
وأربعين وسبعمائة » .

٢٠

شـعبان تخيّل من دخولهم عليه وجَمع المماليك وقال : مَنْ دخل علىّ وجلس على الكُرسىّ قتلته بسيفى هـذا ! وأنا أجلس على الكرسى حتى أبصُرَ من يُقيمنى عنه . فسيّر أرغون العلائى [إليه] (١) وبشّره وطيّب خاطرَه، وَدخل الأمراءُ إليه وسلطنوه ولُقِّب بالملك الكامل سيف الدين شـعبان حسب ما يأتى ذكره فى أوّل ترجمته .

٥ ولنرجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وكان الملك الصالح سلطانًا ساكنًا عاقلا قليل الشرّ كثير الخير، هيّنا ليّنا بشُوشًا، وكان شكلا حسنا حُلْو الوجه أبيض بصُفْرة وعلى خدّه شامةٌ . ولم يكن فى أولاد الملك الناصر خيرا منه . رتّب دروسا بمدرسة جدّه المنصور قلاوون . وجدّد جماعة من الخُدّام بالحَرَم النّبوىّ، حسب ما ذكرناه فى وقته . وله مآثرُ كثيرة بمكّة وآسمه

١٠ مكتوب على رِباط السِّدْرة (٢) بحَرَم مكّة، ولم يزل مثابراً على فعل الخـير حتّى تُوُفّى .

ولمـا مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدىّ بقوله :

مَضَى الصالحُ المرجُوُّ للبأس والنّدى * ومَن لم يَزَل يَلْقَى المُنَى بالمنائح (٣)

فيامُلْك مصرَ كيفَ حالُك بعـده * إذا نحن أثنينا عليك بصـالح

وكان الملك الصالح محبّبًا للرعية على مشقّة كانت فى أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال

١٥ أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك وكانت السُّبُل مُخيفة، وشغف مع ذلك بالجوارى السُّود، وأفرط فى محبة إتّفاق (٤) العوّادة وفى العطاء لهـا، وقرّب أرباب الملاهى، وأعرض

---

(١) تكملة عن السلوك . (٢) بمكة ربط موقوفة على الفقراء، منها الرباط المعروف برباط السدرة بالجانب الشرق من المسجد الحرام على يسار الداخل الى المسجد الحرام من باب بنى شيبة، لا أدرى من وقفه ولا متى وقف إلا أنه كان موقوفا قبل سنة أربعمائة . وموضعه هو دار القوارير التى بنيت فى زمن

٢٠ الرشيد، على ما ذكره الأزرقى . انظر كتاب تواريخ مكة (ج ٢ ص ١٠٨ طبع أوربا) فى الجزء المنقول من شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . (٣) جمع منيحة ، وهى العطية .

(٤) ذكرها صاحب الدرر الكامنة ترجمة طويلة فقال : « إتفاق المولّدة الجنس ، نشأت عند ضامنة المغانى ببلبيس ، ثم آنتقلت إلى ضامنة المغانى بمصر ، فعلمتها عند على العجمىّ ضرب العود ، فقدمتها الضامنة لبيت الناصر فحظيت عنـد الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ... الخ» .

عن تدبير المُلْك بإقباله على النساء والمُطْربين ، حتى كان إذا ركب إلى سَرْحة سرياقوس أو سَرْحة الأهرام رَكِبتْ أُمُّــه في مائتى آمرأة الأكاديش بثياب الأطلس الملوّن[1] وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البُرْغالى[2] المرصّعة بالجوهر واللآلئ وبين أيديهن الخُدّام الطواشيّة من القلعة إلى السَّرْحة . ثم تَرْكبُ حظاياه الخيولَ العربيّــة و يتسابَقْنَ ويركَبْنَ تارةً بالكامليّات الحرير و يَلْعَبْنَ بالكُرَة، وكانت لهنّ في المواسم والأعياد وأوقات النُّزْهة أمورٌ من هــذا النَّمُوذَج. وآستولى الخُدّام والطواشيّة في أيامــه على أحوال الدولة، وعَظُم أمرُهم بتحكّم كبيرهم عَنْبَر السَّحَرْتى لالاة[3] السلطان ، وآقتنى عَنْبَر الســحرتى البُزَاة والسناقر، وصار يركب إلى المَطْعَم[4] و يتصــيّد بثياب الحــرير المُزَرْكَشَة ، وآتَّخــذ له كَفًّا للصــيد مُرَصَّعا بالجوهر . وعَمِل له خاصكيّة وخُدّاما ومماليك تركب في خدمته ، حتى ثَقُــل أمرُه على أكابر أمراء الدولة ، فإنه أكثر من شراء الأملاك والتجارة في البضائع، كلُّ ذلك لكونه لالا السلطان . وأفرد له ميدانا[5] يلعب فيــه بالكرة ، وتَصدَّى لقضاء الأشــغال وقصده النــاس فصارت الإقطاعات والرِّزَق والوظائف لا تُقْضَى إلا بالخُدّام والنساء .

وكان متحصّل الدولة في أيام الملك الصالح قليــلا ومصروفُ العمارة كثــيرا . وكان مُغْرمًا بالجلوس بقاعة الدهيشة ، لاسيّما لمّــا وَلَدت منه إتّفاق العــوّادة ولدا ذكرا ، عَمِل لها فيه مُهِمًّا بلغ الغاية التي لا توصف، ومع هذا كانت حياته منغّصة وعيشته منكّدة لم يتمّ سرورُه بالدهيشة سوى ساعة واحدة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠ من هذا الجزء . (٣) اللالا : كلمة فارسية معناها : المربى الأوّل . وفي بعض المصادر تأتى بالتاء المربوطة وفي بعضها بدون تاء .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) أطلنا البحث عن هذا الميدان فلم نهتد إليه في مظانه .

ثم قـدم عليه مَنْجَك السلاح دار برأس أخيه الملك الناصر أحمد من الكَرَك ، فلمّا قدم بين يديه ورآه بعد غسله ٱهتزّ وتغيّر لونُه وذُعِر، حتّى إنه بات تلك الليلة يراه فى نومه ويفْزع فزعًا شديدا، وتعلّل من رؤيته، وما بَرِح يعتريه الأَرَق ورؤية الأحلام المُزْعِجة ، وتمـادَى مرضُـه وكثر إرجافه، حتى ٱعتراه القُولَنْج ، وقـوِى عليه حتّى مات منه فى يوم الخميس المذكور[1]، ودُفِن عند أبيه وجدّه الملك المنصور قلاوون بالقُبّة المنصورية فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر[2]، فكانت مدّة ملكه بالديار المصرية ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوما . وقال الصـفدى : ثلاث سنين وشهرا وثمانية عشر يوما . وتسلطن من بعده أخوه شقيقه شعبان ولُقِّب بالكامل . وعُمِل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أياما كثيرة، ودارت الجوارى بالملاهى يضربْن بالدفوف، والمخدّرات حواسر يَبْكِين ويَلْطُمْنَ، وكَثُر حُزن الناس عليه ووجدوا عليه وجدًا عظيما .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر، وهى سـنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

فيهـا تُوُفِّىَ الشـيخ الإمام بُرْهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمـد السَّفَاقُسِىّ[3] المـالكىّ فى ذى الحجّة . وكان إماما فقيهـا بارعا أفتى ودرّس سنين، وله مصنّفات مفيدة، منها : « إعراب القرآن[4] » « وشرح ٱبن الحاجب فى الفقه » وغير ذلك . وكان معدودا من علماء المـالكية .

---

(١) تقدم قبل ذلك بقليل أنه توفى ليلة الخميس . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) فى الدرر الكامنة أنه توفى سنة ٧٤٢ هـ . (٤) ويسمى « المجيد فى إعراب القرآن المجيد » . توجد منـه نسختان مخطوطتان محفوظتان بدار الكتب المصرية والجزء الأوّل من نسخة أخرى تحت أرقام : [٢٢٢، ٦١٣، ٧٣٦] . (فهرس التفسير) .

وتوفى الأمير سيف الدين أُرُنْبُغَا(١) بن عبد الله الناصرى ناظر طرابلس بها . وكان من أجلّ أمراء الدولة ومن أعيان مماليك الناصر محمد وخاصكيّته وتنقل فى عدّة ولايات . وكان معدودا من الشُّجْعان .

وتوفى الأمير الكبير علاء الدين أَيْدُغْمُش بن عبد الله الناصرى الأمير آخور، ثم نائب حلب ثم نائب الشام بخأة فى بكرة يوم الأربعاء رابع(٢) جُمادَى الآخرة ، ودُفِن فى آخر مَيْـدَان الحصى فى تربة عُمِّرَت له هنالك . وكانت مدّة نيابته بحلب والشام نصف سنة ، وكانت مَوْتَتُه غريبة وهو أنه رَكِبَ فى بُكْرَة ثالث جُمادَى الآخرة وخرج ظاهر دِمَشْق وأطعم طيور الصيد وعاد إلى دار(٣) السعادة وقُرِئَتْ عليه قِصَصٌ يسيرة، ثم أكل السِّماط . ثم عَرَض طُلْبَه والمضافين إليه، وقدّم جماعةً وأخّر جماعة ثم دخل إليه ديوانه وقرأ عليه مخازيم(٤) وحسابَ ومصروف ديوانه . ثم قال أيدغمش : هؤلاء الذين تزوّجوا من مماليكى اقطعوا مرتّبهم . ثم أكل الطّارى(٥) ، وقعد هو وابن جمّاز يتحدّثان فَسَمِع حسَّ جماعة من جواريه يتخاصَمْنَ ، فقام وأخذ عصاه ودخل إليهن وضرب واحدة منهن ضربتين وسقط ميتا لم يتنفّس ، فتحيّر الناس فى أمره فأمهلوه إلى بكرة يوم الأربعاء فلم يتحرك ، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه .

(١) ضبط فى المنهل الصافى بالقلم : (بضم الألف والراء) . (٢) فى الدرر الكامنة أنه توفى يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) المخازيم ، يقصد بها هنا سجل القيد اليومى . وكانت هذه الوظيفة من اختصاص الصيارفة والجهابذة كتبة استخراج المال وقبضه (انظر قوانين الدواوين لابن مماتى طبعة الجمعية الزراعية ص ٣٠٤ وصبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦) .

(٥) ذكره المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ٢١٠) تحت عنوان : « الأسمطة السلطانية » فقال : « وكانت العادة أن يمدّ بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل ما هم ، فبكرة يمدّ سماط أول لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل . ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه مأكول السلطان » .

وكان أصــل أَيْدُغْمُش هــذا من ممــاليك الأمير بَلَبَان الطَّبّاخى، ثم ٱتّصل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعله من جملة خاصكيّته. ثم رقّاه حتى جعله أمير آخور كبير بعد بيبرس الحاجب فدام فى وظيفة الأمير آخورية نحو عشرين سنة . وقــد ٱستوعبنا من حاله مع قَوْصُون وغيره قطعة جيدة فى ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره . وكان أميرا جليلا عاقلا مُهابا شجاعا مدبِّرا مِقداما كريمــا[1]، قلّ من دخلَ إليه للسلام إلا وأعطاه شيئا . وكان مكينا عند أستاذه الملك الناصر، على أنه أنعم على أولاده الثلاثة بإمرة، وهم أمير حاج ملك وأمير أحمد وأمير على . وكان أيدغمش يميل إلى فعل الخير، وله مآثرُ حميدة . وهو صاحب الحمّام[2] والخوخة خارج بابى زويلة . رحمه الله .

وتُوُفّى الأمير ركن الدين بيبَرْس بن عبد الله الناصرىّ الحاجب بدِمَشْق فى شهر رجب وهو أيضا من المماليك الناصرية، رقّاه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أمير مائة ومقدّم ألف . ثم ولّاه أمير آخور مدّة سنين . ثم عزلَه بالأمير أَيْدُغْمُش المقدّم ذكره، وولّاه الحجوبيّة ثم جرّده إلى اليمن فبلغه عنه أنه أخذ بِرطِيل[3]

(١) فى أحد الأصلين « كبيرا » .

(٢) حمام أيدغمش، هو بذاته حمام الدرب الأحمر الآن الواقع فى شارع الدرب الأحمر على رأس حارة الروم . وخوخة أيدغمش هى بذاتها باب حارة الروم المذكورة، وكانت هذه الخوخة بلصق الحمام وهى فى حكم أبواب القاهرة، يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند إغلاق الأبواب فى الليل أو حين الفتن . راجع خطط المقريزى (ج ٢ ص ١٤٥) وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٣٢) . (٣) عرف المقريزى هــذا النوع من الضرائب فى خططه (ج ١ ص ١١١) فى الكلام على ذكر أقسام مال مصر فقال : « وأما البراطيل، وهى الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها... الخ » . وفى هامش ص ٦٨ من كتاب المعــرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم لأبى منصور الجواليــقى موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر المتوفى ســنة ٥٤٠ هـ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية فى الكلام على «البرطيل» أنه هو الذى تستعمله العامة فى معنى الرشوة، ولا يعرف فى الكلام القديم والبرطيل فى كلام العرب حجر مستطيل، فقول العامة «برطيل» يجوز أن يكون مأخوذا من هذا اللفظ، يريدون أن الرشوة حجر قد رمى به من يخاصمه .

صاحب اليمن وتراخى فى أمر السلطان، فلمّا عاد قبَض عليه وحبَسه تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أُفْرج عنه فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وأخرجه إلى حلب أميرا بها . ثم نُقل إلى إمرة بدمَشق ، فما زال بها حتّى مات فى التاريخ المذكور . وكان له ثروة كبيرة وأملاك كثيرة وله دار[1] عند باب الزُّهومة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قُمارى بن عبدالله الناصرى أمير شِكار فى يوم الأحد خامس جُمادَى الأولى[2] . وكان خَصيصًا عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهوأحد من زوّجه الملك الناصر بإحدى بناته، بعد ما أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وجعله أمير شِكار .

وتُوُفّى سيف الدين طَشْتَمُر بن عبد الله الساقى الناصرى المعروف بحمص أخضر مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكَرَك ، وكان أيضا أحدَ مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخواصّه ، رقّاه وأمّره وولّاه نيابة صَفَد وهو الذى توجّه من

(١) قال المقريزى فى خططه (ص ٤٩ ج ٢) عند الكلام على الرحاب : « رحبة بيبرس الحاجب بخط حارة العدوية من خط باب سر المارستان ، عرفت بالأمير بيبرس الحاجب لأن داره بها . وقال المرحوم على باشا مبارك فى خططه (ج ٢ ص ٢١) : « وهذه الدار باقية على أصلها تجاه من يسلك من باب المارستان المنصورى طالبا سوق الصيارفة أو المقاصيص ، لأنها فاصلة بين السوقين . ويوجد بهذه الدار اليوم مقعد عظيم جدا وقاعة أرضية كبيرة ، وهى متشعثة متخربة ، يسكنها من يسبك النحاس من صناع الأهوان والحنفيات وصنج الموازين وغير ذلك . وقال على باشا : ويقال إن دار الشيخ الجوهرى التى بدرب شمس الدولة من حقوقها ، واشتهرت دار بيبرس فى زماننا هذا بأسم دار المراجينى ، وهو إسرائيلى سكنها مدّة طويلة . ثم لما دخلت فى وقف الملا عرفت بدار الملا فهى الآن تعرف بدار الملا بقسم الجمالية بالقاهرة .

وأقول : إن القاعة الأرضية هى الباقية من إنشاء بيبرس الحاجب ، كما تدل بقاياها المعمارية . أما المقعد فهو من إنشاء الأمير محمد بن طوران سنة ١٠٦٥ هـ كما هو مكتوب على إزار سقفه .

(٢) فى المنهل الصافى : «جمادى الآخرة» . وفى السلوك : «يوم الأثنين خامس جمادى الأولى» . وفى الدرر : « مات فى أواخر سنة خمس وأربعين أو أوائل سنة ٧٤٦ هـ » .

صفد وقَبَض على تَنْكِز نائب الشام حسب ما تقدّم ذكره . ثم نقلَه إلى نيابة
حلب عوضا عن طُوغَان الناصرى فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فدام
بحلب حتى خرَج منها إلى الروم ، وقد مرّ ذكرُ ذلك كلّه إلى أن قَدِم الديار
المصرية صحبةَ الأمراء الشاميّين ، وولّاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة . ثم
٥ قَبض عليه بعد أن باشر النيابة خمسة وثلاثين يوما وأخرجه معه إلى الكَرَك ، فقتله
هناك وقتَل الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى الآتى ذكرُه . ولمّا قُتِل طَشْتَمُر قال فيه الصلاح
الصفدى :

طَوَى الرَّدَى طَشْتَمُرًا بعد ما * بالَغ فى دَفْع الأذى وٱحترَسْ
عَهْدِى به كان شديدَ القُوَى * أشجعَ من يركبُ ظهرَ الفَرَسْ
١٠ ألم يقولوا حُمُّصًا أخضَرًا * فٱعجبْ له يا صاح كيف ٱندَرَسْ

قلت : وهو صاحب الدار العظيمة والربع الذى بجانبها بحِدْرة البقر(١) خارج
القاهرة والجامع بالصحراء والمئذنة الخَـلَزُون(٢) والجامعين بالزريبة(٣) والربع الذى
بالحَرِيريِين(٤) داخل القاهرة . وكان شجاعا كريما كثيرَ الإنعام والصدقات .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
١٥ (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٣) يقصد بالزريبة زريبة قوصون التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وبما أن زريبة قوصون قد زالت ولم يكن لها أثر اليوم فقد زال جامعا طشتمر حمص أخضر تبعا لذلك .
(٤) كان ربع طشتمر الذى بسوق الحريريين يعلو قيساريته فيها . وقد خرب الربع و بيعت أنقاضه
٢٠ فى حوادث سنة ٨٠٦ هـ . وكانت القيسارية بسوق الحريريين ، أنشأها الأمير طشتمر فى أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة ، وكان سوق الحريريين الشرابيين بشارع المعز لدين الله (الأشرفية) عند مدرسة الأشرف برسباى . راجع الخطط المقريزية (ج ٢ ص ٩١) . وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٢١) . والحاشية رقم ٥ ص ٦٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفّى الأمير سليمان بن مُهَنّا[1] بن عيسى بن مهنا ملك العرب وأمير آل فضل بظاهر سَلَمْية[2]، وكان من أجلّ ملوك العرب .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين طَيْنَال بن عبد الله الناصرىّ نائب غَزة ونائب صَفَد ثم نائب طرابُلُس، ومات وهو على نيابة صفد في يوم الجمعة رابع شهر ربيع الأول. وكان من أعيان الأمراء الناصريّة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قُطْلُوبُغا بن عبد الله الفخرىّ الساقى الناصرىّ نائب الشام، مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكَرَك، وكان من أكابر مماليك الناصر محمد بن قلاوون من طبقة أرْغُون الدَّوَادار . قال الصفدىّ : لم يكن لأحد من الخاصكِيّة ولا غيرهم إدْلاَلُه على الملك الناصر محمد ولا من يُكَلِّمه بكلامه ، وكان يُفحِش في كلامه له ويردّ عليه الأجوبة الحادّة المُرّة وهو يحتمله ، ولم يزل عند السلطان أثيرًا إلى أن أمسكه في نَوْبة إخراج أَرْغُون إلى حلب ثانيا ، فلمّا دخل تَنْكِز عقيب ذلك إلى القاهرة أخرجه السلطان معه إلى الشام . انتهى

قلت : وقد سُقنا من ذكره في ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا .

ولمّا أُمسك وقُتِل قال الأديب البارع خليل بن أيبك الصفدىّ شعرًا :

سَمَتْ هِمّةُ الفخرىّ حتّى ترفّعتْ * على هامةِ الجوزاء والنَّسْر بالنَّصرِ
وكان به للمُلك فخرٌ فخانه الـزّمان فأضحى مُلْكُ مصر بلا فَخْرِ

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، ففي الدرر الكامنة : «أنه مات في ربيع الأول سنة ٧٤٤ هـ» وقال ابن حبيب : مات في سنة ٧٤٥ هـ» . وفي المنهل الصافي : « قتل في ربيع الأول سنة ٧٤٤ هـ وقيل في سنة ٧٤٣ هـ» ، كما أفاضوا في أخبار أولاد آل مهنا وأولاد أخيه فضل وأعقابهما في القرن الثامن والقرون التي تليه . وقد تغير اسم آل مهنا بعد حين كما هي عادة أهل البادية وجاء من أعقابهم فرع يدعى بأبي ريشة هم الآن أمراء عشيرة الموالى في سلمية وضواحيها (عن مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٣ ص ١٦٧) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين بَهادُر بن عبد الله الجُوبانِىّ رأس نَوْبة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين بُكا الخِضْرِىّ[1] الناصرى موسَّطا بسوق الخيل فى رابع[2] شهر رجب، وقد مرّ من ذكره نبذةٌ فى ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وتُوفّى الشــيخ الإمام تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقى بن عبــد المجيد اليمانِىّ المخزومىّ الشافعى الأديب الكاتب بالقُــدس الشريف فى هــذه السنة عن ثلاث وستين سنة .

وتُوفّى الشيخ الإمام الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهّاب ابن على بن أحمد أبو المعالى السّلَمى الشافعى خطيب بَعْلَبَكّ فى ليلة الأربعاء تاسع شهر رمضان . ومولده فى شهر رمضان ســنة ثمان وخمسين وستمائة . وكان فاضلا عالما خطيبًا فصيحا، وكَتَبَ الخطَّ المنسوب .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المــاء القديم أربع أذرع وإصبعان، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء . والله تعالى أعلم .

⁂

السنة الثانيـــة من ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر، وهى سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوفّى قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علىّ بن أحمد بن علىّ ابن عبد الحقّ قاضى القضاة الحنفيّة بالديار المصريّة وهو مقيم بدِمَشْق . وكان إماما عالما بارعا أفتى ودرّس سنين وناب فى الحكم ، ثم ٱستقلّ بقضاء القُضاة بالديار المصرية وحسُنَتْ سيرتُه .

(١) فى الأصلين : « تكا » بالتاء . وما أثبتناه عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك . وفى المنهل الصافى : « بكا لحضرى » بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو تحريف .

(٢) فى السلوك : « فى رابع عشرين شهر رجب » .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين وقيل شمس الدين آق سُنْقُر بن عبد الله السَّلّارى نائب السلطنة بالديار المصريّة قتيلًا بثغر الإسكندرية فى السجن . وكان أصله من مماليك الأمير سَلّار واتّصل بعده بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقّاه إلى أن ولّاه نيابة غَزّة ثم صَفَد . ثم ولى بعد موت الملك الناصر نيابة السلطنة بالديار المصرية . وقد تقدّم ذكره فى ترجمة الملك الصالح هذا والتعريف بأحواله وكرمه إلى أن قُبض عليه وسُجن، ثم قُتل . وكان من الكُرَماء الشُّجعان .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله المَارِدانى الناصرى الساقى نائب حلب بها . وكان ألطنبغا أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصّكيّته وأحد من شُغف بمحبته ورقّاه فى مدّة يسيرة، حتّى جعله أميرَ مائة ومُقدّم ألف، وزوّجه بابنته . ثم وقع له أمور بعد موته ذكرناها فى تراجم : المنصور والأشرف والناصر والصالح أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن وَلِى نيابة حماة، ثم حلب بعد الأمير طُقُزْدَمُر فباشر نيابة حلب نصف سنة، وتُوُفّى ولم يبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة . وكان أميرا شابًا لطيف الذات، حسن الشكل[1]، كريم الأخلاق مشهورا بالشجاعة والكرم . وهو صاحب الجامع[2] المعروف به خارج باب زويلة . وقد تقدّم ذكر بنائه فى ترجمة أستاذه الملك الناصر محمد .

وتُوُفّى الأمير الأديب الشاعر علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله الجَاوْلى . أصله من مماليك بن باخل[3] . ثم صار إلى الأمير عَلَم الدين سَنْجَر الجاولى فجعله دَوَادَارَه لمّا كان نائب غَزّة فعُرف به، ثم تنقّلت به الأحوال حتى صار من جملة أمراء دِمَشْق إلى أن مات بها فى شهر ربيع الأول .

(١) فى أحد الأصلين : «حسن الشكالة» . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) هو عماد الدين أحمد بن باخل (عن السلوك الجزء الأول من القسم الثالث ص ٧٢٢ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) والمنهل الصافى .

قلت : وهو أحد فحول الشعراء من الأتراك لا أعلم أحدا من أبناء جنسه فى رتبته فى نظم القريض، اللهم إلا إن كان أيدمر المحيوى فيمكن . ومن شعر ألطنبغا المذكور :

رِدْفُـه زادَ فى الثقالة حتّى * أقعد الخَصْرَ والقوام سَوِيّا
نَهض الخصرُ والقوام وقامَا * وضعيفان يغلبان قَوِيّا

ولـــه :

وبارِدِ الثغـر حُـلْوٌ * بمرْشَفٍ فيـه حُـوّهْ
وخَصْـرُه فى انتحـالٍ * يُبْدِى من الضعف قُوّهْ

ولـــه :

وِصالُك والثرياَّ فى قِرَانٍ * وهجرُك والجفَا فَرَسَا رِهانِ
فديتُك ماحفظتُ لشؤم بختى(١) * من القرآن إلّا لَنْ تَرَانِى

ولـــه :

يقول لى العاذلُ فى لَوْمِه * وقـولُه زورٌ وبُهْتانُ
ما وجهُ من أحببتَه قِبْلَةً * قلتُ ولا قولُك قُرْآنُ

وقد سُقْنا من شعره قطعةً جيّدة فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » .

وتُوفّى القاضى شرف الدين أبو بكر بن محمد ابن الشهاب محمود كاتب سرّ مصر ثم دِمَشْق فى شهر ربيع الأوّل . وكان فاضلا بارعا فى صناعته، وهو من بيت علم وفضل ورياسة وإنشاء . وكان فاضلا مترسّلا رئيسا نَبِيلًا ، وله نظم رائق ونثر فائق . ومن شعره .

(١) رواية المنهل الصافى : « ... حظى » .

بَعَثْتُ رســولًا للحبيب لعــلّه * يُبرهِنُ عن وجدى له ويُتَرْجِمُ
فلمّــا رآه حارَ من فَــرْط حُسْنه * وما عاد إلّا وهــو فيــه مُتيَّمُ

وتُوُفّى الأمير سيف الدين طُرْغَاى[1] الجَاشْنَكِير الناصرىّ نائب حلب وطرابُلُس فى شهر رمضان . وكان من أعيان مماليك الملك الناصر وأمرائه . وكان شجاعا مِقْداما سَيُوسًا . ولى الولايات والأعمال الجليلة .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين آقْبُغا عبد الواحد الناصرىّ بحبسه بثغر الإسكندرية ، وقــد تكرّر ذكْرُه فى ترجمة أستاذه الملك الناصر فى مواطن كثيرة، وفى أوّل ترجمة الملك المنصور أبى بكر أيضا، وكيف كان القبض عليــه، وما وقع له من المصادرة وغير ذلك إلى أن وَلِى نيابة حِمْص ثم عُزِل وقُبِض عليه وحُبِس إلى أن مات .

وكان أصله من مماليك الناصر محمد وأخا زوجته خَوَنْد طُغَاى، وتَوَلّى فى أيام أستاذه عِدّةَ وظائف وولايات، منها أنه كان من جملة مقدّمى الألوف ثم أُستادار، ثم مقدَّم المماليك السلطانية، وشادّ العمائر وكان يَنْدُبُه لكلّ أمر مُهِمّ فيه العَجلةَ لمعرفته بشدّة بأسه وقساوة قلبه، وكثرة ظلمه . وكان من أقبح المماليك الناصرية سِيرة . وهو صاحب المدرســة[2] على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر والدار بالقــرب من الجامع المذكور .

وتُوُفّى الشيخ حسن بن تمرتاش بن جُوبان متملّك تِبْرِيز والعراق فى شهر رجب . وكان من أعظم الملوك ، وكان داهيــةً صاحب حِيَل ومَكْر وخديعــة . وكان كثير العساكر من التُّرك وغيرها .

(١) فى الأصلين هنا « طوغان » وتصحيحه عما تقــدّم ذكره فى الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وأما داره فقد اندثرت .

وتُوُفّى القاضى زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المُنَى القِنَائِىّ الشافعى قاضى قِنَا . كان فقيها رئيسا كثير الأموال. كان يتصدّق فى كلّ سنة بألف دينار فى يوم واحد مع مكارم وإنعام .

وتُوُفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن على بن أيبك السُّرُوجىّ . مولده بمصر فى ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، ومات بحلب فى الثامن من شهر ربيع الأوّل .

وتُوُفّى المحدّث شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبى بمصر بعد أن حدث عن النَّجيب (١) والأَبَرْقُوهِىّ (٢) والرَّشيد بن علّان (٣) وغيرهم (٤) . ومولده فى شهر رمضان سنة خمسين وستمائة .

وتُوُفّى القاضى عَلَم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بآبن المُسْتَوْفى المصرى ناظر الخاصّ بِدِمَشْق فى جُمادى الآخرة. وله فضيلة وشعر جيّد، وكان يُعرف بكاتب قَرَاسُنْقُر، فإنه كان بخدمته . وباشر عدّة وظائف بدمشق : نظر البيوت ثم نظر الخاصّ ثم صحابة الديوان . وكان بارعاً فى صناعة الحساب ويكتب الخط المليح . وله يَدٌ فى النظم وقدرةٌ على الارتجال، وكان يتكلّم فصيحا باللغة التركية . ومن شعره :

غَرامى فيكَ قد أضحى غَرِيمِى * وهجـرُكَ والتَّجَنِّى مُسْتَطابُ
وبَلْوَاىَ مَـلالُكَ لا لذنبٍ * وقـولُكَ ساعةَ التسليم طَابوا

---

(١) هو نجيب الدين عبد اللطيف بن أبى محمد عبد المنعم بن على بن نصر بن منصور بن هبة الله أبى الفرج بن الصيقل الحرّانى الحنبلى . تقدّمت وفاته سنة ٦٧٢ ﻫ فيمن ذكر الذهبى وفاتهم .

(٢) هو أبو المعالى أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهى . تقدّمت وفاته سنة ٧٠١ ﻫ (ج ٨ ص ١٨٩) من هذه الطبعة . وفى الأصلين هنا : (الأبروقهى) . وتصحيحه عما تقدّم ذكره .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك . ولعلها : « الشمس بن علان » وهو شمس الدين أبو الغنائم المسلم ابن محمد بن المسلم بن علان . تقدمت وفاته سنة ٦٨١ ﻫ (ج ٧ ص ٣٥٣) .

(٤) فى أحد الأصلين : « وغيرهما » . والسياق يأباه .

§ أمر النيل في هـذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا . والله تعالى أعلم .

*
* *

السـنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر، وهي سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّي قاضي القضاة العلّامة جلال الدين [أحمد][1] ابن القاضي حسام الدين أبي الفضائل حسن بن أحمد بن الحسن بن أَنُوشَرْوان[2] الأَنْكُوريّ الحنفي قاضي قضاة دِمَشق وعالمها في يوم الجمعة تاسع عشر رجب، ومولده بمدينة أَنْكُورِية[3] ببلاد الروم في سنة إحدى وخمسين وستمائة . وكان إماما عالمـا دَيِّنا عارفا بالمذهب وأصوله، مُحَقِّقا إمامًا في العلوم العقليّة، وأفتى ودرّس وتصدّر للإقراء في حياة والده . ووَلي قضاء خَرْتَبِرْت[4] وعمره سبع عشرة سنة، وحُمِدت سِيرتُه . ثم انتقل إلى البلاد الشامية حتى كان من أمره ما كان .

وتُوُفِّي الأمير علم الدين سَنْجَر الجَاوِلي، أحد أعيان أمراء بالديار المصرية في يوم الخميس[5] ثامن شهر رمضان، ودُفِن بمدرسته فوق جبل الكَبْش[6] . وكان أصله من

(١) تكملة عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة . (٢) رواية المنهل الصافي : « ابن أبي ثروان » بالثاء المثلثة . (٣) تسميها العرب أنكورية، ضبطها أبو الفداء إسماعيل في تقويم البلدان فقال : (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية مكسورة وهاء في الآخر) . وأنقرة كانت بإقليم غالاطية القديمة بآسيا الصغرى (الأناضول) . وفيها دفن امرؤ القيس الشاعر المشهور سـنة ٥٦٥ م وافتتحها المعتصم الخليفة العباسي سنة ٢٢٣ هـ = ٨٣٧ م . وعندها أسر تيمورلنك السلطان يلدرم بايزيد العثماني سـنة ١١٠٧ هـ = ١٤٠١ م . وهي الآن مقر الحكومة التركية . (٤) هي مدينة خربوط الحالية في مقاطعة إرمينية من ولايات شرق الأناضول تبعد عن ديار بكر مائة كيلو متر في الجهة الشماليـة الشرقية، وهي على نجد مخصب يسقيه الفرات يسكنها ٣٠٠٠٠ ألف نسمة أغلبهم مسلمون (عن دائرة المعارف الإسلامية) .

(٥) في المنهل الصافي : « في يوم الجمعة تاسع شهر رمضان » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس . ثم اتّصل بعده إلى بيت السلطان، وأُخرِج أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكَرَك ، وٱستقرّ في جملة بحريّتها . ثم قَدِم في أيام العادل كُتْبُغَا إلى مصر بحال زَرِيّ ، فقدّمه الأمير سَلّار ونوّه بذكره إلى أن وَلِي نيابة غَزّة ، ثم عدة ولايات بعد ذلك بمصر والبلاد الشامية ، وطالت أيامه في السعادة وعُمِّر . وقد مَرّ من ذكره أشياء فيما تقدّم . وهو صاحب الجامع[1] ، بغَزّة والخليل عليه السلام وخان بَيْسَان[2] وخان قَاقُون[3][4] . وكان فاضلا فقيها ، وله مصنّفات في الفقه وغيره .

---

(١) لا يزال هذا الجامع قائما بغزة إلى اليوم بآسم الجاولية (راجع المختصر في جغرافية فلسطين لحسين روحى ص ١٠٥) .

(٢) جاء في كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لأبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي (ج ١ ص ٥٨) وما قبلها في الكلام على الحرم الخليلي أنه بظاهر السور السليماني من جهة الشرق مسجد في غاية الحسن ، و بين السور السليماني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الأبهة والفخار . والذي عمّر هذا الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية ، وهو من العجائب ، قطع في جبل ، و يقال إنه كان مقبرة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوّفه وبنى السقف عليه والقبة وهو مرتفع على آثنتي عشرة سارية قائمة في وسطه ، طوله من القبلة بشام ٤٣ ذراعا وعرضه شرقا بغرب ٢٥ ذراعا . وكان الابتداء في عمارته في ربيع الآخر سنة ٧١٨ هـ وآنتهت العمارة في ربيع الآخر سنة ٧٢٠ هـ في دولة الناصر محمد بن قلاوون . ومكتوب على حائطه : أن سنجر عمل ذلك من خالص ماله ، ولم ينفق عليه شيئا من مال الحرمين الشريفين» .

(٣) في الأصلين : « وخان السبيل » . وما أثبتناه عن السلوك ، وهي الرواية الصحيحة ، اسمها القديم : «بيت شان» هي في الجنوب الشرقي من برج آبن عامر على نحو ستة كيلو مترات من ضفة الأردن الغربية وتعد من أراضي الغور ، وهي قائمة على منحدر وادي جالود وتنخفض ١٣١ مترا من سطح البحر ، يحيط بها الأشجار من جميع أطرافها . وفيها من الآثار القيمة القديمة ما يشهد لها بسالف عزها ، و يبلغ عدد سكانها ١٩٤١ نسمة .

(٤) وقاقون : قرية في الشمال الغربي من طول كرم من أعمال فلسطين . يبلغ تعداد سكانها ١٩٢٦ نفسا (عن المختصر في جغرافية فلسطين) .

وتوفّى الأمير سيف الدين طَقُصُبا بن عبد الله الظاهرىّ، وقد أناف على مائة [وعشرين](1) سنة . وكان أصلُه من مماليك الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارِىّ .

وتوفّى [إبراهيم القاضى](2) جمال الكُفاة الرئيس جمال الدين ناظر الخاصّ ثم الجيش ثم المشدّ تحت العقوبة فى ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول(3) . وكان آبن خالة النّشْو ناظر الخاصّ ، وهو الذى آستسلمه وآستخدمه مستوفياً فى الدولة ، ثم عند بَشْتَك ثم وقع بينهما المُعاداة الصعبة على سوء ظنّ من النّشو ، ولم يزالا على ذلك حتّى مات النشو تحت العقوبة ، وولى جمال الكُفاة هذا مكانه ، وطالت أيامه ونالته السعادة . قال الصفدى : وكان شكلا حسنا ظريفا مليحا يكتُب خطّاً قويّا جيدا ، ويتحدث بالتّركى ، وفيه ذَوْقٌ للمعانى الأدبية ومحبة للفضلاء ولطف عِشْرة وكرم أخلاق ومُروءة . وكان أوّلا عند الأمير طَيْبُغَا القاسمىّ . ومدّة مباشرته الخاصّ ست سنين تقريبا . انتهى كلام الصفدىّ بآختصار . وقال غيره : وكان أوّلا يباشر فى بعض البساتين على بيع ثمرته ، وتنقّل فى خدمة آبن هلال الدولة ، ثم خَدَم بَيْدَمُر البَدْرِىّ وهو خاصّكىّ خبزه بمحلّة مُنُوف(4) ، فكَتَب على بابه إلى أن تأمّر . ثم آنتقل بعد ذلك حتّى كان من أمره ما ذكرناه . ولمّا صُودِر أخذ منه أموال كثيرة .

وتوفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد عصره أثيرُ الدّين أبو حَيّان محمد بن يوسف آبن علىّ [بن يوسف](5) بن حَيّان الغرْناطىّ المغربىّ المالكىّ ثم الشافعىّ . مولده

(1) الزيادة عن السلوك . (2) التكلة عن المنهل الصافى . (3) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى المنهل الصافى والدرر الكامنة أنه توفى فى أوائل صفر من هذه السنة .

(4) لاتزال هذه القرية باقية إلى اليوم باسم محلة منوف . وهى تابعة لمركز طنطا بمديرية الغربية . (راجع الدليل الجغرافى) لأسماء المدن والنواحى المصرية الذى أصدرته مصلحة المساحة سنة ١٩٤١ .

(5) التكلة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى و بغية الوعاة للسيوطى والوافى بالوفيات للصفدى ونفح الطيب للقرى طبع أوربا (ج ١ ص ٨٤٢) .

بغرناطة فى أخريات شوّال سنة أربع وخمسين وستمائة (١)، وقرأ القرآن بالروايات، وآشتغل وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية وإسكندرية والقاهرة والحجاز، وحصّل الإجازات من الشام والعراق، وآجتهد فى طلب العلم، حتى برع فى النحو والتصريف وصار فيهما إمامَ عصره، وشارك فى علوم كثيرة . وكان له اليدُ الطُّولَى فى التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم خصوصا المغاربة، وهـو الذى جسَّرَ الناس على مصنَّفات آبن مالك، ورغَّبهم فى قراءتهـا، وشرح لهم غوامضها، وقد سُقْنا من أخباره وسماعاته ومشايخـه ومصنّفاته وشعره فى ترجمتـه فى تاريخنا « المنهـل الصافى » ما يطول الشرحُ فى ذكره هنـا؛ ومن أراد ذلك فلينظُره هناك . ولنذكر هنا من شعره نبذةً يسـيرة بسندنا إليه : أنشدنا القـاضى عبد الرحيم بن الفُرات إجازةً، أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبَك الصفدى إجازة، قال : أنشدنى العلّامة أثير الدين أبو حيّان من لفظه لنفسه :

سـبق الدمعُ بالمَسـير المَطـايَا * إذْ نَوى مَنْ أُحبُّ عنّىَ نُقْلَه
وأجادَ السّطورَ (٢) فى صَفحة الخــدّ * ولِمْ لَا يُجيدُ وهو آبنُ مُقْلَه

وله بالسند :

راضَ حبيبى عارضٌ قد بَدَا * يا حُسْنَه من عارضٍ رائـض
فظنّ قـــومٌ أنّ قلبى ســلا * والأصـل لا يُعتَـدُّ بالعَارض

وله موشّحة، أوّلهـا :

إن كان لَيْلٌ دَاجْ، وخانَنَا الإصْباحْ (٣)، فنُورها الوهّاجْ، يُغْنِى عن المِصباحْ (٤)

(١) فى نفح الطيب : « ولد فى مطخشارش، موضع بغرناطة » .
(٢) رواية نفح الطيب للقرى : «وأجاد الخطوط ... الخ» . (٣) فى أحد الأصلين : « الصباح » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر ونفح الطيب والوافى بالوفيات للصفـدى والمنهل الصافى .
(٤) فى الأصلين : « عن الصباح» . وما أثبتناه عن الوافى بالوفيات ونفح الطيب والمنهل الصافى .

سُلافَةٌ تَبْدُو * كالكَوْكبِ الأزْهَرْ

مِزاجُها شَهْدُ * وعَرْفُها عَنْبَرْ

يا حبَّذا الوردُ * منها وإن أَسْكَرْ

قَلْبي بها قد هَاجْ ، فما تراني صَاحْ ، عن ذلك المِنْهاجْ ، وعن هوًى يا صَاحْ

وبي رَشًا أهيَفْ * قَدْ لَجَّ في بُعْدِي ٥

بَدْرٌ فلا يُخْسَفْ * منه سنا الخَدِّ

بلَحْظِهِ المُرْهَفْ * يَسْطُو على الأسْدِ

كسَطوة الحَجَّاجْ ، في الناس والسَّفاحْ ، فما ترى من ناجْ ، من لَحْظه السَّفَّاحْ

عَلَّلَ بالمِسْكِ * قَلْبِي(١) رَشًا أَحْوَرْ

مُنَعَّمُ المَسْكِ * ذو مَبْسِم(٢) أَعْطَرْ ١٠

رَيَّاه كالمِسْكِ * وريقُه كَوْثَرْ

غُصنٌ على رَجْراجْ ، طاعتْ له الأرواحْ ، فحَبَّذا الآراجْ ، إن هَبَّت الأرْواحْ

مَهْلًا أبا القاسِمْ * على أبي حَيَّانْ

ما إنْ له عاصِمْ * من لَحْظك الفَتَّانْ

وهَجْرك الدائمْ * قد طال بالهِجْرانْ ١٥

فدمعه أمواجْ ، وسِرُّه قد بَاحْ(٣) ، لكنّه ما عاجْ ، ولا أطاعَ اللّاحْ

---

(١) في نفح الطيب (ص ٨٤١ ج ٢) : « قلب رشا أحور » .

(٢) في الأصلين : «ذى مبسم أعطر» . وما أثبتناه عن نفح الطيب وهو ما يقتضيه السياق .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين : « وسره قد لاح » .

يارُبَّ ذى بُهتانْ * يَعْذلنى[1] فى الرّاح

وفى هَوى الغِزْلانْ * دافعتُ بالرّاح[2]

وقُلتُ لا سُلْوانْ * عن ذاكَ يالاحى

سبعُ الوجوه والتّاج[3]، هى مُنيَةُ الأرواحْ[4]، فآختر لى يا زجّاج، قُمْصالْ[5] وزوجْ أقْداحْ

قلتُ : ومذهبى فى أبى حيّان أنّه عالم لا شاعر .

ولم أذكر هـذه الموشّحة هنا لحسنها، بل قصدتُ التعريف بنظمه بذكر هذه الموشّحة، لأنّه أخلّ شعراء المغاربة فى هذا الشأن، وأما الشاعر العالم هو الأرّجانىّ[6]

---

(١) هذه رواية سكردان السلطان لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى الشهير بآبن حجلة المغربى طبع بولاق(ص١٤٥)وفى الأصلين : «يعذل فى الراح» . (٢) فى المنهل الصافى وسكردان السلطان : «دافعته بالراح» . (٣) ذكرها المقريزى فى خططه(ج١ص٤٨١)تحت عنوان : «منظرة الخمس وجوه»فقال : هى من المناظر التى كانت الخلفاء تنزل إليها للتنزه . أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فرش معدّ ، وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة ، كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزىّ البهيج الهيئة . والعامة تقول : « التاج والسبع وجوه إلى الآن » . وقال المرحوم على باشا مبارك فى خططه(ج ١ ص ١٥) : «وأنشأ الأفضل أيضا بظاهر القاهرة من جهتها البحرية بجانب الخليج الغربى منظرة البقل ، وكانت فى المحل الكائن تجاه قنطرة الإوز، وأغلبها دخل الآن فى الترعة الإسماعيلية ، وباقيها صار بعضه بركة وبعضه تلا ، وبعدها كانت منظرة التاج، ثم قبة الهواء، ثم منظرة الخمس وجوه وهى الأرض التى بيد الأمير إبراهيم باشا أدهم الآن من أرض بهمشه ، وكان لكل منها بستان أنيق يطل على النيل .

وتقع هذه الأماكن اليوم على الشاطئ الغربى للخليج المصرى فى المسافة ما بين كوبرى غمرة وشارع الملكة نازلى وما بين الوايلى الكبرى على الترعة الإسماعيلية (راجع مذكرة بيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها وضع المرحوم محمد رمزى بك) .

(٤) كذا فى سكردان السلطان وفى الأصلين : « هى منية الأفراح » .

(٥) فى الأصلين وسكردان السلطان والوافى بالوفيات : « تمصال » بميمين . وتصحيحه عن نفح الطيب . والقمصال كلمة مغربية ، لاتينية الأصل معناها : وعاء كان يستعمل فى الأندلس والمغرب للشرب (عن دوزى) . (٦) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرّجانى قاضى تستر . تقدّمت وفاته فى سنة ٥٤١ هـ . راجع صفحة ٢٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وأبو العلاء المعرّى[1] وابن سَنَاء المُلْك[2] . انتهى . وكانت وفاته بالقاهرة في ثامن عشرين صفر .

وتُوُفِّي الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدَّوَادار الناصرى بطَرَابُلُس . وكان من أكابر الأمراء ، ولى الدوادارية الكبرى في أيام الناصر محمد ، ثم ولى نيابة الإسكندرية ، ثم أُخْرِج إلى البلاد الشامية إلى أن مات بطرابلس . وكان كاتبا شاعرا .

وتُوُفِّي الأمير عَلَم الدين سَنْجَر بن عبدالله البَشْمَقْدار[3] المنصورى ، كان من مماليك المنصور قلاوون .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين طُرُنْطَاى المنصورى المحمّدى بدِمَشْق ، وكان من جملة مَنْ وافق على قتل الأشرف خليل ، فسجَنه الملك الناصر سبعًا وعشرين سنة ، ثم أفرج عنه وأخرجه إلى طرابلس أمير عشرة .

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين بَلَبَان المنصورى الشمسى بمدينة حلب . وكان الناصر أيضا حبسه سنين ثم أخرجه إلى حلب .

وتُوُفِّي سيف الدين كُنْدُغْدِى[4] بن عبد الله المنصورى بحلب أيضا وهو رأس الميسرة ومقدّم العساكر المجرّدة إلى سيس[5] . وكان من كبار الأمراء بالديار المصرية .

(١) هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد . تقدّمت وفاته في سنة ٤٤٩ هـ . راجع صفحة ٦١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو القاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك . تقدّمت وفاته سنة ٦٠٨ هـ . راجع صفحة ٢٠٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) في السلوك والدرر الكامنة : «الجمقدار» وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) ضبطه المؤلف — رحمه الله — في المنهل الصافي بالعبارة فقال : « بضم الكاف وسكون النون وضم الدال وسكون الغين المعجمة ودال مكسورة وياء . معناه باللغة التركية : « يوم ولد » .

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا[١] .

ذكر سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى .
والكامل هذا هو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والخامس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . جلس على تخت الملك بعد موت أخيه وشقيقه الملك الصالح إسماعيل فى يوم الخميس الرابع[٢] من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة ، ولُقِّب بالملك الكامل . وفيه يقول الأديب البارع جمال[٣] الدين بن نُبَاتة . رحمه الله تعالى . [مخلّع البسيط]

جَبِينُ[٤] سلطانِنَا المُرَجَّى * مُبَارَكُ الطالعِ البديعِ

---

(١) صورة ما جاء فى آخر الأصل الفوتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أيا صوفيا بالآستانة :

« تم الجزء الرابع من النجوم الزاهرة ، ويتلوه فى الخامس من أوّل ترجمة الكامل شعبان فى سابع المحرّم سنة ست وثمانين وثمانمائة على يد فقير رحمة ربه محمد القادرى . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

تنبيـــه — إلى هنا انتهى الأصل الفتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس ، ولم يبق تحت يدنا بعد هذا إلا الأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمريكا ، والأصل الموضح ذكره فى الحاشية رقم ١ إلى آخر الكتاب . وقد رمزنا للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بحرف : « م » وللأصل الفتوغرافى بحرف : « ف » .

(٢) فى تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ١٨٣) : « فى يوم الخميس حادى عشرين ربيع الأوّل » .

(٣) فى نسخة « ف » : « ولى الدين » وتصحيحه عن نسخة : « م » والمنهل الصافى .

(٤) رواية هذين البيتين فى تاريخ ابن إياس :

طلعــة سلطاننا تبدّت * بكامل السعد فى الطلوع
واعجب لما تيك كيف أبدت * هلال شعبان فى ربيع

يا بَهْجَة الدهر إذ تَبَـدَّى * هلالُ شعبان فى ربيع

وكان سبب سلطنة الملك الكامل هـذا أنه لمّا اشتدّ مرض أخيـه الملك الصـالح إسماعيل دخل عليه زَوْجُ أمّه ومدبِّر مملكته الأمير أَرْغُون العَلائى فى عدّة من الأمراء ليَعْهدَ الملك الصالح إسماعيـل بالمُلْك لأحد من إخوته . وكان أَرْغون العلائى المذكور غرضه عند شعبان كونه أيضا رَبيبه ٱبن زوجته، فعارضه فى شعبان ٥ الأمير آل ملك نائب السلطنة حسب ما ذكرنا طَرَفًا من ذلك فى مرض الملك الصالح المذكور . ثم وَقَع ما ذكرناه إلى أن ٱتّفق المماليك والأمراء على توليته، وحضروا إلى باب القُـلّة[1] وٱستَدْعَوْا شعبان المذكور، وألبسوه أُبَّهَة السلطنة وأركبوه بشعار المُلْك ومشت الأمراء بخدمته ، والجاوشيّة تصيح بين يديه على العادة، حتى قربَ من الإيوان لَعِب الفرسُ تحته وجَفَل من صياح الناس، فنزل عنه ومَشَى خطوات ١٠ بسرعة إلى أن طَلَع إلى الإيوان[2] فتفاءل الناس بنزوله عن فَرَسه أنّه لا يُقيم فى السلطنة إلّا يسـيرًا . ولمـّا طَلَع الى الإيوان وجلَس على الكرسىّ وباسوا الأمراءُ له الأرض وأحضروا المصحف ليَحْلِفُوا له ، فحَلَف هو أوّلًا أنّه لا يُؤذيهم ، ثم حَلَفُوا له بعد ذلك على العادة . ودقّت البشائر بسلطنته بمصر والقاهرة، وخُطِب له من الغد على منابر مصر والقاهرة، وكُتِب بسلطنته إلى الأقطار . ١٥

ثم فى يوم الآثنين ثامن شهر ربيـع الآخر المذكور جلَس الملك الكامل بدار العـدل[3] ، وجُدِّد له العهد من الخليفة بحضرة القضاة والأمراء ، وخَلَع على الخليفة وعلى القضاة والأمراء ، وكَتَب بطلب الأمير آق سُنْقُر الناصرى من طرابُلُس وسأل

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . ٢٠

الأمير قُمارِى الأستادار أن يستقر عوضه فى نيابة طرابلس ، فتشفّع قُمارِى المذكور بأَرْغُون العـلائى ومَلِكْتَمُر الحجـازِىّ فأُجيب إلى ذلك ؛ ثم تغيّر ذلك وخَلَع عليه فى يوم الخميس حادى عشره بنيابة طرابلس فخرج من فوره على البريد . وخَلَع على الأمير أُرُقْطَاى(١) وآستقرّ فى نيابة حلب عوضا عن يَلْبُغَا اليَحْيَاوِى ، وخرج أيضا على البريد ، وكَتَب يطلب اليحياوى ، ثم طلب الأمير آل ملك نائبُ السلطنة الإعفاء من النيابة وقَبّل الأرض، وسأل فى نيابة الشام عوضا عن طُقُزْدَمُر الحَمَوِىّ وأن ينتقل طقزدمر إلى مصر فأجيب إلى ذلك، وكَتَب بعزل طقزدمر عن نيابة الشام و إحضاره الى الديار المصريّة .

وفى يوم السبت ثالث عشره خلَع السلطان الملك الكامل على الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة بآستقراره فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر، وأُخرج من يومه على البريد ، فلم يدخل مدينة غَزّة لسرعة توجّهه، و بينما هو سائر إلى دِمَشْق لَحِقَه البريد بتقليده نيابة صفد ، وسببُ ذلك أنّ أَرغون العلائى لمّا قام فى أمر الملك الكامل شعبان هذا وفى سلطنته قال له الحاج آل ملك : بشرط ألّا يلعبَ بالحَمَام، فلمّا بلغ ذلك شعبانَ نَقَم عليــه ، فلمّا ولى دِمَشق آستكثرها عليــه وحوّله إلى نيابة صَفَد . ورَسَم للأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوِى نائب حلب كان، بآستقراره فى نيابة الشام .

ثم أخذ السلطانُ الملك الكامل فى تدبير مملكتــه والنظر فى أمور الدولة فأنعم بإقطاع أُرُقْطَاى على الأمير أَرْغُون(٢) شاه ، وآستقرّ أستادارا عوضا عن قُمارِى المستقرّ فى نيابة طرابُلُس . وأخرج السلطانُ الأميرَ أحمد شادّ الشرابخاناه هو و إخوته من

---

(١) هو الأمير سيف الدين أرقطاى بن عبد الملك المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى رأس نوبة الجمدارية . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٥٠ هـ .

أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير آل ملك هم وقمارى الأستادار فى منع سلطنة الملك الكامل هذا . ثم خلع السلطان على علم الدين[1] عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور باستقراره ناظر الخواص عوضا عن الموفق عبد الله[2] بن إبراهيم ، وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى نزل إلى داره بغير مصادرة .

٥ ثم قدم الأمير آق سنقر الناصرى المعزول عن نيابة طرابلس فخلع السلطان عليه ، وسأله بنيابة السلطنة بالديار المصرية فامتنع أشد امتناع ، وحلف أيمانا مغلظة أنه لا يليها فأعفاه السلطان فى ذلك اليوم .

ثم بدا للسلطان أن يخطب بنت بكتمر الساقى فامتنعت أمها من إجابته واحتجت عليه بأن ابنتها تحته ولا يجمع بين أختين وأنه بتقدير أن يفارق أختها ، ١٠ فإنه أيضا قد شغف باتفاق العوادة جارية أخيه الملك الصالح شغفا زائدا ، ثم قالت : ومع ذلك فقد ضعف حال المخطوبة من شدة الحزن ، فإنه أول من أعرس عليها آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان لها ذلك المهم العظيم ، ومات آنوك عنها وهى بكر فتزوجها من بعده أخوه الملك المنصور أبو بكر ، فقتل فتزوجها بعد الملك المنصور أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل ومات عنها أيضا ، ١٥ فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزواج فى هذه المدة اليسيرة ، فلم يلتفت الملك الكامل إلى كلامها وطلق أختها ، وأخرج جميع قماشها من عنده فى ليلته ، ثم عقد عليها ودخل بها .

ثم أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وعلى ابن أصلم بإمرة طبلخاناه .

---

٢٠ (١) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٥٥ هـ . (٢) كان يسمى «هبة الله» ، ثم سمى نفسه : «عبد الله» ولكن أكثر المؤرخين ترجموا له باسمه الأصلى . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٥٥ هـ .

ثم فى مستهلّ جُمَـادَى الأُولى خَلَع السلطان الملك الكامل على جميـع الأمراء المقدّمين والطبلخانات[(١)]، وأنعم على ستـين مملوكا بستين قَبَاء بطَرْز زَرْكَش وستـين حِياصةَ ذهب، وفرّق الخيول على الأمراء برَسْم نزول المَيْدان[(٢)].

ثم رَسَم السلطان أن يتوفّر إقطاعُ النيابة للخاصّ، وخَلَع على الأمير بَيْغَرَا وٱستقرّ حاجبًا كبيرًا . ثم نزل السلطان إلى المَيْـدَان على العادة، فكان لنزوله يومٌ مشهودٌ . وخلع على الشريف عَجْلانَ بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ الحَسَنِىّ[(٣)] بٱستقراره أميرَ مكّة . ثم عاد السلطان إلى القلْعة[(٤)] .

وفى يوم السبت خامس عشرين جُمَادَى الأولى قَدِم الأمير طُقُزْدَمُر من الشام إلى القاهرة مريضًا فى مِحَفّة بعد أن خرج الأمير أَرْغُون العلائى وصحبته الأمراء إلى لقائه، فوجدوه غيرَ واعٍ، ودَخَل عليه الأمراءُ وقد أَشْفَى على الموت، ولمّا دخل طُقُزْدَمُر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولادُه فى تجهيز تَقْـدِمة جليلة للسلطان تشتمل على خيول وتُحَف وجواهرَ فقَبِلها السلطان منهم ووعدهم بكلّ خير .

وفيـه أنعم السلطان على الأمير أَرْغُون الصـالحىّ بتقـدِمة ألف ، ورَسَم أن يُقال له : أرغون الكاملى ، ووهب له فى أُسبوع ثلثمائة ألف درهم وعشرة آلاف إردَبّ من الأَهْرَاء؛ ورَسَم له بدار أحمد شادّ الشَّرَبْخاناه[(٥)] ، وأن يعمّر له

(١) فى السلوك : « المقدمين فى الطبلخاناه » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا فى « م » وهو الصحيح وفى « ف » : « الحسينى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه أن هـذه الدار كانت تجاه الكبش ، وأنها كانت بجـوار القصر الذى أنشأه أرغون الكاملى بالجسر الأعظم على حافة بركة الفيل تجاه الكبش أيضا .

ويستفاد كذلك من عبارة المؤلف أن الدار المذكورة التى نزل بها أرغون لما رسم له الملك الكامل شعبان بنزوله فيها فى سنة ٧٤٦ هـ (قبل بناء قصره) . أنشئت فى القرن الثامن الهجرى ، ثم بقيت إلى القرن التاسع =

بجـواره من مال السلطان قصرٌ على بركة الفيـل[1]، ويُطلّ على الشارع فعمل له ذلك .

قلت : والبيت المذكور هو الذى كان يسكنه الملك الظاهر جقمق وتسلطن منه، ثم سكنه الملك الأشرف إينال وتسلطن منه وهو تُجاه الكبش[2] . انتهى .

وفى يوم الخميس مستهلّ جُمادى الآخرة ركب السلطان الملك الكامل لسَرْحة سِرْياقوس[3] ومعه عساكره على العادة وأخذ حريمه صحبته، فنصب لهنّ أحسنَ الخِيَم فى البساتين .

ثم فى يوم الجمعة قَدِم أولاد طُقُزْدَمُر على السلطان بسِرْياقوس بخبر وفاة أبيهم طقزدمر، فلم يُمَكِّن السلطانُ الأمراءَ من العَوْد إلى القاهرة للصلاة عليـه، ورَسَم بإخراجه فأُخرِج ودُفِن بخانقاته بالقـرافة[4]، وأُخذت خيلُه وجِمـالُه وهُجُنُه إلى الإسطبل[5] السلطانىّ .

= حيث سكنها الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ثم الملك الأشرف إينال العلائى قبل أن يتوليا السلطنة وكانت تولية الأول سنة ٨٤٢ هـ والثانى ٨٥٧ هـ .

وبما أن الكبش الذى كانت تقع تجاهه هـذه الدار هو الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر، ويعرف اليوم بقلعة الكبش التى تشرف على شارعى مراسينا والخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة، فقد بحثت عن مكان تلك الدار بالجهة المذكورة فتبين لى أنها آندثرت . ومكانها اليوم أرض فضاء بشارع مراسينا .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) ذكر المقريزى فى خططه (جزء ٢ ص ٩٣) فى الكلام على فندق دار التفاح : « وأنشأ هذه الدار الأمير طقزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة، ووقفها على خانقاته بالقرافة » . وقد أطلنا البحث عن موضع هذه الخانقاه بالقرافة فلم نجد لها أثرا، ويتعذر الآن تعيين موقعها بين المقابر الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض هذه القرافة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بَصَل، وٱستقر حاجباً ثانيا مع بيغرا، ورَسَم له أن يَحْكُمُ بين الناس، ولم تكن العادة جرت بذلك أن يحكم الحُجّاب بين الناس غير حاجب الحُجّاب .

قلت : كان الحُجّاب يوم ذاك كهيئة رءوس النُّوَب الصِّغار الآن . انتهى .

وخلع على الأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوَانِيّ بٱستقراره فى نيابة الكَرَك وأنعم بتقدمته[1] على الأمير طَشْتَمُر طَلَلِيه وأنعم بطبلخاناة طشتمر طلليه على الأمير قُبْلَاى[2] .

ثم قدم على السلطان الخبرُ بموت أخيه الملك الأشرف كُجُك ٱبن الملك الناصر محمد بن قلاوون عن ٱثنتى عشرة سنة، وٱتُّهِم السلطانُ أنه بعث من سِرْياقوس مَنْ قتله فى مَضْجَعه على يد أربعة خدام طواشية، فعظُم ذلك على الناس قاطبةً .

ثم عاد السلطان من سِرْياقوس إلى القلعة بعد ما تهتَّكت المماليك السلطانية من شرب الخمور والإعلان بالفواحش وركبوا فى الليل وقطعوا الطريق على المسافرين واغتصبوا حريم الناس . ثم أخذ السلطان الملك الكامل فى تجديد المظالم والمصادرات .

ثم قدم البريد على السلطان بأن الشيخ حسناً صاحب بغداد واقع سلطانَ شاه وأولاد تمرداش وٱنتصر الشيخ حسن وحصر سلطان شاه بماردين[3] وأخذ ضياعها .

ثم إن السلطان الملك الكامل بدا له أن يُنْشِئ مدرسته موضع خان الزكاة[4]، ونزل الأمير أرْغُون العلائى والوزير لنظره، وكان أبوه الملك الناصر محمد قد وَقَفَه فلم يوافق القضاةُ على حلّه .

(١) فى السلوك : «وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طلليه» .

(٢) فى السلوك : «وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى» .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) لما تكلم المقريزى فى خططه على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٢ ج ١) قال عند كلامه على قصبة القاهرة : «ويجد السالك على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية»، وكانت =

وفى مستهلّ شعبان عَمِل السلطانُ مُهِمًّا على بنت الأمير طُقُزْدَمُر الحَمَوِى سبعة أيام . وفى مستهلّ شوّال رَسَم السلطان للأمير أَرْغُون الكاملىّ بزيارة القُدْس وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وَكَتَبَ إلى نُوّاب الشـام بالركوب لخدمته ، وحَمْل التقادم وتجهيز الإقامات له فى المنازل إلى حين عَوْده ؛ ورَسَم له أن يُنادَى بمدينة بِلْبيس[1] وأعمالها أنّه مَنْ قال عنه : أَرْغُون الصغير شُنِق ، وألّا يقال له إلّا أَرْغون الكاملى ، فشُهِر النِّداء بذلك فى الأعمال .

وفى هذه الأيام كَثُر لعب الناس بالحَمَام وكثُر جَرْى السُّعاة ، وتزايد شُلّاق الزُّعْر[2] وتسلّط عَبِيدُ الطواشيّة على الناس ، وصاروا كلّ يوم يقفون للضراب فتُسفك بينهم دماءٌ كثيرة . ونُهِبت الحوانيت بالصَّلِيبة[3] خارج القاهرة ، وإذا رَكِب إليهم الوالى لا يَعْبَئُون به ، وإن قَبَض على أحد منهم أُخِذ من يده سريعا ، فاشتد قَلَقُ الناس من ذلك .

ثم اخترع السلطان شـيئا لم يُسْـبَق إليه ، وهو أنّه أعرس السـلطان بعض الطواشـيّة ببعض سَرَارِيه بعـد عَقْده عليها ، وعَمِل له السلطان مُهِمًّا حضره جميعُ جوارى بيت السلطان ، وجُلِيَت العَرُوس على الطواشى ، ونَثَر السلطَانُ عليهـا وقت

= — قبل إنشائها مدرسة — فندقا يعرف بخان الزكاة » . ولما تكلم مؤلف هذا الكتاب على تاريخ السلطان برقوق ذكر فى حوادث سنة ٧٨٦ هـ أن السلطان برقوق أنشأ المدرسة الظاهرية بين القصرين موضع خان الزكاة .

ومما ذكر يتضح أن خان الزكاة مكانه اليوم جامع السلطان برقوق المجاور لجامع الناصر محمد بن قلاوون بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) بالقاهرة .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) شلاق الزعر : سيئو الخلق . والشلاق ؛ جمع شلق وهو مرادف للزعر . والمراد بهم هنا من يدخلون الخوف فى قلوب الناس .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الجلاء الذهب بيـده ، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما يكون ، وعَظُم ذلك على سائر أعيان الدولة .

وفى ذى الحجة كثرت الإشاعة باتفاق(١) الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يَلْبُغا اليحياوى نائب الشام لورود بعض مماليك آل ملك هارباً منه كونه شرب الخمر وأشاع هـذا الخبر فرسم السلطان بإخراج مَنْجَك(٢) اليُوسفى السلاح دار على البريد لكشف الخبر فلمّا توجه منجك إلى الشام حلَف له نائب الشام أنه برىء ممّا قيل عنه ، وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش .

ثم نُودِى بالقاهرة بألّا يُعارض أحد من لُعّاب الحَمَام وأرباب الملاعيب والسعاة ، فتزايد الفساد وشَنُع الأمر ، كلّ ذلك لمحبّة السلطان فى هذه الأمور .

ثم نَدَب السلطان الأمير طُقْتَمُر الصالحىّ للتوجّه إلى الشام على البريد ليوقِّع الحَوْطَة على جميع أرباب المعاملات ، وأصحاب الرِّزَق(٣) والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غَزّة وألّا يَصْرِف لأحد منهـم شيئا وأن يَسْتَخْرِج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجَوامِك ألف ألف درهم برسم سفر السلطان إلى الحجاز، ويَشْتَرِى بذلك الجمال ونحوها ، فكَثُر الدعاء على السلطان من أجل ذلك ، وتغيّرت الخواطر .

---

(١) هذه رواية الأصلين وفيها غموض وخفاء . و بالرجوع إلى السلوك للمقريزى وجدناها وافية واضحة فأثبتناها بنصها لأنها الرواية الصحيحة وهى : « وفيه (أى ذى الحجة) كثرت الإشاعة باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام على المخامرة ، فجهز آل ملك محضرا ثابتا على قاضى صفد بالبراءة مما رمى به ، فأنكر السلطان عليه هذا وجهز منجك السلاح دار للكشف عما ذكره ، فاتفق قدوم بعض مماليك آل ملك فارّا منه خوفا أن يضرب به على شربه الخمر ، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدوّ فزاد هذا السلطان كراهة فيه ، وأخرج منجك على البريد إليه فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه ، وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش » .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفى هذه الأيام كتب بإحضار الأمير آل ملك نائب صفد إلى القاهرة ليستقرّ على إقطاع الأمير جنكلى بن البابا بعد موته وتوجّه لإحضاره الأمير منجك السلاح دار. ثم فى يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة أمسك أيتبك أخو قمارى ثم عفى عنه من يومه . ثم كتب باستقرار الأمير أراق الفتّاح (١) نائب غزّة فى نيابة صفد بعد عزل آل ملك . وأمّا الأمير منجك فإنّه وصل إلى صفد فى أوّل المحرم من سنة سبع وأربعين وسبعمائة، واستدعى آل ملك فخرج معه إلى غزّة، فقبض عليه بها فى اليوم المذكور، وقيل بل فى سادس عشرين ذى الحجة من سنة ست وأربعين . انتهى .

ثم فى أول المحرّم المذكور قدم إلى جهة القاهرة الأمير ملكتمر السرجوانى من نيابة الكرك فمات بمسجد التّبن (٢) خارج القاهرة ودفن بتربته (٣). ثم قدم إلى القاهرة الأمير أحمد بن آل ملك فقبض عليه وسجن من ساعته . وخلع السلطان على الأمير أسندمر العمرى باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قمارى .

وفى يوم الاثنين سادس المحرّم قدم الأمير آل ملك والأمير قمارى نائب طرابلس مقيّدين إلى قليوب (٤) وركبا النيل إلى الإسكندرية فاعتقلا بها . وكان الأمير طقتمر الصلاحى قبض على قمارى لمّا توجّه للحوطة على أملاك الشام ، وقيّده و بعثه على البريد . ثم ندب السلطان الأمير مغلطاى الأستادار لإيقاع الحوطة على موجود آل ملك ، وندب الطواشى مقبلا التّقوى لإيقاع الحوطة على موجود قمارى نائب طرابلس ، وألزم مباشريهما بحمل جميع أموالهما ، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين

(١) فى السلوك للقريزى : «سيف الدين أوراق الفتاح» بواو بعد الألف .

(٢) هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم بقرب سراى القبة بضواحى القاهرة ، و يعرف الآن بزاوية محمد التبرى . وقد تكلمنا عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) بحثنا عن موضع هذه التربة فى الكتب التى تحت يدنا فلم نقف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ألف إردب غلّة ، وألزم ولده بمـائة ألف درهم ، وأخذ لزوجته خَبيَّة فيها أشـياء جليلة ، وأخذ أيضا لزوجة قُمارى صندوقا فيه مالٌ جليل .

ثم خَلَع[1] السلطان على الأمير أرسلان بَصل[2] الحاجب الثانى فى نيابة حَماة عوضا عن أُرُقطاى وكَتَبَ بقدوم أرقطاى ، فقدم أرقطاى إلى القاهرة فأنعم عليه السلطان بإقطاع جَنكَلى بن البابا بعد وفاته ، وآستقر رأس الميمنة مكان جنكلى . ثم خَلَع السلطان على زوج أمّه الأمير أَرْغُون العلائى وآستقر فى نظر البيمارستان[3] المنصورىّ عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا فنزل إليه أَرْغون العَلائى وأصـلَح أموره ، وأنشا بجوار باب البيمارستان المذكور سبيل[4] ماء ومكتب سـبيل لقراءة الأيتام ، ووقف عليه وقفا .

(١) هكذا ورد فى الأصلين . وعبارة السـلوك : « وفى هذا الشهر (المحرم) آستقر الأمير رسلان بصل فى نيابة حماة عوضا عن طقتمر الأحمدى ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير أرقطاى وكتب بقدوم أرقطاى ... الخ » .

(٢) فى السلوك : « رسلان بصل » بدون ألف .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) ذكر المؤلف أن أرغون العـلائى لما ولى نظر البيمارستان (المسـتشفى) المنصورى أصلح أموره وأنشأ بجوار بابه سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام . وبما أن للبيمارستان أكثر من باب وجب أن أبين للقارئ أن باب البيمارسـتان المنصورى الذى بنى بجواره السبيل والمكتب هو الباب الكبير الأصلى الذى يشرف على شارع المعز لدين الله ويؤدى الى الدهليز الفاصل بين قبة تربة الملك المنصـورى قلاوون وبين المدرسة المنصورية ، ثم يوصل الى مكان البيمارسـتان .

ذكر المؤلف أن أرغون أنشأ بجوار الباب المذكور سبيلا ومكتبا ، والصواب أن السبيل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة الأمير آقوش نائب الكرك ، ولا يزال هذا السبيل موجودا وعليه آسم الملك الناصر . وأما أرغون فقـد أنشأ فقط المكتب ، كما ورد فى ترجمته فى كتاب الدرر الكامنة لابن حجر ، وكان هـذا المكتب على يسار الداخل الى باب البيمارستان بينه وبين السبيل القائم فى الناصية البارزة من المدرسة المنصـورية المعروفة الآن بجامع السـلطان قلاوون بشارع المعز لدين الله بالقاهرة . وقد تهدم المكتب المذكور ولم يبق منـه غير الأعمدة التى كانت تحمله ، وهى لا تزال قائمة على يسار باب البيمارستان إلى اليوم .

ثم خلع السلطان على الأمير نجم الدين محمود [بن على][1] بن شروين وزير بغداد وأعيد إلى الوزارة بالديار المصرية ، وكان لها مدة شاغرة ، وخلع على علم الدين عبد الله ابن زنبور واستقر ناظر الدولة عوضا عن ابن مراجل[2] .

وفى هذه الأيام انتهت عمارة قصر[3] الأمير أرغون الكاملى بالجسر الأعظم تجاه الكبش[4] ، بعد أن صرف عليه مالا عظيما ، وأخذ فيه من بركة[5] الفيل نحو العشرين ذراعا ، فلما عزم أرغون إلى النزول إليه مرض فقلق السلطان لمرضه وبعث إليه بفرس وثلاثين ألف درهم يتصدق بها عنه . وأفرج عن أهل السجون ، وركب السلطان لعيادته بالميدان[6] .

---

(١) تكملة عن الدرر الكامنة .

(٢) كذا فى الدرر الكامنة والمنهل « ابن مراجل » بالجيم وهى الرواية الصحيحة وهو الصاحب تقى الدين سليمان بن علاء الدين على بن عبد الرحيم بن أبى سالم بن مراجل الدمشقى . ولى نظر الدولة بمصر ثم ولى الوزارة بدمشق سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٦٤ هـ . وفى الأصلين : «ابن مراحل» بالحاء المهملة .

(٣) هـذا القصر ذكره المقريزى فى خططـه باسم دار أرغون الكاملى (ص ٧٣ ج ٢) فقال : إن هذه الدار بالجسر الأعظم على بركة الفيل . أنشأها الأمير أرغون الكاملى فى سنة ٧٤٧ هـ وأدخل فيها قطعة من أرض بركة الفيل .

وذكر على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ١١٩ ج ٢) أن هذه الدار محلها الحوش المقابل لجامع الجاولى المعروف بحوش إبراهيم شركس وما جاوره إلى الحوض المرصود .

وبما أن الجسر الأعظم الذى كان عليـه هذا القصر هو الذى يعرف اليوم باسم شارع مراسينا بقسم السيدة زينب بالقاهرة ، وأن جامع الجاولى يشرف على هـذا الشارع بجوار الكبش ، وأن بركة الفيـل كانت تنتهى قديما الى أرض الحوض المرصود التى بها اليوم سنتزه الحوض المرصود بشارع مراسينا ، وقد بحثت عن مكان ذلك القصر بتلك الجهة فتبين لى أنه زال واندثر .

(٤) سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم آهتمّ السـلطان بسفره إلى الحجاز وأخذ فى تجهيز أحواله . وفى يوم الجمعـة رابع عشر صفر وُلِد للسلطان ولدٌ ذَكَرٌ من بنت الأمير بَكْتَمُر الساقى .

ثم فى يوم السبت ثانى عشرين صفر أفْرَج السلطانُ عن الأمير أحمد بن آل ملك وعن أخى قُمـارِى وأمرهما بلزوم بيتهما .

وفى أوّل شهر ربيع الأوّل توجّه السلطان إلى سِرْياقوس وأحضر الأوباش فلَعِبُوا قدّامه باللَّبْخة[1] وهى عِصِىٌّ كِبَار، حَدَث اللعب بها فى هذه الأيام، ولمّا لَعِبوا بها بين يديه قَتَل رجلٌ رفيقَـه ، فخلَعَ السـلطان على بعضهم وأنعم على كبيرهم بخُبْز فى الحَلْقة، وآستمرّ السلطانُ يَلْعَب بالكُرَة فى كلّ يوم وأعرض عن تدبير الأمور ، فتمرّدت المماليك وأخذوا حُرَم الناس وقطعوا الطريق وفَسَدت عِدّةٌ من الجوارى ، وكثُرت الفِتَن حتّى بلغ السلطان فلم يَعْبأ بما قيل له ، بل قال : خَلُّوا كلّ أحد يعمل ما يُريد . فلمّا فَحُش الأمر قام الأمير أرْغُون العلائى فيه مع السلطان حتّى عاد إلى القلعـة وقد تظاهر الناس بكلّ قبيح ونَصَبُوا أخصاصًا بالجزيرة[2] الوسطانيّة وجزيرة

---

(١) اللبخة : لعبة تسمى عند عامة مصر بالتحطيب (أى اللعب بالنبوت) وهى مأخوذة من الحطب . وهى هنا من حطب اللبخ . واللبخ : شجر عظام كانت تنشر ألواحه ويجعله أصحاب المراكب فى بناء السفن فتلتحم بعد عام وتصير لوحا واحدا، وكان هذا اللبخ له ثمر أخضر يشبه التمر حلو جدا إلا أنه كريه وهو جيد لوجع الأضراس .

وقد وصف اللبخة المثمرة عبد اللطيف البغدادى فى رحلته إلى مصر ورآها ابن مكرم صاحب لسان العرب بجزيرة مصر (الروضة) وشهدها المقريزى مثمرة . ولم نعد نسمع عنها شيئا بعد ذلك، وهو غير اللبخ المعروف لنا . قال الشيخ الشعرانى فى الطبقات الكبرى فى ترجمة عثمان الحطاب المتوفى سنة نيف وثمانمائة : « وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد الجميع فلا تصيبه واحدة » . انظر لعب العرب للرحوم تيمور باشا، ورحلة البغدادى عبد اللطيف . والمقريزى فى الخطط . واللسان مادة « لبخ » . (٢) هى بذاتها جزيرة بولاق التى كانت تسمى جزيرة أروى . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بولاق سمّوها حَليمَة، بلغ مصروف كلّ خُصّ منها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم، وكان هذا المبلغ يوم ذاك بحقّ مِلْك حائل. وعُمل في الأخصاص الرُّخام والدِّهان البديع، وزُرع حوله المقاثئ والرياحين وأقام بالأخصاص المذكورة معظمُ الناس من الباعة والتُّجّار وغيرهم، وكشفوا ستْرَ الحياء، وما كَفُّوا في التهتُّك في حَليمَة والطمية[2] وتنافسوا في أرضها، حتّى كان كلّ قصبة قياس تُؤَجَّر بعشرين درهمًا، ٥

(١) ذكرها المقريزي في خططه (ص ١٨٦ ج ٢) فقال: إن الجزيرة التي عرفت بحليمة خرجت أي ظهرت في مجرى النيل في سنة ٧٤٧ هـ بين بولاق والجزيرة الوسطى سمّتها العامة بحليمة، وقد ذكر المقريزي ارتفاع إيجار أرض هذه الجزيرة، وما أقيم فيها من الأخصاص، وما يحدثه فيها أهل الخلاعة والمجون والتهتك بأنواع المحرمات حتى بلغ إيجار الفدان الواحد مدّة الانتفاع بأرضه فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة بمبلغ ستة عشر ألف درهم؛ ومن أراد زيادة البيان في هذا الموضوع فليرجع الى الخطط المقريزية. ١٠

وبالبحث عن موضع هذه الجزيرة تبين لي أنها كانت مجاورة لجزيرة الوسطى تجاه بولاق ثم اتصلت بها بواسطة طرح البحر، وأصبحت الجزيرتان جزيرة واحدة هي الجزيرة الكبيرة الواقعة الآن تجاه بولاق، وكانت جزيرة حليمة تشغل في أرض الجزيرة الحالية المنطقة التي تحدّ اليوم تقريبًا من الشرق بمجرى النيل ومن الشمال بشارع فؤاد الأوّل، ومن الغرب بشارع الأمير فؤاد وما في امتداده إلى أرض نادي الألعاب الرياضية. ثم يسير الحدّ إلى الجنوب مخترقا أرض ذلك النادي، وفيها يميل الحدّ إلى جهة الشرق بدوران خفيف حتى يتقابل بالنيل عند النقطة التي يتلاقى فيها شارع الجزيرة بشارع سراى الجزيرة. ١٥

(٢) لما تكلم المقريزي في خططه على الجزيرة التي عرفت بحليمة (ص ١٨٦ ج ٢) قال: وبلغ أجرة كل قصبة مربعة في هذه الجزيرة وفي جزيرة الطمية التي بين مصر والجيزة مبلغ عشرين درهما نقرة. ثم لما تكلم على جزيرة الصابوني (ص ١٨٥ ج ٢) قال: إن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها، وقفها أبو الملوك نجم الدين بن شادي هي وقطعة من بركة الحبش، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابوني وأولاده والنصف الآخر على صوفية خانقاه الصابوني المجاورة لقبة الإمام الشافعي، وبذلك عرفت بجزيرة الصابوني. ٢٠

وورد في كتاب وقف السلطان قنصوه الغوري المحرّر في سنة ٩١٦ هـ وكذلك في دليل أسماء البلاد المحرّر في سنة ١٢٢٤ هـ أن جزيرة الطمية هي جزيرة الصابوني ومذكور في كتاب الوقف المذكور أن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان، وبناء على ما ذكر بحثنا عن موقع جزيرة الصابوني التي تعرف بجزيرة الطمية فتبين لنا أنها لا تزال موجودة إلى اليوم باسم جزيرة دير الطين، لأن معظم أراضيها واقعة تجاه أراضي ناحية دير الطين، والقسم الشمالي منها يقع تجاه ناحية أثر النبي التي بها رباط الآثار. ٢٥

فبلغ أجرةُ الفدّان الواحد ثمانيــةَ آلاف درهم . فأقاموا على ذلك ستة أشهر ، حتى زاد المـاء وغَرِقت الجزيرة . وقبـل مجىء المـاء بقليل قام الأمير أَرْغُون العَلَائى فى هدمها قيامًا عظيما ، وحَرّق الأخصاص على حين غفلة وضَرب جمـاعة وشهَّرهم فتلِف بها مالٌ عظيم جدّا .

وفى هذه الأيام قلّ ماء النيل حتى صار ما بين المقياس[1] ومصر يُخَاض ، وصار من بولاق[2] إلى منشأة المِهْرَانِىّ[3] طريقـا يُمْشَى فيه ، ومن بولاق الى جزيرة الفيـل[4] و إلى المُنْيَة[5] طريقًا واحدا . وبَعُدَ المـاء على السقّايين وصاروا يأخذون المـاء من تُجاه قرية مُنْبَابَة[6] ، وبلَغت راويةُ المـاء إلى درهمين بعدما كانت بنصف درهم وربع درهم . فشكا النـاس ذلك إلى أَرْغُون العلائى فبلّغ السلطانَ غلاءَ المـاء بالمدينـة وآنكشافَ ما تحت بيوت البحر، فَركِب السلطان ومعه الأمراء وكثيرٌ من أرباب الهندسة ، حتّى كُشِفَ ذلك ، فوجدوا الوقت فيــه قد فات لزيادة النيل ، وآقتضى

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) هى مدينــة بولاق الواقعة على النيل وأحد أقسام مدينة القاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هى المنطقة الواقعة على النيل بين مستشفى قصر العينى وميدان فم الخليج بالقاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هى المنطقة الواقع فيها اليوم قسما شبرا وروض الفرج بمدينة القاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) المقصود بها منية الشيرج الداخلة فى حدود قسم شبرا بالقاهرة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٣ من الجزء التاسع من هــذه الطبعة . وأما الطريق التى كانت بين هــذه الأمكنة فهى التى ذكرها المقريزى فى خططه بآسم الجسر من بولاق الى منية الشيرج . سـبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الأستدراكات الواردة فى ص ٣٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الرأى أن يُنقَل التراب والشقاف من مطابخ السُّكَّر بمدينة مصر وتُرمَى من بَرّ الجيزة إلى المقياس (١) حتى يصير جسرا (٢) يُعمَل عليه العمل، حتى يدفع الماءَ إلى الجهة التى يَحسِر عنها ، فنُقلت الأتربة فى المراكب وأُلقيت هناك إلى أن بَقِىَ جسرًا ظاهرا وتراجع الماء قليلا إلى بَرّ مصر ، فلما قَوِيت الزيادةُ علا الماء على هذا الجسر وأخذه ومحا أثره . ٥

(١) المقصود مقياس النيل الواقع فى الطرف الجنوبى من جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة . سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف هنا إلى ما سبق ذكره أن هذا المقياس قد بطل استعماله فى مقاس ماء النيل من سنة ١٨٨٧ بسبب ما طرأ على عموده من الخلل ، فأنشأت نظارة الأشغال فى تلك السنة مقياسا من الرخام مثبتا على حائط مبنية على حافة الشاطئ الشرقى لجزيرة الروضة تجاه المقياس الأصلى من الجهة الشرقية . ١٠

ومن سنة ١٩٢٥ بدأت وزارة الأشغال العمومية فى ترميم العمود وإصلاحه هو والبئر التى فيها ذلك العمود . وفى سنة ١٩٣٨ أقامت الوزارة المذكورة حول البئر حائطا من الأسمنت المسلح لمنع دخول الماء إلى المقياس . ثم أقامت فوق البئر القبة الحالية وهى على طراز القبة التى كانت مركبة عليه فى عهد السلطان سليمان الأول العثمانى ونقلت صورتها من كتاب المسيو نوردن الدانيماركى . وقد بلغ مجموع ما صرف فى ترميم وعمارة هذا المقياس من سنة ١٩٢٥ الى اليوم حوالى خمسة وخمسين ألف جنيه ، وبعد ذلك انتهى ١٥ به الأمر فمنع تسرب ماء النيل إليه وبطل استعماله فى الغرض الذى أنشئ من أجله ، واحتفظت به وزارة الأشغال باعتباره أثرا من الآثار ذات القيمة التاريخية فى مصر .

(٢) فى مدة تحاريق النيل فى الزمن الماضى كان البحر يجف ماؤه تحت شاطئ القاهرة فى المسافة الواقعة بين مصر القديمة وبولاق ، وبذلك يصبح الماء تحت شاطئ الجيزة بعيدا عن سكان القاهرة فيصعب عليهم نقله من تحت بر الجيزة ، لذلك كان الملوك السابقون يقيمون مدة التحاريق فى مجرى النيل الحالى ٢٠ جسرا مؤقتا من التراب بدعائم من الخشب ، وكان ذلك الجسر يمتد فى النيل ما بين سكن مدينة الجيزة وما بين الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة عند المقياس لغرض تحويل ماء النيل من الغرب إلى الشرق ، وبذلك تتوفر المياه تحت مصر القديمة وبولاق وتصبح قريبة من القاهرة فيأخذ منها الناس ما يلزم لشربهم ومصالحهم مدة التحاريق ، وبعد ذلك يزول الجسر بقوة اندفاع ماء النيل أثناء الفيضان ، ويجدد عند الحاجة إليه .

وهذا الجسر ذكره المقريزى فى خططه باسم الجسر فيما بين الروضة والجيزة (ص ١٦٧ ج ٢) وتكلم عليه ٢٥ بالتطويل ، ومن أراد الوقوف على تاريخ الجسر المذكور فليراجع الخطط المقريزية .

وفى هذه الأيام لَعِب السلطان الكُرَة مع الأمراء فى المَيْدان من القلعة فاصطدم الأمير يَلْبُغا[1] الصالحى مع آخر سقطا معا عن فرسَيْهما إلى الأرض، ووقع فرس يلبغا على صدره فآنقطع نُخاعه ومات لوقته فأنعم السلطان بإقطاعه على قُطْلُوبُغا الكَرَكىّ.

ثم فى هذه الأيام آشتدّت المطالبة على أهل النواحى بالجمال والشعير والأعدال والأخراج لسبب سفر السلطان إلى الحجاز وكثُرت مغارمُهم إلى الوُلاة وشكا أرباب الإقطاعات ضَرَرهم للسلطان فلم يلتفت لهم، فقام فى ذلك الأمير أَرْغُون شاه الأستادار مع الأمير أَرْغُون العلائى فى التحدّث مع السلطان فى إبطال حركة السفر فلم يُصْغ لقولهم، وكتب بآستعجال العُرْبان بالجِمَال وآستحثاث طَقْتَمُر الصّلاحىّ فيما هو فيه بصدد السفر.

ثم أوقع السلطان الحَوْطَة على أموال الطَّوَاشى عَرَفات وأخرج عرفات إلى الشام منفيًّا. ثم قصد السلطانُ أخذَ أموال الطواشى كافور الهندىّ، فشَفَعَتْ فيه خَوَنْد طُغاى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ وكان كافور المذكور من خواصّ خدّام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأُخرج كافور إلى القُدْس، وكافور المذكور هو صاحب التُّرْبة[2] بقرافة مصر، ثم نفى السلطان أيضا ياقوتا الكبيرَ الخادمَ، وكافورا المحرم[3] وسرورا الدَّمامِينىّ، ثم نَفَى دينارًا الصوّاف ومُخْتَصًّا الخطائى.

ثم فى أوّل شهر ربيع الآخر ولَدَ ولَدُ السلطان من بنت[4] بَكْتَمُر الساقى وَوُلِد له من آتفاق العَوّادة حَظِيّة أخيه وَلَدٌ سَمّاه شاهِنْشاه وسُرّ به سرورًا عظيما زائدا، وعَمِل

(١) هكذا ورد فى الأصلين. وفى السلوك: «بيبغا الصالحى» ولم نهتد الى وجه الصواب فيه.

(٢) ذكرت كل المصادر التى تحت يدنا هذه التربة أنها بقرافة مصر وبالبحث عن معرفة موقعها بتلك القرافة فلم نقف لها على أثر.

(٣) فى أحد الأصلين والسلوك: «المجرم» بالجيم. وما أثبتناه عن الأصل الآخر وهو ما يقتضيه السياق.

(٤) فى السلوك: «مات ولد السلطان من آبنة الأمير تنكز».

مُهِمًّا عظيما مدة سبعة أيام، ثم مات أخوه يوسف آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون وآتُّهِم السلطان أيضا بقتله .

ثم قَـدِمَ طُقْتُمُر الصلاحيّ من الشام بالقُماش المستعمل برسم الحجاز . ثم قَدِمَ كتابُ يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيّ نائب الشام يتضمّن خراب بلاد الشام مما أُنْفِق[1] بها من أخذ الأموال وآنقطاع الجالب إليها ، والرأىُ تأخيرُ سفر السلطان إلى الحجاز الشريف في هذه السنة ، فقام الأمير أَرْغُون العلائى ومَلِكْتَمُر الحجازيّ في تصويب رأى نائب الشام وذكرا للسلطان أيضا ما حَدَث ببلاد مصر من نِفَاق العُرْبان وضَرَر الزروع وكثرة مغارم البلاد ، وما زالا به حتى رَجَع عن سفر الحجاز في هذه السنة ، وكتب إلى نائب الشام بقبول رأيه ، وكتب للأعمال باسترجاع ما قبضته العَرَبُ من كِرَاء الأحمال وغير ذلك ، فلم يُوافق هـذا غَرَضَ نساء السلطان ووالدته ، وأخذت في تقـوية عَزْمه على السفر للحجاز حتى مال اليهم[2] ، وكَتَبَ لنائب الشام وحلب وغيرها أنّه لا بُدّ من سفر السلطان إلى الحجاز في هذه السنة ، وأَمَرَهم بحمل ما يَحْتَاج اليه ، ووَقَع الاهتمامُ ، وتجدّد الطَّلَبُ على الناس وَغَلاءُ الأسعار ، وتَوَقَّفَت الأحوال وقَلّ الواصل من كل شيء . وأخذ الأمراء في أُهْبة السفر صُحْبة السلطان إلى الحجاز ، وقَلِقوا لذلك ، وسألوا أَرْغُون العلائى ومَلِكْتَمُر الحجازيّ في الكلام مع السلطان في إبطال السفر ومعرفته رِقّة[3] حالهم من حين تجاريدهم إلى الكَرَك في نَوْبة الملك الناصر أحمد ، فكلّما السلطان في ذلك فآشتدّ غضبُه وأطلق لسانَه ، فما زالا به حتى سَكَنَ غَضَبُهُ . ورَسَم من الغد لجميع الأمراء بالسفر ، ومَنْ عَجَز عن السفر يُقيم

(١) في « م » : « مما اتفق بها ... الخ » .
(٢) هكذا في الأصلين ، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .
(٣) في السلوك : « وتعريفه ... الخ » .

بالقاهرة ، فاشـتد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السُّخَر ، وكَثُر دعاؤهم على السلطان ، وتنكّرت قلوبُ الأمراء ، وكثُرت الإشاعة بتنكُّر السلطان على نائب الشام ، وأنه يُريد مسكَه حتى بلغَه ذلك ، فاحترز على نفسه ، وبلَغَه قتلُ يوسف ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقُوّة عزم السلطان على سفر الحجاز موافقة

٥ لأغراض نسائه ، فجمع أمراء دِمَشْق ، وحلّفهم على القيام معه ، وبرَز إلى ظاهر دمَشْق فى نصف جُمادَى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طُرُنْطاى البَشْمَقْدار نائب حمص والأمير أَرَاق الفَتّاح نائب صَـفَد والأمير أَسَنْدَمُر نائب حَمَاة والأمير بيدمُر البَـدْرى نائب طرابُلُس ، فاجتمعوا جميعا بظاهر دِمَشق مع عسكر دِمَشق لخَلْع الملك الكامل شعبان هذا ، وظاهروا بالخروج عن طاعتـه ، وكتب الأميرُ

١٠ يَلْبُغَا اليَحْياوى نائبُ الشام إلى السلطان : بأنى أحد الأوصياء عليك ، وأنّ مما قاله السلطان السعيد الشهيد ، رحمه الله تعالى ، (يَعنِى عن الملك الناصر) لى وللأمراء فى وصيّتـه : إذا أقمتم أحدًا من أولادى ولم ترضوا بسـيرته جُرُّوا برجله وأخرجوه وأقيموا غيره أحدًا[1] ، وأنتَ أفسـدتَ المملكةَ وأفقرتَ الأمراء والأجنادَ ، وقتلتَ أخاك وقبضتَ على أكابر أمراء السـلطان واشتغلتَ عن المُلْك والتَهيتَ بالنساء

١٥ وشُرْب الخمر، وصرتَ تبيع أخبازَ الأجناد بالفضّة ، وذكَر له أمورًا فاحشةً عَمِلها ، فقدم كتابه إلى القاهرة فى يوم الجمعة[2] العشرين من جُمادَى الأولى فلما قرأه السلطانُ تغيّر تغيرًا كبيرا ، وأوقف أَرْغُون العَلائى عليه بمفرده ، فقال له أرغون العلائى : والله لقد كنت أحسب هذا ! وقلتُ لك فلم تسمع قولى ، وأشار عليه بكتمان هـذا ، وكتب الجواب يتضمّن التلطّف فى القول : وأخرج الأمير مَنْجَك اليُوسفى على البريد

٢٠ (١) هذه الكلمة غير موجودة فى « م » .

(٢) فى الأصلين : « يوم الخميس » . والتصويب عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

إليه فى ثانى عشرينه، ليُرْجِعه عما عَزَم عليه، ويكشف أحوال الأمراء . وكتب السلطانُ إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سفَرَ الحجاز فكثُرت القالةُ بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة، حتى بلغ ذلك الأمراءَ والمماليكَ ، فأشار أرْغُون العلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخبر ، فطُلِبوا إلى القلعة ، وأُخِذ رأيُهم فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرُقْطاى ، ومعه من الأمراء [مَنْكَلى بُغا][(١)] الفَخْرى أمير جاندار وآق سُنْقُر الناصرى وطَيْبُغا المَجْدى وأرْغُون الكاملى وأمير على ابن طغريل الطُّوغانى وابن طُقُزْدَمُر وابنُ طَشْتَمُر وأربعون أمير طبلخاناه، وأربعون أمير عشرة وأربعون مقدّم حلقة ، وحُملت النفقة إليهم لكلّ مقدّم ألف ألفُ دينار، ماعدا ثلاثة مقدّمين، لكل مقدّم ثلاثةُ آلاف دينار. وكَتَب بإحضار الأجناد من البلاد ، فقَدِم كتاب مَنْجَك من الغَوْر[(٢)] بموافقة نوّاب[(٣)] الشام إلى نائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تُفيد، فإنّه يقول : إن أمراء مصر معه .

ثم قَدِم كتاب نائب الشام ثانيا، وفيه خَطُّ الأمير مسعود بن خَطير وأمير على بن قَرَاسُنْقُر وقلاوون وحُسام الدين البَشْمَقْدَار يتضمّن أنك لا تصلُح للملك، وإنما أخذته

(١) تكملة عن السلوك .

(٢) هو غور فلسطين ، وهو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن ، وهو ثالث أقسام فلسطين : السهل الساحلى فالقسم الجبلى فالغور ، وهو المنخفض العظيم من الأرض الذى لا توجد بقعة أبلغ منه انخفاضا على سطح الكرة الأرضية ، لهذا كان موضوع عناية علماء الجغرافيا وعلم طبقات الأرض . يبلغ انخفاضه فى الشمال عند بحيرتى الحولة وطبرية ٨٦ مترا وفى الجنوب عند البحر الميت ٣٩٤ مترا عن سطح البحر الأبيض المتوسط .

ومعظم وادى الغور غير ملائم للصحة لعظم انخفاضه وارتفاع الجبال من غربيه ومجاورته للصحراء من شرقيه . والقسم العظيم منه قفر لا نبات فيه لانخفاض مجرى النهر عن الأراضى المجاورة ، لكن القسم الجنوبى منه يزرع لخصب تربته ولكثرة الروافد العديدة التى تصب فيه . راجع ولاية بيروت (ج ١ ص ٤٠) وفلسطين لحسين روحى (ص ١٢) . (٣) فى السلوك : « بمرافقة النواب لنائب الشام » .

بالغَلَبَة من غير رضا الأمراء — ثم عدّد ما فعله — ونحن ما بَقينا نَصْغَى لك وأنت ما تَصْغَى لنا(١)، والمصلحة أن تَعزِل نفسك من المُلك ليتولّى غيرُك، فلمّا سَمِع السلطان ذلك آستدعى الأمراء وحلفهم على طاعته ثم أمرهم بالسفر فخرجوا من الغد وخرج طُلْبُ(٢) مَنْكَلِي بُغا و بعده أرْغُون الكاملىّ، فعند ما وصَل طُلْبُ أَرْغُون إلى تحت القلعة خَرجَت ريحٌ شديدة ألقتْ شاليشَ(٣) أَرْغُون الكاملىّ على الأرض، فصاحت العامّة: راحت عليكم يا كامليّة وتطيّروا بأنّهم غيرُ منصورين؛ ثم أخذ الأمراء المجرّدون فى الخروج شيئا بعــد شىء . وقَدِم حلاوة الأوجاقى(٤) يُخبِر بأنّ مَنْجَك ساعةَ وصــوله إلى دِمَشْق قَبَض عليه الأميرُ يَلْبُغَا نائب الشام وسَجَنه بقلعة دمشق ؛ فبعث السلطان بالطواشى سرور الزَّيْنِى لإحضار أَخَــوَى(٥) السلطان، وهمــا أميرُ حاجّ وأميرُ حسين فآعتــذرا بوَعْكهما و بعثتْ أمهاتُهما إلى العَلاَئىّ والحجازىّ تسألانهما فى التلطّف مع السلطان فى أمرهما، وبَلّغت العلائىَّ بعضُ جوارى زوجته أمّ السلطان بأنها سَمِعت السلطانَ وقد سَــكِر وكَشَف رأسَه وهو يقول: «يا إلهى أعطيتَنى المُلْكَ وملّكتنى آلَ ملك

---

(١) رواية السلوك : « ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت ما تصلح لنا » .

(٢) الطلب : لفظ كردى معناه الأمير . ثم عدل مدلوله فأصــبح يطلق على الكتيبة من الجيش ، وكان أوّل استعمال هذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين الكبير . (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .

(٣) الشاليش (الجاليش) : اسم لعلم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش المماليك فى الحروب . وكان من الحــرير الأبيض المطرز، تعلق فى أعلاه خصلة من الشعر . والجاليش كلمة تركية معناها مقدمة القلب، وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان فى المواقع التى يحضرها يكون عادة فى قلب الجيش .

(٤) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى الدرر الكامنة والمنهــل الصافى أنه يسمى : « بها در حلاوة الأوجاقى » كان مقدّم البريدية . توفى سنة ٧٤٤ هـ . ومن هذا لا يتسنى لنا الجزم بأن حلاوة الأوجاقى هذا هو بهادر حلاوة الأوجاقى المتقــدّم، بل هو بريدى آخر سمى بهذا الاسم مع العــلم بأن الكلام هنا فى حوادث سنة ٧٤٦ هـ .

(٥) فى الأصلين : «لإحضار إخوة السلطان...الخ» . وما أثبتناه عن السلوك وهو ما يقتضيه السياق .

وقُمارى ، وبَقِيَ من أعدائى أَرْغُون العـلائى ومَلِكْتَمُر الحجازى فمكِّنّى منهما حتى أبلغ غرضى منهما » ، فأقلق أرغون العلائى هذا الكلام . ثم دخل على السلطان فى خَلْوة فإذا هو متغيِّر الوجه مُفَكِّر، فبدَره بأن قال له : من جاءك من جهة إخوتى، أنت والحجازى؟ فعرَّفه أن النساء دخلْنَ عليهما [وطَلَبْن] (١) أن يكون السلطان طيِّب الخاطر عليهما ويُؤَمِّنهما ، فإنّهما خائفان ، فرد عليه السلطان جواباً جافياً، ووضع يده فى السيف ليضربَه به ، فقام أَرْغُون عنه لينجُو بنَفسه ، وعَرَّف الحجازىَّ ماجرى له مع السلطان وشكا من فساد السلطنة، فتوحَّش خاطرهُما، وآنقطع أرغون العلائى عن الخدمة وتعلَّل، وأخذت المماليك أيضا فى التنكُّر على السلطان، وكاتب بعضُهم نائبَ الشام ، وآتفقوا بأجمعهم ، حتى آشتهر أمرُهم ، وتحدّث به العامّة وألَحَّ السلطان فى طلب أخويه (٢)، وبَعث قُطْلُوبُغَا الكَرَكِىّ (٣) فى جماعة حتى هجموا عليهما ليلا، فقامت النساء ومنعنهم (٤) منهما (٥) فهمّ أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما (٦) ، فجىء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشرين جُمادَى الأولى فأدخلهما إلى موضع ووكَّل بهما، وقام العَزاءُ فى الدور السلطانى عليهما، وآجتمعت جوارى الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده ، فلما سَمِع المماليك صياحَهُنّ هموا بالثورة والركوب للحرب وتعبُّوا .

فلمّا كان يوم الآثنين مستهلّ جُمادَى الآخرة خرج طُلْبُ أَرُقْطاى مقدم العساكر المجرَّدين إلى الشام حتّى وصل إلى باب زويلة (٧) ووقف هو ومع الأمراء

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى ف : « إخوته » وتصحيحه عما تقدم قبل ذلك بقليل . وقد توسع آبن إياس فى أخبار أولاد الناصر محمد بن قلاوون فراجع الجزء الأول منه .

(٣) فى ف «التركى» . (٤) فى ف : « ومنعوهم » . (٥) فى ف : «منهم» وتصحيحه عن «م» وما تقدم ذكره . (٦) فى ف : « أخذهما » .

(٧) هو أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها القبلى، ويسميه العامة : « بوابة المتولى » . سبق تعليق عليه فى الحاشية رقم ٦ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

فى الموكب تحت القلعة ، و إذا بالناس قــد اضطربوا ، ونزل الحجازى سائقا يريد إسطبله [1] ، وسبب ذلك أن السـلطان الملك الكامل جلس بالإيوان على العـادة ؛ وقد تبيّت مع ثقاته القبض على الحجازى وأرغون شاه إذا دخلا ،وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة ، فخرج طغيتمر الدوادار فى الإذن لهما فأشار لهما بعينه أن اذهبا ، وكانا قد بلغهما أن السلطان قد تنكّر عليهما ، فقاما من فــورهما ونزلا إلى إسطبلهما ولبسا بمماليكهما وحواشيهما وركبا وتوجّها إلى قبّة النصر ، و بعث الحجازىّ يستدعى آق سنقر من سرياقوس ، فـا تضحّى النهارُ حتى اجتمعت أطلابُ الأمراء بقبّة النصر ، فطلب السلطان عند ذلك أرغون العلائى واستشاره فيما يعمل ، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم ، فركب السلطان بمماليكه وخاصّكيّته ومعه زوج أمّه الأمير

---

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عنـد الكلام على قصر الحجازية (ص ٧١ ج ٢) أن هذا الإصطبل كان تحت القصر المذكور، فانه قال : إن خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى لـما اشترت قصرقوصون بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية عمرته عمارة ملكية وتأنقت فيه وأجرت المـاء الى أعلاه وعملت تحت القصر إصطبلا كبيرا للخيول خدّامها وساحة كبيرة يشرف عليها ، وأنشأت بجواره مدرستها التى تعرف إلى اليـوم بالمدرسة الحجازية . ولـما ماتت سكنه الأمراء بالأجرة إلى أن تولى الأمير جمال الدين يوسـف أستادارية الملك الناصر فـرج بن برقوق صار يجلس بالعقـد الذى كان برحبة هـذا القصر . وأما القصر فعمله سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان ، ثم صار سجنا عاما يعرف بحبس الرحبة .

و بـما أن رحبة باب العيـد كانت تنتهى من الجهة الغربية بالطريق التى تعرف اليوم باسم شارع بيت المـال ، وأن المدرسة الحجازية التى كانت مجاورة لقصرها من الجهة البحرية لاتزال قائمة إلى اليوم ، وتعرف بجامع الحجازية بعطفة القصاصين من شارع حبس الرحبة بقسم الجمالية بالقاهرة ، فقـد بحثت عن مكان ذلك القصر الذى كان تحته إسطبل ملكتمر الحجازى زوج تتر الحجازية فى تلك الجهـة فتبين لى أنه اندثر . ومكانه اليوم الأرض القائم عليها الآن مبانى إدارة دمغة المصاغات والموازين والمكاييل و بيت المـال ومركز بوليس قسم الجمالية وزاوية بدر الدين القرافى وما جاورها ، وتحد هذه المنطقة اليوم من الشرق بشارع بيت المـال وشارع حبس الرحبة ، ومن الشمال حارة القصاصين ومن الغرب ميدان بيت القاضى بالقاهرة .

أَرْغُون العلائى المذكور وتَمُر المُوساوِى وعدّة أُخَر من الأمراء ، والقلوب متغيّرة ، ودقّت الكوسات حربيا ، ودارت النقباءُ على أجناد الحَلْقة والممـاليك ليركبوا فركب بعضهم وتخاذل بعضُهم ؛ وسار السلطان فى جَمْـع كبير من العامّة وهو يسألهم الدعاء فأسمعوه مالا يَليق ، ودَعَوْا عليه ، وسار فى نحو ألف فارس لا غير حتى قابل مَلِكْتَمُر الحجازىّ وأصحابَه من الأمراء والممـاليك ، فعند الواجهة ٱنسلّ عن السلطان أصحابُه ، وبَقِى فى أربعمائة فارس ، فبرز له آق سنقر ، وساق حتى قارب السلطان وتحدّث معه وأشار عليه بأن يَنْخَلِـعَ من السلطنة فأجابه إلى ذلك وبكى ، فتركه آق سنقر وعاد إلى الأمراء وعرّفهم بأنه أجاب أن يخلَع نفسَه ، فلم يَرْضَ أرغون شاه ، وبَدَر ومعه الأميرُ قَرابُغا والأميرُ صَمْغار والأميرُ بُزْلار والأمير غُرْلُو فى أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان وسيّروا إلى أَرْغُون العَـلائى[1] ليأتيهم ليأخذوه إلى عنـد الأمراء فلم يُوافق العلائى على ذلك ، فهجموا عليه ومزّقوا مَنْ كان معه من مماليكه وأصحابه . ثم ضَرب واحدٌ منهم أرغون العلائى بدُبُّوس حتى أرماه عن فرسه إلى الأرض ، فضَربه الأميرُ بَيْبُغا أُرُوس[2] بسيف قطع خدّه ، فانهزم عند ذلك عسكرُ السلطانِ ، وفرّ الملكُ الكامل شعبان إلى القلعة وٱختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلائى ، فسار الأمراء إلى القلعة فى جمع هائل وأخرجوا أمير حاج وأمير حسين من سجنهما ، وقبّلوا يد أمير حاجّ وخاطبوه بالسلطنة . ثم طلبوا الملك الكامل شعبان من عند أُمّه فلم يجدوه فحَرَّضُوا فى طلبه حتى وجدوه مُخْتَفِيًا بين الأزيار ، وقـد ٱتّسخت ثيابُه من وَسَخ الأزيار ، فأخرجوه بهيئته إلى الرَّحْبة[3] ثم أدخلوه إلى الدهيشة فقيّدوه وسجنوه حيث كان أخواه[4] مسجونين ووكّل به قَرَابُغا القاسِمىّ والأمير صَمْغَار .

(١) فى ف : « وسيروا إليه أرغون العلائى » . (٢) فى أعيان العصر للصفدى : « بيبغا روس » بدون همزة ، وفى كثير من المصادر وردت بهمزة وبغيرها . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من هذا الجزء . (٤) فى ف : « إخوته » .

ومن غريب الاتفاق أنه كان عَمِل طعاما لأخويه : أمير حاجّ وحسين حتى يكون غَدَاءَهما في السجن، وعُمِل سماط السلطان على العادة فوقعت الضّجة، وقد مُدّ السِّماط، فركب السلطان من غير أكل، فلمّا انهزم وقُبِض عليه، وأقيم بدله أخوه أمير حاجّ مُدّ السِّماط [بعينه له](١) فأكل منه، وأُدخِل بطعامه وطعام أخيه أمير حسين إلى الملك الكامل فأكله في السجن . واستمرّ الملك الكامل المذكور في السجن إلى يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة قُتِل وقت الظهر ودُفِن(٢) عند أخيه يوسف ليلة الخميس ، فكانت مدّة سلطنته على مصر سنةً واحدةً وثمانية وخمسين يوما، وقال الصَّفَدىّ(٣) : سنة وسبعة عشر يوما .

وكان من أشرّ الملوك ظلمًا وعسْفًا وفسْقًا . وفي أيامه — مع قصر مدّته — خربت بلاد كثيرة لشغفه باللّهو وعُكوفه على معاقرة الخمور ، وسمْع الأغاني وبيْع الإقطاعات بالبذل(٤) ، وكذلك الولايات ، حتى إنّ الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حيّ بمال لآخر، فإذا وقف مَنْ خَرَج إقطاعه قيل له نُعوِّض عليك قد أخرجناه لفلان الفلانى . وكان مع هذا كلّه سفّاكا للدماء، ولو طالت يده لأتلف خلائق كثيرة، وكان سيّئ التدبير، يُمكّن النساءَ والطواشيّة من التصرّف في المملكة والتهتّك

(١) تكلة عن السلوك .

(٢) يستفاد مما ذكره ابن إياس في تاريخ مصر (ص ١٨٦ ج ١) أن الملك الكامل شعبان دفن مع والده في القبة التي بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا)، وبما أن والده الملك الناصر محمد بن قلاوون دفن مع والده السلطان المنصور قلاوون في القبة المنصورية بشارع المعز لدين الله فيكون الملك الكامل معهما في القبة المذكورة مع أخيه يوسف الذي لم يتول السلطنة .

وقد تكلمنا على هذه القبة في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) رواية ابن إياس (ج ١ ص ١٨٦) : « فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية سنة وشهرين ونصفا » . (٤) في ف : « بالبدل » بالدال المهملة .

فى النُّزَه والصيد ولعب الكُرَة بالهيئات الجميلة و ركوب الخيول المسوّمة ، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية والغلمان ، و يُعجبه ذلك من تهتُّكهنّ على الرجال ، فشُغف لذلك جماعةٌ كثيرة من الجند بحُرَمه بما يفعلْنَ من ركوب الخيول وغيرها . وكان حريمُه إذا نزلْنَ إلى نزهة بلغت الجَرّة الخمر إلى ثلاثين درهما[(1)] ، وهذا كلُّه مع شَرَهِهِ وشَرَه حواشيه ونسائه إلى ما فى أيدى الناس من البساتين والرِّزَق والدواليب ونحوها ، فأخذت أمُّه معصرة و زير بغداد ومنظرَته على بركة الفيل ، وأشياء غير ذلك . وحدَثَ فى أيامه أخذُ خَرَاج الرِّزَق وزيادة القانون ونقْص الأجاير ، وأعيدت فى أيامه ضَمَانُ أرباب الملاعيب وعدّة مُكُوس ، وكان يحب لعب الحَمام ، فلما تسلطن تغالَى فى ذلك وقرّب مَنْ يكون من أرباب هذا الشأن ، ومع هذا الظلم والطمع لم يُوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ، إلا أنه كان مُهابا شُجاعا سَيُوسًا مُتَفَقِّدًا لأحوال مملكته ، لا يشغله لهوُه عن الجلوس فى المواكب والحكم بين الناس . ولما أُمْسِك وقُتِل قال فيه الصفدى :

بيتُ قلاوونَ سعاداتُهُ * فى عاجلٍ كانت وفى آجلِ[(2)] [السريع]
حَلَّ على أملاكه للرَّدَى * دَيْنٌ قد آستوفاه بالكاملِ

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر وهى سنة ستّ وأربعين وسبعمائة ، على أن أخاه الملك الصالح إسماعيل حكم منها إلى رابع

(١) فى ف : « الى ثلاثين ألف درهم » والسياق يأباه .

(٢) كذا فى الأصلين . وورواية المنهل الصافى والسلوك وآبن إياس وأعيان العصر وأعوان النصر لأبى الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى — نسخة فى ستة أجزاء مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة وهى غير كاملة — :

* فى عاجل كانت بلا آجل *

شهر ربيع الآخر، ثم حكم الملك الكامل هذا فى باقيها وفى أشهر من سنة سبع كما سيأتى ذكره .

فيها (أعنى سنة ست وأربعين) توفى السلطان الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمته. وفيها أيضا توفى السلطان الملك الأشرف كجك آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد خلعه من السلطنة بسنين، وقد تقدّم ذكر سلطنته أيضا ووفاته فى ترجمته .

وتوفى الأمير سيف الدين طقزدمر بن عبد الله الحموى الناصرى الساقى بالقاهرة فى مستهل جمادى الآخرة، وكان أصله من مماليك الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الأيوبى صاحب حماة، ثم آنتقل إلى ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون وحظى عنده وجعله ساقيا؛ ثم رقّاه حتى صار أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية، ثم جعله أمير مجلس وزوّجه بإحدى بناته، وصار من عظماء أمرائه الى أن مات . و[لمّا][1] تسلطن آبنه الملك المنصور أبو بكر آستقرّ طقزدمر هذا نائب السلطنة بديار مصر، ووقع له أمور حكيناها فى تراجم السلاطين من بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن أخرج إلى نيابة حماة. ثم نقل إلى نيابة حلب، ثم إلى نيابة الشام، ثم طلب إلى القاهرة فى سلطنة الملك الكامل هذا فحضر اليها مريضا فى محفّة ومات بعد أيام حسب ما تقدّم . وكان من أجلّ الأمراء[2] وأحسنهم سيرةً . كان عاقلا دينا سئوسا، عارفا، وهو صاحب الخانقاه[3] بالقرافة والقنطرة[4] خارج القاهرة على الخليج وغير ذلك ممّا هو مشهور به .

(١) تكملة يقتضيها السياق. (٢) فى الأصلين: «من أجل الملوك» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) أطلنا البحث عن موضع هذه الخانقاه فلم نقف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفّى القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محيى الدين [يحيى](١) بن فضــل الله العُمَرى الدِّمَشْقى، كاتب سِرّ دِمَشق فى سادس عشرين شهر رجب بدمشق. وكان كاتبا فاضلا من بيت فضل ورياسة، وقــد تقدّم ذكرُ جماعة من آبائه وأقاربه، ويأتى ذكرُ جماعة أُخَر من أقاربه فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعــالى.

وتُوُفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الأحمدى المنصورى أمير جَانْدَار فى يوم الثلاثاء ثالث(٢) عشر المحرّم، وهو فى عشر الثمــانين. وكان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، وأحد أعيان أمراء الديار المصرية، وهو الذى قوّى عزم قَوْصُون على سلطنة الملك المنصور أبى بكر، وكان جَارَكْسِىّ الجنس، تنقّل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر، ثم ولى نيابة صَفَد وطرابُلُس، ثم قَدِمَ القاهرة وتولّى أمير جانْدَار. وكان كريمًا شجاعًا دينًا قوىّ النفس، لم يَرْكَب قطُّ إلّا فحلًا، ولم يركب حِجْــرَة(٣) ولا إِكْدِيشًا فى عُمُــره. وكانَ له ثَرْوَةٌ كبيرةٌ، وطالت أيّامُه فى السعادة، وخلّف أملاكا كثيرةً، أذهبَ غالبَها جماعةٌ من أوباش ذرّيتــه بالاستبدال والبيع إلى يومنا هذا.

وتُوُفّى الأمــيرُ بدر الدين جَنْكَلى [بن محمــد بن البابا بن جَنْكَلى](٤) بن خليــل ابن عبد الله المعروف بابن البابا العِجْلى أتَابَك العساكر بالديار المصريّة فى عصر يوم الاثنين سابع [عشر](٥) ذى الحجّة. وكان أصله من بلاد الروم، طَلَبه الملك الأشرف خليــلُ بن قلاوون وكَتَبَ له منشورًا بالإقطاع الذى عيّنه إليــه فلم يتّفق حضورُه إلّا فى أيّام الملك الناصر محمــد بن قلاوون فى ســنة أربع وسبعمائة فأمَّرَه وأكرمه،

(١) التكملة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة والسلوك. (٢) فى السلوك: «فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرّم». (٣) الصواب فيها «حِجر» بدون هاء، كما فى اللسان. (٤) التكملة عن الدرر الكامنة. (٥) التكملة عن الدرر الكامنة والخطط المقريزية (ج٢ ص ١٣٥).

ولا زال يُرَقِّيــه حتى صار يجلس ثانى آقوش نائب الكَرَك . ثم بعــد آقوش جلس جَنْكَلِى هذا رأسَ المَيْمَنَة .

قال الشيخ صــلاح الدين : وهو من الحِشْمَة والدِّين والوَقار وعِفَّــة الفَرْج فى المَحَلّ الأقصى، ولم يَزل معظَّما من حين وَرَد إلى أن مات . وكان ركنًا من أركان المسلمين ينفَع العلماءَ والصلحاءَ والفقراءَ بمــاله وجاهه ، وكان يتفقّه ، ويحفظ رُبْع العبادات . ويقال: إنّ نَسَبه يتَّصِل بإبراهيم بن أَدْهَم رضى الله عنه، قال : وقلت فيه ولم أكتُبْ به إليه :

[السريع]

لا تَنْسَ لى يا قاتِلى فى الهَوَى * حُشَاشَــةً من حُرَقِى تَنْســلِى
لا تُرْسَ لى أَلْقَى به فى الهَوَى * سِهــامَ عَيْنَيْك مَتَى تُرْسِــلِى
لا تَخْتَ لى يَشْرُفُ قَدْرِى بِهِ * إلّا إذا ما كنتَ بى تختــلِى
لا جَنْكَ لى تُضْرَبُ أوتارُه(١) * إلّا ثَنًــا يُمْــلَى عــلى جَنْكَلِى

وتُوفّى رُمَيْثَة(٢) وآسمه مُنْجِد بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادَة آبن أبى غرير إدريس بن مُطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على ابن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المَحْض بن موسى [بن عبد الله](٣) بن الحسن(٤) ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب الحَسَنِىّ المكِّىّ أمير مكة بهــا فى يوم الجمعة ثامن ذى القعدة .

---

(١) الجنك ، معرب چنك : آلة موسيقية على شــكل رباعى (عن القاموس الفارسى الإنجليزى لاستينجاس) . (٢) ضبطه المؤلف فى المنهل الصافى بالعبارة فقال : « براء مهملة مضمومة وبعدها ميم مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة ثم ثاء مثلثة مفتوحة وهاء ساكنة » . وفى الدرر الكامنة أنه توفى سنة ٧٤٨ هـ (٣) التكملة عن شجرة نسب أشراف مكة من عمل وستفلد فى الجزء الرابع من كتاب تواريخ مكة طبع ليبزج سنة ١٨٦١ (٤) فى ف : « ابن الحسين »

وتُوُفّى الشيخ الإمام فخر الدين أحمد بن الحسن الجَارَبَرْدِى(1) شارح «البَيْضَاوِىّ»(2) .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة تاج الدين أبو الحسن على بن عبد الله [آبن أبى الحسن](3) آبن أبى بكر الأَرْدَبِيلِىّ الشافعى ، مدرّس مدرسة الأمير حُسَام الدِّين طُرُنْطَاى(4) المنصورى بالقاهرة . كان فقيهًا عالمًا بارعًا أفتى ودرّس سنين .

---

(١) ضبط فى لب اللباب للسيوطى بالعبارة (بفتح الراء والموحدة وسكون الراء ومهملة) : نسبة إلى «جار برد : قرية من قرى فارس» . (٢) هو منهاج الوصول الى علم الأصول لناصر الدين البيضاوى . وأما شرحه فغير موجود . (٣) زيادة عن الدرر الكامنة .

(٤) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه بأسم المدرسة الحسامية (ص ٣٨٦ ج ٢) . فقال : إن هذه المدرسة بخط المسطاح تجاه سوق الرقيق ، ويسلك منها إلى درب العداس وإلى حارة الوزيرية من القاهرة . بناها الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى نائب السلطنة بمصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية ، ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائها .

وبالبحث تبين لى (أولا) أن هذه المدرسة أنشئت فى سنة ٦٨٤ هـ . (ثانيا) أن خط المسطاح يشمل اليوم المنطقة التى يتوسطها عطفة الصاوى المتفرعة من شارع درب سعادة . (ثالثا) أن سوق الرقيق مكانه بيت محمد بن سويدان وهو من البيوت الأثرية ، يملكه الآن ورثة على باشا برهام بعطفة الصاوى تجاه جامع أبى الفضل . (رابعا) أن درب العداس هو الطريق التى يشغلها اليوم القسم البحرى من شارع درب سعادة فى المسافة بين شارع الأزهر ومدخل حارة الصاوى . (خامسا) حارة الوزيرية تشمل المنطقة التى تشرف على القسم الأوسط من شارع درب سعادة فيما بين مدخل حارة الصاوى وسكة النبوية . (سادسا) أن المدرسة الحسامية حل محلها جامع أبى الفضل بعطفة الصاوى بالقاهرة ، يؤيد ذلك أنه يوجد بجوار هذا الجامع تربة الأمير طرنطاى منشئ المدرسة الحسامية ، وبها تابوت عليه بعد البسملة : «هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير حسام الدين طرنطاى الملكى المنصورى . توفى يوم الخميس ٢٤ من شهر ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ» . وقد سبقت الاشارة فى هذا الكتاب ص ٢٨٤ ج ٧ أنه بعد أن دفن بجوار زاوية الشيخ عمر السعودى بن أبى العشائر بالقرافة نقلت جثته إلى المدرسة الحسامية بالقاهرة . ويوجد بجوار قبر الأمير طرنطاى قبر آخر بأسم الشيخ أبى الفضل ، ولهذا عرفت المدرسة بأسم جامع أبى الفضل . ومكتوب بازار سقف الجامع ما يبين أن الأمير عثمان جاويش تابع المرحوم حسن كتخدا القصدغلى جدّده فى سنة ١١٤٠ هـ . وهى الآن جامع صغير قديم . والظاهر أن =

وتُوُفِّى الشيخ المُقْرِئ تقىّ الدين محمد[1] [بن محمد بن على] بن هُمَام ابن راجى الشافعىّ، إمام جامع الصالح[2] خارج باب زَوِيلةَ ومُصنِّف « كتاب

== على باشا مبارك لم يوصله بحثه إلى الحقيقة بدليل أن ما ذكره فى الخطط التوفيقية عن المدرسة الحسامية وعن جامع أبى الفضل لا يتفق والواقع ، فإنه لما تكلم عن المدرسة المذكورة (ص ٦ ج ٦) قال : إن هذه المدرسة قد تخرّبت ولم يبق منها إلا المحراب ، وأخذ منها قطعة فى مطهرة جامع المغربى الذى كان يعرف قديما بالمدرسة الزمامية بسوق الشمارسة (تجار الصينى) .

وأقول : إن سوق الشمارسة هو الذى يعرف اليوم بشارع السلطان الصاحب وشارع اللبودية المتفرعين من شارع الأزهر، وفضلا عن أن جامع المغربى هو جامع آخر غير المدرسة الزمامية فإن ماذكره مبارك باشا لا ينطبق على مكان المدرسة الحسامية ، بل ينطبق على مكان المدرسة الصاحبية التى تكلمنا عليها فى الحاشية رقم (٤ ص ٢٨٠) من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ولما تكلم مبارك باشا على جامع أبى الفضل (ص ٥٣ ج ٤) قال : إن هذا الجامع هو المدرسة القطبية التى ذكرها المقريزى ، وقال : إنها فى خط سويقة الصاحب داخل درب الحريرى .

وأقول : إن المدرسة القطبية قد خربت من قديم وزال أثرها ، وليس لها أية علاقة بجامع أبى الفضل الذى هو المدرسة الحسامية كما ذكرنا . وقد تكلمنا عن المدرسة القطبية فى الحاشية رقم ٧ ص ١٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(١) وافق المؤلف هنا المقريزى حيث ذكر تقى الدين هذا ضمن من توفوا سنة ٧٤٦ هـ . ولما أردنا تحقيق نسبه وتاريخ وفاته فى السنة المذكورة فلم نهتد إلى وجه الصواب فيه ، فتابعنا البحث عنه فى المصادر التى تحت يدنا حتى يئسنا ، وأخيرا رجعنا إلى كشف الظنون لتحقيق مصنفه « كتابه سلاح المؤمن » فوجدنا أن نسبه ناقص وأن ذكره فى وفيات سنة ٧٤٦ هـ خطأ صوابه سنة ٧٤٥ هـ (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ٢٨ وغاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ ص ٢٤٥ وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٤ والدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٣) .

(٢) هذا الجامع من المساجد الكبيرة فى القاهرة وهو آخر مسجد أنشئ فى عهد الدولة الفاطمية بمصر . أنشأه الصالح طلائع بن رزيك ، وكان يلقب بالملك الصالح ، وذلك فى سنة ٥٥٥ هـ خارج باب زويلة ، وكان الصالح وقتئذ وزيرا للخليفة الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر إسماعيل ، ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذا الجامع فى حين أن ذلك ثابت فى الكتابة التى بأعلى الوجهة الغربية . وقال : إن صلاة الجمعة لم تقم فى هذا المسجد إلا فى سنة ٦٥٢ هـ . ولعل تعطيل صلاة الجمعة فى هذا المسجد طوال هذه المدة يرجع إلى كراهة الأيوبيين للمذهب الشيعى . ==

سلاح المؤمن[(١)] » . رحمه الله .

§ — أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

= وكتب الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش إدارة حفظ الآثار العربيـة في مصر في مذكراته عن هذا الجامع قال : إنه من المساجد الكبيرة ، إذ تبلـغ مساحته ١٥٢٢ مترا مربعا ، وله أربع وجهات مبنية كلها بالحجر ، وأهمها الوجهة الغربيـة وبها الباب العمومي المشرف على شارع قصبة رضـوان وباب زويلة ، ويتكون الجامع من الداخل من أربعة إيوانات ، أكبرها الإيوان الشرقي الذي به المحراب ، ويتوسطها صحن كبير به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج . وكانت المنارة الأصلية تعلو الباب الغربي ، ثم هدمت ، وتجدد في مكانها منارة بسيطة أزيلت كذلك في سـنة ١٩٢٦ م لخلل حدث بها . وقد حليت الوجهات الغربية والبحرية والقبلية للجامع من أعلاها بأفاريز كتب عليها آيات قرآنيـة بالخط الكوفي المزخرف ، وحليت عقود الشبابيك بزخارف هندسية جميلة ، ويتوسط كل وجهة باب يوصل إلى صحن المسجد ، وبأسفل تلك الوجهات عدة دكاكين يعلوها كذلك إفريز حلى بتربيع مزخرفة .

وقد عمل في هذا الجامع عدة اصلاحات أهمها إصلاحان : أولهما في سنة ٦٩٩ هـ ، ومن بقاياه المنبر الحالي ، وثانيهما في سنة ٨٨٢ هـ .

وفي عصرنا الحاضر كان هذا الجامع على حالة سيئة جدا من الخراب كما شاهدته ، إذ أقيم بلصق وجهاته منازل ودكاكين أخفتها عن النظر ، واحتجبت الدكاكين التي تحت الجامع بارتفاع الأرض عليها ، وكذلك تهدمت الأواوين التي حول الصحن ما عدا الإيوان الشرقي .

وقد أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الحالة السيئة فبدأت من سنة ١٩٣١ في تعمير هذا الجامع ، فأعادت بنـاء الدكاكين وعملت لها خندقا أمامها وسلالم فأظهرتها ، ثم نزعت ملكية المنازل والدكاكين التي كانت بلصق الوجهات ، وقامت بترميم وبناء تلك الوجهات وكشفتها حـتى عادت إلى حالتها الأولى ، وأصلحت الأواوين الثلاثة حول الصحن ، وأعيـد بناء الإيوان الرابع الغربي ، وتم تعمير أكبر قسم من الجامع في سنة ١٩٤٣ — وكان الغرض منه المحافظة على نموذج بناء هذا الجامع الفاطمي ، والانتفاع به في إقامة الشعائر — وقد عاد هذا الأثر الجليل الى ما كان عليه صالحا للصلاة ، وهو اليوم عامر بإقامة الشعائر الدينية ، وأن تقوم لجنة حفظ الآثار العربية التي لها — أن تفتخر بإحياء هـذا الأثر — بإعادة بناء المنارة في مكانها وبرسمها القديم .

(١) هو كتاب منتخب من الكتب الستة . توجد منه نسخة مخطـوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٧٥ حديث م] .

ذكر سلطنة الملك المظفر حاجّى على مصر

السلطان الملك المظفّر زين الدين حاجّى المعروف بأمير حاج آبن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة والسادس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون. جلس على سرير الملك بعد خَلع أخيه الملك الكامل شعبان والقبض عليه فى يوم الآثنين مستهلّ جُمادَى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة . وكان سجَنه أخوه الملك الكامل شعبان كما تقدّم ذكره . فلمّا آنهزم الملك الكامل من الأمراء بقُبّة النصر ساق فى أربعة مماليك إلى باب السرّ من القلعة ، فوجده مغلقا والمماليك بأعلاه ، فتلطّف بهم حتّى فتحوه له ، ودخل إلى القلعة لقتل أخويه حاجّى هذا ومعه حسين ، لأنهما كانا حُبِسا معا ، فلم يفتح له الخُدّام الباب فمضى إلى أمّه فآختفى عندها وصَعِد الأمراءُ فى أثره إلى القلعة بعد أن قبضوا على الأمير أَرْغُون العَلائىّ وعلى الطواشى جَوْهَر السَّحَرْتى اللالا وَأَسَنْدَمُر الكاملىّ وقُطْلُوبُغَا الكَرَكىّ وجماعة أُخر ، ودخل بُزْلار وَصُمغار راكبَيْن إلى باب الستارة[1] وطَلَبا أمير حاج المذكور ، فأدخلهما الخُدّام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما ، وخاطَبا أميرَ حاجّ فى الوقت بالملك المظفّر . ثم دخل إليه الأمير أَرْغُون شاه ، وقبّل له الأرض وقال له : بسم الله أُخرج أنت سلطاننا ، وسار به وبأخيه حسين إلى الرحبة وأجلسوه على باب الستارة.

---

(١) لما تكلم المقريزى على باب النحاس الذى علقنا عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة قال : إن باب النحاس كان من داخل باب الستارة ، والظاهر أن باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمه ، وقد زال الباب بزوال تلك القصور وحل مكانها السراى الكبرى التى أنشأها محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٤٣ هـ لسكناه هو وحرمه ، ولا تزال موجودة تعرف بآسم قصر الحرم فى القسم الشمالى الغربى من مبانى القلعة أى فى الجهة الغربية من جامع سليمان باشا الذى يعرف بجامع سيدى سارية ، وهذا القصر يشغله اليوم المتحف الحربى .

ثم طُلِب شعبان حتى وُجِد بين الأزيار وحبسوه حيث كان أخواه ، وطلبوا الخليفة والقضاة وفوّض عليه الخِلْعة الخليفتى ، وركب من باب الستارة بأبّهة السلطنة وشعار المُلْك من باب الستارة إلى الإيوان ، وجلس على تخت الملك وحمل المماليك أخاه أمير حسين على أكتافهم إلى الإيوان . ولُقِّب بالملك المظفّر وقبّل الأمراء الأرض بين يديه وحلف لهم أنه لا يؤذى أحدا منهم ، ثم حلفُوا له على طاعته ، وركب الأمير بَيْغرا البريدَ وخرج إلى الشام ليُبَشّر الأمير يَلْبُغا اليَحْياوىّ نائب الشام ويُحَلِّفه ويُحلِّف أيضا أمراء الشام للملك المظفّر .

ثم كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحى من المغارم ورماية الشعير والبرسيم . ثم حُمِل الأمير أَرْغُون العلائى إلى الإسكندرية . وفى يوم الأربعاء ثالثه قُتِل الملك الكامل شعبان وقُبِض على الشيخ علىّ الدوادار ، وعلى عشرة من الخدّام الكاملية ، وسُلِّموا إلى شادّ الدواوين ، وسُلِّم أيضا جَوْهر السَّحَرْتى وقُطْلُوبُغا الكَرَكىّ ، وأُلزِموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس فعُذِّبوا بأنواع العذاب ، ووقعت الحَوْطة على موجودهم . ثم قُبِض على الأمير تَمُر الموساوى ، وأُخْرِج إلى الشام . وأمر بأمّ الملك الكامل وزوجاته فأُنزِلْن من القلعة إلى القاهرة ، وعُرِضت جوارى دار السلطان فبلغت عِدَّتهن خمسمائة جارية فَفُرِّقن على الأمراء ، وأُحيط بموجود حَظِيّة الملك الكامل التى كانت أولا حظيّة أخيه الملك الصالح إسماعيل المدعوّة إتفاق وأُنزِلت من القلعة ، وكانت جارية سوداء حالكة السواد ، اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس ، وعلّمتها الضربَ بالعُود على الأستاذ عَبْد علىّ العَوّاد [1] ، فَمَهَرت فيه وكانت حسنة الصوت جيّدة الغناء فقدّمتها لبيت السلطان ، فاشتهرت فيه حتى شُغِف بها الملك الصالح

(١) كذا فى الأصلين . وفى الدرر الكامنة : « فعلمتها عند على العجمى ضرب العود » .

إسماعيل ، فإنه كان يَهْـوَى الجوارى السودان وتزوج بها . ثم لمـا تسلطن أخوه الملك الكامل شعبان باتت عنـده من ليلته ، لمـا كان فى نفسه منها أيام أخيه ، ونالت عندهما من الحظّ والسعادة ما لا عُرف فى زمانها لآمرأة ، حتّى إن الكامل عَمِل لها دائر بيت طوله آثنتان وأربعون ذراعا وعرضه ست أذرع ، دخل فيـه خمسة وتسعون(١) ألف دينار مصرية ، وذلك خارج عن البَشْخَاناه(٢) والمخادّ والمساند، وكان لها أربعون بَذْلة ثياب مرصّعة بالجواهر، وستة عشر مَقْعَد(٣) زَرْكَش، وثمانون مقنعة ، فيها ما قيمتُه عشرون ألف درهم وأشياء غير ذلك ، إستولوا على الجميع . ثم آسـترجع السلطان جميعَ الأملاك التى أخذتْها حريم الكامل لأربابها . ثم نودِى بالقاهرة ومصر برفع الظلامات ، ومنع أرباب الملاعيب جميعهم .

وخَلَع السلطان على علم الدين عبد الله [بن أحمد بن إبراهيم](٤) بن زُنْبور بآنتقاله من وظيفة نظر الدولة(٥) إلى نظر الخاص(٦) عوضا عن فخر الدين بن السعيد(٧)، وقبَض على

(١) فى الدرر الكامنة : «فبلغ جميع ذلك ستة وثمانين ألف دينار مصرية» . (٢) البشخاناه: الكلة (الناموسية) . (٣) فى السلوك : « وست عشرة بذله حرير ثياب بدائر زركش » .

(٤) التكلة عن الدرر الكامنة . (٥) نظر الدولة (نظر الدواوين) : موضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه الوزير ، وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١) .

(٦) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمـد بن قلاوون — رحمه الله — حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها التحدث فيا هو خاص بمال السلطان . قال فى مسالك الأبصار : «وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه» وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين (يعنى فى زمن تعطيل الوزارة) . وصاحب هـذه الوظيفة لا يقدر على الآستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخاص أتباع من كتّاب ديوان الخاص كمستوفى الخاص ، وناظر خزانة الخاص ونحو ذلك ممـا لا يسع استيعابه . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٠) .

(٧) هو الصاحب الوزير فخـر الدين عبـد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر سعيد الدولة . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

ٱبن السعيد وخلَع على موّفق الدين عبد الله بن إبراهيم بٱستقراره ناظر الدولة عوضا عن ٱبن زنبور ، وخلع على سعد الدين حربا ، وٱستقر فى ٱستيفاء الدولة عوضا عن ابن الرِّيشة (١) .

ثم قدِم الأمير بَيْغَرا من دِمَشق بعد أن لَقِىَ الأمير يَلْبُغَا اليحياوى نائب الشام ، وقد برز إلى ظاهر دمشق يريد السير إلى مصر بالعساكر لقتال الملك الكامل شعبان ، ٥ فلما بلغه ما وقع سُرّ سرورا عظيما زائدا بزوال دولة الملك الكامل ، وإقامة أخيه المظفّر حاجّى فى الملك ، وعاد يلبغا إلى دِمشق وحلَف للملك المظفر وحلّف الأمراء على العادة ، وأقام له الخطبة بدمشق ، وضَرب السِّكّة باسمه ، وسير إلى السلطان دنانير ودراهم ، وكتَب يُهنِّئ السلطان بجلوسه على تخت الملك ، وشكا من نائب حلب ونائب غزة ونائب قلعة دِمشق مُغْلَطَاى ومن نائب قلعة صفد قُرُبْجى ، من أجل أنهم ١٠ لم يُوافقوه على خروجه عن طاعة الملك الكامل شعبان ، فرَسم السلطان بعزل الأمير طُقْتَمُر الأحمدى نائب حلب وقدومه إلى مصر ، وكتَب بٱستقرار الأمير بَيْدَمُر (٢) البَدْرى نائب طرابُلُس عوضه فى نيابة حلب ، وٱستقر الأمير أَسَنْدَمُر العُمَرِىّ نائب حماة فى نيابة طرابلس ، وهذا أوّل نائب ٱنتقل من حماة إلى طرابلس ، وكانت قديما حماة أكبر من طرابلس ، فلما ٱتّسع أعمالها صارت أكبر من حماة . ١٥

ثم كتب السلطان بالقبض على الأمير مُغْلَطَاى نائب قلعة دِمشق وعلى قُرُبْجى نائب قلعة صفد . ثم كتَب بعزل نائب غزّة ، وكان الأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِىّ لما عاد إلى دَمشق بغير قتال عَمّر — موضع كانت خيمته عند مسجد القدم — قبّة سمّاها قُبّة النصر (٣)

(١) هو عبد الله بن ريشة أمين الدين القبطى الأسلمى ناظر الدولة . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٩٠ هـ . (٢) فى الأصلين : «أيدمر البدرى» . وما أثبتناه عن الدرر الكامنة والسلوك . ٢٠

(٣) رواية المنهل الصافى فى الكلام على يلبغا المذكور : «وعمر هو قبة النصر عند مسجد القدم» ولا يزال مسجد القدم قائما إلى الآن فى الجنوب من دمشق (راجع دليل سوريا وفلسطين لبدكر) .

التى تُعرف الآن بقُبّة يلبغا . ثم خلع السلطان على الطواشى عَنْبَر السَّحَرتى باستقراره مقـدّمَ المـاليك السلطانية ، كما كان أوّلا فى دولة الملك الصالح عوضـا عن محسن الشّهابىّ . وخلع على مختصّ الرسولى بآستقراره زِمَام دار ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير أَرْغُون العـلائى على الأمير أَرْغُون شاه ، وأنعم على كلّ من أَصْلم وأَرُقْطاى بزيادة على إقطاعه ، وأنعم على آبن تَنْكِز بإمرة طبلخاناه ، وعلى أخيه الصغير بإمرة عشرة .

ثم فى يوم الآثنين خامس [عشر] [1] جُمَادَى الآخرة أمَّر السلطان ثمانية عشر أميرا ونزلوا إلى قُبّة المنصورية [2] ولبسوا الخِلَع ، وشقّوا القاهرة حتى طلعوا إلى القلعة فكان لهـم بالقاهرة يوم مشهود . ثم فى يوم الخميس ثالث شهر رجب خلَع السلطان على الأمـير أَرُقْطاى باستقراره نائب السلطنة بديار مصر بآتفاق الأمراء على ذلك بعـد ما آمتنع من ذلك تمنعـا زائدا ، حتى قام الحجازى بنفســه وأخذ السيف ، وأخذ أَرْغُون شـاه الخلعة ودارت الأمراء حوله ، وألبسوه الخلعة على كُرْه منـه ، فخرج فى موكب عظيم ، حتى جلس فى شُبّاك دار النيابة ، وحكم بين الناس ، وأنعم السلطان عليه — بزيادة على إقطاعه — ناحيتى المطرية [3] والخصوص [4] ، لأجل سِماط النيابة . ثم ركب السلطان بعد ذلك ونزل إلى سِرْياقوس على العادة كلّ سنة ، وخلع على الأمير تَمُرْبُغا العقيلى بآستقراره فى نيابة الكَرَك عوضا عن الأمـير قُبْلَاى . ثم عاد السلطان

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . (٢) هى القبة التى بها قبر السلطان المنصور قلاوون بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وتكلمنا عليها فيما سبق فى الحاشية رقم ٢ ص٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) هى قرية واقعة فى شمال بلدة المطرية من ضواحى القاهرة على بعد أربعة كيلومترات منها ، وهى الآن إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ؛ وكانت تسمى قديما خصوص عين شمس لقربها من مدينة عين شمس التى تقع أطلالها بأراضى ناحية المطرية . ومساحة أراضيها ١٩٨٧ فدانا . وعدد سكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

إلى القلعة، و بعد عوده فى أوّل شهر رمضان [(١)] مَرِض السلطان عِدّة أيام . ثم فى يوم الآثنين خامس عشرين [(٢)] شهر رمضان خرج الأمير أُرْغُون شاه الأستادار على البريد إلى نيابة صفد، وسبب ذلك تكبُّره على السلطان، وتعاظمه عليه وتحكُّمه فى الدولة، ومعارضته السلطان فيما يرسُم به، وفُحْشه فى مخاطبة السلطان والأمراء حتّى كرهته النفوس، وعزَم السلطان على مسكه فتلطّف به النائب حتى تركه، وخلَع عليه بآستقراره فى نيابة صفد، وأخرجه من وقته خشيةً من فتنة يثيرها، فإنّه كان قد آتفق مع عِدّة من المماليك على المخامرة، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير مَلِكْتَمُر الحجازى وأُعطى ناحية بُوتيج [(٣)] زيادة عليه .

ثم فى يوم الأحد أوّل شوّال تزوج السلطان ببنت الأمير تَنْكِز زوجة أخيه الكامل . وفى آخر شوّال طُلِبت اتفاق العوّادة إلى القلعة فطَلعتْ بجواريها مع الخدّام وتزوجها السلطان خفية، وعَقَد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجَوْجَرِى [(٤)]

(١) فى السلوك : « فى ثانى شهر رمضان » . (٢) فى الأصلين : « خامس عشر » . وما أثبتناه عن السلوك. (٣) هى من المدن المصرية القديمة فى صعيد مصر، تعرف بآسم «أبو تيج» . اسمها المصرى القديم «باشنا» ومعناها المخزن أو الشون لأنها كانت فى العهد القديم شونة لجميع الغلال التى تجمع من بلاد الصعيد وتنقل إلى الإسكندرية، ثم تصدر إلى روما . وترجم الروم آسمها إلى بوتيكى ومنها اسمها العربى بوتيج ثم أبو تيج . وذكرها ياقوت فى معجمه فقال : «بوتيج بلدة بالصعيد غربى النيل بمصر . وهى عامرة نزهة ذات نخيل كثير وشجر ونير» . ثم ذكرها آبن دقاق فى كتاب الانتصار فقال : « بوتيج من المدن المليحة بها جامع كبير قديم وبها مدارس وحمام مليحة وبها قيسارية وفنادق ولها سوق أسبوعى كبير ويقوم بها قاض» . ولما أنشئ قسم أبو تيج فى سنة ١٨٣٣ جعلت مدينة أبو تيج قاعدة لها، ولا زالت قاعدة لمركز أبو تيج أحد مراكز مديرية أسيوط ومن مدنها الشهيرة . ومساحة أطيانها ٢٥١٤ فدانا وعدد سكانها حوالى ١٨٠٠٠ نفس .

(٤) الجوجرى : نسبة الى جوجر، وهى قرية قديمة وردت فى قوانين الدواوين طبع الجمعية الزراعية ص ١٢٥ والتحفة السنية ص ٧٥ طبع بولاق . وفى خطط المقريزى فى الكلام على كنائس اليهود ج ٢ ص ٤٧٠ وفى خطط على باشا ج ١٠ ص ٧٠، وهى تقع على الشاطئ الغربى لفرع دمياط . وفى مقابلتها منية بدرخميس على الشاطئ الشرقى وفى قبلها منية الغرقى وإليها ينسب علماء مشاهير: وهى اليوم إحدى قرى مركز طلخا مديرية الغربية .

شاهد الخزانة[1]، وبَنَى عليها من ليلته، بعد ما جُليت عليه، وفُرِش تحت رجليها ستون شُـقّة أطلس، ونُثِر عليها الذهب . ثم ضَربت بعُودها وغنّت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وستّ لؤلؤات، ثمنها أربعة آلاف[2] دينار .

قلت : وهذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء، وحَظِيت عنده، فهذا من الغرائب، على أنها كانت سوداء حالكة لا مولّدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة فى ذلك وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه . فسبحان المسخِّر .

وفى ثانى شوّال[3] أنعم السلطان على الأمير طَنْيَرَق مملوك أخيه يوسف بتقدمة ألف بالديار المصريّة دفعةً واحدة، نقلَه من الجندية إلى التقدمة لجمال صورته، وكثُر كلام المماليك بسبب ذلك . ثم رَسَمَ السلطان بإعادة ما كان أُخرج عن اتّفاق العوّادة من خُدّامها وجواريها، وغير ذلك من الرواتب، وطلَب السلطان عبدَ علىّ العوّاد المغنِّى معلِّمَ اتفاقَ إلى القلعة وغَنَّى السلطانَ فأنعم عليه بإقطاع فى الحَلْقة زيادة على ما كان بيده وأعطاه مائتى دينار وكامليّة حرير بفرو سمّور . وانهمك أيضا الملك المظفّر فى اللذات، وشُغِف باتفاق حتى شَغَلته عن غيرها وملكت قلبَـه، وأفرط فى حبها، فشقّ ذلك على الأمراء والمماليك وأكثروا من الكلام، حتّى بلغ السلطانَ، وعزم على مسك جماعة منهم، فما زال به النائب حتى رجَع عن ذلك .

---

(١) هى من الوظائف الديوانية . وفى دوزى بمعنى موظف المالية والجمرك وأيضا مفتش ومسجل . (عن كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى فهرس الاصطلاحات ص ٤٥٦ من طبعة الجمعية الزراعية الملكية) . وفى صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٦٦) هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان نفيا وإثباتا .

(٢) فى السلوك : « أربعمائة ألف درهم » .

(٣) فى م و ف : « ثانى ذى القعدة » وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه عن السلوك وما يقتضيه السياق .

ثم خلع السلطان على قُطْلِيجا الحموى، وآستقرّ فى نيابة حماة عوضا عن طَيْبُغَا المجدى وخلع أيضا على أَيْتَمُش عبد الغنى وآستقرّ فى نيابة غَزّة، وخرجا من وقتهما على البريد، وكتب بإحضار المجدى، فقدِم بعد ذلك إلى القاهرة، وخلع عليه بآستقراره أستادارا[1] عوضا عن أَرْغُون شاه المنتقل إلى نيابة صَفَد.

وفى يوم أوّل محرم[2] سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة ركب السلطان فى أمرائه الخاصّكيّة ونزل إلى الميدان[3] ولعب بالكُرة فغلب الأميرَ مَلِكْتَمُر الحجازىّ فى الكرة، فلزِم الحجازىّ عمَلَ وليمة فعملها فى سِرْيَاقُوس، ذبح فيها خمسمائة رأس من الغنم وعشرة أفراس، وعمِل أحواضا مملوءة بالسكر المُذاب، وجمع سائر أرباب الملاهى وحضرها السلطانُ والأمراءُ، فكان يوما مشهودا. ثم ركب السلطان وعاد، وبعد عوده قدم كتاب الأمير أَسَنْدَمُر نائب طرابُلُس يسأل الإعفاء فأُعْفِى. وخلع على الأمير مَنْكَلِى بُغا أمير جاندار وآستقرّ فى نيابة طرابلس.

وفى هذا الشهر شكا الناس للسلطان من بُعد الماء عن برّ مصر والقاهرة، حتى غلت روايا الماء، فرسم السلطان بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكُتِبَ تقديرُ ما يُصْرَف على الجسر مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، جُبِيَت من أرباب الأملاك المطلّة على النيل، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع، وقام بآستخراج ذلك وقياسه محتسِبُ القاهرة ضياء الدين [يوسف[4] بن أبى بكر محمد الشهير بآ] بن خطيب بيت[5] الآبار.

(١) فى ف: «باستقراره وأستادار» وهو خطأ تصحيحه عن م والسلوك.

(٢) فى ف: «وفى يوم الثلاثاء أوّل محرم ... إلخ». وما أثبتناه عن السلوك وم.

(٣) يريد بالميدان هنا الميدان الذى تحت القلعة وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٤) التكملة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦١ هـ وهى السنة التى توفى فيها.

(٥) قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق، فيها عدة قرى. خرج منها غير واحد من رواة العلم (عن ياقوت).

وفى هـذه الأيام توقّفت أحـوالُ الدولة من كثرة رواتب الخـدّام والعجائز والجوارى، وأخذهم الرِّزَق بأرض بهتيم[1] من الضواحى و بأراضى الجـيزة وغيرها ، بحيث إنه أخذ مُقْبِلٌ الرومى عشرة آلاف فدان .

وفى هذه الأيام رَسَم السلطان للطواشى مُقبـل الرومى أن يُخْرِج اتفاق العوّادة وسَـلْمَى والكَرَكِيّة حظايا السلطان من القلعة بمـا عليهن من الثيـاب ، من غير أن يَحمِلن شيئا من الجوهر والزَّرْكَش ، وأن تُقْلَع عصبةُ إتفاق عن رأسها و يدَعَها عنده ، وكانت هذه العصبة قد آشتهرت عنـد الأمراء ، وشَنُعت قالتها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الإخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون : الملكُ الصالحُ إسماعيل والملك الكاملُ شعبانُ والملك المظفَّر حاجّى هذا ، وتنافسوا فيها وآعتنوا بجواهرها حتّى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصريّة .

وسـبب إخراج إتّفاق وهؤلاء من الدور السلطانيّـة أن الأمراء الخاصّكيّة : قَرَابُغا وصَمْغَار وغيرهما بلغهما إنكار الأمراء الكِبار والمماليك السلطانية شِـدّة شغف السلطان بالنسوة الثـلاث المذكورات وآنهماكه على اللهو بهنّ ، وآنقطاعه إليهن بقاعة الدهيشة عن الأمراء و إتلافه الأموال العظيمة فى العطـاء لهنّ ولأمثالهن ، و إعراضه عن تدبير الملك ، وخوّفوه عاقبة ذلك ، فتلطّف بهم وصوّب ما أشاروا

(١) أصلها من المـدن المصرية القديمة آسمها المصرى « حتب حيم » والقبطى « بهتيت » وذكرها ابن دقماق فى كتاب الآنتصار فقال : « بهتيت من المـدن القديمة و بها كيمان وآثار قديمة ، وهى إلى جانب قرية الأميرية من ضواحى القاهرة » . وذكرها المقريزى فى خططه عند الكلام على ضواحى القاهرة (ص ١٢٩ ج ٢) باسم بهتين ثم حرف آسمها بعد ذلك من بهتيت ، بهتين إلى بهتيم وهو آسمها الحالى ، وهى الآن قرية زراعية من قرى ضواحى القاهرة .

وقد آتخـذت الجمعية الزراعية الملكية جزءا من أراضى هذه البلدة حقولا للتجارب الزراعية وأنشأت بها مزرعة نموذجيـة كبيرة ، وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها . وتقع بهتيم فى شمال القاهرة على بعد سبعة كيلومترات . ومساحة أراضيها ٢٦٣٢ فدانا . وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٢ عزبة .

به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء ، وأخرجهنّ السلطان وفى نفسه حَزَازات لفراقهنّ ، تمنعه من الهدوء والصبر عنهنّ ، فأحب أن يتعوض عنهن بما يُلهيه ويُسليه ، فآختار صنف الحَمَام ، وأنشأ حَضِيرًا (١) على الدهيشة رَكّبه على صوارى وأخشاب عالية ، وملأه بأنواع الحَمَام ، فبلغ مصروف الحضير خاصّةً سبعة آلاف (٢) درهم ، وبينا السلطان فى ذلك قَدِم جماعة من أعيان الحلبيين وشكوا من الأمير بَيْدَمر البدرى نائب حلب فعزله السلطان بأَرْغُون شاه نائب صفد ، ورَسم ألّا يكون لنائب الشام عليه حُكم ، وأن تكون مكاتباته للسلطان ، حمَل إليه التقليد الأمير طَنْيَرَق .

ثم ورَدَ الخبرُ باختلال مراكز البريد بطريق الشام ، فأُخذ من كل أمير مقدّم ألف أربعةُ أفراس ، ومن كل طبلخاناه فرسان ، ومن كلّ أمير عشرة فرس واحد ، وكُشف عن البلاد المُرْصدَة للبريد فوُجد ثلاثُ بلاد منها وقف الملك الصالح إسماعيل ، وقف بعضَها وأخرج باقيها إقطاعات ، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجّان (٣) بلدًا تعمل فى كل سنة عشرين الف درهم ، وثلاثة آلاف إردب غلّة ، وجعلها مرصدة لمراكز البريد .

وآستمرّ خاطر السلطان موغَرا على الجماعة من الأمراء بسبب إتفاق وغيرها ، إلى أن كان يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة ، كانت الفتنة العظيمة التى قُتِل فيها مَلِكْتَمُر الحِجازىّ وآق سنقر وأُمسِك بزُلّار

(١) فى الدرر الكامنة : « حظير » بالظاء المعجمة .

(٢) فى السلوك والدرر الكامنة : « فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم » .

(٣) هو عيسى بن حسن العائذى ، خدم الناصر أحمد وهو بالكرك فلما عاد إلى ملكه سلم إليه الهجن السلطانية وآعتمد عليه فعظمت مرتبته وكثرت أمواله ، وصارت الشرقية كلها فى حكمه الى أن ولى الحكم السلطان حسن بن الناصر فقبض عليه فى ربيع الآخر سنة ٧٥٤ هـ (عن الدرر الكامنة) .

وصُمْغَار وأَيْتَمُش عبد الغنى؛ وسبب ذلك أن السلطان لما أَخرج إتّفاق وغيرها ، وتشاغل بلعب الحَمَام صار يُحضر إلى الدهيشة الأوباش ، ويلعب بالعصا لعب صِبَاح[1] ، ويُحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياه يَسْخَر له وينقل إليه أخبار الناس ، فشقّ ذلك على الأمراء وحدّثوا أُلْجيبغا[2] وطَنْيَرَق بأن الحال قد فسد ، فعرّفا السلطان ذلك ، فاشتدّ حَنَقُه ، وأطلق لسانه ، وقام إلى السطح وذبَح الحمام بيده بحضرتهما ؛ وقال لهما : والله لأذبحنّكم كما ذبحت هذه الطيور ، وأغلق باب الدهيشة ، وأقام غضبان يومَه وليلَته ، وكان الأمير غُرْلُو[3] قد تمكّن من السلطان فأعلمه السلطان بما وقع ، فنال غُرْلُو من الأمراء وهوّن أمرهم عليه ، وجسّره على الفتك بهم والقبض على آق سُنْقر ، فأخذ السلطان فى تدبير مايفعله ، وقرّر ذلك مع غرلو . ثم بعث طَنْيَرَق فى يوم الأربعاء خامس عشر شهر ربيع الآخر إلى النائب يُعرّفه أن قَرَابُغَا القاسمى وصَمْغَار وبُزْلار وأَيْتَمُش عبد الغنى قد آتفقوا على عمل فتنة ، وعزمى أن أقبض عليهم قبل ذلك ، فوعده النائب بردّ الجواب غدًا على السلطان فى الخدمة ، فلمّا آجتمع النائب بالسلطان أشار عليه النائب بالتثبّت فى أمرهم حتّى يَصِحّ له ما قيل عنهم . ثم أصبح فعرّفه السلطان فى يوم الجمعة بأنه صحّ عنده ما قيل بإخبار بَيْبُغَا أُرُس أنهم تحالفوا على قتله ، فأشار عليه النائب أن يجمع بينهم وبين بيبغا أُرُس ، حتى يحاققهم بحضرة

(١) فى الدرر الكامنة : « وصار يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع » . ولم نقف على معنى : « لعب صباح » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) تقدم ذكر هذا الآسم فى الجزء التاسع من هذه الطبعة فى غير موضع وضبطناه هناك بناء على ماورد فى المنهل الصافى ؛ وحيث إن المؤلف نفسه قال هنا فى أثناء ترجمة الملك المظفر حاجى : « وقد ذكرناه أيضا نحن فى المنهل الصافى فى حرف الهمزة ؛ غير أن جماعة كثيرة ذكروه « غرلو » فآقتدينا بهم هنا وخالفناهم هناك» . وسنعتمد على ما ذكره المؤلف هنا . وقد ضبط بالقلم فى غير موضع فى تاريخ سلاطين المماليك : (بضم الغين المعجمة وسكون الراء وضم اللام) . انظر آبن إياس (ج ١ ص ١٨٧) وانظر السلوك طبعة زيادة (ص ٨٠٨ ج ١) .

الأمراء يوم الأحد، وكان الأمر على خلاف هذا، فإن السلطان كان اتفق مع غُرْلُو وعَنْبَر السَّحَرْتى مقدّم المماليك على مسك آق سُنْقر ومَلِكتمر الحجازى فى يوم الأحد.

فلمّا كان يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر[(1)] المذكور حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة على العادة بعد العصر ومُدّ السماط؛ وإذا بالقصر قد مُلِئ بالسيوف المسلّلة من خلف آق سنقر والحجازى، وأحيط بهما وبقرابُغا، وأُخذوا إلى قاعة هناك، فضُرِب مِلْكتَمُر الحجازىّ بالسيوف وقُطِّع[(2)] هو وآق سُنْقُر قطعا، وهَرَب صَمْغَار وأَيْتَمُش عبد الغنى، فركب صمغار فرسه من باب القلعة، وفرّ إلى القاهرة، واختفى أيتمش عند زوجته، وخرجت الخيل وراء صمغار حتى أدركوه خارج القاهرة؛ وأُخذ أيتمش من داره فارتجّت القاهرة، وغُلِّقت الأسواق وأبواب القلعة، وكثُر[(3)] الإرجاف إلى أن خرج النائب والوزير قريب المغرب، وطَلَبَا الوالى ونُودى بالقاهرة، فاشتهر ما جرى بين الناس، وخاف كلُّ أحد من الأمراء على نفسه.

ثمّ أمَر[(4)] السلطان بالقَبْض على مرزة علىّ وعلى محمد بن بَكْتَمُر الحاجب وأخيه وعلى أولاد أَيْدُغْمُش [وأولاد قُمارِى[(5)]، وأُخرِجُوا الجميع إلى الإسكندرية هم وبُزْلَار وأَيْتَمُش] وصمغار، لأنهم كانوا من ألزام الحجازى ومعاشريه، فسُجنوا بها، وأُخرِج آق سُنْقر ومَلِكتمر الحجازى فى ليلة الأثنين العشرين من شهر ربيع الآخر على جَنَوِيَّات[(6)] فدُفِنا[(7)] بالقرافة. وأصبح الأمير شُجاع الدين غُرْلُو وجلس فى دَسْت عظيم، ثم ركب

(1) فى الأصلين: «تاسع عشر شهر ربيع الأول». والسياق يقتضى ما أثبتناه.

(2) فى م والسلوك: «وبضع ... الخ». (3) فى الأصلين: «وكثرت». وما أثبتناه عن السلوك. (4) فى م: «ثم رسم السلطان ... الخ». (5) العبارة المحصورة بين المربعين [ ] غير موجودة فى ف. والتكلة عن م والسلوك. (6) الجنويات جمع جنوية، وهى النقالة التى تستخدم لنقل الجرحى والموتى (انظر كترمير ج ٢ ص ١١٣).

(7) فى الأصلين: «فدفنوا» وما أثبتناه عن السلوك وهو ما يقتضيه السياق.

وأوقع الحَوْطة على بيوت الأمراء المقتولين والممسوكين وعلى أموالهم ، وطلّع بجميع خيولهم إلى الإسطبل السلطانى ، وضرب عبدَ العزيز الجَوْهَرى صاحب آق سُنْقر وعبد المؤمن أُستاداره بالمقارع ، وأخذ منهما مالا جزيلا ، فخلع السلطان على الأمير غُرْلُو قَبَاء من ملابسه بَطرز زَرْكَش عريض ، وأركبه فرساً من خاصّ خيل الحجازى بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش .

ثم خلا به يأخذ رأيه فيما يفعل فأشار عليه بأن يَكْتب إلى نُوّاب الشام بما جَرى ، ويُعَدِّد لهم ذنوباً كثيرة ، حتى قَبَض عليهم ، فكتب إلى الأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِى نائب الشام على يد الأمير آق سُنْقر المُظَفَّرى أمير جَانْدَار ، فلما بلغ يلبغا الخبر كتبَ الجواب يستصوب ما فعله فى الظاهر ، وهو فى الباطن غير ذلك ، وعَظُم عليه قتلُ الحجازى وآق سُنْقر إلى الغاية ، ثم جَمع يلبغا أمراء دِمَشق بعد يومين بدار السعادة[1] وأعلمهم الخبر ، وكتب إلى النُّوّاب بذلك ، وبعث الأمير ملك آص إلى حِمْص وحَمَاة وحلب ، وبعث الأمير طَيْبُغَا القاسمى إلى طَرابُلُس . ثم آنتقل فى يوم الجمعة مستهلّ جمادى الأولى[2] إلى القَصْر بالميدان فنزل به ، ونزل ألزامه حوله بالميدان ، وشرع فى الآستعداد للخروج عن طاعة الملك المظفّر هذا .

---

(١) المقصود بدار السعادة هنا دار الحكومة التى يقيم فيها الوالى أو الحاكم لإدارة شؤون الحكم . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) يلاحظ أن تواريخ الحوادث ابتداء من جمادى الأولى سنة ٧٤٨ هـ فيها اختلافات كثيرة عما ورد فى السلوك للمقريزى ، وقد رجحنا ابقاءها على ما هى عليه طبقا للأصلين واعتمادا على ماورد فى أعيان العصر للصفدى (ج ٧ ص ٢٩٨) والمنهل الصافى للمؤلف . انظر ترجمة يلبغا اليحياوى الناصرى فى الخطط المقريزية (ج ٢ ص ٤١ و ٤٤ و ٧١ و ٧٢ و ٣٠٥ و ٣٠٨) وانظره فى ابن إياس (ج ص ١٧١ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨) وانظره فى صبح الأعشى للقلقشندى (ج ١٢ ص ٢٠) وانظره فى الخطط التوفيقية فى (ج ١ ص ٣٦ ؛ ج ٤ ص ٨٣) وانظره فى تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٤١٦).

وأما السلطان الملك المظفّر فإنه أخذ بعد ذلك يستميل المماليك السلطانيّة بتفرقة المال فيهم، وأمّر منهم جماعةً، وأنعم على غُرْلُو بإقطاع أَيْتَمُش عبد الغنى وأصبح غُرْلُو هو المشار إليه فى المملكة، فعظُمت نفسه إلى الغاية.

ثم أخرج السلطانُ آبنَ طُقُزْدَمُر على إمْرة طبلخاناه بحلب وأنعم بتقدمته على الأمير طَاز، وتولّى غُرْلُو بيع قماش الأمراء وخيولهم، وصار السلطان يتخوّف ٥ من النوّاب بالبلاد الشامية إلى أن حَضَرت أجوبتُهم بتصويب ما فعله، فلم يطمَئنّ بذلك، ورَسَم بخروج تجريدة إلى البلاد الشامية، فرَسَم فى عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء من المقدّمين بالديار المصريّة، وهم الأمير طَيْبُغَا المَجْدِىّ وبُلَك الجَمَدار والوزير نجم الدين محمود بن شَرْوِين وطَنْغَرا وأَيْتَمُش الناصرى الحاجب وكُوكَاى والزّرّاق ومعهم مضافوهم من الأجناد، وطلب الأجناد من ١٠ النواحى، وكان وقت إدراك المُغَلّ، فصعُب ذلك على الأمراء، وآرتجّت القاهرة بأسرها لطلب السلاح وآلات السفر.

ثم كَتَب السلطان إلى أمراء دِمَشق ملطّفات على أيدى النَّجّابة بالتيقُّظ بحركات الأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوِىّ نائب الشام. ثم أشار النائب على السلطان بطلب يَلْبُغَا ليكون بمصر نائباً أو رأس مشورة فإن أجاب وإلّا أُعْلِمَ[1] بأنه قد عُزِل عن نيابة ١٥ الشام بأَرْغُون شاه نائب حلب، فكتَب السلطان فى الحال يطلبه على يد أُرَاى أمير آخور، وعند سفر أُرَاى قَدِمت كُتُب نائب طرابُلُس ونائب حَمَاة ونائب صَفَد على السلطان بأنّ يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتل الأمراء، وبعثوا بكُتُبه إليه فكتب السلطان لأَرْغُون شاه نائب حلب أن يتقدّم لعَرَب آل مُهَنّا بمَسْك الطرقات على يَلْبُغَا وأعلمه أنّه ولّاه نيابة الشام عوضه، فقام أرغون شاه فى ذلك أتمّ قيام، ٢٠

(١) فى الأصلين: «وإلا فاعلم». وما أثبتناه عن السلوك.

وأظهر ليلبغا أنه معه ، ولما وصل إلى يلبغا أُراى أمير آخور فى يوم الأربعاء سادس جُمَادَى الأولى ودعاه إلى مصر ليكون رأس أمراء المشورة، وأن نيابة الشام أنعم بها السلطان على الأمير أرغون شاه نائب حلب ، ظنّ يلبغا أن ٱستدعاءه حقيقةٌ ، وقرأ كتاب السلطان فأجاب بالسمع والطاعة ، وأنّه إذا وصل أَرْغُون شاه إلى دِمَشق توجّه هو إلى مصر ، وكتب الجواب بذلك ، وأعاده سريعا ، فتحلّلت عند ذلك عزائم أمراء دِمَشق وغيرها عن يَلْبُغا ، وتجهّز يلبغا وخرج إلى الكُسْوة[(١)] ظاهر دِمَشق فى خامس عشره ، وكانت ملطّفات السلطان قد وردت إلى أمراء دِمَشق بإمساكه ، فركبوا على حين غفلة وقصدوه ففرّ منهم بمماليكه وأهله وهم فى أثره إلى خلف ضُمَيْر[(٢)] . ثم سار فى البرّيّة يريد أولاد تَمُرْدَاش ببلاد الشرق ، حتى نزل على حَمَاة بعد أربعة أيام وخمس ليال ، فركب الأمير قُطْلِيجا نائب حَمَاة بعسكره فتلقّاه ودخل به إلى المدينة وقبَض عليه وعلى من كان معه من الأمراء ، وهم الأمير قلاوون والأمير سيفة والأمير محمد بك بن جُمَق وأعيان مماليكه وكتب للسلطان بذلك ، فقَدِم الخبر بذلك على السلطان فى جُمادَى الأولى أيضا ، فسُرّ سرورًا زائدا ، ورَسَم فى الوقت بإبطال التجريدة . ثم كتب بحمل يَلْبُغَا اليحياوى المذكور إلى مصر .

ثم بدا للسلطان غيرُ ذلك وهو أنه أخرج الأمير مَنْجَك اليُوسفىّ السِّلاح دار بقتله ، فسار مَنْجَك حتى لَقِىَ آجَقْبَا [الحموى][(٣)] ومعه يَلْبُغَا اليَحْيَاوى وأبوه[(٤)] بقاقُون فنَزَل منجك بقاقون ، وصَعِد بيلبغا اليحياوى إلى قلعة قاقون وقتله بها فى يوم الجمعة

---

(١) فى السلوك : « وخرج إلى الجسورة » . وقد تقدّم الكلام على الجسورة فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة كما تقدّم الكلام على الكسوة فى الجزء السابع أيضا من هذه الطبعة ص ٧٦ الحاشية رقم ٢ (٢) بالتصغير ، موضع قرب دمشق ، وقيل هى قرية وحصن فى آخر حدود دمشق مما يلى السماوة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) التكملة عن السلوك والمنهل الصافى .
(٤) فى م : « وافوه » . وفى ف : « أبوه » . وتصحيحه من السلوك والمنهل الصافى .

عشرين جمادى الأولى ، وحزّ رأسه وحمله إلى السلطان . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان يلبغا حسن الوجه مليح الثغر[1] أبيض اللون ، طويل القامة من أحسن الأشكال ، قلّ أن ترى العيون مثله ، كان ساقيا ، وكانت الإنعامات التى تصل إليه من السلطان لم يفرح بها أحدٌ قبله ، كان يُطلق له الخيل بسروجها وعُددها وآلاتها الزّركش والذهب المصوغ خمسة عشر فرسا والأكاديش ما بين مائتى رأس فيُنعم بها عليه ، وتُجهّز إليه الخلَع والحوائص وغير ذلك من التشاريف التى يرسُم له بها خارجةً عن الحدّ . وبنى له الإسطبل الذى فى سوق الخيل تُجاه القلعة » .

قلت : والإسطبل المذكور كان مكان مدرسة السلطان حسن الآن ، اشتراه السلطان حسن وهدمه وبنى مكانه مدرسته المعروفة به . وقد سُقنا ترجمته أى يلبغا اليحياوى بأوسع من هذا فى تاريخنا «المنهل الصافى» إذ هو كتاب تراجم . انتهى .

وفى يوم الأحد خامس عشرين جُمادى الأولى المذكور أخرج السلطانُ الوزير نجم الدين محمودا والأمير بَيْدَمُر البَدْرى نائب حلب كان ، والأمير طُغَيْتَمُر النجمى الدوادار إلى الشام ، وسببه أن الأمير شُجاع الدين غُرْلُو لمّا كان شادّ الدواوين قبل تاريخه حَقَد على الوزير نجم الدين المذكور وعلى طُغَيتمُر الدوادار ، فحسّن للسلطان أخذ أموالها ، فقال السلطان للنائب عنهما وعن بَيْدَمُر أنهم كانوا يكاتبون يَلْبغا فأشار عليه النائب بإبعادهم ، وأن يكون الوزير نجم الدين نائبَ غَزّة وبَيْدَمُر نائبَ حِمْص وطُغَيتَمُر نائب طرابُلُس ، فأخرجهم السلطان على البريد ، فلم يُعجب غُرْلُو ذلك ، وأكثر عند السلطان من الوقيعة فى الأمير أُرُقْطاى النائب حتّى غيّر السلطانَ عليه ، وما زال به حتّى بعث السلطان بأَرْغُون الإسماعيلى إلى نائب غَزّة بقتلهم

(١) فى الأصلين : « مليح النفس » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى .

فدخل أرغون معهم إلى غزة بعد العصر وعرّف النائب ما جاء بسببه، فقبض عليهم نائب غزة وقتلهم فى ليلته، وعاد أرغون وعرّف السلطان الخبر، فتغير قلب الأمراء ونفر خواطرهم فى الباطن من السلطان وميله إلى غُرْلُو، وتمكن غرلو من السلطان. وأخذ أموال من قُتِل، وتزايد أمره وآشتدت وطأته، وكثر إنعام السلطان عليه حتى إنه لم يكن يوم إلا وينعم عليه فيه بشىء. ثم أخذ غُرْلُو فى العمل على علم الدين عبد الله بن زُنْبُور ناظر الخاص[1]، وعلى القاضى علاء الدين على بن فضل الله العُمَرِى كاتب السر. وصار يُحَسِّن للسلطان القبض عليهما[2] وأخذ أموالهما، فتلطف النائب بالسلطان فى أمرهما حتى كفّ عنهما، فلم يبق بعد ذلك أحد من أهل الدولة حتى خاف[3] من غُرْلُو وصار يُصانعه بالمال حتى يسترضيه[4]. ثم حسّن غرلو للسلطان قتل الأمراء المحبوسين بالإسكندرية، فتوجه الطواشى مُقْبِل الرومى بقتلهم فقتل الأمير أرغون العلائى وقَرَابُغَا القاسمى وتَمُر المُوساوِى وصَمْغَار وأَيْتَمُش عبد الغنى، وأفرج عن أولاد قُمارِى وأولاد أَيْدُغْمُش وأُخرِجوا إلى الشام. وآستمر السلطان على الآنهماك فى لهوه، فصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان الذى على النيل[5] فى يوم السبت.

فلما كان آخر ركوبه إلى الميدان رسم السلطان بركوب الأمراء المقدّمين بمضافيهم[6] ووقوفهم صفين من الصّليبية[7] إلى فوق القلعة ليرى السلطانُ عسكرَه، فضاق الموضع، فوقف كلُّ مقدّم بخمسة من مُضافيه، وجُمعت أربابُ الملاهى، ورُتّبت

(١) فى ف: «الخواص» والتصويب عن م والسلوك. (٢) فى ف: «القبض على هؤلاء» والتصويب عن السلوك وم. (٣) فى ف: «إلا خاف». (٤) فى ف: «حتى يستوصيه». (٥) هو الميدان الناصرى الذى كان على النيل بأرض القصر العالى (بجاردن ستى) بالقاهرة. سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٦) فى السلوك: «بمصافيهم». (٧) فى السلوك «الاصطبل».

فى عدّة أماكن من القلعـة إلى الميدان . ثم رَكِبَت أمُّ السلطان فى جمعها ، وأقبل
الناس من كلّ جهة ، فبلغ كِراءُ كلّ طبقة مائة درهم ، وكلّ بيت كبير لنساء الأمراء
مائتى درهم ، وكلّ حانوت خمسين درهما ، وكلّ موضع إنسان بدرهمين . فكان يوم
لم يعهد فى ركوب الميدان مثله .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره[1] قبضَ السلطان الملك المظفّر هذا على أعظم أمرائه ٥
ومُدَبِّر مملكته الأمير شُجاع الدين غُرْلُو وقتله ، وسبب ذلك أمور : منها شدّة كراهية
الأمراء له لسوء سيرته ، فإنه كان يخلو بالسلطان ، ويُشير عليه بما يشتهيه ، فما كان السلطان
يخالفه فى شىء ، وكان عَمِله أمير سلاح فخرج عن الحدّ فى التعاظم ، وجسّر السلطان
على قتل الأمراء ، وقام فى حقّ النائب أَرُقْطاى يريد القبضَ عليه وقتله ، وآستمال
المماليك الناصريّة والصالحيّة والمظفَّريّة بكمالهم ، وأخذ يُقَرِّر مع السلطان ، أن يُفَوِّض ١٠
إليه أمور المملكة بأسرها ليقوم عنه بتدبيرها ، ويتوفّر السلطان على لَذّاته .

ثم لم يكفه ذلك ، حتّى أخذ يُغْرِى السلطان بأُلْجِيبُغَا وطَنْيَرَق وكانا أخصّ الناس
بالسلطان ، ولا زال يُمْعِن فى ذلك حتى تغيّر السلطان عليهما ، وبلغ ذلك أُلجيبغا ،
وتناقلته المماليك فتعصَّبُوا عليـه وأرسلوا إلى الأمراء الكبار ، حتى حدّثوا السلطان
فى أمره ، وخوّفوه عاقبته ، فلم يَعْبَأ السلطان بقولهم ، فتنكّروا بأجمعهم على السلطان ١٥
بسبب غُرْلُو إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثِقاته ، فآستشار النائب فى أمر غُرْلُو
المذكور ، فلم يُشر عليه فى أمره بشىء ، وقال للسلطان : لعلّ الرجلَ قد كَثُرت حُسّادُه
على تقريب السلطان له ، والمصلحة التثبّت فى أمره . وكان أَرُقْطاى النائب عاقلا
سَيُوسًا ، يَخْشَى من معارضته غرض السلطان فيه ، فآجتهد أُلْجِيبُغَا وعدّة من الخاصّكيّة
فى التدبير عليه وتخويف السلطان منـه ومن سـوء عاقبته ، حتى أثّر قولُهم فى نفس ٢٠

(١) يريد جمادى الآخرة .

السلطان ، وأقاموا الأمير أحمد شادّ الشرابخاناه ، وكان مَزّاحا للوقيعة فيه ، فأخذ أحمد شادّ الشرابخاناه فى خَلْوَته مع السلطان يذكر كراهية الأمراء لغُرْلُو وموافقة المماليك له ، وأنه يريد أن يدبِّر المملكة ويكون نائب السلطنة ليتوثّب بذلك على المملكة[1] ويصير سلطانا ، ويخرج له قوله هذا فى وجه المسخرية[2] والضحك ، وصار أحمد المذكور يُبالغ فى ذلك على عِدّة فنون من الهَزْل ، إلى أن قال السلطان : أنا الساعة أُخرجه وأعمله أمير آخُور ، فمضى أحمد شاد الشربخاناه إلى النائب وعرّفه بما وقع فى السّر ، وأنه جسّر السلطان على الوقيعة فى غُرْلُو ، فبعث السلطان وراء النائب أُرْقُطاى وآستشاره فى أمر غُرْلُو ثانيا فأثنى عليه النائب وشكره ، فعرف السلطان كثرة وقيعة الخاصّكيّة فيه ، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور ، فقال النائب : غُرْلُو رجل شجاع جَسُور[3] لا يليق أن يعمل أمير آخور ، فكأنّه أيقظ السلطان من رقدته بحسن عبارة وألطف إشارة ، فأخذ السلطان فى الكلام معه بعد ذلك فيما يوليه ! فأشار عليه النائب بتوليته نيابة غَزّة ، فقبل السلطان ذلك ، وقام عنه النائب ، فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة وبعث الأمير طَنْيَرق إلى النائب أن يُخرج غُرْلُو إلى نيابة غَزّة ، فلم يكن غير قليل حتى طلع غُرْلُو على عادته إلى القلعة وجلس على باب القُلّة ، فبعث النائب يطلبه ، فقال : مالى عند النائب شغل وما لأحد معى حديث غير أُستاذى ، فأرسل النائب يُعرّف السلطان جواب غُرْلُو فأمر السلطان مُغْلطاى أمير شكار وجماعة من الأمراء أن يُعرّفوا غُرْلُو عن السلطان أن يتوجّه إلى غَزّة ، وإن آمتنع يمسكوه ، فلما صار غُرْلُو بداخل القصر لم يُحدّثوه بشىء ، وقبضوا عليه وقيّدوه وسلّموه لأُلْجِيبُغَا فأدخله إلى بيته

(١) فى م : «الدولة» (٢) رواية السلوك : «ويخرج قوله هذا فى صورة السخرية والضحك»
(٣) فى الأصلين : «جسر» . وما أثبتناه عن السلوك .

بالأشرفية[1]، فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة قتلوا غُرْلُو وهو في الصلاة، وأخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فنقلوا عنه أنه قال: أنا ما أروح مكانا، وأراد سَلّ سيفه وضرب الأمراء به فتكاثروا عليه فما سلّم نفسه حتى قُتِل، فعزّ قتله على السلطان، وحقد عليهم لأجل قتله، ولم يُظْهِر لهم ذلك، ورَسَم بإيقاع الحَوْطة على حواصله. وكان لموته يوم مشهود.

ثم أُخرِج بغُرْلُو المذكور ودُفِن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجتْ يدُه من القبر[2]، فأتاه الناس أفواجًا ليروه ونبشوا عليه وجرّوه بحبل في رجله إلى تحت القلعة، وأتوا بنار ليحرقوه وصار لهم ضجيج عظيم، فبعث السلطان عِدّة من الأوجاقية قبضوا على كثير من العامة، فضربهم الوالي بالمقارع وأخذ منهم غُرْلُو المذكور ودفنه. ولم يظهر لغرلو المذكور كثير مال.

قلت: ومن الناس من يُسَمّيه «أَغِرْلُو» بألف مهموزة وبعدها غين معجمة مكسورة وزاي ساكنة ولام مضمونة وواو ساكنة. ومعنى أَغِرْلُو باللغة التركية: «له فم» وقد ذكرناه نحن أيضا في المنهل الصافي في حرف الهمزة، غير أن جماعة كثيرة ذكروه «غُرْلُو» فاقتدينا بهم هنا وخالفناهم هنالك، وكلاهما اسم باللغة التركية. انتهى.

وكان غُرْلُو هذا أصله من مماليك الحاجّ بهادُر العِزّي، وخدَم بعده عند بَكْتَمُر السّاقي وصار أميرَ آخوره، ثم خدَم بعد بكتمر عند بَشْتَك، وصار أميرَ آخوره أيضا. ثم وَلِي بعد ذلك ناحية (أشمون)[3]، ثم ولي نيابةَ الشَّوْبَك[4]. ثم ولي القاهرة، وأظهر العفّة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٢) في السلوك: «من الأرض».
(٣) المقصود هنا أشمون الرمان التي بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية بمصر. سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة، وذكرنا في الحاشية المذكورة أن اسمها الرومي «بانيفوسوس» والصواب أن هذا الاسم الرومي هو اسم بلدة المنزلة الواقعة مع أشمون على البحر الصغير بمديرية الدقهلية.
(٤) قلعة من قلاع الكرك: انظرها في ياقوت ج ٣ ص ٣٣٢ وصبح الأعشى ج ٢ ص ١٥٦

والأمانة ، وحسُنت سيرتُه ، ثم تقرّب عند الملك الكامل شعبان ، وفتح له باب الأخذ في الولايات والإقطاعات ، وعَمِل لذلك ديوانا قائم الذات ، سُمِّيَ ديوان البذل[1] ، فلما تَوَلّى الصاحب تقيّ الدين بن مَرَاجل الوزر شاححه في الجلوس والعَلاَمة ، فترجّح الصاحب تقي الدين وعُزِل غُرْلُو هذا عن شَـدّ الدواوين ، ودام على ذلك إلى أن كانت نوبة السلطان الملك المظفّر كان غُرْلُو هذا ممن قام معه ، لِمَا كان في نفسه من الكامل من عَزْله عن شـد الدواوين ، وضَرَب في الوقعـة أَرْغُون العـلائي بالسـيف في وجهه ، وتقـرّب من يوم ذاك إلى الملك المظفّر ، حـتى كان من أمره ماحكيناه .

ثم خرج السلطان الملك المظفّر بعد قتله إلى سِرْياقُوس على العادة وأقام بها أياما ، ثم عاد وخلَع على الأمير مَنْجَك اليوسفي السلاح دار بآستقراره حاجبا بدِمَشق عوضـا عن أمير على بن طُغْـريل . وأنعم السـلطان على آثني عشر من المماليك السلطانية بإمريات ما بين طبلخاناه وعشرة وأنعم بتقدمة الأمير مَنْجَك السِّلاح دار على بعض خواصّه .

وفي يوم مستهلّ شـعبان خرج الأمير طَيْبُغَا المجَـدِي والأمير أَسَنْدَمُر العُمَرِيّ والأمير بَيْغَـرَا والأمير أَرْغُون الكاملي والأمير يَلْبُغا أُرُس والأمير يَلْبُغَا طَطَر إلى الصيد . ثم خرج الأمير أُرُقْطَاي النائب بعدهم إلى الوجه القبليّ بطيور السلطان ، ورَسَم السـلطان لهم ألّا يحضروا إلى العشر الأخير من شهر رمضـان ، فخـلا الجو للسـلطان ، وأعاد حَضِير الحَمَام وأعاد أرباب المـلاعيب من الصِّراع والثقاف والشباك ، وجَرْى السُّعاة ، ونِطَاح الكِبَاش ، ومُناقَرَة الدُّيُوك ، والقِمَار ، وغير ذلك من أنواع الفساد . ونُودِى بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة [ومصر[2]] وصار للسلطان

(١) في م : « البذل » .
(٢) الزيادة عن السلوك .

اجتماع بالأوباش وأراذل الطوائف من الفراشين والبابية[1] ومُطَيِّرى الحَمَام ، فكان
السلطان يقف معهم ويُراهن على الطير الفلانى والطيرة الفلانية ؛ وبينا هو ذات
يوم معهم عند حَضِير الحَمَام ، وقد سيَّبها إذ أذَّن العصر بالقلعة والقرافة فجَفَلت
الحمام عن مقاصيرها وتطايرت فغَضِب وبعث إلى المؤذِّنين يأمرهم أنهم إذا رأوا
الحمام لا يرفعون أصواتهم . ويلعب مع العَوَام بالعصىّ وكان السلطان إذا لَعِب مع ٥
الأوباش يتعرى ويَلْبَس تُبَّان[2] جلد ويُصارِع معهم ويلعب بالرُّمح والكُرَة ، فيظَلّ
نهارَه مع الغلمان والعبيد فى الدهيشة ؛ وصار يتجاهر بما لا يليق به أن يفعله .

ثم أخذ مع ذلك كلّه فى التدبير على قتل أخيه حسين ، وأرصد له عِدّة خُدّام
ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه ، فبلَغ حسينا ذلك فتمارض واحترس
على نفسه فلم يجدوا منه غَفْلة . ١٠

ثم فى سابع عشر شعبان تُوُفِّى الخليفة أبو الربيع سليمان ، وبُويع بالخلافة ابنه
أبو بكر ولُقِّب بالمعتصم بالله أبى الفتح . وفى آخر شعبان قَدِم الأمراء من الصيد
شيئا بعد شىء وقد بلَغهم مافعله السلطان فى غيبتهم ، وقَدِم ابن الحَرّانى من دِمَشق بمال
يَلْبُغَا اليَحْيَاوِى فتسلّمه الخدام ، وأنعم السلطان من ليلته على حَظِيّته « كيدا » من المال
بعشرين ألف دينار ، سوى الجواهر واللآلىء ونثَر الذهب على الخُدّام والجوارى ، ١٥
فاختطفوه وهو يضحك ، وفرّق على لُعّاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ ،
وهو يَحْذِفُه عليهم وهم يترامون عليه ويأخذوه بحيث إنه لم يَدَع من مال يلبغا سوى

(١) البابية جمع بابا ، وهو حسب ماورد فى صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٧٠) لقب عام لجميع رجال
الطشت خاناه ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ومعناه أبو الآباء ، وكأنه لقب بذلك
لما تعاطى مافيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته — أشبه الأب الشفيق فلقب بذلك . ٢٠

(٢) فى الأصلين : « ثياب جلد » والتصويب عن السلوك والتبان . (بالضم والتشديد) : سروال
صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة يكون للملاحين والمصارعين (عن لسان العرب) .

القُماش ، فكان جملة التي فرّقها ثلاثين ألف دينار وثلثمائة ألف درهم ، وجواهر وحُليّاً ولؤلؤا وزَرْكَشاً ومَصاغا ، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار ، فعظُم ذلك على الأمراء ، وأخذ أُلْجِيبُغَا وطَنُبَرَق يُعرِّفان السلطان ما يُنْكِره عليه الأمراء من لَعِب الحَمَام وتقريب الأوباش ، وخوّفاه فساد الأمر ، فغضب وأمر آقْجُبَا شاد والعمائر بخراب حَضير الحمام ، ثم أحضر الحَمَام وذبحهم واحدا بعد واحد بيده وقال لأُلْجِيبُغَا وطَنُبَرَق : والله لأذبحنّكم كُلَّكُم كما ذبحتُ هذا الحَمَام وتركهم وقام ، وفرّق جماعةً من خُشْدَاشِيّة أُلْجِيبُغَا وطَنُبَرَق فى البلاد الشامية ، واستمرّ على إعراضه عن الجميع ، ثم قال لحظاياه وعنده معهن الشيخ على بن الكسيح : والله ما بَقِى يَهْنَأُ لى عيش وهذان الكذّابان بالحياة (يعنى بذلك عن ألجيبغا وطنبرق) فقد فَسَدَا علىّ جميع ما كان لى فيه سرور ، واتّفقا علىّ ، ولا بُدّ لى من ذبحهما ، فنقل ذلك ابنُ الكسيح لألجيبغا فإن ألجيبغا هو الذى أوصله إلى السلطان ، وقال : مع ذلك خذ لنفسك ، فوالله لا يرجع عنك وعن طنبرق ، فطلب ألجيبغا طنبرق وعرّفه ذلك ، فأخذا فى التدبير عليه فى الباطن [وأخذ فى التدبير عليهما][1] ، وخرج الأمير يَبْغَا أُرُس[2] للصيد بالعبّاسة ، فإنه كان صديقا لألجيبغا وتمرّ السلطان على طنبرق واشتدّ عليه وبالغ فى تهديده ، فبعث طنبرق وألجيبغا إلى الأمير طَشْتَمُر طَلَلِيه[3] ، وما زالا به حتّى وافقهما ودارا على الأمراء ، وما منهم إلا من نَفَرت نفسه من السلطان الملك المظفّر ، وتوقّع به أنه يَفْتِك به ، فصاروا معهما يدا واحدة لِما فى نفوسهم . ثم كلّموا النائب فى موافقتهم وأعلموه

(١) تكملة من السلوك . (٢) هى الآن إحدى قرى مركز أبو حماد بمديرية الشرقية بمصر . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) ضبطه الصلاح الصفدى فى أعيان العصر بالعبارة فقال : « بالطاء المهملة وبعدها لامان متحركتان بالفتح وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وهاء . إنما عرف بهذا لأنه كان إذا تكلم بشىء قال فى آخره : طاليه » . انظره فى جزء ثالث قسم أول ص ١٣١ .

أنه يريد القبض عليه ، وكان عنده أيضا تخشّ من ذلك ، وأكثروا من تشجيعه . حتى وافقهم وأجابهم ، وتواعدوا جميعا فى يوم الخميس تاسع شهر رمضان على الركوب على السلطان فى يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان .

فبعث السلطان فى يوم السبت يطلب يَبْبُغَا أُرُس من العبّاسة ، وقد قرّر مع الطواشى عَنْبَر مقدّم المماليك أن يعرّف المماليك السلاح دارية أن يقفوا خلفه فإذا دخل يَبْبُغَا أُرُس ، وقبّل الأرض ضربوه بالسيوف وقطعوه قطعا ؛ فعلم بذلك أُلْجِيبُغَا ، و بعث إليه يعلمه بما دبّره السلطان عليه من قتله و يعرّفه بما وقع آتفاق الأمراء عليه ، وأنه يوافيهم بكرة يوم الأحد على قُبّة النصر ، فآستعدوا ليلتهم ونزل ألجيبغا من القلعة ، وتلاه بقيّة الأمراء ، حتى كان آخرهم ركوبا الأمير أَرْقُطاى نائب السلطنة ، وتوافوا بأجمعهم عند مطعم[1] الطير ، وإذا بيبغا أُرُس قد وصل إليهم ، فعبّوا[2] أطلابهم ومماليكهم ميمنة وميسرة ، وبعثوا فى طلب بقية الأمراء ، فما آرتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين[3] عند قُبّة النصر ، وبلغ السلطانَ ذلك ، فأمر بضرب الكوسات فدُقّت ، وبعث الأوجاقية فى طلب الأمراء فجاءه طَنْيرَق وشيخون وأَرْغُون الكاملى وطاز ونحوهم من الأمراء الخاصّكيّة . ثم بعث المقدّمين فى طلب أجناد الحَلْقة فحضروا .

---

(١) تكلمنا على مطعم الطير وسبب إنشائه فى الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة ؛ وذكرنا أنه كان واقعا فى الجهة التى بها اليوم جبانة العباسية المعروفة بقرافة الخفير . وبإعادة البحث تبين لنا أن مطعم الطير كان واقعا بالريدانية فى المنطقة التى يتوسطها اليوم قبة الملك العادل طومانباى المعروفة بقبة العادلى القائمة إلى اليوم بين ثكنات الجيش شرق سراى الزعفران التى بشارع الخليفة المأمون وعلى بعد ٤٠٠ متر منها ، يؤيد ذلك ما ورد فى حوادث يوم ١٧ ربيع أول من سنة ٧٩٦ هـ الآتى ذكرها فى هذا الكتاب ، وما ورد فى (ص ١٧٦ ج ٢ وص ١٥٥ و ٢٢٨ ج ٣ من كتاب تاريخ مصر لابن إياس) .

(٢) فى ف : « فبعثوا » . (٣) رواية السلوك : « حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب ... الخ » .

ثم أرسل السلطان يعتب النائب على ركوبه فردّ جوابه بأن مملوكك الذى ربّيته ركّب عليك (يعنى عن ألجيبغا) وأعلمنا فساد نيّتك لنا، وقد قتلتَ مماليك أبيك وأخذت أموالهم، وهتكتَ حريمهم بغير موجب، وعزمتَ على الفتك بمن بقى، وأنت أوّل من حلَف أنك لا تخون الأمراء ولا تخرّب بيت أحد، فردّ الرسول إليه يستخبره عمّا يريدوه الأمراء من السلطان حتّى يفعله لهم، فعاد جوابهم أنه لا بدّ أن يسلطنوا غيره، فقال: ما أموت إلّا على ظهر فرَسى، فقبضوا على رسوله وهمّوا بالزّحف عليه، فمنعهم النائبُ أرُقطاى من ذلك حتى يكون القتال أوّلا من السلطان، فبادر السلطان بالركوب إليهم وأقام أرْغُون الكاملى وشَيْخون فى المَيْمَنة، ثم أقام عدّة أمراء أُخر فى الميسرة، وسار بمماليكه حتّى وصل إلى قريب قُبّة النصر، فكان أولَ من تركه ومضى إلى القوم الأميرُ طاز ثم الأمير أرغون الكاملى ثم الأمير مَلِكْتَمُر السعدى ثم الأمير شيخون وآنضافوا الجميع إلى النائب أرُقطاى والأمراء، وتلاهم بقيّتهم حتى جاء الأمير طَنْيَرق والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم، وبقى السلطان فى نحو عشرين فارسا، فبرز له الأمير بيبغا أُرُس والأمير أُلْجُيبُغَا فولّى السلطان فرسه وآنهزم عنهم فتبعوه وأدركوه وأحاطوا به، فتقدّم إليه بيبغا أُرُس فضربه السلطان بالطّبَر، فأخذ بيبغا الضربة بتُرْسه. ثم حمل عليه بالرُّمح وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سَرْجه وضربه طَنْيَرق بالسيف جرَح وجهه وأصابعه. ثم ساروا به على فرس غير فرسه محتفظين به إلى تُرْبة[1] آق سنقر الرومى تحت الجبل وذبحوه من ساعته قبيل عصر يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودُفن بتربة أمّه،

(١) ورد فى تاريخ مصر لابن إياس أن الأمير يلبغا أرس (وهو الذى ذكره المؤلف باسم بيبغا أرس) أخذ السلطان المظفر حاجى ومضى به إلى تربة فى الباب المحروق نخنقه هناك، والظاهر أن تربة آق سنقر الرومى كانت خارج الباب المحروق تحت الجبل، وبما أن الجبانة الواقعة شرقى الباب المحروق تعرف بقرافة المجاورين فبحثنا عن تربة آق سنقر الرومى فلم نجد لها أثرا اليوم فى تلك الجهة).

ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه قال لهم : بالله لا تستعجلوا علىّ، خلونى ساعة، فقالوا:
كيف آستعجلت أنت على قتل الناس! لو صبرت عليهم صبرنا عليك فذبحوه .

وقيل : إنّهم لما أنزلوه عن فرسه كتّفوه وأحضروه بين يدى النائب أُرْقُطاى
لقتله ، فلما رآه النائب نَزَل عن فرسه وترجّل ورَمَى عليه قباءَه وقال : أعوذ بالله،
هـذا سلطان آبن سلطان ما أقتله ! فأخذوه ومضوا إلى الموضع الذى ذبحوه فيه، ٥
وفيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى : [الخفيف]

أيها العاقلُ اللبيبُ تَفَكَّرْ * فى المليك المظفَّر الضِّرغامِ
كم تمادى فى البَغْى والغىّ حتى * كان لِعْبُ الحَمَام جِدّ الحِمامِ

وفيه يقول : [المجتث]

حان الرَّدَى للظفَّر * وفى التراب تعفَّرْ ١٠
كَمْ قد أباد أميرًا * على المعالى توفَّرْ
وقاتلُ النفس ظلمًا * ذنُوبُه ما تُكَفَّرْ

ثم صَعِد الأمراء القلعة من يومهم ، ونادوا فى القاهرة بالأمان والأطمئنان
وباتوا بالقلعة ليلة الأثنين، وقد آتّفقوا على مكاتبة نائب الشام والأمير أَرْغُون شاه
بما وقع ، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيموه سلطانا فأصبحوا وقد آجتمع المماليك ١٥
على إقامة حُسَيْن آبن الملك الناصر محمد عوضا عن أخيه المظفَّر فى السلطنة ووقعت
بين حسين و بينهم مراسلات فقام المماليك فى أمره فقبضوا الأمراء على عِدّة منهم
ووكّلوا الأمير طازبباب حسين ، حتّى لا يجتمع به أحدٌ من جهة المماليك، وأغلقوا
باب القلعة ، وآستمرّوا بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء[1]، وقصد المماليك إقامة
الفتنة ، فخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من ٢٠
المماليك ما لا يُدرك فارطُه، فوقع آتفاقهم عند ذلك على حسن فسلطنوه فتمّ أمره .

(١) فى ف : « وليلهم » . وما أثبتناه عن السلوك و م .

وكانت مدّة سلطنة الملك المظفّر هذا على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما . وكان المظفّر أهوجَ سريعَ الحركة، عديمَ المـداراة ، سـيّئَ التدبير ، يُؤْثِر صحبة الأوباش على أرباب الفضائل والأعيان، وكان فيه ظلْمٌ وجَبَرُوت وسَفْك للدماء ، قتل فى مدة سلطنته مع قصرها خلائق كثيرة من الأمراء وغيرهم وكان مُسْرِفا على نفسه ، يُحِبّ لعب الحَمَام وغيره ، ويُحسِن فنونا كثيرة من الملاعيب ، كالرمح والكرة والصِّراع والثِّقاف وضرب السيف، مع شجاعة وإقدام من غير تثبُّت فى أموره .

قلت : وبالجملة هو أسـوأ سـيرة من جميع إخوته ممّن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمـد بن قلاوون ، على أن الجميع غير نجباء وحالهم كقول القـائل : « عجيب نجيب من نجيب » ؛ اللهـم إن كان السلطان حسن الآتى ذكره ، فهو لا بأس به . انتهى .

* * *

السنة التى حكم فى أوّلها الملك الكامل شعبان إلى سلخ جمادى الأولى، ثم حكم فى باقيها الملك المظفّر حاجى صاحب الترجمة وهى سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

فيها توفى الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد الله الناصرى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى يوم السبت عاشر شعبان ؛ وإليه يُنْسَب جامع أَصْلم[1] خارج القاهرة

---

(١) ذكر المؤلف أن هذا الجامع خارج القاهرة بسوق الغنم أى أنه خارج سور القاهرة القبلى الذى فيه باب زويلة ، وذكر فى كتاب المنهل الصافى وهو من مؤلفاته فى ترجمة أصـلم البهائى أنه عمر بالقاهرة بباب المحروق بالقرب من داره مدرسة تقام فيها الجمعة ، ومن هذا يفهم أن هذه المدرسة هى بذاتها هذا الجامع واقعة فى القاهرة بالباب المحروق أى فى داخل السور . ولما تكلم المقريزى فى خططه على جامع أصلم البهائى (ص ٣٠٩ ج ٢) قال : إن هذا الجامع بداخل الباب المحروق أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار فى سنة ٧٤٦ هـ وأنشأ بجواره دارا سنية وحوض ماء للسبيل ، وهو من أحسن الجوامع . =

بسُوق الغنم . وكان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون[1] وكان من خواصّ الملك الناصر محمد وقَبض عليه وحبسه سنين، ثم أطلقه، وكان من أعيان الأمراء، وتولّى عِدّة ولايات بالبلاد الشامية وغيرها حسب ماتقدّم ذكْره فيما مضى، طالت أيامه فى السعادة والإمرة حتى صار من أمراء المشورة .

وتُوفّى الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجُوكندار، ثم نائب السلطنة بالديار المصرية مقتولا بالإسكندرية فى أيام الملك الكامل شعبان، وأُحْضِر ميتـا إلى القاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة . وأصله من كسب الأبُلُسْتَيْن فى الأيام الظاهرية بِيبَرْس فى سنة ست وسبعين وستمائة، وآشتراه قلاوون وهو أمير ومعه سَلّار النائب، فأنعم بِسلار على ولده علىّ، وأنعم بآل ملك هذا على ولده الآخر. وقيل قدّمه لصِهْره الملك السعيد بركَة خان آبن الملك الظاهر بِيبَرْس، فأعطاه الملك السعيد لكَوُنْدُك[2] وقيل غير ذلك . وترَقّى آل ملك فى الخِدَم إلى أن صار من جمـلة

= ولما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على هذا الجامع (ص ٥٩ ج ٤) نسب إلى المقريزى أنه قال : إن هذا الجامع خارج الدرب المحروق فى حين أن المقريزى لم يقل ذلك بل قال : إن الجامع داخل الباب المحروق، وهو أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى .

ولآختلاف الروايات فى تعيين مكان الجـامع عاينته فوجدته واقعا داخل البـاب المحروق أى داخل القاهرة وليس خارجها كما ذكر المؤلف هنا وكما قال على مبارك باشا فى خططه . وهذا الجامع بدرب شغلان عند تلاقيه بشارع النبوية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة، وهو على شكل المدارس بأربعة إيوانات صغيرة وعلى بابه آسم منشئه وتاريخ إنشائه، وتسميه العامة جامع أصيلان وهو عامر بالشعائر الدينية، ولا يزال يوجد أمام بابه رحبـة صغيرة من بقايا سوق الغنم الذى كان فى تلك الجهة .

(١) فى الأصلين : «وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون» . وتصحيحه عن السلوك والخطط للمقريزى (ج ٢ ص ٣٠٩) وآنظره فى الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٥٩) .

(٢) ورد فى السلوك فى وفيات سنة ٧٤٧ هـ : «أن آل ملك بعد كوندك صار لعلى بن قلاوون . وورد فى الخطط المقريزية (ج ٢ ص ٣١٠) وفى الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٤٤) أنه أنعم بآل ملك هذا على ولده الأمير على، وما زال يترقى فى الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ رءوس المشورة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون... الخ» . وآنظره أيضا فى الخطط المقريزية (ج ١ ص ٤٢٥) وفى الجزء الثانى صفحات (٣٦ و ٤٧ و ١٣٩ و ١٨٨ و ٢٠٨ و ٣٩٢ و ٣٩٣) وآنظره فى ابن إياس (ج ١ ص ١٤٨ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٢١٠) .

أمراء الديار المصرية . وتردّد للملك الناصر محمد بن قلاوون فى الرسلية لمّا كان بالكَرَك من جهة الملك المُظفّر بيبَرْس الجاشْنَكير، فأعجب الملكَ الناصرَ عقلُه وكلامه . فلمّا أن عاد الملك الناصر إلى مُلكه رقّاه وولّاه الأعمال الجليلة إلى أن وُلِى نيابة السلطنة بديار مصر فى دولة الملك الصالح إسماعيل . فلمّا ولى الملك الكامل شعبان أخرجه لنيابة صَفَد ، ثم طلبه وقبض عليه وقتله بالإسكندرية ، وقد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة فى عدّة تراجم فلا حاجة لتكرار ذلك ، إذ ليس هذا المحلّ محلّ الإطناب إلا فى تراجم ملوك مصر فقط ، ومن عداهم يكون على سبيل الاختصار . وآل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة[1] بالقرب من باب مشهد الحسين — رضى الله عنه — وله هناك مدرسة[2] أيضا تعرف به ، وهو صاحب الجامع[3] بالحسينية . وكان

---

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) أن الدار المذكورة كانت واقعة تجاه المدرسة بخط المشهد الحسينى بالقاهرة . وبالبحث عن هذه الدار تبين أنها اندثرت وزالت معالمها . ومكانها اليوم المبانى الواقعة تجاه مدرسة آل ملك وهى المدرسة الملكية التى تعرف اليوم بجامع حالومة بشارع أم الغلام بقسم الجمالية بالقاهرة .

(٢) هذه المدرسة هى التى سماها المقريزى فى خططه المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) قال : إنها بخط المشهد الحسينى فى القاهرة . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة ، وجعل لها عدّة أوقاف . ثم قال : وهى الآن من المدارس المشهورة . وموضعها فى جملة رحبة قصر الشوك ، وكان فى موضعها قبل إنشائها دار تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذه المدرسة . وبمعاينتها تبين لى أنها لا تزال باقية وعامرة الشعائر إلى اليوم باسم جامع آل ملك الجوكندار بشارع أم الغلام بالقاهرة . ومكتوب على جانبى الباب بالخط النسخ بعد البسملة : « أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى آل ملك الجوكندار الناصرى الراجى عفو الله تعالى ومغفرته . بتاريخ سنة تسع عشرة وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها السلام » .

ومن المعلوم أن كلمة مسجد يجوز إطلاقها على كل مكان خصص للصلاة سواء أكان جامعا أم مدرسة أم خانقاه . وهذا المسجد تسميه العامة بزاوية حالومة ، وهو رجل مغربى طالت خدمته لهذا المسجد فعرف به .

(٣) هذا الجامع سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

خيرا دينّا عفيفا مُثْريا ، كان يقول : كلّ أميرلا يقيم رمحــه ويَسْكُب الذهب حتى يُساوى السّنان ما هو أمير .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قُمارى بن عبد الله الناصرى أخو بَكْتَمُر الساقى مقتولا ، وقد ولى نيابة طرابُلُس والأستادارية بديار مصر ، وكان من أعيان الأمراء الناصرية مشهورا بالشجاعة والإقدام ، وهــو غير قمــارى أمير شِكار ، وكلاهما[1] من الأمراء النــاصرية .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين مَلِكْتَمُر بن عبد الله السَّرْجَوانىّ نائب الكَرَك فى يوم الاثنــين مستهلّ المحــرّم خارج القاهرة ، وقــد قَدِمها من الكرك مريضا ، وكان من أعيان الأمراء ، وتولّى عِدّة ولايات ، لاسيما نيابة الكرك ، فإنّه وليها غير مرّة .

قلت : وغالب هــؤلاء الأمراء ذكرنا من أحوالهم فى عِدّة مواطن من تراجم ملوك مصر ما يُسْتَغْنَى عن ذكره ثانيا هنا .

وتُوُفّى مَلِك تُونُس من بلاد الغــرب أبو بكر[2] بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد فى ليلة الأربعــاء ثامن شهر رجب ، بعد ما ملك تونس نحــوا من ثلاثين سنة ، وتَوَلّى بعده ٱبنه أبو حفص عمر ، وكان أبو بكر هــذا من أجلّ ملوك الغرب ، وطالت أيامه فى السلطنة ، وله مواقف فى العدوّ[3] مشهودة . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى القاضى تاج الدين[4] محمــد بن الخَضِر بن عبــد الرحمن بن سليمان المصرى كاتب سرّ دِمَشق فى ليــلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر . وكان كاتبا فاضلا باشر عِدّة وظائف .

(١) فى م : « وكلاهما من المماليك الناصرية » . (٢) انظره فى السلوك فى وفيات هذه السنة . وانظره فى دولة بنى حفص وتصاريف أحوالهم فى « حقائق الأخبار عن دول البحار » لأسماعيل سرهنك (ج ١ ص ٤١٥ — ٤١٦) . (٣) فى م : « مع العدوّ » .
(٤) انظره فى الدرر الكامنة طبع الهند (ج ٣ ص ٤٣٢) .

وتُوفى الأمير سيف الدين طُقْتَمر[1] بن عبد الله الصلاحىّ نائب حِمْص بها . وكان من أعيان أمراء مصر . وقــد مرّ ذكرُه أيضا فى تراجم أولاد الملك الناصر محمــد ابن قلاوون .

وتُوفى الشيخ شمس الدين محمد[2] بن محمد بن محمد [بن نمير] بن السراج بن نمير بن السراج فى شعبان، وكان كاتبا فاضلا مقرئا، وعنده مشاركة فى فنون .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع . والله أعلم .

* * *

السنة الثانية من ولاية الملك المظفّر حاجّى على مصر، وهى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، على أنه قُتِل فى شهر رمضان منها، وحكم فى باقيها أخــوه السلطان الملك الناصر حسن .

فيهـا تُوفى الأمير شمس الدين آق سـنقر بن عبد الله النـاصرى مقتولا بقلعة الجبــل ، وقد تقدّم ذكر قتله أن الملك المظفّر حاجّيًا أمر بالقبض على آق سـنقر وعلى الحجازى بالقصر، ثم قُتلا من ساعتهما تهبيرا بالسيوف فى يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر ، وكان آق سنقر هــذا آختصّ به أستاذه الملك الناصر محمــد بن قلاوون وزوّجه إحدى بناته وجعله أمير شــكار ، ثم أمير آخور ، ثم نائب غزّة ، وأُعيد بعــد موت الناصر فى أيام الملك الصالح إسماعيل ثانيـا وآستقرّ أمير آخور على عادته ، ثم ولى نيابة طرابلس مدّة ، ثم أُحضر إلى مصر فى أيام الملك الكامل

(١) انظره فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٢٥ ب) وانظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) فى الأصلين : «محمد بن محمد بن محمد» وانظره فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢٩١) وغاية النهاية فى طبقات القراء لأبن الجزرى (ج ٢ ص ٢٥٦) طبعة الخانجى والسـلوك والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٣٢) .

شـعبان ، وعَظُم قدره ، ودبّر الدولة فى أيام الملك المظفّر حاجىّ . ثم ثقُل عليـه وعلى حواشـيه فوشَـوْا به وبملكتَمُر حتى قبضَ عليهما وقتلهما فى يوم واحد . وكان آق سُنْقُر أميرا جليلا كريما شجاعا عارفا مدبّرا . وإليه يُنسب جامع آق سنقر[1]

---

(١) هـذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه بآسم جامع آق سنقر (ص ٣٠٩ ج ٢) فقال : إنه قريب من قلعـة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة ، كان موضعه فى القديم مقابر القاهرة . أنشأه الأمـير آق سنقر الناصرى وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة ورخمه ، وقرر فيه درسا فيه عدّة من الفقهاء ، وبنى بجواره مكانا ليدفن فيه . ثم قال : إن هذا الجامع من أجل جوامع مصر .

وأقول : إن هذا الجامع لايزال باقيا إلى اليوم تقام فيه الشعائر ومعروف بجامع إبراهيم أغا مستحفظان بشـارع باب الوزير بالقاهرة . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه فى حين أنه ثابت بالنقش على أبوابه أن الأمير آق سنقر الناصرى بدأ فى بنائه فى سنة ٧٤٧ هـ . وأتم عمارته فى سنة ٧٤٨ هـ . وقد سماه منشئه جامع النور ، كما ورد فى كتاب وقفه وفيما هو ثابت بالنقش فى اللوحة المثبتة على الجزء الذى خصص لقبره فى عمارة إبراهيم أغا . ويوجد على يسار الداخل من البـاب العمومى الغربى قبة أنشأها الملك الأشرف علاء الدين كجك آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ودفن فيها سنة ٧٤٦ هـ أى قبل بناء الجامع .

وفى سنتى ١٠٦١ هـ و ١٠٦٢ هـ أحدث إبراهيم أغا مستحفظان عمارة كبيرة بهذا الجامع عند ما كان ناظرا عليـه ، فغير فى عقود السقف التى كانت من الحجر وآستبدل ما آختل منها بسقوف من الخشب وكسا الحائط الشرقى الذى فيه المحراب إلى السقف بالقاشانى الأزرق الجميل .

ويوجد على يمـين الداخل بمؤخر الإيوان القبلى حجـرة أنشأها إبراهيم أغا المذكور وكسا جدرانها بالقاشانى حتى السـقف ويتوسطها قبر من الرخام أنشأه فى حياته سنة ١٠٦٤ هـ . ثم دفن فيه بعد موته ، لذلك عرف هذا الجامع بآسم إبراهيم أغا مستحفظان من ذلك الوقت ، ويعرف على ألسنة العامة وخاصة عند الزائرين الأجانب بالجامع الأزرق ، نسبة إلى مجموعة القاشانى العظيمة ذات اللون الأزرق الموجودة فيه .

وفى سنة ١٣٠٧ هـ قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عمارة بهـذا الجامع فأصلحت العقود والقاشانى والمنبر الرخامى ورخام المحراب ، وأعادت بناء الدورة الثالثة للمئذنة بعـد سقوطها ، وكشفت وجهات الجامع من الأبنية التى تحجبها حتى ظهر بمظهره الجميل .

ومما يلفت النظر بهـذا الجامع منبره الرخامى المزخرف بالنقوش ومئذنته التى تسترعى الأنظار بحسن رسمها وتناسق أجزائها .

وقد لاحظت بعض أغلاط تاريخية فى كتب الخطط ، خاصة بهذا الجامع ، أهمها : أن المقريزى لما أراد الترجمة لمنشئه أتى بترجمة آق سنقر السلارى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ . فى حين أن منشىء الجامع هو آق سنقر الناصرى المتوفى سـنة ٧٤٨ هـ . ولما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية عن هذا الجامع (ص ٤٤ ج ٤) ذكر أن البدء فى عمارته كان فى سنة ٧٢٧ هـ . والفراغ منه فى سنة ٧٢٨ هـ . وصواب التاريخين هو ٧٤٧ هـ و ٧٤٨ هـ . ثم ذكر أن إبراهيم باشا أغا مستحفظان أنشأ قبره فى سنة ١٠٢٣ هـ . والصواب فى سنة ١٠٦٤ هـ .

بخط التبانة(١) خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير(٢) .

وتوفى الأمير سيف الدين بيدمر(٣) البدرى مقتولا بغزة فى أوّل جمادى الآخرة ، وهو أيضا أحد المماليك الناصرية وترقى إلى أن ولى نيابة حلب . وقد تقدّم ذكر مقتله فى ترجمة الملك المظفر حاجى . و إليه تنسب المدرسة البيدمرية(٤) قريبا من مشهد الحسين رضى الله عنه .

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف أن خط التبانة كان يشمل قديما المنطقة التى تمتد من باب الوزير إلى الدرب الأحمر بالقاهرة ، وهذه المنطقة يتوسطها اليوم شارع باب الوزير وشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر ، وعرف بخط التبانة لأنه كان فيه الأسواق التى يباع فيها التبن اللازم لمؤونة دواب القاهرة فى الزمن الماضى .

وأصبح الآن شارع التبانة يطلق على الطريق التى تمتد من شارع باب الوزير عند تلاقيه بشارع النبوية وسوق السلاح إلى شارع الدرب الأحمر . ومن محاسن المصادفات أن يحتفظ بهذا الاسم عن عهد المقريزى إلى اليوم .

(٢) هو أحد أبواب القاهرة الخارجة فى سورها الشرق الذى أنشأه صلاح الدين فى المسافة الواقعة بين الباب المحروق و بين قلعة الجبل .

و بالبحث تبين لى أن هذا الباب فتحه فى السور المذكور الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد وقت أن كان وزيرا للملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٢ هـ . لمرور الناس منه بين المدينة و بين الجبانة الواقعة خارج السور ، وعلى الأخص بعد سدّ الباب المحروق ولهذا عرف من ذلك الوقت إلى اليوم باسم باب الوزير و إليه ينسب باب الوزير وقرافة باب الوزير بالقاهرة .

وموقع هذا الباب لا يزال قائما إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه و بين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البجاسى . والباب الحالى جدّده الأمير طراباى الأشرفى صاحب القبة المجاورة لهذا الباب فى سنة ٩٠٩ هـ .

(٣) انظر أخباره فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٧٧) والسلوك فى حوادث سنة ٧٤٨ هـ . وخطط المقريزى (ج ٢ ص ٤٨ و ٧٥ و ٤٢٥) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤١٩ و ٤٢٢) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٥١٣) .

(٤) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه باسم المدرسة البيدرية (ج ٢ ص ٣٩١) فقال : إنها رحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه و بين المشهد الحسينى ، بناها الأمير بيدر الأيدمرى ولذلك سماها المقريزى المدرسة البيدمرية . ولما تكلم عن رحبة البدرى (ج ٢ ص ٤٨) قال : هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الأيدمرى وهى من جملة القصر الكبير ، عرفت بالأمير بيدمر البدرى صاحب المدرسة البدرية . وهنا ذكر اسم منشئها صحيحا ، ثم نسب المدرسة إلى لقبه وهو البدرى ، وأما المؤلف فنسبها إلى اسمه وهو بيدمر .

وتُوُفّى قاضى القضاة عماد الدين على (١) بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطَّرَسُوسىّ الحنفى الدمشق قاضى قضاة دِمَشق بها، عن تسع وسبعين سنة تقريبا، بعد ما ترك القضاء لولده وآنقطع بداره للعبادة، إلى أن مات فى يوم الآثنين ثامن عشرين ذى الحجة. وكان منشؤه بدِمَشق، وقرأ الخلاف على الشيخ بهاء الدين بن النحّاس (٢)، والفرائض على أبى العلاء (٣)، وتفقّه على جماعة من علماء عصره، و برع فى عدّة علوم وأفتى ودرّس بعدّة مدارس. وكان كثيرة التلاوة سريع القراءة، قيل إنه كان يقرأ القرآن فى التراويح كاملا فى أقلّ من ثلاث ساعات بحضور جماعة من القُرّاء (٤). وتولّى قضاء دِمَشق بعد قاضى القضاة صدر الدين على الحنفىّ فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة وحُمدت سيرته. وكان أوّلا ينوب عنه فى الحكم. رحمه الله تعالى.

= وأقول: إن هذه المدرسة لا تزال باقية إلى اليوم وتعرف بجامع البهلوان بشارع أم الغلام على رأس حارة الحمادية بقسم الجمالية بالقاهرة. وهو جامع أثرى صغير، وله قبة، كما احتفظ بمحرابه وشبابيكه الخشبية النادرة وله منذنة مزخرفة، ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية باسم زاوية اللبان (ج ٦ ص ٤٢) وقال: إن المتكلم عليها هو الحاج داود اللبان صاحب الدكان المجاورة لها، ولذلك عرفت بزاوية اللبان، وبعضهم يسميها زاوية أيدمر أو جامع أيدمر البهلوان.

(١) انظره فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٨٤ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٨) والسلوك.

(٢) هو بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبى النحوى المعروف بأبن النحاس تقدّمت وفاته سنة ٦٩٨ هـ، وأنظره فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٨٧ ب) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٤ ص ٥٣٣) ودائرة المعارف للبستانى فى «بهاء الدين».

(٣) هو الحافظ شمس الدين أبو العلاء محمود بن أبى بكر بن أبى العلاء البخارى الكلاباذى الحنفى الصوفى الفرضى. تقدّمت وفاته فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى سنة ٧٠٠ هـ (ج ٨ ص ١٩٧) وأنظره فى شذرات الذهب لابن العماد (ج ٥ ص ٤٥٧) والمنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٣٦) وتاج التراجم فى طبقات الحنفية لابن قطلوبغا (ص ٥٢).

(٤) أنظره فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٨٣ وص ٤٤٠ ب).

وتُوُفّى قاضى قضاة المـالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر ابن ظافر بن عبد الوهاب الهَمْدَانىّ[1] فى ثالث المحرّم عن ثلاث وسبعين سنة ، وكان فقيها عالمـا صوفيّا .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرّخ صاحب التصانيف المفيـدة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز [بن عبد الله التُّرْكُمانىّ[2] الأصل الفارقىّ] الذهبىّ الشافعىّ ــ رحمه الله تعالى ــ أحد الحفّاظ المشهورة فى ثالث ذى القعدة . ومولده فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وسَمِـع الكثير ورَحَل البلاد ، وكتب وألّف وصنّف وأرّخ وصحّح وبرع فى الحـديث وعلومه ، وحصّل الأصول وانتقى ، وقرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات . استوعبنا مشايخه ومصنّفاته فى تاريخنا «المنهل الصافى» مستوفاة . ومن مصنفاته : «تاريخ الإسلام» وهو أجل كتاب نقلت عنه فى هـذا التاريخ . وقال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ ــ بعد ما أثنى عليه ــ قال : « وأخذتُ عنه وقرأتُ عليه كثيرا من تصانيفه ، ولم أجد عنـده جُمودة المحدّثين ، ولا كَوْدَنة[3] النَّقَلَة ، بل هو فقيـه النظر، له دُرْبة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات ، وأعجبنى منه ما يعنيه فى تصانيفه ، ثم إنه لا يتعدّى حديثا يُورده حتى يبيّن ما فيه من ضعف متْن ، أو ظلام إسناد ، أو طعن فى روايته ، وهذا لم أرَ غيرَه يُراعى هذه الفائدة » . وأنشدنى من لفظه لنفسه مضمّنا ، وهو تخيّل جيِّد إلى الغاية : [وافر]

(١) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى بالعبارة فقال : (بسكون الميم وبالدال المهملة) وقـد ضبطت أيضا بالعبارة فى الدرر الكامنة وانظره فى ابن كثير (ج ٤ من القسم الثالث ص ٣٤٢) .

(٢) التكلة عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣٦) والمنهـل الصافى (ج ٣ ص ١٠٦ ب) وطبقات الشافعية للسبكى (ج ٥ ص ٢١٦) . وانظره أيضا فى ابن كثير (ج ٤ قسم ثالث لوحة ٣٤٤) وشذرات الذهب لابن العماد (ج ٦ ص ١٥٣) وعقد الجمان للعينى (ج ٥ قسم أوّل لوحة ٨٤) .

(٣) الكودن : البرذون يوكف ويشبه به البليد . راجع اللسان . مادة كدن ص ٢٣٧ ج ١٧ .

إذا قرأ الحديثَ علىّ شخصٌ * وأخلى مَوْضعًا لوفاة مِثْلى
فما جازَى بإحْسانٍ لأنّى * أُريدُ حَياتَه ويريدُ قتلى

وتوفى الأمير الوزير نجم الدين محمود [بن على] (١) بن شَرْوين المعروف بوزير بغداد مقتولا بغزّة مع الأمير بيْدَمُر البدرى فى جمادى الآخرة . وكان قدم من بغداد إلى القاهرة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فلمّا سلّم على السلطان وقبّل الأرض ٥ ثم قبّل يده حطّ فى يد السلطان حجر بَلَخْش (٢)، زنته أربعون درهما، قُوّم بمائتى ألف درهم، فأمّره السلطان وأعطاه تقدمة ألف بديار مصر . ثم ولى الوزر غير مرّة إلى أن أخرجه الملك المظفّر حاجّى إلى غزّة، وقتله بها هو وبيدمر البدرى وطُغيتُمُر الدوادار، وكان — رحمه الله — عاقلا سَيوسا كريما محسنا مدبّرا، محمودَ الاسم والسيرة فى ولاياته، وهو ممّن ولى الوَزَر شرقا وغربا، وهو صاحب الخانقاه بالقرافة ١٠ بجوار تربة كافور الهندى .

وتوفى الشيخ الإمام البارع المفتّن قوام الدين مسعود (٣) بن محمد بن محمد بن سهل الكِرْمانى الحنفى بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة . وكان إماما بارعا فى الفقه والنحو

(١) التكملة عن السلوك والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣١) والخطط المقريزية (ج ٢ ص ٦٠) وانظره أيضا فى المقريزى فى صفحات ٥٠ و ٧٦ و ٣٠٥ و ٣٨٤ و ٤٢٥ من الجزء الثانى . وانظره ١٥ فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ٢ ص ١٦٨) . (٢) كلمة فارسية أصلها : بدخش وبدخشان والأخيرة أكثر استعمالا، وهى اسم لإقليم بين الهند وخراسان يستخرج من جباله حجر الياقوت الأحمر النفيس ذو اللون الجميل وقد سمى باسم الإقليم المستخرج منه (عن استينجاس والألفاظ الفارسية المعربة) .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى المنهل الصافى والدرر الكامنة : « مسعود بن إبراهيم » كما سماه الحافظ عبد القادر فى طبقاته، وهو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفاء القرشى ٢٠ محيى الدين الحنفى أبو محمد وانظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٩٢) ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لحافظ تقى الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكى (ص ١٥٧) والفوائد البهية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى ص ٩٩

والأصلين واللغة ، وله شـعر وتصانيف ، وسماه الحافظ عبـد القادر فى الطبقات مسعود بن إبراهيم .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين مَلِكْتَمُر بن عبد الله الحجازىّ الناصرىّ قتيلا فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر مع الأمير آق سُنْقُر المقدّم ذكره . وكان أصـل الحجازى من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمـد بن عمر الشُّهْرُزُورىّ البغدادى [1] ، فبَذَل فيه الملك الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم ، حتى ٱبتاعه له منه المجد السلامىّ بمكة لمّـا حجّ الشهرزورىّ ، وقَدِم به على الناصر ، فلم يُرَ بمصر أحسن منه ولا أظرف فعُرِف بالحجازى ، وحَظِى عند الملك الناصر ، حتى جعله من أكابر الأمراء وزوّجه بإحدى بناته [2] . وكان فيه كلّ الخصال الحسنة ، غير أنه كان مُسرفا على نفسه مُنهمكا فى اللذّات ، مدمنا على شرب الخمر ، فكان مرتّبه منه فى كل يوم خمسين رطلا . ولم يسمع منه فى سُكْره وصَحْوه كلمةُ فُحْش ، ولا توسّط بسوء أبدا ، هذا مع سماحة النفس والتواضع والشجاعة والكرم المفُرط ، والتجمّل فى ملبسه ومركبه وحواشيه . وقد تقدّم كيفية قتله فى ترجمة الملك المظفّر هذا .

وتوفى الأمير طُغَيْتَمُر [3] بن عبد الله النجمى الدوادار ، صاحب الخانقاة النجمية [4] خارج باب المحروق من القاهرة مقتولا بغزّة مع بَيْدَمُر البدرىّ ووزير بغداد المقدّم

(١) فى الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٣٥) والسلوك فى وفيات هـذه السنة : أنه ولد سنة ٦٥٤ هـ ببغداد ، وتوفى سـنة ٧٤١ هـ ببغداد أيضا . وتفقه للشافعى وأتقن الخط المنسوب والموسـيقى ، وكان حظيا عند الملوك . (٢) هى خوند تتر الحجازية ٱبنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وإليها تنسب المدرسة الحجازية . انظر الحاشية رقم ١ ص ١٣٨ من هذا الجزء .

(٣) كان دوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمـد بن قلاوون ، فلما مات الصالح ٱستقر على حاله فى أيام أخويه : الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجى ، وهو أول دوادار أخذ إمرة مائة ومقدّم ألف وذلك فى أول دولة المظفر حاجى . (٤) ذكرها المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ٤٢٥) فقال : «هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر . أنشأها الأمير طغيتمر النجمى ، =

ذكرهما . وكان طُغَيْتَمُر من أجل أمراء مصر ، وكان عارفا عاقلا كاتبا وعنده فضيلة ومشاركة . وكان مليح الشكل .

وتوفى الأمير سيف الدين يَلْبُغَا اليَحياوِىّ الناصرىّ نائب الشام مقتولا بقلعة قاقون ، تقدّم ذكر قتله فى ترجمة الملك المظفّر هذا . وكان يلبغا هذا أحد من شُغف به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وعمّر له الدار العظيمة التى موضعها[1] الآن مدرسة[2] السلطان حسن تجاه القلعة . ثم جعله أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية . ثم ولى بعد موت الملك الناصر حماة وحلب والشام . وعمّر بالشام الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، ولم يكمّله، فكُمِّل بعد موته . وكان حسن الشكالة، شجاعا كريما، بلغ إنعامه فى كلّ سنة على مماليكه فقط مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب . وعاش أبوه بعده، وكان تركىّ الجنس، وتقلب فى هذه السعادة، ومات وسنه نَيِّف[3] على عشرين سنة .

وتوفى الأمير أَرْغُون بن عبد الله العلائىّ قتيلا بالإسكندرية ، وكان أرغون أحد المماليك الناصرية ، رقّاه الملك الناصر محمد فى خدمته ، وزوّجه أمّ ولديه : الصالح[4] إسماعيل والكامل شعبان ، وعمله لالا لأولاده ، فدبّر الدولة فى أيام ربيبه

= بجاءت من المبانى الجليلة ، ورتّب بها عدّة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما وغرس فى قبليها بستانا ، وعمل بجانب الحمام حوض ماء السبيل ترده الدواب ، ووقف على ذلك عدّة أوقاف . ثم إن الحمام والحوض تعطلا مدّة ، فلما ماتت أزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر فى سنة ٨٠٨ هـ دفنها ، خارج باب النصر ثم بدا له فنقلها الى خانقاة طغيتمر هذا ، ودفنها بالقبة التى فيها وأدار الساقية وملأ الحوض ، ورتّب لقرّاء هذه الخانقاة معلوما : وجدّد ماتشعث من بنائها وأدار حمامها . ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة نقل إليها زوجته مرة ثالثة ، وجعل أملاكه وقفا على هذه التربة . وهى غير موجودة الآن .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) حدّد عمره صاحب الدرر الكامنة فقال : «ولد قبيل سنة عشرين بقليل وخنق فى آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ » (انظر ج ٤ ص ٤٣٦ — ٤٣٧) .

(٤) فى الأصلين : « أم ولديه إسماعيل الصالح وشعبان الكامل » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

الملك الصالح إسماعيل أحسن تدبير، ثم قام بتدبير ربيبه أيضا الملك الكامل شعبان، حتى قُتــل شعبان لسوء سِــيرته وأرغُون ملازمه ، فقُبِض على أرغون المذكور بعد الهزيمة وسُجِن بالإسكندرية إلى أن قتــله الملك المظفّر حاجّى فيمن قُتــل ، وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى وقته . وأرغون هذا هو صاحب الخانقاه بالقرافة. ٥ وكان عاقلا عارفا مدبِّرا سَيُوسا كريمــا ، يُنْعِم فى كل سنة بمــائتين وثلاثين فرسا ، ومبلغ أربعــين ألف دينار . قال الشيخ صلاح الدين الصّفَدى : وعظُمت حرمته لمــا دبّر المملكة وكثرت أرزاقه وأملاكه ، وصار أكبر(١) من النوّاب بالديار المصرية ، وهو باقٍ على وظيفته رأس نَوْبة الجَمدَارِية ، وجنديته إلى آخر وقت .

قلت : وهذا الذى ذكره صلاح الدين من العجب ، كونه يكون مدبّر مملكتى ١٠ الصالح والكامل ، وهو غير أمير . انتهى .

وتُوفّى جماعة من الأمراء بسيف السلطان الملك المظفّر حاجّى ، منهم : الأمير أيْتَمش عبد الغنىّ والأمير تَمُر الموساوى الساقى والأمير قَرَابُغَا والأمير صَمْغار ، الجميع بسجن الإسكندريّة ، وهم من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون ، وقُتل أيضا بقلعة الجبل الأمير غُرْلُو فى خامس(٢) عشرين جُمادى الآخرة ، وقد تقدّم التعريف ١٥ بحاله عند قتله فى ترجمــة الملك المظفّر حاجّى . وكان جَرْكَسِىّ الجنس ، ولهذا كان جَمَع الجراكسة على الملك المظفر حاجّى ، لأنهم من جنسه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم أربع أذرع وستّ أصابع . مبلغُ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

---

(١) فى ف : « أكثر من النوّاب ... الخ » .

٢٠ (٢) فى الأصلين والمنهــل الصافى أن قتله كان فى شهر جمادى الآخرة ســنة ٧٤٨ هـ . وفى الدرر الكامنة أنه قتل فى مستهل شهر رجب من هذه السنة .

ذكر سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر بدر الدين وقيل ناصر الدين أبو المعالى حسن . واللقب الثانى أصحّ ، لأنه أخذ كُنْية أبيه ، ولَقَبَه وشُهْرته ، ابن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون ، وأمّه أمّ ولد ماتت عنه وهو صغير ، فتولّى تربيته خَوَنْد أردو ، وكان أوّلا يُدْعى قُمارِى وآستمرّ بالدور السلطانيّة إلى أن كان من أمر أخيه الملك المظفّر حاجّى ما كان . وطَلَبتْ المماليك أخاه حسَيْنًا للسلطنة ، فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا ، وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان فى يوم الثلاثاء ، رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وركب بشعار السلطنة وأُبَّهة الملك . ولمّا جلس على تخت الملك لقّبوه بالملك الناصر سيف الدين قُمارِى ، فقال السلطان حسن للنائب أرُقْطاى : يا أبتِ ما آسمى قُمارى ، إنما آسمى حسن ، فآستلطفه الناس لصغَر سنّه ولذكائه ، فقال له النائب : يا خَوَنْد — والله — إن هذا آسم حسن ، حسن على خيرة الله تعالى . فصاحت الجاووشيّة فى الحال بآسمه وشهرته وتمّ أمره ، وحلَف له الأمراء على العادة . وعمرُه يوم سلطنته إحدى عشرة سنة ، وهو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصريّة ، والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره اِجتمع الأمراء بالقلعة وأخرجَ لهم الطواشى دينار الشِّبلىّ المال من الخزانة ، ثم طلب الأمراء خدّام الملك المظفّر وعبيده ، ومن كان يُعاشره من الفرّاشين ولُعّاب الحَمَام ، وسلّموا لشادّ الدواوين على حَمْل ما أخذوه من الملك المظفّر من الأموال ، فأظهر بعضُ الخُدّام حاصلا تحت يده من الجوهر واللؤلؤ ، ما قيمته زيادة على مائة ألف دينار ، وتفاصيل حرير ، و بذلات زَرْكش بمائة ألف دينار أخرى .

وفى يوم الخميس قُبض على الأمير أَيْدَمُر الزرّاق والأمير قُطُز أمير آخور والأمير بُلُك الجَمَـدار ، وأُخرج قُطُـز لنيابة صَفَد ، وقُطعت أخبـازُ عشرين خادما وخُبْزُ عبد علىّ العوّاد المغنّى وخبزُ إسكندر بن بدر الدين كُتَيْلَة الجَنْكىّ ، ثم قُبِض أيضا على الطواشى عَنْبَر السَّحَرْتى مقدّم المماليك ، وعلى الأمير آق سُـنْقُر أمير جَنْدار ، ثم عُرِضت المماليكُ أربابُ الوظائف وأُخرج منهم جماعةٌ ، وأحيط بمال « كيدا » حظيّة الملك المظفّر التى أخذها بعـد ٱتفاق السوداء العوّادة وأموال بقيـة الحظايا وأُنْزِلن من القلعة ، وكُتِبت أوراق بمرتبات الخُدّام والعبيد والجوارى فقُطِعت كلُّها .

وكان أمرُ المشـورة فى الدولة والتـدبير لتسعة أمراء : بَيْبُغا أُرُس القـاسمىّ وأَلْجيبغا المظفّرى وشيخون العُمَرىّ وطـاز الناصرىّ وأحمـد شادّ الشراب خاناه وأَرْغُون الاسماعيلىّ وثلاثة أُخَر ، فٱستقر الأمير شيخون رأس نوبة كبيراً وشارك فى تدبير المملكة ، وٱستقر الأميرُ مُغْلَطاى أمـير آخور عِوَضًا عن الأمير قُطُـز ، ثم رُسم بالإفراج عن الأمير بُزْلار من سجن الإسكندريّة ، ثمّ جُهّزت التشاريف لنوّاب البـلاد الشامية ، وكُتِب لهم بمـا وقع من أمر الملك المظفّر وقتله ، وسلطنة الملك الناصر حسن وجلوسه على تخت الملك .

ثمّ ٱتّفقـوا الأمراء على تخفيف الكُلَف السلطانيّة ، وتقليل المصروف بسائر الجهات ، وكُتِبت أوراق بما على الدولة من الكُلَف ، وأخذ الأمراء فى بيع طائفة الجَراكسة من المماليك السلطانية ، وقد كان الملك المظفّر حاجّى قرّبهم إليه بواسطة غُرْلو وجَلَبَهم من كلّ مكان ، وأراد أن يُنشئهم على الأتراك ، وأدناهم إليه حتى عُرِفوا بين الأمراء بكِبَر عمائمهم ، وقَوِى أمرهم وعملوا كَلْفتات خارجة عن الحدّ فى الكِبَر ، فطُلبوا الجميع وأخرجوهم منفيّين خروجا فاحشا وقالوا : هؤلاء جبيعـة النفوس كثيرو الفتن .

ثم قدم كتاب نائب الشام الأمير أرغون شاه يتضمّن موافقته للأمراء ورضاءه بما وقع ، وغضّ من الأمير فخر الدين إياس نائب حلب ، وكان الأمير أرقطاى النائب قد طلب من الأمراء أن يعفوه من النيابة ويولّوه بلدا من البلاد فلم يوافقوه الأمراء على ذلك ، فلمّا ورد كتاب نائب الشام يذكر فيه أنّ إياس يصغر عن نيابة حلب ، فإنّه لا يصلح لها إلّا رجلٌ شيخ كبير القدْر، له ذكر بين الناس وشهرة ، فعند ذلك طلب الأمير أرقطاى النائب نيابة حلب ، فخلع عليه بنيابة حلب فى يوم الخميس خامس شوّال ، وآستقرّ عوضه فى نيابة السلطنة بالديار المصرية الأمير بيبغا أرس أمير مجلس وخلع عليهما معا ، وجلس بيبغا أرس فى دست النيابة وجلس أرقطاى دونه بعد ما كان قبل ذلك أرقطاى فى دست النيابة و بيبغا دونه .

وفى يوم السبت سابعه قدم الأمير منجك اليوسفىّ السلاح دار حاجب دمشق وأخو بيبغا أرس من الشام ، فرسم له بتقدمة ألف بديار مصر وخلع عليه وآستقرّ وزيرا وأستادارا ، وخرج فى موكب عظيم والأمراء بين يديه ، فصار حكم مصر للأخوين : بيبغا أرس ومنجك السلاح دار .

ثمّ فى يوم الثلاثاء عاشر شوّال خرج الأمير أرقطاى الى نيابة حلب ، وصحبته الأمير كشلى الإدريسىّ[1] مسفّرا .

ثم إنّ الأمير منجك اشتدّ على الدواوين ، وتكلّم فيهم حتى خافوه بأسرهم ، وقاموا له بتقادم هائلة ، فلم يمض شهر حتّى أنس بهم ، وآعتمد عليهم فى أموره كلّها ، وتحدّث منجك فى جميع أقاليم مصر ومهّد أمورها .

ثم قدم سيف الأمير فخر الدين إياس نائب حلب بعد القبض عليه فخرج مقيّدا وحبس بالإسكندرية[2] .

(١) كذا فى م والسلوك فى إحدى روايتيه . وروايته الأخرى : « كشكى » « الآدرشى » . وفى ف : « كسيلى الإدريسى » . (٢) كذا ورد فى الأصلين . ولم نعثر على هذا الخبر فى مصدر آخر.

ثم تراسل المماليك الجراكسة مع الأمير حسين آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن يُقيموه سلطانا فقُبض على أربعين منهم، وأُخرجوا على الهُجُن مفرّقين الى البلاد الشاميّة . ثم قُبض على ستّة منهم وضُربوا تُجاه الإيوان من القلعة ضربا مبرّحا، وقُيّدوا وحُبسوا بخزانة شمائل .

٥ ثم عُملت الخدمة بالإيوان ، وآتفقوا على أنّ الأمراء إذا انفضّوا من خدمة الإيوان ، دخل أمراء المشورة والتدبير إلى القصر دون غيرهم من بقيّة الأمراء ، ونفذوا الأمور على آختيارهم من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء فى ذلك، فكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير مَنْكلى بُغَا الفخرىّ والأمير بَيْغَرا والأمير بَيْبُغا طَطَر والأمير طَيْبُغَا المجدىّ والأمير أُرْلان وسائر الأمراء فيمضوا على حالهم، ١٠ إلا أمراء المشورة وهم ، الأمير بَيْبُغا أُرُس النائب والأمير شيخون العُمَرىّ رأس نوبة النُّوَب والأمير طاز[1] والأمير الوزير[2] مَنْجَك اليوسفىّ السلاح دار والأمير أُلْجِيبُغا المُظَفّرىّ والأمير طَنْيَرَق فإنهم يدخلون القصر، وينفّذون أحوال المملكة بين يدى السلطان بمقتضى علمهم وحسب آختيارهم .

وفى هذه السنة آستجدّ بمدينة حلب قاضٍ مالكىّ وقاضٍ حنبلىّ، فولى قضاء ١٥ المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الربأحىّ[3]، وتولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فيّاض[4]، ولم يكن بها قبل ذلك مالكىّ ولا حنبلىّ، وذلك فى سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من هذا الجزء. (٢) غير موجود فى الأصل الفوتوغرافى.

(٣) فى ف والسلوك : « الرياحى » . باليـاء، وتصويبه عن الدرر الكامنة و م وتاريخ حلب ٢٠ للطباخ (ج ٥ ص ٣٨) وقد ضبط بالعبارة فى الدرر وتاريخ حلب : « بضم الراء وتخفيف الموحدة » . توفى سنة ٧٦٤ هـ . (٤) انظره فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٧٧) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٧٩) وتاريخ حلب (ج ٥ ص ٦٣) وقد أجمعت هذه المصادر على أنه توفى سنة ٧٧٨ هـ .

وفى يوم الثلاثاء أوّل المحرّم سنة تسع وأربعين وسبعمائة، قُبض على الشيخ علىّ الكسيح نديم الملك المظفّر حاجّىّ، وضُرب بالمقارع والكسّارات ضربا عظيما، وقُلعت أسنانُه وأضراسُه شيئا بعد شيء فى عدّة أيام، ونُوّع له العذاب أنواعا حتى هلك، وكان بَشِعَ المنظر، له حَدَبة فى ظهره وحَدَبة فى صدره، كَسِيحًا لا يستطيع القيام، وإنما يُحمل على ظهر غلامه، وكان يلوذ بأُلْجِيبُغَا المظفّرىّ، فقرّب به أُلجيبغا الملك المظفّر حاجّيًّا فصار يُضَحِّكُه، وأخرج المظفرُ حُرَمَه عليه، وعاقرَه الشّراب، فوهبْنَه الحظايا شيئا كثيرا. ثم زوّجه الملك المظفر بإحدى حظاياه، وصار يسأله عن النـاس فَيَنقل له أخبارَهم على ما يُريد، وداخله فى قضاء الأشغال، نخافه الأمراء وغيرهم خشيةَ لسانه، وصانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه كان إذا دخل خزانة الخاصّ، لا بدّ أن يُعطيه ناظرُ الخاصّ منها له شيئا له قَدْر، ويدخل عليه ناظر الخاصّ حتى يَقْبلَه منه، وإنه إذا دخل الى النائب أُرْقُطاى استعاذ أرقطاى من شرّه، ثم قام له وترحّب به وسقاه مشروبا، وقضى شغله الذى جاء بسببه وأعطاه ألف درهم من يده وآعتذر له، فيقول للنائب: هأنا داخل الى آبنى السلطان وأعرّفه إحسانك الىّ، فلما دالت دولة الملك المظفر عُنِى به أُلْجِيبُغَا، الى أن شكاه عبد العزيز العجمىّ أحد أصحاب الأمير آق سُنْقُر على مال أخذه منه، لمّا قَبَض عليه غُرْلُو بعد قتل آق سنقر حتى خلّصه منه، فتذكّره أهل الدولة وسلّموه الى الوالى، فعاقبه وآشتدّ عليه الوزير مَنْجَك حتى أهلكه.

وفى المحرّم هذا وقعت الوحشة ما بين النائب بيبغا أُرُس وبين شيخون، ثم دخل بينهما مَنْجَك الوزير حتى أصلح ما بينهما.

ثم فى يوم الآثنين ثالث شهر ربيع الأوّل عُزِل الأمير مَنْجَك عن الوزارة، وسببه أنّ آبن زُنْبُور قَدِم من الإسكندرية بالحِمْل على العادة، فوقع الاتّفاق على

تفرقته على الأمراء، فحُمل الى النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى شَيْخُون ثلاثة آلاف دينار، وللجماعة من الأمراء كلٌّ واحد ألفا دينار، وهم بقيّة أمراء المشورة، ولجماعة الأمراء المقدّمين كلّ واحد ألفُ دينار، فامتنع شيخون من الأخذ وقال : أنا ما يَحِلّ لى أن آخذ من هـذا شيئا . ثم قَدِم حِمْلُ قَطْيا وهـو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قطيا قد أُرْصِدَت لنفقة المماليك، فأخذ الوزير مَنْجَك منها أربعين ألف درهم، وزَعم أنّها كانت له قَرْضًا فى نفقة المماليك، فَوَقفت المماليك الى الأمير شيخون وشكوا الوزيرَ بسببها، فحدّثَ الوزيرَ فى ردّ ما أخذه فلم يفعل، وأخذ فى الحطّ على ابن زُنْبور ناظر الخواصّ، وأنه يأكل المال جميعَه، وطلب إضافة نظر الخاصّ له مع الوزارة والأستادارية وألحّ فى ذلك عدّة أيّام، فمنعه شَيْخون من ذلك، وشدّ من ابن زنبور وقام بالمحاققة عنه، وغَضِب بحضرة الأمراء فى الخدمة، فمنع النائبَ منجك من التحدّث فى الخاصّ وانفضّ المجلس، وقد تنكّر كُلٌّ منهما [على الآخر][1] وكَثُرت القالةُ بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدًا وأعادَ حتى كثُر الكلام ووقع الاتفاق على عزل مَنْجَك من الوزارة، واستقراره أستادارًا على حاله وشادًّا على عمل الجسور فى النيل . وطُلب أسَنْدَمُرْ العمرىّ المعروف بَرسْلان بَصَل من كشف الجسور ليتولّى الوزارة، فحضر وخُلع عليه فى يوم الاثنين رابع عشرينه .

[وفيه أُخرج][2] الأمير أحمد شادّ الشراب خاناه الى نيابة صفد؛ وسبب ذلك أنه كان كَبُرَ فى نفسه وقام مع المماليك على الملك المظفّر حاجّىّ حتى قتل، ثم أُخذ

---

(١) التكملة عن السلوك. (٢) فى الأصلين : «ثم أخلع على الأمير أحمد شاد الشرابخاناه...الخ» وما أثبتناه عن السلوك ، وهو ما يقتضيه السياق .

في تحريك الفتنة واتفق مع ألجيبغا وطنيرق على الركوب فبلغ يبغا أرس النائب الخبر فطلب الإعفاء، وذكر ما بلغه وقال : إن أحمد صاحب فتن ولا بد من إخراجه من بيننا فطلب أحمد وخلع عليه وأخرج من يومه .

ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول أنعم على الأمير منجك اليوسفي بتقدمة أحمد شاد الشراب خاناه . ثم في الغد يوم الخميس امتنع النائب من الركوب في الموكب وأجاب بأنه ترك النيابة ، فطلب إلى الخدمة وسئل عن سبب ذلك فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إقامة الفتنة وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه ، وأشار لألجيبغا وطنيرق فأنكرا ماذكر النائب عنهما ، فحاققهما الأمير أرغون الكاملي أن ألجيبغا واعده بالأمس على الركوب في غد وقت الموكب ومسك النائب ومنجك، فعتب عليهما الأمراء فاعتذرا بعذر غير مقبول، وظهر صدق ما نقله النائب ، فخلع على ألجيبغا بنيابة طرابلس وعلى طنيرق بإمرة في دمشق وأخرجا من يومهما، فقام في أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه[1] حتى أعفي من السفر وتوجه ألجيبغا إلى طرابلس في ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أياما ، واستمر منجك معزولا إلى أن أعيد إلى الوزر في يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندمر العمري لتوقف أحوال الوزارة .

وفيه أيضا أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائي وطيبغا المظفري ومنكلي بغا المظفري وفرقوا ببلاد الشام .

ثم قدمت تقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة ، وهي مائة وأربعون فرسا بعبي تدمرية[2] فوقها أجلة[3] أطلس ،ومقاود سلاسلها فضة ،

(١) في السلوك : «في ثاني ربيع الآخر» . (٢) في الأصلين : «بعبي تدمري» وما أثبتناه عن السلوك . (٣) في الأصلين : «أجلية» . وما أثبتناه من السلوك ولسان العرب مادة «جلل» .

ولواوين[1] بحلق فضّة ، وأربعــةُ قُطُرهُجُن بمقاود حرير ، وسلاسل فضّــة وذهب ، وأكوارُها[2] مغشّاةٌ بذهب ، وأربعةُ كنابيش[3] ذهب عليها ألقاب السلطان ، وتعــابى قماش مبقّجة[4] من كلّ صنف ؛ ولم يَدَع أحدا من الأمراء المقدّمين ولا من أرباب الوظائف حتى الفرّاش ومقدّم الإسطبل ومقدّم الطبلخاناة والطبّاخ ، حتى بعث إليهم هديّة ، فخلع على مملوكه عِدّة خِلَع وكتب إليه بزيادة على إقطاعه ، ورَسم له بتفويض حكم الشام جميعه إليه ، يَعزِل ويولّى من يختار .

وفيه أنعم على خليل بن قَوْصُون بإمرة طبلخاناه ، وأنعم أيضا على آبن المجْدى بإمرة طبلخاناه ، وأنعم على أحد أولاد مَنْجَك الوزير بإمرة مائة وتقــدمة ألف .

ثم فى ثالث ذى الحجة أُخرِج طَشْبُغَا الدوادار إلى الشام ، وسببه مفاوضةٌ جَرَت بينه وبين القاضى علاء الدين علىّ بن فضل الله كاتب السرّ ، أفضت به إلى أن أخذ طشبغا بأطواق كاتب السرّ ودخلا على الأمير شَيْخُون كذلك ، فأنكر شيخون على طشبغا ، ورَسم بإخراجه ، وعَمِل مكانه قُطْلِيجَا الأَرْغُونىّ دوادارا . ثم رَسم للأمير بَيْغَرا أمير جاندار أن يجلس رأس ميسرة ، وآستقرّ الأمير أَيْتَمُش الناصرى حاجب الحجّاب أمير جاندار عوضه ، وآستقرّ الأمير قُبُلاى[5] حاجب الحجّاب عوضا عن أيتمش .

---

(١) أصلها أواوين جمع إيوان وهو مقدّم اللجام ثم حرفت إلى لواوين جمع ليوان .

(٢) الأكوار جمع كور بالضم وهو الرحل وقيل الرحل بأداته (عن لسان العرب) .

(٣) فى قاموس دوزى : الكنبوش وهو الغاشية تحت سرج الفرس ، وهى هنا للهجن أشبه ما تكون بالأجلة للخيل من حواشى الكور ، كان يكتب عليها بالزركش والحرير ألقاب السلطان فى عصر المماليك . (انظر دوزى وقاموس الملابس العربية له ودرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة لابن عبد القادر الحنبلى) . (٤) فى السلوك : «وتعابى قماش مفتخر» . (٥) فى الأصلين : « الأمير جنــدر حاجب الحجاب ... الخ » والتصويب مما أثبتناه عن السلوك والدرر الكامنة لأن قبلاى المذكور ولى الحجوبيــة فى أيام الناصر حسن صاحب الترجمة فى حين أننا لم نقف على اسم جنــدر فى المصادر التى تحت يدنا .

وكانت هذه السنة (أعنى سنة تسع وأربعين وسبعمائة) كثيرة الوباء والفساد بمصر والشام من كثرة قَطْع الطريق لولاية الأمير مَنْجَك جميع أعمال المملكة بالمال، وآنفراده وأخيه بَيْبَغا أُرُس بتدبير المملكة .

ومع هـذا كان فيها أيضا الوباء الذى لم يَقع مثلُه فى سالف الأعصار، فإنه كان آبتـدأ بأرض مصر آخرَ أيام التخضير فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمـان وأربعين، فما أهلّ المحرّم سنة تسع وأربعين حتى آشتهر وآشتدّ بديار مصر فى شعبان ورمضان وشـوّال، وآرتفع فى نصف ذى القعدة، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس [إلى عشرين ألف نفس](١) فى كلّ يوم، وعَملت الناس التوابيت والدِّكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، وحُمل أكثرُ الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحُفِرت الحفائرُ وأُلْقِيت فيهـا الموتى، فكانت الحفيرةُ يُدْفَن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر، وكان الموت بالطاعون، يَبْصُق الإنسان دما ثم يَصيح ويموت؛ ومع هذا عمّ الغلاءُ الدنيا جميعَها، ولم يكن هذا الوباءُ كما عُهِد فى إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقا وغربًا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بنى آدم وغيرهم، حتى حِيتان البحر وطير السماء ووحش البرّ.

وكان أوّل آبتـدائه من بلاد القان(٢) الكبير حيث الإقليم الأوّل، وبعـدها من تِبْريز(٣) إلى آخرها ستّة أشهر وهى بلاد الخِطا(٤) والمُغل وأهلها يعبدون النار والشمس

(١) تكملة عن السلوك . (٢) هى — كما يرى فى أطلس (اسبروېز) الألمانى التاريخى — تمتد من أذربيجان الحالية غربا إلى قيصرية القسطنطينية، وشرقا الى مملكة الخطا وبلاد الصين. وأشهر مدنها تبريز . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هـذه الطبعة .

(٤) ضبطها القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٨٣) بالعبارة فقال : « بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف فى الآخر. والخطا : اسم يطلق على بلاد متاخمة للصين، يسكنها جنس من الترك، ويطلق اسم الخطا على بلاد الصين جميعها فى القرون الوسطى . (راجع السلوك طبع زيادة ج ١ قسم ١ وصبح الأعشى) . وتحديدها كما يرى من أطلس اسبروېز الألمانى التاريخى : « تمتد بلاد (الخطا) من البلاد التى كانت تسمى بما وراء النهر جنوبا إلى منابع نهرى إرتش وأوبى من أنهار سيبريا الحالية شمالا،

والقمر، وتزيد عدّتهـم على ثلثمائة جنس فهلكوا بأجمعهم من غير علّة ، فى مشاتيهم ومصايفهم وعلى ظهور خيلهـم ، وماتت خيولهم وصاروا جيفة مرميـة فوق الأرض؛ وكان ذلك فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة . ثم حملت الريحُ نتنهـم إلى البلاد، فمـا مرّت على بلد إلّا وساعة شمّها إنسانٌ أو حيوانٌ مات لوقته فهلك من أجناد القان خلائقُ لا يُحصيها إلا الله تعالى . ثمّ هلك القان وأولاده الستّة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه .

ثم آتّصل الوباء ببلاد الشرق جميعها : بلاد أُزْبَك[1] وبلاد إسطنبول[2] وقَيْصَرية[3] الروم ، ثم دخل أنطاكية حتى أفنى مَنْ بها، وخرج جماعةٌ من بلاد أنطاكيـة فارّين من الموت فماتوا بأجمعهم فى طريقهـم، ثم عمّ جبال[4] آبن قَرَمان[5] وقَيْصَرية ، ففَنِي أهلُها ودوابُّهم ومواشيهم ، فرحلت الأكرادُ خوفا من الموت فلم يجدوا أرضًا إلا وفيها الموت ، فعادوا إلى أرضهـم وماتوا جميعا . ثم وقـع ذلك ببلاد سِيس فمـات لصاحبها تَكْفُور فى يوم واحد بموضـع مائة وثمانون نفسا وخلت سِيس . ثمّ وقع فى بلاد الخطا مطرٌ عظيمٌ لم يُعهد مثلُه فى غير أوانه، فماتت دوابُّهم ومواشيهم

---

(١) كانت تطلق بلاد أزبك على ما كان يسمى ببلاد القفجاق وهى أرض القبائل الذهبية التى كانت تمتد (كما يرى فى أطلس اسبروز الألمانى التاريخى) شمالى بحر بنطش (البحر الأسود) وبحر قزوين إلى منابع نهرى إرتش وأوبى من سيبريا .

(٢) هى بلاد اسطنبول الحالية .

(٣) يراد بها قيصرية القسطنطينية أى بلاد الأناضول (كما يرى فى أطلس سبروز الألمانى التاريخى).

(٤) فى السلوك : « من جبال أنطاكية » .

(٥) تقع جبال ابن قرمان فى وسط تركية آسيا اليـوم، وهى إمارة كانت فى وسط بلاد الأناضول محصورة ما بين إمارات العثمانيين وغيرها ، وما بين بحر الروم (البحر الأبيض) وما بين مملكة إرمينية ومملكة خانات العراق .

عَقِيب ذلك المطر حتى فَنِيت ، ثمّ مات النـاس والوحوش والطيـور حتى خلت بلاد الخطَا وهلك ستّة عشر مَلِكًا فى مدّة ثلاث أشهر ، وأفنى أهلَ الصِّين حتى لم يبق منهم إلا القليل ، وكذلك بالهند .

ثمّ وَقع ببغداد أيضا فكان الإنسان يُصبح وقد وَجَد بوجهه طُلُوعًا ، فما هـو إلا أن يمُدّ يده على موضع الطلوع فيموت فى الوقت . وكان أولاد دمرداش، قد حَصَروا الشيخ حسنًا صاحبَ بغداد، فَفَجأهم الموتُ فى عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد ، فمات منهـم عدد كثيرٌ نحو الألف ومائتى رجل وسـتة أمراء ودوابّ كثيرة [1] ، فكتب الشيخ صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر .

ثمّ فى أوّل جُمادى الأولى ٱبتدأ الوباء بمدينة حلب ثمّ بالبـلاد الشاميّة كلّها وبلاد مَارِدِين [2] وجبالها ، وجميع ديار بكر ، وأفـنى بلاد صَفَد والقُـدْس والكَرَك ونابُلُس والسـواحل وعُربان البوادى حتى إنه لم يُبْق ببلد جِينِين [3] غيرَ عجوز واحدة خرجت منها فارّة ، وكذلك وقع بالرّملة [4] وغيرها ، وصارت الخانات ملآنة بجِيَف الموتى ، ولم يدخل الوباء مَعَرّة النُّعمان [5] من بلاد الشام ولا بَلَدَ شَيْزَر [6] ولا حارما .

(١) فى الأصلين : « ودواب كثير » . وما أثبتناه عن السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) هى قلعة تشتمل على كورة بالشام . وتقع قرب المعرّة ، بينها وبين حماة يوم . فى وسطها نهر الأرند . والقلعة شيزر شهرة كبرى فى التاريخ فقد كانت مقرّ إمارة بنى منقذ الكنانيين منذ ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سـنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧م) . وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر صاحب كتاب الاعتبار فى ٢٧ من شهر جمادى الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يوليه سنة ١٠٩٥م) أى قبل ابتداء الحروب الصليبية ببضع سنين . وكتابه الاعتبار المذكور ثبت لمذكرات طلية ضافية عن تلك الحروب . وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله ، وملاحظاته عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية وهى فريدة فى بابها . وقد انتهى ملك المناقذة لقلعة شيزر سنة ٥٥٢ هـ بوفاة آخر أمرائها تاج الدولة ناصر الدين محمد . وفى نفس العام استولت الإسماعيلية على شيزر ، ثم أخذها منهم السلطان نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤ هـ (انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥٣) وكتاب الروضتين لأبى شامة (ص ٩٥ ، ١٤٩ — ١٥٠) والكامل لابن الأثير (ج ١١ ص ٢٢٠) .

وأول ما بدأ بِدمَشق ، كان يخرُج خلف أُذن الإنسان بثرةٌ فيخرّ صريعا ، ثمّ صار يخرج للإنسان كُبّة[1] فيموت أيضا سريعا ، ثمّ خرجت بالناس خِيارة فقتلت خَلْقا كثيرا ، ثم صار الآدميّ يبصق دمًا ويموت من وقته ، فآشتدّ الهول من كثرة الموت ، حتّى إنه أكثر من كان يعيشُ ممن يُصيبه ذلك خمسين ساعة[2] . وبلغ عِدّةَ مَنْ يموت في كلّ يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان ، ومات بمدينة غزة في ثاني المحرم الى رابع صفر — على ما ورد في كتاب نائبها — زيادة على آثنين وعشرين ألف إنسان ، حتى غلقت أسواقها ، وشَمِل الموت أهلَ الضِّياع بها ، وكان آخر زمان الحرث ، فكان الرجلُ يوجد ميتًا خلف محْراثه ، ويُوجد آخرُ قد مات وفي يده ما يَبْذُره . ثمّ ماتت أبقارُهم ؛ وخرج رجل بعشرين رأس بقر، لإصلاح أرضه فماتوا واحدا بعد واحد ، وهو يراهم يتساقطون قُدّامه ، فعاد إلى غزّة . ودخل ستّة نفر لسرقة دار بغزّة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم ، وفرّ نائبها الى ناحية بُدْعَرْش[3] ، وترك غزّة خالية ، ومات أهل قَطْيَا وصارت جُثثُهم تحت النخل وعلى الحوانيت ، حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين وجارية عجوز ، وبعث يَستعفِي ، فولّى عوضه مُبارك ، أستادار طُغْجِي .

ثمّ عمّ الوباء بلاد الفرنج ، وآبتدأ في الدوابّ ثمّ في الأطفال والشباب ، فلمّا شنعُ الموتُ فيهم جَمَع أهل قُبْرُس مَنْ في أيديهم من أُسَرى المسلمين وقتلوهم جميعا من بَعْد العصر إلى المغرب ، خوفًا من أن تَفْرُغَ الفرنج فتملك المسلمون قُبْرُس ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هبّت ريحٌ شديدة ، وحدَثت زلزلةٌ عظيمة ، وآمتدّ البحر

(١) الكبّة بالضم والتشديد : غدّة شبه الخرّاج ، وأهل مصر يطلقونها على الطاعون (عن شرح القاموس) .

(٢) رواية م : « حتى إنه أكثر ما كان يعيش من يصيبه ذلك خمسين ساعة ... الخ » .

(٣) في الأصلين : «بدعوس» وما أثبتناه عن السلوك وما تقدّم ذكره في الحاشية رقم ٢ ص ١٣١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

فى المينة نحو مائة قصبة، فَغرق كثير من مراكبهم وتكسّرت، فظنّ أهلُ قُبْرُس أنّ الساعة قامت، فخرجوا حَيَارَى لا يَدْرُون ما يصنعون، ثمّ عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا، وهلك لهم فى هـذا الوباء ثلاثة ملوك، وٱستمرّ الوباء فيهم مدّة أسبوع، فَركب منهم ملكُهم الذى ملّكوه رابعا، فى جماعة فى المراكب يُريدون جزيرةً بالقرب منهم، فلم يَمْضِ عليهم فى البحر إلا يومٌ وليلةٌ ومات أكثرُهم فى المراكب، ووصل باقيهم الى الجزيرة فماتوا بها عن آخرهم، ووافى هـذه الجزيرة بَعـد موتهم مَرْكَبٌ فيها تجّار فماتوا كلُّهم وبحّارتُهـم إلا ثلاثة عشر رجلا، فسـاروا إلى قُبْرُس فوصلوها، وقد بَقُوا أربعةُ نفر فلم يجدوا بها أحدًا فساروا إلى طرابُلُس، وحدّثوا بذلك فلم تَطُلْ مدّتهم بها وماتوا .

وكانت المراكب إذا مرّت بجزائر الفرنج لا تجد رُكّابُها بها أحدًا، وفى بعضها جماعةٌ يَدْعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبُّوا بغير ثمن لكثرة مَنْ كان يموت عنـدهم، وصاروا يُلْقون الأمواتَ فى البحر، وكان سبب الموت عنـدهم ريحٌ تمرّ[1] على البحر فساعة يشمُّها الإنسانُ سَقط، ولا يزال يَضْرِب برأسه إلى الأرض حتى يموت .

وقَـدِمت مراكبُ الى الإسكندرية، وكان فيها ٱثنان وثلاثون تاجرا وثلثمائة رجل ما بين بحّار وعبيد، فماتوا كلهم ولم يَصِل منهم غيرُ أربعة من التجّار وعبدٌ واحد، ونحو أربعين من البحّارة .

وعمّ الموتُ جزيرةَ الأَنْدَلُس بكمالها إلا جزيرة غَرْنَاطـة[2]، فإنهم نَجَوْا، ومات مَنْ عداهم حتى إنه لم يَبق للفرنج من يمنـع أموالَهم، فأتتهم العـرب من إفريقية

(١) فى ف : « ريح تهب » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

تريد أخذ الأموال إلى ن صاروا على نصف يوم منها ، فمرّت بهم ريحٌ فمات منهم على ظهور الخيل (١) جماعةٌ كثيرةٌ ودخلها باقيهم ، فرأَوْا من الأموات ماهالهم ، وأموالهم ليس لها مَنْ يحفظها ، فأخذوا ما قَدَرُوا عليه ، وهم يتساقطون مَوْتى ، فنجا من بَقِيَ منهم بنفسه ، وعادوا إلى بلادهم وقد هَلَكَ أكثرُهم ، والموت قد فشا بأرضهم أيضا بحيث إنه مات منهم فى ليلة واحدة عددٌ كثير ، وبَقِيت أموال العُرْبان سائبة لا تجد مَنْ يرعاها ، ثم أصاب الغَنَم داءٌ ، فكانت الشاةُ إذا ذُبِحت وُجِد لحمُها مُنْتِناً قد آسودّ وتغيّر ، وماتت المواشى بأسْرها .

ثم وقع الوباء بأرض بَرْقَة (٢) إلى الإسكندرية ، فصار يموت فى كلّ يوم مائة . ثم صار يموت مائتان ، وعَظُم عندهم حتى إنه صُلِّى فى اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة ، وصاروا يحملون الموتى على الجَنَويّات (٣) والألواح ، وغُلِّقت دارُ الطِّراز لعدم الصُّنّاع ، وغُلِّقت دارُ الوكالة ، وغُلِّقت الأسواق وأُرِيق مابها من الخمور . وقدمها مَرْكَبٌ فيه إفرنج فأخبروا أنهم رَأَوْا بجزيرة طرابُلُس مَرْكَبا عليه طيرٌ تحومُ فى غاية الكثرة ، فقصدوه فإذا جميع مَنْ فيها ميِّت والطيرُ يأكلهم ، وقد مات من الطير أيضا شىء كثير . فتركوهم ومروا فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات منهم زيادة على ثلثهم (٤) . ثم وَصَل إلى مدينة دمنهور (٥)

---

(١) فى ف : « على ظهور خيلهم » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

(٤) فى السلوك : « مات زيادة على ثلثيهم » . (٥) قاعدة مديرية البحيرة إحدى مديريات الوجه البحرى بمصر ، وهى من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصرى القديم دمنهور وهو اسمها الحالى الذى لم يطرأ عليه أى تحريف من العهد الفرعونى إلى اليوم . ومعناها مدينة الإله هوريس وهو الصقر الذى يسميه اليونان : «أبو للون» . ولما تولى البطالسة حكم مصر ، وجدوا أغلب سكان مدينة دمنهور معتنقين عبادة الإله هرمس ، ولذلك سموها هرموبوليس بارفا أى مدينة الإله هرمس الصغيرة ، تمييزا لها من هرموبوليس مجنا ، أى الكبيرة وهى الأشمونين التى بمركز ملوى . واحتفظ القبط والعرب باسمها القديم وهو دمنهور إلى اليوم .

=

وتَرُوجة (١) بالبحيرة كلها حتى عم أهلها ، وماتت دوابهم ومواشيهم وبطل من البحيرة (٢) سائر الضمانات ، وشمل الموت أهل البُرُلُّس (٣) ونستراوة (٤) وتعطل الصيد من البحيرة بموت الصيادين فكان يخرج في المركب عدة صيادين فيموت أكثرهم ويعود من

= ودمنهور هي قاعدة إقليم غربي الدلتا من عهد الفراعنة . ولما تولى العرب حكم مصر أطلقوا على هذا الإقليم اسم الحوف الغربي، وقسموا مدينة دمنهور إلى ست نواح ، وهي دمنهور الوحش واسكنيدة (سكنيدة) وقرطسا وطاموس (أبو الريش) ونقرها وشبروميتا (شبرا الدمنهورية) ، وجعلوا لكل ناحية من هذه النواحي زماما خاصا بها من الأراضي الزراعية وسكنا معروفا باسمها ، وسكن هذه النواحي يجمعه الآن سكن واحد يطلق عليه اسم دمنهور .

وفي أيام الدولة الفاطمية قسم الحوف الغربي إلى كورتين ، وهما كورة البحيرة وقاعدتها دمنهور ، وكورة حوف رمسيس وقاعدته مدينة رمسيس ، وهذه اليوم إحدى قرى مركز إيتاى البارود .

وفي سنة ٧١٥ هـ أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوما بإلغاء حوف رمسيس ، وجعل البحيرة كلها إقليما واحدا باسم البحيرة وقاعدته مدينة دمنهور .

وبسبب زيادة عدد سكان هذه المدينة وكثرة ما يقع فيها من مخالفات اللوائح العامة التي نشأ عنها كثرة أعمال الضبط والأعمال الإدارية والمالية ، أصدر ناظر الداخلية قرارا في فبراير سنة ١٩١٢ بفصل مدينة دمنهور عن بلاد مركز دمنهور ، وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم بندر دمنهور .

ومدينة دمنهور هي اليوم من كبريات المدن المصرية يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٦٫٠٠٠ نفس ، وبها كل ما يلزم سكانها من معاهد العلم على اختلاف أنواعها ، وبها كلية الزراعة التابعة لجامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وبها المساجد والمستشفيات والمصالح الأميرية والمحاكم ، ومحالج القطن الكبيرة والمحال التجارية التي يباع فيها كل ما يسد حاجات الناس ، وكذلك بها الفنادق والأندية وأماكن الألعاب الرياضية ودور السينما ، وهي بالإجمال من المدن المصرية الجامعة لأسباب الحضارة ووسائل المدنية .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك : «فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات والموجبات السلطانية» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) يستفاد مما ورد في معجم البلدان لياقوت وفي الانتصار لابن دقماق ، أن نستراوة ويقال لها نسترو : بلدة واقعة بين البحر الملح وهو البحر الأبيض المتوسط وبين بحيرة نستراوة ، وهي بحيرة البرلس وليس بها زراعة ويشتغل أهلها بصيد الأسماك ، وكانوا يدفعون للحكومة ضريبة تختلف قيمتها بسبب قلة الصيد وكثرته من ١٧٠٠٠ دينار إلى ٥٠٠٠٠ دينار سنويا ، وأغلب غذاء أهلها السمك وماء الشرب ينقل إليهم من النيل في المراكب .

وكانت نسترو قاعدة لبلاد القسم الواقع على البحر الأبيض ومنها البرلس وبلطيم . وبالبحث عن مكان هذه البلدة تبين لي ، أنها اندثرت من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومكانها اليوم يعرف بكوم مسطورة في الساحل الرملي الممتد على شاطئ البحر الأبيض ، في المسافة بين فم فرع النيل الغربي وهو فرع رشيد وبين البرلس . وكانت بحيرة البرلس تعرف قديما باسم بحيرة نسترو نسبة إلى تلك البلدة .

بَقِى منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله . ووُجِد فى حِيتان البطارخ شىءٌ منتن، وفيه على رأس البطارخة(١) كُبَّة(٢) منتنة قدر البُنْدقة قد اسودّت . ووُجد فى جميع زراعات البُرُلُّس وبَلَحها دُودٌ، وتَلِف أكثر تمر النَّخل عندهم، وصارت الأموات على الأرض فى جميع الوجه البحرىّ لا يوجد من يَدْفِنُها .

ثمّ عَظُم الوباءُ بالمحلّة(٣) حتى إنّ الوالى كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضى إذا أتاه من يُريد الإشهاد على شخص لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلّتهم . وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها، وماتت الفلّاحون بأسرهم إلا القليل، فلم يوجد من يضمّ الزرع، وزَهِد أربابُ الأموال فى أموالهم وبذلوها للفقراء، فبَعث الوزير منْجَك إلى الغربية، كريمَ الدين ابن الشيخ مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدّم الدولة، فدخلوا على سُنْباط(٤) وسَمَنُّود(٥) وبُوصِير(٦) وسَنْهُور(٧) ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرا، لم يُحْضِروا منه سوى ستين ألف درهم .

(١) فى السلوك : «البطرخة» . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٣) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٧ من الجزء التاسع فى هذه الطبعة .

(٥) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٣١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) يوجد بمصر عدّة قرى باسم «بوصير» والمقصودة هنا بوصير التى بمديرية الغربية، وهى من المدن المصرية القديمة، اسمها المصرى القديم «براوزار» ومعناها محل إقامة الإله «أوزيريس» واسمها الرومى «بوزيريس» والقبطى «بوصير»، وهو اسمها العربى الذى حرف إلى أبو صير وهو اسمها الحالى ويقال لها صير بنا لمجاورتها لبلدة بنا أبو صير وتمييزا لها عن القرى الأخرى المسماة أبو صير بمصر . وكانت بوصير قاعدة القسم التاسع بالوجه البحرى قديما، وكانت فى عهد العرب قاعدة كورة (قسم) من كور بطن الريف، وكانت بلدة كبيرة عامرة؛ بها أسواق وحمامات ومتاجر، وهى الآن بلدة زراعية ضمن قرى مركز سمنود بمديرية الغربية بمصر . تبلغ مساحة أطيانها ٤٤٣٢ فدانا، وسكانها حوالى ٨٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

(٧) يوجد بمصر عدّة قرى باسم سنهور . والمقصود هنا سنهور المدينة التى بمديرية الغربية، وهى من المدن المصرية القديمة، ذكرها ابن حوقل فى كتاب المسالك بأنها مدينة ذات إقليم كبير عليه عامل أى حاكم وبها أسواق وحمامات وفنادق، ولها غلات كثيرة من القمح والكتّان وقصب السكر . وتعرف اليوم باسم سنهور المدينة، تمييزا لها عن القرى الأخرى التى باسم سنهور فى مصر . وهى الآن من بلاد مركز دسوق بمديرية الغربية، تبلغ مساحة أطيانها ٥٦٨٤ فدانا وعدد سكانها حوالى ١٢٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

وعجز أهلُ بلبيس وسائر الشرقية عن ضَمّ الزرع لكثرة موت الفلّاحين . وكان ابتداء الوباء عندهم من أوّل فصل الصيف الموافق لأثناء شهر ربيع الآخر من سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ففاحت الطُّرقات بالمَوْتَى ، ومات سُكّان بيوت الشَّعر ودوابُّهم ومواشيهم ، وامتلأت مساجدُ بلبيس وفنادقها وحوانيتُها بالمَوْتَى ، ولم يبق مؤذِّن ، وطُرحت الموتى بجامعها ، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى . ٥

ثم قَدِم الخبرُ من دِمَشْق أنّ الوباء كان بها آخر ما كان بطرابُلُس وحَمَاة وحلب ، فلمّا دَخَل شهر رجب والشمس في بُرْج المِيزَان أوائلَ فصل الخريف ، هبّت في نصف الليل ريحٌ شديدة جدًّا ، واستمرّت حتّى مَضَى من النهار قَدْرُ ساعتين ، فاشتدت الظُّلْمة حتى كان الرجل لا يَرَى من بجانبه . ثم انجلَتْ وقد عَلَتْ وجوه الناس صُفْرَةٌ ظاهرة في وادى دِمَشْق كلّه ، وأخذ فيهم الموتُ مدّةَ ١٠ شهر رجب فبلَغ في اليوم ألفًا ومائتى إنسان ، وبَطَل إطلاق الموتى من الديوان ، وصارت الأمواتُ مطروحةً في البساتين على الطُّرُقات ، فقَدِمَ على قاضى القُضاة تَقِيّ الدين السُّبْكِيّ[1] قاضى دِمشق رجلٌ من جبال الرُّوم ، وأخبر أنّه لمّا وقَع الوباء ببلاد الروم رَأَى في نومه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فشكا إليه ما نَزَلَ بالناس من الفناء فأَمَرهُ صلّى الله عليه وسلّم أن يقول لهم : « اقرءوا سورة نُوح ثلاثة آلاف ١٥ وثلثمائة وستين مرّة ، واسألوا الله في رفع ما أنتم فيه » فعرّفهم ذلك فاجتمع الناس في المساجد ، وفعلوا ما ذَكر لهم ، وتضرّعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم ، وذَبحُوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدّة سبعة أيام ، والفناء يتناقص كلّ يوم حتى زال ؛ فلمّا سمع القاضى والنائب ذلك نُودى بدِمَشْق باجتماع الناس بالجامع الأُمَوِيّ ، فصاروا به جَمْعًا كبيرا وقرءوا « صحيح البخاريّ » في ثلاثة أيام وثلاث ٢٠

(١) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٥٦ هـ .

ليال . ثم خَرَج الناس كافّة بصبيانهم إلى المُصلّى وكشفوا رءوسهم وضَجُّوا بالدعاء ، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام فتناقص الوباء حتّى ذهب بالجُملة .

وكان آبتـداؤه بالقاهرة ومصر فى النساء والأطفال ثم بالباعة حتى كَثُرَ عددُ الأموات ، فركِبَ السلطان إلى سِرْياقُوس ، وأقام بهـا من أوّل شهر رجب إلى العشرين منه ، وقصد العَوْدَ إلى القلعة فأُشير عليه بالإقامة فى سِرْياقوس وصَـوْمِ رمضان بها .

ثم قَدِم كتابُ نائب حلب بأنّ بعض أكابر الصلحاء رأى النبيّ صلى الله عليـه وسلم فى نومه فشكا إليه ما نَزَل بالناس من الوباء ، فأمره صلى الله عليه وسلم بالتَّوْبة ، والدعاء بهـذا الدعاء المبارك وهو : « اللّهمّ سَكِّنْ[1] هَيْبَةَ صَدْمَةِ[2] قَهْرمان الجَبَرُوت بألطافك النازلةِ الواردةِ من فَيَضان المَلَكُوت ، حتى نَتَشَبَّثَ بأذيال لطفك ، ونعتصم بك عن إنزال قَهْـرِك ، ياذا القـوّة والعظمة الشاملة ، والقُـدرة الكاملة ، ياذا الجلال والإكرام[3] » . وأنه كتب بها عِدّةَ نسخ بعث بها إلى حَمَاة وطرابُلُس ودِمَشْق .

وفى شعبان تزايد الوباءُ بديار مصر ، وعَظُم فى شهر رمضان وقد دَخَل فصلُ الشتاء فرُسِم بالآجتماع فى الجوامع للدعاء ، فى يوم الجمعة سادس شهر رمضان ، فنُـودِى أن يجتمع الناس بالصَّناجِق الخليفتية والمصاحف ، إلى قبّة النصر خارج القاهرة ، فآجتمع الناس بعامّة جوامع مصر والقاهرة ، وخرج المصريّون إلى مُصَلّى

---

(١) فى السلوك : « اللهم سكن غبة » . (٢) فى السلوك و م « صدمة قهرمان الحروب » .

(٣) فى هامش م عن نسخة أخرى : « اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الجبروت ، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت ، حتى نتشبث بأذيال لطفك ، ونعتصم بك عن إنزال قهـرك ، ياذا القوة الكاملة والقدرة الشاملة ، يا حى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام - اللهم يا ولىّ الولاء ، و يا كاشف الضر والبلاء ، اصرف عنا القحط والنار والطاعون والوباء ، بحق آدم وحوّاء ، وحق محمد المصطفى وآله المرتضى ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين » . من كتاب « أعجب العجاب » لمحمود ابن قاضى ميناس .

خَوْلان[1] بالقرافة ، وآستمرّت قراءة البُخارىّ بالجامع الأزهر وغيره عدّة أيام ،
والناس يدعون إلى الله تعالى و يقْنُتُون فى صَلَوَاتهم . ثم خرجوا إلى قبة النصر وفيهم
الأمير شَيْخُون والـوزير مَنْجَك اليُوسفىّ والأمراء بملابسهم الفاخرة من الذهب
وغيره ، فى يوم الأحد[2] ثامن شهر رمضان .

ومات فى ذلك اليوم الرجُل الصالح سيّدى عبد الله المَنُوفىّ[3] ، تغمده الله برحمته ، ٥
وأعاد علينا من بركاته ، فصَلّى عليه ذلك الجمع العظيم ، وعاد الأمراء إلى سرْياقوس
وآنفضّ الجَمْع ، وآشتد الوباء بعد ذلك حتى عجَز الناس عن حَصْر[4] الموتَى .

فلما آنقضى شهر رمضان حضَر السلطان من سرْياقوس ، وحَدَث فى الناس
فى شوّال نَفْثُ الدّم ، فكان الإنسان يحسّ فى نفسه بحرارة ويجد غَثَيَاناً فيَبْصُق دمًا
و يموت عقِيبَه ، و يتبعهُ أهـلُ داره واحدا بعد واحد حتى يَفْنوا جميعا بعد ليلة ١٠

---

(١) تكلم عليه المقريزى فى خططه عند الكلام على المصليات والمحاريب التى بالقرافة الكبرى (ص ٤٥٤ ج ١) فقال : إن هذا المصلى عرف بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان ، وهم من قبائل اليمن ، ثم قال : إن موضعه يعرف بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة ٢١٠ هـ ، ثم بناه أحمد بن طولون فى سنة ٢٥٦ هـ واسمه باق عليه الى اليوم . ثم قال : ولما ضاق المصلى بالناس ، فى إمارة عنبسة بن إسحاق الضبىّ على مصر ، بنى المصلى الجديد فى سنة ٢٤٠ هـ وهو الذى ١٥ بالصحراء عند الجارودى ، ثم جدده الحاكم فى سنة ٤٠٣ هـ .

ويستفاد مما ذكره آبن إياس فى تاريخ مصر فى حوادث سنة ٩٠٢ هـ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ من الجزء الثانى ؛ أن مصلى خولان كان بالقرافة الكبرى ، بالجهة الجنوبية لمشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

وبالبحث عن مكان هذا المصلى تبين لى ، أنه كان واقعا فى النهاية الشمالية الشرقية من أرض القرافة الكبرى ، وفى شمال قبر القاضى بكار بن قتيبة ، أى فى أرض المثلث الذى يحده اليوم من الشرق ، جبانة ٢٠ الامام الشافعىّ ، والسور الذى أنشأه محمد على الكبير لنقل الماء عليه إلى الامام الشافعى ومن الشمال ، القطعة التى يتلاقى فيها ذلك المجرى بمجرى العيون الموصل الى القلعة ومن الغرب ، بقايا قديمة من سور مدينة الفسطاط الذى يتفرّع من النقطة السالف ذكرها متجها إلى الجنوب ، ويفصل بين أطلال مدينة الفسطاط وبين القرافة الكبرى .

(٢) فى الأصلين : «فى يوم الاثنين ثامن شهر رمضان» والسياق يأباه لأن أول رمضان سنة ٧٤٩ هـ ٢٥ يوم الأحد ، كما ورد فى التوفيقات الإلهامية والسلوك . (٣) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٤٩ هـ . (٤) فى الأصلين : «عن حضور الموتى» وتصحيحه عن السلوك وما يقتضيه السياق .

أو ليلتين ، فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء، وآستعدّ النـاس جميعا وأكثروا من الصَّدَقات ، وتحاللُوا وأقبلوا على العبادة،ولم يَحْتَج أحدٌ فى هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطبّاء لسرعة المـوت ، فـا آنتصف شوّال إلا والطرقات والأسواق قد آمتلأت بالأموات ، فانتُدب جماعة لمواراتهم وآنقطع جماعةٌ للصلاة عليهم ،وخرج الأمر عن الحدّ، ووقع العجز عن العدد ، وهلك أكثر أجناد الحَلْقة وخلَت الطِّباق بالقلعة من المماليك السلطانية لموتهم .

فما أهلّ ذو القعدة إلا والقاهرة خاليةٌ مُقفرة ،لا يُوجد بشوارعها مارٌّ، بحيث إنه يمرّ الإنسان من باب زَوِيلةَ إلى باب النصر[(1)] فلا يرى من يُزاحمه ،لآشتغال الناس بالمَوْتَى، وعلَت الأتربةُ على الطُّرُقات ، وتنكّرت وجوه الناس ، وآمتلأت الأماكن بالصِّياح ، فلا تجد بيتا إلا وفيه صَيْحة ، ولا تمرّ بشارع إلا وتَرى فيه عدّة أموات . وصُلِّىَ فى يوم الجمعة بعـد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكى[(2)] فصُفَّت التوابيتَ آثنين آثنين من باب مقصورة الخَطابة إلى باب الجامع ،ووقف الإمام على العَتَبة والناسُ خلفه خارج الجامع . وخلت أزقّةٌ كثيرةٌ وحاراتٌ عديدة من النـاس ، وصار بحارة بَرْجَوان[(3)] آثنتان وأربعون دارا خالية ، وبَقِيت الأزّقة والدُّروب المتعدّدة

---

(١) سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) هى من الحارات الكبيرة القديمة بالقاهرة ، تنسب الى الأستاذ أبى الفتوح برجوان ، كان من جملة خدّام القصر فى أيام الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى ، ثم صار بعد ذلك مدبر مملكة الحاكم بأمر الله . والحارة هنا ليس المقصود بها الطريق الذى يمرّ فيه النـاس بين المساكن كما هو معـروف اليوم ، بل إن الحارة هى كل محلة دنت منازلها ، والمحلة منزل القوم ، وعندما بنى الفاطميون القاهرة جعلوها حارات ، فالحارة كالخط ، جزء من مجموع مبانى القاهرة ، تتخللها الطرق وفيها المساجد والمدارس والأسواق والحمامات وغيرها ، وإلى اليوم يقال لشيخها شيخ حارة .

وحارة برجوان لا تزال من الحارات الشهيرة فى القاهرة ، تشغل المنطقة التى يتوسـطها اليوم شـارع برجوان وحارة برجوان وما تتفرع منهما من العطف والأزقة بقسم الجمالية بالقاهرة .

خاليةً، وصار أمتعـةُ أهلها لا تجد مَن يأخذها ، وإذا وَرِثَ إنسان شـيئًا آنتقل في يوم واحد [عنه][١] لرابع وخامس .

وحُصِرتْ عِدّة من صُلِّى عليه بالمصلّيات التى خارج باب النصر وباب زَوِيلة وباب المحروق وتحت القلعة ، ومصـلّى قتّال السـبع[٢] تجاه باب جامع قَوْصُون[٣] في يومين فبلغت ثلاث عشرة ألفا وثمانمائة ، سوى مَنْ مات في الأسواق والأحكار ، ٥ وخارج باب البحر[٤] وعلى الدكاكين وفي الحسينية[٥] وجامع آبن طولون[٦] ، ومن يتأخر دفنه في البيوت .

ويقال : بلغت عِدّة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا ، وحُصِرت الجنائز بالقاهرة فقط في مدّة شـعبان ورمضان فكانت تسعمائة[٧] ألف ، سـوى من مات

---

(١) تكملة عن السلوك يقتضيها السياق . (٢) يستفاد مما ذكره المقريزى في خططه عند الكلام ١٠ على جامع قوصون (ص ٣٠٧ ج ٢) أن هذا الجامع أصله دار الأمير جمال الدين آقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلى ثم أخذها قوصون من ولده وهدمها وأقام في مكانها جامعه المعروف في شارع محمد على بالقاهرة .

وبما أن المؤلف قال : إن مصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون ، في حين أن لهذا الجامع ثلاثة أبواب : أحدها البحـرى في درب الأغوات والثانى الشرقى في شارع السروجيـة وهما بابان قديمان ، والباب الثالث بشارع محمد على وهو باب حديث أنشئ بعـد سنة ١٨٧٣ م التى فتح فيها شارع محمد على . ١٥ وقد تكلمت على هذا الجامع في الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وبالبحث عن مكان مصـلى قتال السبع عند البابين القديمين تبين لى أن هـذا المصلى يقع تجاه الباب الشرقى الذى بشارع السروجية ، ومكانه اليوم مدرسة الأمير جانم البلوان بشارع السروجية بالقاهرة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) يقصد بذلك المنطقة ٢٠ التى بها اليوم ميدان محطة القاهرة وميدان باب الحـديد وما جاورهما إلى بولاق . وقد سبق التعليق على باب البحر في الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) يقصـد بذلك حارة الحسينية السابق التعليق عليها في الحاشـية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٦) يقصـد بذلك خط جامع ابن طولون . وأما الجامع ذاته فسبق التعليق عليه في الحاشـية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٧) إن هذا العدد مبالغ فيه كثيرا ، ولعل المؤلف ٢٥ يقصد تسعين ألفا ، لأن التاريخ دلنـا على أن عدد سكان القاهرة وضواحيها لم يزد في أى سنة من السنين السابقة للقرن الماضى عن خمسمائة ألف نفس على أكثر تقدير فكيف يكون عدد الموتى تسعمائة ألف في سنة ٧٤٩ هـ في المدينة الأصلية دون الضواحى .

بالأحكار والحسينية والصّليبة وباقى الخطط خارج القـاهرة وهم أضعاف ذلك، وعدّت النعوش وكانت عدّتها ألفا وأربعمائة نعش، فحُملت الأموات على الأقفاص ودرَاريب[1] الحوانيت، وصار يُحمل الاثنان والثلاثة فى نعش واحد وعلى لوح واحد، وطُلبت القرّاء على الأموات فأبطل كثير من النـاس صناعاتهم[2]، وانتدبوا للقراءة على الجنائز[3]، وعمِل جماعة مُدراء[4] وجماعة غُسّالا وجماعة تصدّوا لحمل الأموات، فنالوا بذلك جُملًا مستكثَرة ؛ وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم، وإذا وصـل إلى المُصلّاة تركه وانصرف لآخر، ويأخذ الحمّال ستّة دراهم بعد الدَّخْلَة[عليه][5]، وصار الحفّار يأخذ أجرة حفر كلّ قبر خمسين درهما، فلم يُمتّع أكثرهم بذلك وماتوا .

ودخلت امرأة غاسلة لتُغسّل امرأة فلمّا جرّدتها من ثيابها، ومرّت بيدها على موضـع الكُبّة صاحت الغاسـلة وسقطت ميّتـة، فوجدوا فى بعض أصابعها التى لمَسَتْ بها الكُبّة كُبّة قَدْر الفُولة، وصار الناس يبيتُون بموتاهم فى التُّرَب لعجزهم عن تواريهم، وكان أهلُ البيت يموتون جميعًا وهم عشرات، فلا يوجد لهم سوى نعْش واحد ينْقلُون فيه شيئًا بعد شيء، وأخذ كثير من الناس دُورًا وأموالًا بغير استحقاق لموت مُستحقيها فلم يُتمّل[6] أكثرُهم بما أخذ حتى مات بعدَهم بسرعة، ومَنْ عاش منهم استغنى [به][7]، وأخذ كثيرٌ من العامة[8] إقطاعات حلْقة .

---

(١) دراريب جمع درّابة (بفتح الدال وتشديد الراء) وهى أحد مصراعى باب الدكان اللذين ينطبق الأعلى منهما على الأسفل مولدة (عن دوزى) . (٢) فى الأصلين : «صنائعهم» وما أثبتناه عن السلوك . (٣) فى السلوك : « وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز » . (٤) جمع مادر وهو الذى يمدّر القبر أى يصلحه بالمدر الذى هو قطع الطين اليابس . (٥) زيادة عن هامش «م» .

(٦) فى « م » : «فلم يمل» . وما أثبتناه عن «ف» والسلوك وهامش « م » ، وهو مشتق من يملى فلان عمره استمتع منه . (٧) زيادة عن السلوك . (٨) فى م : «من العامات» .

وقام الأمير شَيْخون العُمرىّ والأمير مُغُلطاى أمير آخور بتغسيل الأموات وتكفينهم ودَفْنهم . وبطَل الأذان من عِدّة مواضع ، وبَقِى فى المواضع المشهورة يُؤَذِّن مؤذِّن واحد ، وبَطَلت أكثر طَبْلَخاناة الأمراء ، وصار فى طَبْلَخانة الأمير شيخون ثلاثةُ نفر بعد خمسة عشر نفرًا . وغُلِّقت أكثرُ المساجد والزوايا . وقيل إنه ما وُلِد لأحد فى هذا الوباء إلا ومات الولد (١) بعد يوم أو يومين ولحَقَتْه أمّه . ٥

ثم شَمِل فى آخر السنة الوباءُ بلادَ الصعيد بأسْرها ولم يدخل الوباءُ أرضَ أسوان (٢) ، ولم يمُت به سوى أحد عشر إنسانا . ووُجدت طيور كثيرة ميِّتة فى الزروع ما بين غِربان وحِدَأَة وغيرها من سائر أصناف الطيور ، فكانت إذا أُنْتِفَتْ وُجِد فيها أثرُ الكُبّة .

وتواترت الأخبار من الغَوْر (٣) وبيسان وغير ذلك أنهم كانوا يجدون الأسود ١٠ والذئاب وحُمُر الوحش ، وغيرَها من الوحوش ميّتة وفيها أثرُ الكُبّة .

وكان آبتداء الوباء أوّل (٤) أيام التَّخْضير ، فما جاء أوانُ الحَصاد حتى فنوا الفلّاحون ولم يبق منهم إلا القليل ، فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد ونادَوا : من يحصُد يأخذ نصفَ ماحصد ، فلم يجدوا واحدا ، ودَرَسُوا غِلالَهم على خيولهم وذرّوها بأيديهم ، وعجَزوا عن غالب الزرع فتركوه ، وكان الإقطاع الواحد يصير من ١٥ واحد إلى واحد حتى إلى السابع والثامن ، فأخَذ إقطاعاتِ الأجنادِ أربابُ الصنائع من الخياطين والأساكفة ، وركِبُوا الخيولَ ولبسوا الكَلْفتاه والقَباء . وكثيرٌ من الناس لم يتناول فى هذه السنة من إقطاعه شيئا ، فلمّا جاء النيل ووقع أوانُ التخضير

(١) فى الأصلين : « إلا ومات الوالد » والسياق يأباه .
(٢) فى الأصلين : « ولم يدخل الوباء ثغر أسوان » وما أثبتناه عن هامش ف . ٢٠
(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٥ من هذا الجزء . ورواية السلوك : « من الثغور » .
(٤) فى السلوك : « فإن الوباء ابتدأ فى آخر أيام التخضير » .

تعذر وجودُ الرجال فلم يُخَضَّر[1] إلا نصفُ الأراضى، ولم يوجد أحدٌ ليشترى القُرْط الأخضر ولا من يَرْبط عليه خيولَه، وتُرِكَ ألفٌ وخمسمائة فدان بناحية ناى[2] وطَنان[3]، وآنكسرت البلاد التى بالضواحى وخَرِبت. وخَلَت بلاد الصعيد مع آتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها الخراجُ، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نَفَرًا.

ومع ذلك كان الرّخاء موجودا وآنحطّ سعرُ القماش حتى أُبيع بخُمْس ثمنه وأقلّ، ولم يوجد مَنْ يشتريه، وصارت كُتُبُ العلْمِ يُنَادَى عليها بالأحمال، فيباع الحِمْـلُ منها بأرخص ثمن. وآنحطَّ قَدْرُ الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهما، بعد ما كان بعشرين. وعدمت جميع الصُّناعِ[4]، فلم يوجد سَقاء ولا بَابًا[5] ولا غُلَام. وبلغت جَامَكِيّة الغـلام ثمانين درهما، عنها خمس[6] دنانير وثُلُث دينـار، فنُـودِى بالقاهرة: من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرِب جماعة منهم، وبَلَغ ثَمَنُ راوية المـاء ثمانيـة دراهم لقـلّة الرجال والجِمـال، وبلغت أُجرة طحن الإردب القمح دينارا[7].

---

(١) القرط: هو النبات الذى يعرف اليوم باسم البرسيم وهو مخصص لغذاء الدواب على آختلاف أنواعها فى فصل الشتاء بمصر، وما يجفف منه يسمى الدريس. (٢) ناى: قرية من القرى المصرية القـديمة آسمها المصرى «نانهاتى» ثم حرف فى العصر العربى إلى «ناى» وهى الآن قرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية. تبلغ مساحة أطيانها ١٧٦٨ فدانا وسـكانها حوالى ٣٥٠٠ نفس بمـا فيهم سكان العزب التابعة لها. (٣) هى من القرى المصرية القديمة، اسمها المصرى «تانتت» ثم حرف فى عهد العرب آلى «طنان». ذكرها ياقوت فى معجم البلدان فقال: إنها من أعيان قرى مصر ذات بساتين، وهى الآن قـرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية. مساحة أطيانها ٢٥٤٠ فدانا وسكانها حوالى عشرة آلاف نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها. (٤) فى السلوك: «وعدمت جميع الصنائع». (٥) البابا، هو غاسل الثياب (عن معيد النعم ومبيد النقم) طبع أوربا ص ١٩٦ لتاج الدين السبكى. وفى شفاء الغليل هو المزين. ورواية السلوك: «ولا بوّابا». (٦) عبارة السلوك: «وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر بعد ثلاثين درهما». (٧) فى السلوك «وبلغت أجرة طحن الإردب القمح خمسة عشر درهما».

ويقال : إنّ هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدّة خمسة عشرة سنة .

قلت : ورأيتُ أنا مَنْ رأى هـذا الوباء ، فكان يسمّونه الفصل الكبير، ويسمّونه أيضا بسنة الفناء ، ويحاكُون عنه أضعاف ما حكيناه ، يطول الشرح في ذكره .

وقد أكثر الناس من ذكر هذا الوباء في أشعارهم فمّا قاله شاعرُ ذلك العصر ٥
الشيخ جمال الدين محمد بن نُبَاتة : [الخفيف]

سِرْ بنا عن دِمَشْق يا طالبَ العيْـ * ـشِ فما في المُقام للمرء رَغْبَهْ

رَخُصت أنفُس الخلائق بالطّا * عونِ فيها فكُلُّ نَفسٍ بحبَّهْ

وقال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِيّ وأكثر في هـذا المعنى على عادة إكثاره ،
فمّا قاله في ذلك : [الوافر] ١٠

رَعَى الرحمنُ دهرًا قد تَولّى * يُجازِى بالسّلامة كُلَّ شَرْطِ

وكان النـاسُ في غَفَلاتِ أمْرٍ * فجاطاعُونُهم مِن تَحْتِ إبْطِ

وقال أيضا : [الكامل]

قد قُلتُ للطّاعونِ وهو بغَزَّةٍ * قد جالَ[1] من قَطْيَا إلى بَيْرُوتِ

أخليتَ أرض الشام من سُكَّانها * وأتيتَ[2] ياطاعونُ بالطاغوتِ ١٥

وقال الشيخ بدر الدين حسن [بن عمر بن الحسن][3] بن حبيب في المعنى من قصيدة
أوّلها : [الخفيف]

---

(١) كذا في م والسلوك . وفي ف : « قد جاك » . (٢) كذا في م . وفي السلوك : « وحكمت » ... الخ . وفي ف : « وجئت ... الخ » . (٣) التكملة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي . وسيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٧٩ هـ . ٢٠

إنّ هـذا الطاعونَ يَفْتِكُ فى الْعا * لَمِ فتْـكَ امرئٍ ظَـلومٍ حَسُـودِ[1]

ويطـوفُ البـلادَ شرقًا وغربًا * ويسـوقُ الخُـلُوقَ[2] نحو اللُّحُـود

ولابن الوَرْدِىّ[3] فى المعنى : [البسيط]

قالوا فسـادُ الهـــواءِ يُرْدِى * فقلتُ يُرْدِى هـــوى الفسـادِ

كم سـيِّئاتٍ وكم خَطَـايَا * نـادَى عَلَيْـكُمْ بهـا المُنَـادِى

وقال أيضا : [الرَّمَل]

حَلَبٌ ـ واللهُ يكْفِى * شَــرَّها ـ أرضُ مَشَقَهْ

أصبحتْ حَيَّــةَ سُــوءٍ * تقتُــل النَّـاس بِبَزْقَــهْ

ولابن الوَرْدِىّ أيضا : [الرجز]

إنّ الـوَبَا قـد غَلَبَا * وقـــدْ بـــدا فى حَلَبَا

قالوا لـــه على الـورَى * كافٌ ورا قلتُ وَبَـا

وقال أيضا : [الكامل]

سُكّان سِيسَ يسرُّهم ما ساءنا * وكذا العوائدُ من عدُوّ الدِّينِ

اللهُ يُنْفِـــذُه إليهـــم عاجـلًا * ليمـزِّقَ الطاغـوتَ بالطاعـونِ

وقال الأديب جمال الدين[4] إبراهيم المعمار فى المعنى : [الرمل]

قبُــح الطاعونُ داءً * فقــدت فيــه الأحِبّــهْ

بيعت الأنفُس فيـــهِ * كلُّ إنسانٍ بحبَّــهْ

(١) رواية السلوك : «حقود» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ف . ورواية السلوك : «ويسوق العباد ... الخ» .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٤٩ هـ .

(٤) هو إبراهيم بن على المعمار المعـروف بغلام النورى . مات فى الطاعون سنة ٧٤٩ هـ (عن الدرر الكامنة) .

وله أيضا فى المعنى : [السريع]

يا طالبَ الموت أَفِقْ وٱنْتَبِهْ . * هذا أوانُ الموتِ ما فاتا

قد رَخُصَ الموتُ على أهله * ومات مَن لا عُمْرُه ماتا

ثم أخذ الوباء يتناقص فى أوّل المحرّم من سنة خمسين وسبعمائة .

٥ ثم فى يومِ الأربعاء تاسع[1] عشر من ربيع الأوّل ، ورد الخبر بقتل الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه نائب الشام ، وأمره غريب ، وهو أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشرينه وهو بالقصر[2] الأبلق بالميدان خارج مدينة دِمَشْق ومعه عياله ، وإذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمعهم ودارت النُّقَباء[3] على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان ، فركبوا جميعا إلى سوق

١٠ الخيل تحت القلعة ، فوجدوا الأمير أُلْجِيبُغَا المظفّرى نائب طرابُلُس وإذا بالأمير أَرْغون شاه نائب الشام مُكَتَّفٌ بين مماليك الأمير إياس ؛ وخبر ذلك أن أُلجيبغا لما رَكِب من طرابُلُس سار حتى طَرقَ دِمَشق على حين غَفْلة ، وركب معه الأمير فخر الدين إياس السِّلاح دار ، وأحاط إياس بالقصر الأبلق وطَرقَ بابه ، وعَلِم الخدام بأنه قد حَدَث أمر مهم فأيقظوا الأمير أرغون شاه ، فقام من فرشه وخرج إليهم

١٥ فقبضوا عليه ، وقالوا له : حضر مرسوم السلطان بالقَبض عليك ، والعسكر واقف ، فلم يَجْسُر أحد أن يَدْفع عنه ، وأخذه الأمير إياس وأتى به أُلْجِيبُغَا فسلّم أمراءُ دمشق على ألجيبغا ، وسألوه الخبرَ ، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دِمَشق بعسكر طرابُلُس ، والقبض على أَرْغون شاه المذكور وقتله ، والحَوْطة على

(١) فى الأصلين : « ثانى عشر المحرم المذكور » والتصويب من السلوك .

٢٠ (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ماله وموجوده ، وأخرج لهم كتابَ السلطان بذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وعادوا الى منازلهم ونزل أُلجيبغا إلى الميدان ، وأصبح يوم الخميس فأوقع الحوطة على موجود أَرْغُون شاه وأصبح يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأوّل (١) أرغون شاه المذكور مذبوحا ، فكتب أُلْجِيبُغَا محضرا أنه وجده مذبوحا والسِّكين فى يده ، (يعنى أنه ذَبح نَفسه) فأنكر عليه كونه لمّا قبَض أموال أرغون شاه ، لم يرفعها إلى قلعة دِمَشق على العــادة ، وآتّهموه فيما فعل ، و ركبوا جميعا لقتاله فى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه فقاتلهم أُلْجِيبُغَا المذكور وجرح الأمير مسعود بن خطير ، وقُطِعت يد الأمير ألجيبغا العادلى أحد أمراء دِمَشق ، وقد جاوز تسعين سنة ، فعند ذلك ولّى ألجيبغا المظفّرى نائب طرابلس ، ومعه خيولُ أرغون شاه وأموالُه ، وتوجّه إلى نحو المِزّة (٢) ومعه الأمير إياس نائب حلب كان ، ومضى إلى طرابُلُس .

وسبب هــذه الواقعة أنّ إياسًا لمـا عُزِل عن نيـابة حلب وأُخذت أمواله وسُجِن ، ثم أُفْرِج عنه وآستقرّ فى جملة أمراء دِمشق ، وعَدُوه أرغون شاه الذى كان سعى فى عزله عن نيابة حلب نائبها ، فصار أرغون شاه يُهِينُه ويَخْرُق به ، وآتفق أيضا إخراج أُلْجِيبُغَا من الديار المصرية إلى دِمشق أميرا بها ، فترفّع عليه أيضا أرغون شاه المذكور وأذلّه ، فآتّفق ألجيبغا و إياس على مكيدة ، فأخذ ألجيبغا فى السعى على خروجه من دِمَشق عند أمراء مصر ، و بعث إلى الأمــير بَيْبُغَا أُرُس نائب السلطنة بالديار المصرية ، و إلى أخيه الأمير مَنْجَك الوزير هديّةً سنيّة فولّاه نيابة طرابُلُس ، وأقام بها الى أن كتب يعرّف السلطان والأمراء أنّ أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق ، وطلب أنّ نائب الشام يَرُدُّهم إلى طرابلس ، فكتب له بذلك فشقّ على أرغون شاه

(١) فى الأصلين : « رابع عشرين المحرم » وتصحيحه عن السلوك .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

نائب الشام كون ألجيبغا لم يكتب إليه ، وأرسـل كاتبَ السلطانَ فى ذلك فكتب
إلى ألجيبغا بالإنكار عليه فيما فَعَل، وأغلظ له فى القول، وحَمَل البَرِيدِىُّ إليه مشافهةً
شنيعةً ، فقامت قيامةُ ألجيبغا لمّـا سَمِعها ، وفَعَل ما فعل، بعـد أن أوسع الحِيـلَة
فى ذلك ، فآتفق مع إياس فوافقه إياس أيضا، لِمَـا كان فى نفسه من أرغون شاه
حتى وقع ما ذكرناه . ٥

وأما أمراء الديار المصرية فإنهم لمـا سَمِعُوا بقتل الأمير أَرْغُون شاه آرتاعوا ،
وآتَّهَم بعضُهم بعضًا ، لخلف كُلٌّ من شَيْخون والنائب بَيْبُغَا أُرُس على البراءة من قتله ،
وكتبوا إلى أُلْجِيْبُغَا بأنّه قَتَل أرغون شاه بمرسوم مَنْ! وإعلامهم بمستنده فى ذلك ،
وكتب إلى أمراء دِمَشق بالفحص عن هـذه الواقعة ، وكان ألجيبغا وإياس قـد
وصلا إلى طرابُلُس ، وخيّما بظاهرها ، فقَـدِم فى غد وصولهما كُتُبُ أمراء دِمَشق ١٠
إلى أمراء طرابُلُس بالآحتراس على ألجيبغا حتى يَرِدَ مرسومُ السلطان، فإنه فعـل
فعلتَه بغير مرسوم السلطان ، ومشتْ حِيلتُه علينا ، ثم كتبوا إلى نائب حَمَاة ونائب
حَلَب وإلى العُرْبان بمَسْك الطُّرُقات عليه، فركب عسكر طرابلس بالسلاح وأحاطوا
به، ثم وافاهم كتابُ السلطان بمَسْكه، وقد سار عن طرابلس وساروا خلفه إلى نهر
الكلب[1] عنـد بَيْرُوت فوقَفَ قدّامَهم نهـارَه ، ثم كر راجعا عليهم ، فقاتله عسكر ١٥

---

(١) نهر بلبنان عند الأقدمين بآسم «ليكوس» أى الذئب . فعـرب بنهر الكلب . وسبب تسميته بنهر الذئب أو الكلب هو على الأرجح للدوى العظيم الذى يسمع عند آنصبابه فى البحر وآصطدام مياهه بالأمواج المتلاطمة . يخرج هذا النهر من مغارة فى سفح جبل جعيتا تدعى مغارة جعيتا وتبعد عن البحر نحو ٧ كيلو مترات فتجتمع مياهه بالمياه المنحدرة فى الشتاء من أعالى لبنان من نبعى اللبن والعسل ومن وادى الصليب ، فتكون غزيرة فى الشتاء قليلة فى الصيف وهو كثير الصخور لا يخلو من العقبات إلا عند مصبه ، تكتنفه جبال ٢٠ شاهقة ولا ترى على جانبيه قرى مأهولة ، تؤدّى مياه نهر الكلب خدمات عديدة كسق البساتين الواقعة شمالى النهر ، وتدوير الطواحين ، ومن أعظم فوائده رى مدينة بيروت وتزويد أهلها بالمياه الطيبة بفضل شركة مياه بيروت (راجع جغرافية لبنان ص ٢٩ طبع بيروت) .

طرابلس، حتى قبضوا عليه، وفرّ إياس، ووقعت الحَوْطة على مماليك ألْجِيبُغَا وأمواله، ومسك الذى كَتَبَ الكتّاب بقتل أَرْغُون شاه، فآعتذر أنه مُكْرَه، وأنه غيّر ألقاب أرغون شاه، وكَتَب أَوصالَ الكُتُب مقلوبة حتى يُعْرف أنه زوّر، وحُمِل ألجيبغا المذكور مقيَّدا إلى دِمَشق. ثم قَبَض نائب بَعْلَبَكّ على الأمير إياس، وقد حلَق لحيته ورأسه، وآختفى عند بعض النصارى، وبعث به إلى دمشق، فحُبِسا معا بقلعتها، وكَتَبَ بذلك إلى السلطان والأمراء، فندب الأمير جَـَٔا الساقى على البريد إلى دمشق بقتل ألجيبغا وإياس، فأخرجهما من حبس قلعة دمشق ووسّطهما بسوق الخيل بدمشق، وعلّق إياس على خشب وقدّامه ألجيبغا على خشبة اخرى، وذلك فى يوم الخميس حادى عشرين شهر ربيع الآخر. وكان عُمْر ألجيبغا المذكور يوم قُتِل نحو تسع عشرة سنة وهو ماطُرّ شاربُه.

ثم كَتَبَ السلطان بآستقرار الأمير أُرُقْطاى نائب حلب، فى نِيابة الشام عوضا عن أَرْغُون شاه المذكور، وآستقرّ الأمير قُطْلِيجَا الحموىّ نائب حَمَاة فى نيابة حلب عوضا عن أرقطاى، وآستقرّ أمير مسعود بن خَطِير فى نيابة طرابلُس عوضا عن أُلْجُبُغَا المظفّرى المقدّم ذكره. ثم قَدِم إلى مصر طُلُبُ أرغون شاه ومماليكُه وأموالُه وموجود ألجيبغا أيضا، فتصرّف الوزير منجَك فى الجميع.

وبعد مدّة يسيرة ورد الخبر أيضا بموت الأمير أرقطاى نائب دِمَشْق، فكتب باستقرار قطْلِيجا الحموىّ نائب حلب فى نيابة دِمشق، وتوجّه الأمير ملِكْتَمُر[1] المحمدى بتقليده بنيابة الشام، وسار حتى وصل إليه فوجده قد أَخرج طُلْبَه إلى جهة دمشق وهو ملازم الفراش، فمات قطليجا أيضا بعد أسبوع، ولما وصل الخبر إلى مصر بموت قطليجا، أراد النائب بَيْبغا أرُس والوزير منْجك إخراج طاز لنيابة الشام،

(١) كذا فى ف والسلوك. وفى م: «تلكتمر المحمدى».

والأمير مُغْلَطَاى أمير آخور إلى نيابة حلب، فلم يُوافِقَاهما[1] على ذلك، وكادت الفتنةُ أن تقع، نخُلِع على الأمير أَيْتَمُش الناصرىّ بنيابة الشام، وآستقرّ بعد مدّة الأمير أرغون الكاملىّ فى نيابة حلب .

وفى محرّم سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، آبتدأت الوحشة بين الأمير مُغْلَطاى أمير آخور وبين الوزير مَنْجَك اليوسفى، بسبب الفار الضامن، وقد شكا منه، فطلبه مُغْلَطاى من الوزير وقد آحتمى به، فلم يُمَكِّنه منه . وكان مَنْجَك لما فرغ صهريجه[2] الذى عَمَره تُجاه القلعة عند باب الوزير، اشترى له من بيت المال ناحية بُلْقِينة[3] بالغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، وأنعم عليه بها، فوقفها مَنْجَك على صهريجه المذكور، فأخذ مُغْلَطاى يعدّد لمنجك تصرّفه فى المملكة، وسَكَن الأمر فيما بينهما .

ثم توجه السلطان إلى سَرْحة سِرْياقوس على العادة فى كل سنة وأنعم على الأمير قُطْلوبغا الذهبىّ[4] بإقطاع الأمير لاچين أمير آخور بعد موته، وأنعم بإمرته وتقدمته على الأمير عُمَر بن أَرْغون النائب . ثمّ آستقرّ بكلمش أمير شِكار فى نيابة طرابلس،

---

(١) فى ف : « فلم يوافقهما » . (٢) يقصد المؤلف أنه لما فرغ من بناء صهريجه ؛ ذكر المقريزى هذا الصهريج فى خططه عند الكلام على جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت القلعة خارج باب الوزير، أنشاه الأمير سيف الدين منجك اليوسفى فى سنة ٧٥١ هـ ، وبنى فيه صهريجا (أى خزانا للماء) فصار يعرف بصهريج منجك . وأقول : إن هذا الصهريج لا يزال باقيا إلى اليوم فى وسط جامع منجك اليوسفى ، وتعلوه فسقية من الرخام فى وسطها فتحة الصهريج ، وهذا الجامع تسميه العامة المنشكية داخل درب المنشكية بشارع باب الوداع فى شمال القلعة بالقاهرة . (٣) هى قرية من القرى المصرية القديمة ذكرها الإدريسى فى نزهة المشتاق فقال : إنها قرية كثيرة البساتين والجنان ، متصلة العمارات والغلات ، وذكرها ياقوت فى معجم البلدان فقال : إنها قرية فى كورة بنا (بنا أبو صير) يقال لها البوب ، وهى الآن من قرى مركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر . مساحة أطيانها ٢٦٣٠ فدانا وسكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس ، بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

(٤) فى الأصلين : « وأنعم على الأمير قطليجا الذهبى بإقطاع الأمير لاچين أمير آخور بعد موته ، وأنعم بإقطاع قطلوبغا وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب » . وتصحيحه عن السلوك .

عوضا عن أمير مسعود بن خَطِير، وكتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة . ثم عاد السلطان من سَرْحة سِرْياقوس ، وكتب بَعْود أمير مسعود إلى دِمشق بَطَّالا ، حتى يَتحَلّ له ما يليق به ، وخلع على الأمير فارس الدين ألبكي بآستقراره فى نيـابة غزّة بعـد موت الأمير دِلَنْجِى، ودلَنْجِى باللغـة التركية هو المُكَدّى (وهو بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون وكسر الجيم) .

وفى هـذه الأيام توجّه الأمـير طاز إلى سَرْحة البُحَيْرة ، وأنعم السلطان عليـه بعشرة آلاف إردبّ شعير وخمسين ألف درهم وناحية طَمُّوه[1] زيادة على إقطاعه .

وفى خامس عشر شـوّال خرج أمير حاجّ المحمل الأمير بُزْلار أمير سـلاح . ثم خرج بعده طُلْبُ الأمير بَيْبُغا أُرُس النـائب بتجمُّل زائد ، وفيه مائة وخمسون مملوكا مُعَـدّة بالسلاح[2] . ثم خرج طُلْبُ الأمير طاز وفيـه سـتون فارسا ، فرحَل بيبغا أُرُس قبـل طاز بيومين . ثمّ رحل طاز بعـده . ثمّ رحل بزلار بالحاجّ رَكْبًا ثالثا فى عشرين شوّال من بركة الحاجّ[3] .

وفى يوم السبت رابع عشرينه عُزِل الأمير مَنْجك اليوسفىّ عن الوِزَر ، وقُبِض عليه ، وكان الأمير شَيْخون خرج إلى العبّاسـة ، وسببُ عزله أن السلطان بعـد توجُّه شيخون طَلَب القضاة والأمراء، فلما آجتمعوا بالخدمة ، قال لهم : يا أمراء

(١) هى قرية من القرى المصرية القديمـة آسمها الأصلى « طموى » وحرف إلى طمويه كما وردت فى المشترك لياقوت . وفى التحفة السنية لابن الجيعان من أعمال الجيزية . ثم حرف الاسم إلى طموه وهو آسمها الحـالى . وطموه قرية بمركز الجيزة بمديرية الجيزة بمصر . ومساحة أطيانها ٨٦٠ فدانا وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٢) فى ف : «معه بالسلاح... الخ» .

(٣) فى م : « من البركة » والمقصود منها ناحية البركة إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر فى شمال القاهرة ، وكانت تسمى بركة الجب أو بركة الحاج . وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

هل لأحد علىّ ولاية تحجر ، أو أنا حاكم نفسى ! فقال ابُنبع يا خَوَنْد : ما ثَمّ أحدٌ يَحْكُم على مولانا السلطان (١) ، وهو مالكُ رقابنا ، فقال : إذا قلتُ لكم شيئا ترجعوا إليه ؟ قالوا جميعهم : نحن تحت طاعة السلطان (٢) وممتثلون ما يرسُم به ، فالتفت إلى الحاجب وقال له : خُذ سيفَ هذا، وأشار إلى مَنْجَك الوزير، فأخَذ سيفَه وأُخرِج وقُيِّد، ونزلت الحَوْطَةُ على أمواله مع الأمير كشلى (٣) السلاح دار ، فوُجِد له خمسون حِمْل زَرَدْخاناه، ولم يُوجد له كبيرُ مال، فرُسم بعقوبته، ثم أُخرِج إلى الإسكندرية فسُجن بها، وساعةَ القبض عليه رُسِم بإحضار الأمير شَيْخون من العباسة وإعلامه بمسْك مَنْجَك الوزير ، فقام الأمير مُغْلَطاى أمير آخور والأمير مَنْكَلى بُغَا فى منعه من الحضور، وما زالا يُخَيِّلان السلطان منه حتى كُتب له مرسومٌ بنيابة طرابُلُس، على يد طَيْنال الجاشْنَكير، فتوجّه إليــه فَلَقِيَه قريب بلبيس ، وقد عاد صحبةَ الجَمَدَار الذى توجه بإحضاره من عند السلطان، وأوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع والطاعة، وبَعَثَ يسأل فى الإقامة بدِمَشْق ، فكَتَبَ له بخبز الأمير تُلَك بدمشق ، وحضور تلك إلى مصر فتوجّه شيخون إليها .

ثم قَبَض السلطان على الأمير عمر شاه (٤) الحاجب وأُخرج إلى الإسكندرية ، وآستقرّ الأمير طَنْبَرَق رأس نَوْبة كبيرا عِوضا عن شَيْخون . ثم قَبَض على حواشى مَنْجَك وعلى عبده عَنْبَر البابا وصُودر ، وكان عنبر قد أفحش فى سيرته مع النــاس ، فى قطْع المصانعات ، وترفّع على النــاس ترفّعا زائدا ، فضُرب ضربا مُبَرِّحا : ثم

(١) رواية ف : « ما ثم أحد يحكم عليك وأنت مالك رقابنا ... الخ » . (٢) هذه العبارة غير موجودة فى نسخة « ف » . (٣) فى السلوك : « كشكى » . (٤) هو عمر شاه التركى ، أوّل ما تأمر طبلخاناة ثم ولى نيابة حماة ، ثم أمر تقدمة فى دمشق وعمل حاجب الحجاب إلى أن مات بها سنة ٧٧١ هـ (عن الدرر الكامنة) .

ضُرب بكَتَمُرشادّ الأَهْراء فاعترف للوزير منجك باثنى عشر ألف إردبّ غـلّة، آشتراها من أرباب الزواتب .

وفى مستهلّ ذى القَعْدة قُبِض على ناظر الدولة والمستوْفين، وأُلْزِموا بخمسمائة ألف دينار، فترفّق فى أمرهم الأمير طَنَيرَق، حتى آستقرّت خمسمائة ألف درهم[1]، ووزّعها الموفّق ناظرُ الدولة على جميع الكُتّاب ، والتزمَ عَلَمُ الدين عبـد الله بن زُنْبُـور ناظر الخـاصّ والجيش بتَكْفِيَة جميـع الأمراء المقدّمين بالخلَع من ماله ، وقيمتها خمسمائة ألف درهم، وفَصَّلها وعَرَضها على السلطان، فركبوا الأمراء بهـا المَوْكب، وقبّلوا الأرض وكان مَوْكِبا جليلا .

وفى يوم السبت ثامن ذى القعدة خَلَع السلطان على الأمير بيبغا طَطَر حارس طير، وآستقرّ فى السلطنة بالديار المصرية عوضا عن بَيْبُغا أُرُس المتوجه إلى الحجاز، بعد أن عُرِضت النيابة على أكابر الأمراء فلم يَقبلها أحد ، وتمنّع بيبغا ططر أيضا منها تمنّعا كبيرا ، ثم قبلها. وآستقرّ الأمير مُغْلَطاى أمير آخور رأس نَوْبة كبيرا، عوضا عن طنيرق، الذى كان وليها عن شَيْخون ، وأُطلق له التحدّث فى أمر الدولة كلّها عوضا عن الأمير شيخون ، مضافا لمـا بيده من الأميرا خورية[2] . وآسـتقرّ الأمير مَنْكَلِى بُغَا الفخرى رأسَ مَشورة وأتابَكَ العساكر ، وأُنعم على ولده بإمرة، ودقّت الكُوسات وطبلخانات الأمراء بأجمعها، وزُيِّنت القـاهرة ومصر، فى يوم الأحد تاسع ذى القعدة وآستمرّت ثمانية أيام .

(١) كذا فى م والسلوك . وفى ف : « خمسمائة ألف إردب » .

(٢) رواية السلوك : « مضافا إلى ما بيده من التحدّث فى الإصطبل » .

وأما شَيْخون فإنه لمـا وصل إلى دِمشق، قدم بعده الأمير أرْغُون التاجى بإمساكه، فقَبَض عليه وقُيِّد وأُخرج من دِمشـق فى البحر وتوجه إلى الطِّينة[1]، ثم أوصله إلى الإسكندرية فسُجن بها .

وخُلِـع على طَشْبُغا الدَّوادار على عادته دَوادارا، وتصالح هو والقاضى علاء الدين آبن فضل الله كاتب السرّ، فإنه كان نُفِى بسببه حسب ماتقدّم ذكره، وأرسل كُلٌّ منهما إلى صاحبه هديّة .

وكان السلطان لـمّا أمسك مَنْجَك، كتَب إلى الأمير طاز وإلى الأمير بُزْلار على يد قُرْدُم، وأخبرهما بما وقع، وأنهما يحترسان على النائب بَيْبُغا أُرُس، وقد نزل سطح العَقَبة[2]، فلمّا قرأ بيبغا الكتاب وَجَم وقال : كلُّنـا مماليك السلطان . وخَلَع عليه، وكَتَب أنه ماضٍ لقضاء الحج .

ثم إنّ السلطان عزل الأمير صَرْغتمش والأمير عَلِيًّا من وظيفتى الجَمَدارية، وكانا من جملة حاشية شَيْخون، ورَسَم لصَرْغَتْمُش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، ثم أخرج أمير على إلى الشام، وأخرج صرغتمش لكشف الجسـور بالوجه القبـلى، وألزم أستادار بَيْبُغا أُرُس بكتب حواصـل بيبغا، ونَدَب السـلطان الأمير آقْبُغا الحموى لبيع حواصـل مَنْجَك، وأُخذت جوارى بيبغا أُرُس ومماليكه وجوارِى منجك

(١) وردت فى معجم البلدان لياقوت أنها بليـدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر. وبالبحث تبين لى أنها لم تكن بليدة، بل كانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود، وكان بها قلعة لهذا الغرض، وسميت هذه النقطة بالطينة لوقوعها فى أرض رخوة تعلوها مياه البحر فى بعض الأوقات .

ولا تزال آثار قلعة الطينة ظاهرة بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، فى الشمال الغربى لأطلال مدينة الفرما، على بعد ثلاثة كيلومترات، وشرق مدينة بور سعيد على بعد ٢٤ كيلومترا. وإليها تنسب محطة الطينة إحدى محطات السكة الحديدية بين بور سعيد والقنطرة .

(٢) العقبة بلدة كانت تسمى أيلة، وقد سبق التعليق عليها فى الحاشـية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ومماليكه، الى القلعة، فطلّع لمنجك خمسة وسبعون مملوكا صغارا، وطلع لبيبغا أُرُس خمس وأربعون جارية، فلما وصلْن تُجاه دار النيابة، صحْن صيحةً واحدة وبكَيْن، فأبكَين من كان هناك .

ثم قدِم الخبرُ على السلطان بأنّ الأمير أحمد الساقى نائب صفَد، خرج عن طاعة السلطان، وسببه انه لما قبَض على منجك، خرج الأمير قُمارِى الحموىّ وعلى يده ملطّفات لأمراء صفَد بالقبض عليه، فبلغه ذلك من هَجّان جهّزه له أخوه، فندَب طائفة من مماليكه لتلَقّى قُمارِى، وطلب نائب قلعة صفد وديوانه، وأمره أن يقرأ عليه : كم له بالقلعة من الغلّة، فأمر لمماليكه منها بشىء فرّقه عليهم إعانة لهم على ماحصل من المَحْل فى البلاد، وبعثهم ليأخذوا ذلك، فعند ماطلعوا القلعة شهروا سيوفَهم وملكوها من نائب قلعة صفَد، وقبضوا على عِدّة من الأمراء، وطلّع بحريمه الى القلعة وحصّنها، وأخذ مماليكه قُمارِى وأتَوْا به، فأخذ مامعه من الملطّفات وحبسه. فلما بلغ السلطانَ ذلك كتب إلى نائب غَزّة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه. هذا والأراجيفُ كثيرة، بأن طاز تحالف هو وبيبغا أُرُس بعَقَبة أيْلَة فخرج الأمير فَيّاض[1] والأمير عيسى بن حسن أمير العائذ، فتفرّقا على عقبة أيلة بسبب بيبغا أُرُس، وكتب لعرب شَطّى[2] وبنى عُقْبة[3] وبنى مَهْدِى[4]، بالقيام مع الأمير فضل، وكتب لنائب غزّة فأرسل السوقة الى العقبة .

ثم خلَع[5] السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد بن قزمان[6] بنيابة الإسكندرية عوضا عن بَكْتَمُر المؤمنى .

(١) هو فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا . توفى سنة ٧٦٠ هـ (عن الدرر الكامنة) .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) هو فضل بن عيسى بن مهنا . لم نقف له على تاريخ وفاة . (٥) فى ف : «ثم أخذ... الخ» وهو تحريف . (٦) فى م «ابن قرمان» .

ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة قَدِم سَيْفُ الأمير بيبغا أُرُس،
وقد قَبَض عليه، وسبب ذلك، أنه لمّا ورد عليه كتاب السلطان بمسك أخيه مَنْجك،
اشتدّ خوفه وطلَع الى العَقَبة ونزل الى المنزلة[1]، فبلغه أنّ الأمير طاز والأمير بُزْلار رَكِبا
للقبض عليه، فركِبَ بيبغا أُرُس بمن معه من الأمراء والمماليك بآلة الحرب، فقام
الأمير عز الدين أزْدَمُر الكاشف بملاطفته، وأشار عليه ألا يُعجِّل ويَكشِف الخبر، ٥

---

(١) هذه المنزلة هى بذاتها منزلة المويلحة التى ذكرها المؤلف فيما بعد . وهى بلدة تعرف باسم المويلح واقعة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر جنوبى بلدة العقبة على بعد ٢٣٠ كيلو مترا منها ، وتقع تجاهها على الشاطئ الغربى فى وادى النيل بلدة منفلوط بمصر .

وقد دلنى البحث على أن المويلح أقيمت على أطلال بلدة قديمة كانت تسمى مدين ذكرها المقريزى فى خططه باسم مدينة مدين (ص ١٨٦ ج ١) فقال : مدين اسم بلد وقطر، وقيل اسم قبيلة سميت باسم أبيها مدين، ويقال له مديان بن إبراهيم الخليل واقعة على بحر القلزم تحاذى بلدة تبوك على نحو ست مراحل بين الحجاز والشام، وهى أكبر من تبوك، وبها الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة . ثم قال : إن مدين عمل من أعمال مصر، يشمل مدينة مدين والقلزم والطور وفاران والرقة وأيلة . ١٠

وأقول : إن مدين كانت عملا من أعمال مصر، وتابعة لها الى أيام الفتح العثمانى سنة ٩٢٣هـ — ١٥١٧م فالحقت ببلاد الحجاز، وبسبب خراب مدينة مدين اختفى اسمها ، وحل محلها بلدة المويلح ، وهذه تابعة اليوم إلى المملكة السعودية العربية . ١٥

وكانت المويلح كما كانت من قبلها مدين محطة من محطات الحج قديما، فى الطريق بين مصر وجدة، وقت أن كان الحجاج يسافرون للحج عن طريق البر . وذكر على باشا مبارك بلدة المويلح فى الخطط التوفيقية عند الكلام على محطات الحجاج (ص ٢٦ ج ٩) فقال : المويلح وهى بلد بها قلعة حصينة ونخيل وآبار عذبة، ويزرع فى أرضها الدخان والبطيخ والقثاء، ويباع فيها السمك والتمر والدقيق والبقسماط والفول، وغير ذلك مما يلزم المسافرين . ٢٠

والذى دلنى على أن هذه البلدة هى فى مكان مدينة مدين أن المقريزى قال : إنها تحاذى بلدة تبوك على بعد ست مراحل، ولاتزال تبوك قائمة الى اليوم على السكة الحديدية الحجازية فى محاذاة المويلح، وعلى بعد ١٥٠ كيلو مترا منها إلى الشرق . يؤيد ذلك أنه باطلاعى على الخريطة الدولية للمملكة الرومانية التى طبعت فى مصلحة المساحة فى سنة ١٩٣٤ نقلا عن الخريطة الأصلية، وجدت اسم مدينة مدين واردا بها ومذكورا تحته بين قوسين اسم المويلح والمسافة بينها وبين مدينة آيلة (العقبة) ٢٣٠ كيلو مترا كما ذكرنا . ٢٥

فبعث نجّابا فى الليل لذلك، فعاد وأخبر أنّ الأمير طاز مُقيم بركْبه، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد مُلْبَس[1]، فقلق بيبغا السلاح هو ومن معه، وتلقّى طاز وسأله عما تخوّف منه، فأوقفه على كتاب السلطان إليه، فلم ير فيه ما يكره . ثم رحل كلّ منهما بركْبه من العقَبة ، وأتت الأخبار للأمراء بمصر بآتفاق طاز وبَيْبُغا أُرُس فكتب السلطان للأمير طاز وللأمير بُزْلار عند ذلك القبض على بيبغا أُرُس قبل دخوله مكة ، وتوجه إليهما بذلك طَيْلان[2] الجاشْنَكير، وقد رَسَمَ [له][3] أن يتوجه بيبغا الى الكَرَك، فلما قَدِم طَيْلان على طاز وبُزْلار، ركبا الى أزْدَمُر الكاشف فأعلماه بما رسم به إليهما من مَسْك بيبغا أُرُس ووكّدا عليه فى استمالة الأمير فاضل[4]، والأمير محمد بن بَكْتَمُر الحاجب، وبقية من مع بيبغا أُرُس ، فأخذ أزْدَمُر فى ذلك . ثم كتب لبيبغا أرُس أن يتأخر حتى يسمع مرسوم السلطان، [و][5] حتى يكونَ دخولُهم لمكة جميعا، فأحسّ بيبغا بالشرّ، وهمّ أن يتوجه إلى الشام، فما زال أزْدُمر الكاشف به حتى رجّعه عن ذلك . وعندنزول بيبغا أُرُس إلى منزلة المويلحة[6]، قدم طاز وبُزْلار فتلقاهما[7]، وأسلم نَفْسَه من غير ممانعة فأخذا سَيْفَه، وأرادا تسليمه لطَيْنَال حتى يحمله إلى الكرك، فرَغِب إلى طاز أن يحجّ معه، فأخذه طاز محتفظا به ، وكَتَب طاز بذلك إلى السلطان ، فتوهّم مُغْلَطاى والسلطان أنّ طاز وبُزْلار قد مالا إلى بيبغا أُرُس وتشوّشا تشويشا زائدا ، ثم أكّد ذلك ورودُ الخبر بعصيان أحمد

---

(١) رواية السلوك: «وليس فيهم أحد لابسا عدّة الحرب ... الخ» . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى الدرر الكامنة : «طينال الجاشنكير» و يظهر من مراجعة السلوك أن طيلان وطينال اسم واحد . (٣) زيادة عن السلوك . (٤) فى م : «فضل» . وما أثبتناه عن ف والسلوك والدرر الكامنة ، لأن الأمير فاضلا هذا أخو بيبغا أرس . (٥) زيادة يقتضيها السياق . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٣ من هذا الجزء . (٧) فى ف : «وتلقاهم» .

الساقي نائب صَفَد ، وظنّوا أنه مباطن لبيبغا أُرُس ، وأُخرج طَيْنَال ليُقيم بالصفراء[1] حتى يرد الحاجّ إليها ، فيمضى بيبغا أُرُس إلى الكرك .

ثم في يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة خُلع على الأمير علم الدين عبد الله ابن زُنْبور خِلْعة الوزارة ، مضافا لما بيده من نظر الخاصّ ونظَر الجيش بعد ما آمتنع وشَرَط شروطا كثيرة .

وفيه أيضا خَلَع السلطان على الأمير طَنْبَرَق باستقراره في نيابة حماة ، عوضا عن أَسَنْدَمُر العُمَرىّ . ثمّ كَتَب القاضى علاء الدين بن فضل الله كاتبُ السرّ تقليدَ آبن زنبور الوزير ، ونَعَتَه فيه بالجناب العالى . وكان جمال الكُفَاة سعى أن يُكتب له ذلك ، فلم يَرْضَ كاتبُ السرّ ، وشحّ عليه بذلك ، فخرج الوزيرُ وتلقّى كاتب السرّ ، وبالغ في إكرامه ، وبعث إليه بتقدمة سنية .

ثمّ قَدِم الخبرُ على السلطان بنزول عسكر الشام على محاصرة أحمد نائب صَفَد ، وزَحْفهم على قلعة صفد عدّة أيام ، جُرِح فيها كثير من الناس والأجناد ، ولم ينالوا من القلعة غرضًا ، إلى أن بلغهم القبض على بيبغا أُرُس ، وعَلم أحمد بذلك وانحلّ عزمه ، فبعث إليه الأمير بَكْتَمُش نائبَ طرابُلُس يُرغّبه في الطاعة ، ودَسّ على مَنْ معه بالقلعة ، حتى خامروا عليه وهمّوا بمسكه ، فوافق على الطاعة ، وحلف له نائبُ طرابلس ، فنزل إليه بمن معه ، فسُرّ السلطان بذلك ، وكَتَب بإهانته وحَمْله إلى السجن .

(١) الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع فوق ينبع مما يلى المدينة ؛ فسمى باسمها وادى الصفراء تجاه بدر . كانت منزلا من منازل الحاج في القديم . انظر خطط على باشا مبارك (ج ١٤ ص ٣٢) وانظر درر الفرائد المنظمة (ج ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٣) وانظر معجم ياقوت (ص ٣٩٩) .

وفى عاشر ذى الحجة كانت الواقعــة بمنًى ، وقُبض على الملك المجاهــد صاحب اليمن ، وآسمه علىّ بن داود آبن المظفر يوسف آبن المنصور عمر بن علىّ بن رَسُول ، وكان من خَبَره أنّ ثُقْبة لمّا بلغه آستقرارُ أخيه عَجْلان عوضه فى إمرة مكّة ، توجه إلى اليمن ، وأغرَى صاحب اليمن بأخذ مكّة وكُسْوة الكعبة ، فتجهَّز الملك المجاهد صاحب اليمن ، وسار يُريد الحج فى حَفْـل كبير بأولاده وأمّه ، حتى قَرُب من مكّة وقد ســبقه حاجّ مصر ، فَلَبِس عَجْلان آلة الحرب ، وعرَف أمراء مصر ماعزم عليه صاحب اليمن ، وحذّرهم غائلته ، فبعثوا إليه بأنّ من يريد الحج إنمـا يدخل مكّة بذِلّة ومَسْكَنة ، وقد آبتدعتَ من ركوبك بالسلاح بِدعةً ، لا نُمَكّنك أن تدخل بها ، وآبعث إلينا ثُقْبةَ ليكون عندنا ، حتى تنقضى أيام الحج فنرسله إليك ، فأجاب لذلك ، وبعث ثُقْبــةَ رَهينة ، فأكرمه الأمراء . وركبوا الأمراء[(١)] فى جمـاعة إلى لقاء الملك المجاهد ، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاح داريّته بالمشى معه بالسلاح ، ولم يمكّنوه من حمل الغاشية ، ودخلوا به مكّة فطاف وسَعَى ، وسلّم على الأمراء وآعتذر إليهم ، ومضى إلى منزله ، وصار كلٌّ منهم على حذَر حتى وقفوا بعرَفة ، وعادوا إلى الخَيْف من مِنًى ، وقد تقرّر الحـال بين الأمير ثُقبــة وبين الملك المجـاهد على أنّ الأمير طاز إذا سار من مكّة أوقعا بأمير الحاج ومن معه ، وقَبَضا على عجلان ، وتسلّم ثقبة مكّة .

فآتفق أن الأمير بُزْلار رأى وقد عاد من مكّة إلى مِنًى خادمَ الملك المجاهد سائرًا ، فبعث يستدعيه فلم يأته ، وضرب مملوكه ، بعــد مفاوضة جَرَت بينهما وجَرَحه فى كَتِفه ، فماج الحاجّ ، وركب الأمير بزلار وقت الظهر إلى الأمير طاز ، فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلةً ، تُخْبِر بركوب الملك المجاهد بعسكره للحرب ،

(١) رواية السلوك : « وأركبوا الأمير طقطاى فى جماعة ... الخ » .

وظهرت لوامع أسلحتهم، فركب طاز وبزلار وأكثر العسكر المصرى بمكة ،
فكان أول من صدم أهل اليمن بزلار وهو فى ثلاثين فارسا، فأخذوه فى صدرهم
إلى أن أرموه قريب خيمته ، ومضت فرقة إلى جهة طاز فأوسع لهم طاز ،
ثم عاد عليهم . وركب الشريف عجلان والناس، فبعث الأمير طاز لعجلان : أن
احفظ الحاج ولا تدخل بيننا فى حرب ، ودعنا مع غريمنا . واستمر القتال بينهم ٥
إلى بعد العصر، فركب أهل اليمن مع كثرة عددهم واستعدادهم الذلة ، والتجأ
الملك المجاهد إلى دهليزه،وقد أحاط به العسكر وقطعوا أطنابه وألقوه إلى الأرض،
فر الملك المجاهد على وجهه منهزما ، ومعه أولاده ؛ فلم يجد طريقا، فسلم المجاهد
ولديه لبعض الأعراب، وعاد بمن معه من عسكره، وهم فى أقبح حال، يصيحون
الأمان يا مسلمون ! فأخذوا وزيره ، وتمزقت عساكره فى تلك الجبال ، وقتل ١٠
منهم خلق كثير ، ونهبت أموالهم وخيولهم عن آخرها ، وانفصل الحال عند
غروب الشمس ، وفر ثقبة بعبيده وعربه ، فأخذ عبيد عجلان جماعة من الحاج
فيما بين مكة ومنى، وقتلوا جماعة .

قلت : هذا شأن عرب مكة وعبيدها ، وهذه فروسيتهم لا فى لقاء العدو،
وكان حقهم يوم ذاك خفر الحاج ، كون الترك قاموا عنهم بدفع عدوهم ، وإلا ١٥
كان المجاهد يستولى عليهم ، وعلى أموالهم وذراريهم فى أسرع وقت . انتهى .

ولما أراد طاز الرحيل من منى ، سلم أمراء[1] المجاهد وحريمه إلى الشريف
عجلان، وأوصاه بهم، وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظا به، وبالغ فى إكرامه
يريد الديار المصرية ، وصحب معه أيضا الأمير بيبغا أرس مقيدا ، وبعث

(١) فى السلوك : « وسلم أم المجاهد وحريمه » . ٢٠

بالأمـير طُقُطَاى إلى السلطان يُبشِّره بما وقع ، ولمّا قَدِم الأمير طاز إلى المدينـة النبوية ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والرحمة ، قَبَض بها على الشريف طُفَيْل .

وأما الديار المصرية ، فإنه فى يوم الجمعة خامس المحرّم من سنة آثنتين وخمسين وسبعمائة ، قدِم الأمير أَرْغُون الكاملىّ نائبُ حلب إلى الديار المصرية بغـير إذن .
٥ فخُلِـع عليه وأُنزِل بالقلعة ، وسبب حضوره أنه أشيع عنه بحلب القبضُ عليـه ، ثمّ أشيع فى مصر أنه خامَر ، فكَرِه تمكُّن موسى حاجب حلب منه ، لمَـا كان بينهما من العـداوة . ورأى وقوعَ المكروه به فى غير حلب أخفّ عليه ، فلما قَـدِم مصر فَرِح السلطانُ به ، لمـا كان عنده من إشاعة عِصْيانه .

ثم قَدِم الخـبرُ على السلطان ، بأنّ طَيْلان تسـلّم بيبغا أُرُس من الأمير طاز ،
١٠ وتوجّه به إلى الكَرَك من بَدْر ، فسرّ السلطانُ أيضا بذلك .

ثمّ فى يوم السبت عشرين المحرّم قَدِم الأمير طاز بمن معه من الحجاز ، وصحبته الملك المجاهد ، والشريف طُفَيْل(١) أميرُ المدينة ، فخرج الأمير مُغُلْطَاى إلى لقائه إلى البِرْكة ، ومعه الأمراء ، ومَدّ له سِماطا جليلا ، وقَبَض على من كان معه من الأمراء من أصحاب بيبغا أُرُس وقيّدهم وهم : الأمير فاضل أخو بيبغا أُرُس ، وناصر الدين
١٥ محمد بن بكتمر الحاجب .

وأما الأمير أَزْدَمُر الكاشف فإنه أخرجَ السلطانُ إقطاعه ولَزِم داره .

ثمّ فى يوم الآثنين ثانى عشرينه طلَع الأمير طاز بالملك المجاهد إلى نحو القلعة ، حتى وصل إلى باب القُلّة فيَدّه ، ومشى الملك المجاهد بقيْده حتى وقف — عند العمود بالدُّرْكاه تُجاه الإيوان ، والأمراء جلوس — وقوفا طويلا . إلى أن خَرَج أميرُ جاندار

٢٠ (١) رواية السلوك : « الشريف أدى أمير المدينة ... الخ » .

يطلب الأمراء على العـادة ، فدخل المجاهدُ على تلك الهيئة معهم ، وخلع السلطانُ على الأمـير طاز، ثمّ تقـدم الملك المجاهدُ وقبّـل الأرض ثلاث مرات، وطلب السلطانُ الأمير طاز وسأل عنه، فما زال طاز يشفع فى المجاهد، إلى أن أمر السلطان بقيده ففُكّ عنه، وأُنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مُغُلطاى، وأُجرى له الرواتب السنية، وأُقيم له مَنْ يخدُمه، ثم أنعم السلطان على الأمير طاز بمـائتى ألف درهم . ٥
ثم خَلَع السلطان أيضا على الأمير أرْغُون الكاملىّ باستمراره على نيابة حلب ، ورَسم أن يكون موسى حاجب حلب فى نيابة قلعة الروم .

وفى يوم تاسع عشرين المحـرّم حضر الملك المجـاهد الخِدْمة ، وأُجلس تحت الأمراء ، بعد أن أُلزم بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضـه من تجّار الكارم، حـتى يُنْعِم له السلطان بالسفر إلى بلاده . ١٠

ثم أُحضِر الأمير أحمـد الساقى نائب صـفَد مقيّدا إلى بين يدى السـلطان ، فأُرسل إلى سجن الاسكندرية .

ثمّ فى آخر المحـرّم خَلَع السلطان على الأمراء المقدّمين ، وعلى الملك المجاهـد صاحب اليمن بالإيوان ، وقبّل المجاهد الأرض غيرَ مرة ، وكان الأميرُ طاز والأميرُ مُغُلطاى تلطّفا فى أمره، حتى أُعفِى من أجل المـال، وقرّبه السلطانُ، ووعده بالسفر إلى بلاده مُكَرَّما ، فقبّـل الأرض وسُرّ بذلك ، وأذن له أن ينزل من القلعـة إلى إسطبل الأمير مُغُلطاى ويتجهز للسّفر، وأُفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال ، وبعَث له الأمراءُ مالا جزيلا ، وشرَع فى القَرْض من [تجار](1) الكارم اليمن ومصر، فبعثوا له عِدّة هدايا، وصار يركب حيث يشاء . ١٥

(١) تكملة عن السلوك . ٢٠

ثم فى يوم الخميس ثانى صفر، ركب الملك المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع النائب بيبغا ططر إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة السلطانية بالإيوان مع الأمراء والنائب، وكان موكبا عظيما، وركب فيـه جماعة من أجناد الحلقـة مع مقدّميهم، وخلـع على المقدّمين وطلعوا إلى القلعة، وآستمر المجاهد يركب فى الخدم مع النائب بسوق الخيل، و يطلع إلى القلعة و يحضر الخدمة .

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش، وآستقر رأس نوبة على ما كان عليـه أوّلا، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاى .

وفى يوم السبت ثامن عشر من صـفر برز المجاهـد صاحب اليمن بثقله من القاهرة إلى الريدانية متوجّها إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شادّ الدواوين، وكتب للشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبنى شعبة وغيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، وخلـع عليه، وقرر المجاهد على نفسه مالا يحمـله[1] فى كل سنة، وأسرّ السلطان إلى قشتمر، إن رأى منه ما يريبه يمنعه من السفر، و يطالع السلطان فى أمره، فرحل المجاهد من الريدانيـة فى يوم الخميس ثالث عشرينه، ومعه عدّة مماليك آشتراها وكثير من الخيل والجمال .

ثم فى أوائل جمـادى الآخرة توعّك السلطان ولزم الفـراش أياما، فبلغ طاز ومنكلى بغا ومغلطاى أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهـم إذا دخلوا عليه، وكان قد آتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر المـاردينى وتنكزبغا على ذلك، وأنه ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمرياتهم، فواعدوا الأمراء أصحابهم، وآتفقوا مع الأمير بيبغا ططر النائب والأمير طيبغا المجـدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد

(١) فى السلوك : « وقرر على نفسه جملا فى كل سنة » .

سابع عشرين جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبّة النصر خارج القاهرة، فخرج السلطان إلى القصر، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولا بدّ من إرسالهم إلينا، فبعث تنكزبغا وقشتمر[1] وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم وبعثوهم إلى خزانة شمائل، فسجنوا بها، فشق ذلك على السلطان، وبكى وقال: قد نزلت عن السلطنة، وسيّر ٥ إليهم النّمجاة[2]، فسلموها للأمير طيبغا المجدى. وقام السلطان حسن إلى حريمه، فبعثوا الأمراء الأمير صرغتمش ومعه الأمير قطلوبغا الذهبى، ومعهم جماعة ليأخذوه ويحبسوه، فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر[3] الأبلق، ودخلوا إلى الملك الناصر حسن، وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخا عظيما، وصاحت الستّ حدق[4] على صرغتمش صياحا منكرا، وقالت له: هذا جزاؤه منك. وسبّته سبا فاحشا، ١٠ فلم يلتفت صرغتمش إلى كلامها، وأخرجه وقد غطّى وجهه إلى الرّحبة، فلما رآه الخدّام والمماليك تباكوا عليه بكاء كثيرا، وطلع به إلى رواق فوق الإيوان، ووكّل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء، فاتّفق الأمراء على خلعه من السلطنة، وسلطنة أخيه الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وتسلطن حسب ما يأتى ذكره.

ولمّا تسلطن الملك الصالح صالح، نقل أخاه الملك الناصر حسنا هذا إلى ١٥ حيث كان هو ساكنا، ورتّب فى خدمته جماعة، وأجرى عليه من الرواتب ما يكفيه. ثم طلب الملك الصالح أخاه حسنا، ووعده أيضا بزيادة على إقطاعه، وزاد راتبه. وزالت دولة الملك الناصر حسن.

---

(١) فى السلوك: «وإقشتمر». (٢) النمجاة: كلمة فارسية معربة ومعناها السيف الصغير أو الخنجر أو السكين المنحنية وهى هنا آلة من آلات الملك (وانظر القاموس الفارسى الانجليزى ٢٠ لستنجاس). (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٤) هى حدق القهرمانة الناصرية، كان الناصر محمد جعل إليها أمور نسائه فتحكمت فى داره تحكما عظيما، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق ويقال لها الست مسكة. (عن الدرر الكامنة).

فكانت مدّة سلطنته هذه الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما ، منها مدّة الحجْر عليه ثلاث سنين ، ومدّة آستبداده بالأمر نحو تسعة أشهر وأربعة عشر يوما ، وكان القائم بدولتــه فى أيام الحجْـر عليه الأمير شَيْخون العُمَرى رأس نَوْبة النُّوب ، وإليــه كان أمر خزانة الخاصّ ، ومَرجِعُه لعلم الدين آبن زُنْبور ناظر الخاصّ . وكان الأمير مَنْجك اليوسفىّ الوزير والأُستادار ومقدَّم المماليك ، إليــه التصرُّف فى [أموال](١) الدولة . والأمير بَيْبُغا أُرُس نائب السلطنة وإليه حُكْم العسكر وتدبيرُه ، والحكمُ بين الناس . وكان المتولّى لتربيــة السلطان حسن خَوَنْدطُغَاى زوجةُ أبيه ، رَبَّتْه وتبنَّتْ به . وكانت الستُّ حَدَق الناصريّة دادَتَه . وكان الأمراء المذكورون رتّبـوا له فى أيام سلطنته ، فى كلّ يوم مـائةَ درهم ، يأخذها خادمه من خزانة الخاصّ ، وليس ينوبُه سِواها ، وذلك خارج عن سِماطه وكُلفة حَريمــه ، فكان ما يُنْعِم به السلطان حسن فى أيام سلطنته ويتصــدّق به من هذه المـائة درهما لا غير، إلى أن ضَجِر من الحَجْر، وسافر النائب بَيْبُغا أُرُس والأمير طاز إلى الحجاز ، وخرج شَيْخون ، إلى العبّاسة(٢) للصيد ، وآتفق السلطان حسن مع مُغْلَطاى الأمير آخور وغيره على ترشيده ، فترشَّد حسب ما ذكرناه . واستبدّ بالدار المصرية . ثم قَبَــض على مَنْجك وشَيْخون وبَيْبُغـا أُرُس ، إلى أن كان من أمره ما كان ، على أنه سار فى سلطنته بعد آستبداده بالأمور مع الأمراء أحسن سِيرة ، فإنه آختصّ بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز ، وبالغ فى الإنعام عليه .

وكانت أيّامُه شديدة ، كَثُرت فيها المغارمُ ، بما(٣) أحدثه الوزير مَنْجك بالنواحى ، وخربت عِدّةُ أملاك على النيل ، وآحترقت مواضعُ كثيرة بالقاهرة ومصر ، وخرجت

(١) زيادة عن السلوك. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.
(٣) فى ف : « مما أحدثه الوزير منجك ... الخ » .

عُربان العائذ وثَعْلبة وعرب الشام[1] وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتدّ فسادهم لاختلاف كلمة مدبّرى المملكة .

وكان فى أيامه الفَنَاءُ العظيم المقدّم ذكرُه، الذى لم يُعهد فى الإسلام مثله . وتَوالَى فى أيامه شَراقى البلاد وتلاف الجسور[2]، وقيام ابن واصل الأَحْدب ببلاد الصعيد، فاختلّت أرض مصر و بلاد الشام بسبب ذلك خللا فاحشا، كل ذلك من اضطراب المملكة واختلاف الكلمة ، وظلم الأمير مَنْجَك وعَسْفه .

وأمّا الملك الناصر حسن المذكور كان فى نفسه مُفْرط الذكاء عاقلا ، وفيه رِفْق بالرعيّة، ضابطًا لما يدخل إليه وما يُصَرِّفه كلّ يوم ، متديّنا شهما ، لو وَجَد ناصرا أو مُعينا ، لكان أجلَّ الملوك ، يأتى بيانُ ذلك فى سلطنته الثانية ، إن شاء الله تعالى .

وأما سلطنته هذه المرّة فلم يكن له من السلطنة إلا مجرّد الاسم فقط ، وذلك لصِغَر سنه وعدم من يؤيّده . انتهى .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون الأولى على مصر وهى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، على أنه حكم من الخالية من رابع عشر شهر رمضان .

فيها أعنى (سنة تسع وأربعين) كان الوباءُ العظيم المقدّم ذكره فى هذه الترجمة، وعَمّ الدنيا حتى دخل إلى مكّة المشرّفة، ثم عمّ شرقَ الأرض وغربها، فمات بهذا الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائقُ لا تُحْصَى .

---

(١) فى السلوك : «عشير الشام» . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك . تكررت هذه الكلمة فى كتاب النجوم الزاهرة والسلوك غير مرة فأبقيناها على ما هى عليه .

فمّن مات فيـه من الأعيان الشيخ المحدّث برهان الدين إبراهيم بن لاچين بن عبد الله الرشيـدىّ الشافعىّ في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شوّال [1] . ومولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وكان أخذ القراءات عن التقىّ الصائغ [2] ، وسمع من الأبرقوهىّ [3] وأخذ الفقه عن العلم العراقىّ [4] ، وبرع في الفقه والأصول والنحو وغيره ، ودرّس وأقرأ وخطب بجامع أمير حسين [5] خارج القاهرة سنين .

وتوفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السّنهورىّ المادح الضرير . وكانت له قدرة زائدة على النظم ، ومدح النبىّ صلى الله عليه وسلم بعدّة قصائد . وشعره كثير إلى الغاية ، لا سيما قصائده النبوية وهى مشهورة فى حفظ المدّاح [6] .

وتوفّى القاضى الإمام البارع الكاتب المؤرّخ المفتّن شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله بن المجلّى بن دعجان القرشىّ العدوىّ العمرىّ الدمشقى الشافعىّ فى تاسع ذى الحجة بدمشق . ومولده فى ثالث شوّال سنة سبعمائة [7] . وكان إماما بارعا وكاتبا فقيها نظم كثيرا من القصائد والأراجيز

---

(١) رواية السلوك : « رابع عشرين شوّال » . (٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الخالق ابن على بن سالم بن مكى الشيخ تقى الدين أبو عبد الله الصائغ المصرى الشافعى ، مسند عصره . توفى سنة ٧٢٥ هـ عن غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (ج ٢ ص ٦٥ طبعة الخانجى) . (٣) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهى . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ فى الجزء الثامن من هذه الطبعة . وفى الأصلين هنا : « الأبروقهى » وتصحيحه عما تقدم ذكره فى سنة وفاته . (٤) هو عبد الكريم ابن على بن عمر الأنصارى الشيخ علم الدين العراقى الضرير ، له فى التفسير اليد الباسطة . مولده سنة ٦٢٣ هـ وتوفى سنة ٧٠٤ هـ بالقاهرة (انظره فى طبقات الشافعية لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى (ج ٦ ص ١٧٩) . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٦) فى ف : « فى حفظ المدائح » وكذا فى الدرر الكامنة . (٧) فى تاريخ الإسلام للذهبى والمنهل الصافى أن مولده سنة ٦٩٧ هـ .

والمقطّعات ودو بيت . وأنشأ كثيرا من التقاليد والمناشير والتواقيع ، وكتب في الإنشاء لمّا ولى والده كتابة سرّ دمشق ، ثم لمّا ولى والده كتابة السرّ بمصر أيضا ، صار ولده أحمد هذا هو الذى يقرأ البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وينفّذ المهمّات وآستمرّ كذلك في ولاية والده الأولى والثانية ، حتى تغيّر السلطان عليه وصرفه في سنة ثمانٍ وثلاثين ، وأقام أخاه علاء الدين عليًّا ، وكلاهما كانا يكتبان بحضرة والدهما ووجوده ، نيابةً عنه لكبَر سنّه ؛ وتوجه شهاب الدين إلى دمشق ، حتى مات بها في التاريخ المذكور . وكان بارعا في فنون ، وله مصنّفات كثيرة ، منها تاريخه : « مسالك الأبصار[1] ، في ممالك الأمصار » في أكثر من عشرين مجلدا . وكتاب «فواصل[2] السَّمَر ، في فضائل آل عمر» في أربع مجلدات . « والدعوة المستجابة » ، «وصَبَابة المُشْتَاق» في مجلد ، في مدح النبيّ صلّى الله وسلم و [دَمْعَة[3] الباكى]«ويَقَظة السّاهى[4] » و « نفحة الرَّوْض » .

قال الشيخ صلاح الدين خليل الصَّفَدى : وأنشدنى القاضى شهاب الدين آبن فضل الله لنفسه ، ونحن على العاصى هذين البيتين : [البسيط]

لقد نَزَلنا على العاصى بمنزلةٍ * زانت محاسنَ شَطَّيْه حدائقُها

تَبْكى نواعيرُها العَبْرَى بأدمُعِها * لكونه بعد لُقْياها يُفارِقها

قال : فأنشدته لنفسى : [الطويل]

وناعورةٍ في جانب النّهر قد غَدَتْ * تُعبِّر عن شوق الشَّجِى وتُعرِبُ

فَيَرْقُص عِطْفُ الغُصنِ تِيهًا لأنّها * تُغنِّى[5] له طولَ الزمانِ ويَشْرَبُ

---

(١) وتقوم دار الكتب الآن بتحقيقه ونشره . (٢) كذا في الأصلين وكشف الظنون . وفي بعض المصادر : « فواضل » بالضاد . (٣) تكملة عن المنهل الصافى وفوات الوفيات لآبن شاكر . (٤) عن كشف الظنون وفي الأصلين : « و يقظة الساهر » .

(٥) في المنهل الصافى : « تغنى على ... الخ » .

وتُوُفِّى الأمـــير سيف الدين أطلمش[1] الجَمَدار ؛ كان أوّلا من أمراء مصر، ثم حجوبية دمشق إلى أن مات، وكان مشكور السِّيرة .

وتُوُفِّى الأمـــيرُ سيف الدين بُلَك بن عبـــد الله المظفَّرىّ الجَمَدار، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى يوم الخميس رابع عشرين شوّال . وكانـــ من أعيان الأمراء ، وقد تقدّم ذكرُه فيما مرّ .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بُرُلْغِى بن عبدالله الصغير، قريب السلطان الملك الناصر[2] محمد بن قلاوون ، قَدِم إلى القاهرة صحبةَ القازانيّة سنة أربع وسبعمائة ، فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة بديار مصر، وتزوج بآبنة الأمير بيبَرْس الجاشْنَكِير قبل سلطنته ، وعَمِل لهُ مهمًّا عظيما ، أشعل فيه ثلاثة آلاف شَمْعة ، ثم قَبَض عليه الملك الناصر بعـــد زوال دولة الملك المظفَّر ، وآمتُحِن بسبب صِهْره ، وحَبَســـه الملك النـــاصر عشرين ســـنة[3] ، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، فدام على ذلك إلى أن مات . و بُرُلْغِى هذا يلتبِس ببُرُلْغِى الأشرفى ، كلاهما كانَ عَضُدًا للملك المُظفَّر بيبرس الجاشْنَكِير وكانا فى عصر واحد .

---

(١) كذا فى م وفى هامشها : « أكلمش » : والطمش وألطس . وفى السلوك : « الملش » . وفى ف : « ألطمش » وبعد بحث طويل لم نقف على وجه الصواب من تلك الروايات .

(٢) فى الأصلين والسلوك هنا : « توفى الأمير سيف الدين برلغى بن عبد الله الصغير قريب السلطان الملك المنصور قلاوون » وتصحيحه عما تقدم ذكره فى ص ٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة والدرر الكامنة .

(٣) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى الإعلام بتاريخ أهل الإسلام : « وحبسه مدّة ثلاث عشرة سنة » وهو لأبى بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقى الدين المعروف بابن قاضى شهبة الأسدى الدمشقى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥١ هـ . وهذا الكتاب ذيل على كتاب « العبر فى خبر من عبر » لمؤلفه شمس الدين الذهبى الذى اختصره من تاريخه الكبير، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام ، ورتبه كالأصل على السنين ، وآبتداؤه حيث آنتهى من كتابه أى من سنة ٧٠٠ هـ يوجد منه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٢ تاريخ سبعة أجزاء مأخوذة بالتصـــوير الشمسى عن الجزء الأوّل والثانى من نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة باريس الأهلية . وصل فى الكلام فيها على أثناء سنة ٨٠٦ هـ والجزء الأوّل منها به نقص من أوّله .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين بَلَبان بن عبد الله الحُسَيْنى[1] المنصورى أمير جانْدار، وقد أناف على ثمانين سنة ، فإنه كان من مماليك الملك المنصور قلاوون .

وتُوفى الأمير سيف الدين بَكْتُوت بن عبد الله القَرَمانى المنصورى ، أحد المماليك المنصورية قلاوون أيضا، وكان أحد البُرْجية، ثم ولى شدّ الدواوين بدمشق وحبسه الملك الناصر محمد بن قلاوون مدّة ، لأنه كان من أصحاب المظفّر بيبَرْس ، ٥ ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة طَبْلَخاناه بمصر . وكانت به حَدَبةٌ فاحشةٌ وَوَلعٌ، ويتتبع المطالب والكِيمْياء، وضاع عمره فى البطّال .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين تَمُرْبُغا بن عبد الله العُقَيْلى نائب الكَرَك فى جُمادَى الآخرة، وكان عاقلا شجاعا مشكور السيرة .

١٠ وتُوُفّى الشيخ الإمام كمال الدين جعفر [بن تَغْلِب بن جعفر][3] بن على الأُدْفُوى[2] الفقيه الأديب الشافعى . كان فقيها بارعا أديبا مصنفا، ومن مصنفاته تاريخ الصعيد المسمى « بالطالع السعيد فى تاريخ الصعيد[4] » وله مصنّفات أخر وشعر كثير .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين طَشْتَمُر بن عبد الله الناصرى، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، المعروف بطَلَلَيْه فى شوّال بالقاهرة، وقيل له : طَلَلَيْه ، لأنه كان ١٥ إذا تكلّم قال فى آخر كلامه : طَلَلَيْه . وهو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصّكيته، وصار من بعده من أعيان الأمراء بالديار المصرية، وله تُرْبة[5] بالصحراء معروفة به، وكان شجاعا مقداما .

---

(١) كذا فى ف والسلوك . وفى م « الحسنى » . (٢) ذكر فى عنوان كتابه « الطالع السعيد » المطبوع بمطبعة الجمالية بحارة الروم سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) أنه توفى سنة ٧٤٨ هـ وهو ٢٠ خطأ صوابه أنه توفى فى هذه السنة (٧٤٩ هـ) . (٣) التكملة عن السلوك والدرر الكامنة .

(٤) كذا فى الأصلين والسلوك . والتسمية الصحيحة هى : « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » . (٥) هذه التربة سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفِّيت خَوَنْد طُغَاى أمّ آنوك زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتركتْ مالا كثيرا جدّا، من ذلك ألفُ جارية، وثمانون طواشياً أعتقت الجميع . وهى صاحبة التُّرْبةِ(١) بالصحراء معروفةٌ بهــا . وهى التى تولّت تَربيةَ السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمّه من أيام الملك النــاصر محمد . وكانت من أعظم نساء وقتها وأحشمِهنّ(٢) وأسعدهنّ .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام الأديب البارع صَفِىّ الدين عبد العزيز بن سَرَايا بن على بن [أبى](٣) القاسم بن أحمد بن نصر بن أبى العزّ بن سَرَايا بن باقى(٤) بن عبد الله السِّنْبِسِىّ(٥) الحِلِّىّ الشاعر المشهور فى سَلْخ(٦) ذى الحجــة . ومولده فى خامس شهر ربيــع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة ، وقــدم القاهرة مرتين ، ومدَح الملك المؤيّد صاحب حماة، ومدح ملوكَ مارِدِينَ بنى أُرْتُق، وله فيهم غُرَرُ القصائد، وتقدّم فى نظم الشعر. ومَدَح النبىّ صلى الله عليه وسلم بالقصيدة المعروفة بـ«البديعيّة» وله « ديوان شعر كبير »، وشــعرُه سار شرقًا وغربًا . وهو أحد فحول الشعراء . وفيه يقول الشيخ جمال الدين محمد بن نُبَاتة : [الكامل]

يا سَـائِلِى عن رُتْبَةِ الحِــلِّىّ فى * نَظْمِ القريضِ راضِيــًا بِى أحْكُمُ

للشــعرِ حِلِّيــانِ ذلك راجحٌ * ذهب الزمانُ به وهــذا قَـيِّمُ

ومن شعر الصفىّ الحِلِّىّ : [السريع]

أستطِيـعُ الأخبــارَ مِن نَحْوِكُم * وأسـألُ الأرواحَ حَمْـلَ السَّلامْ

وكلّما جــاءَ غُــلامٌ لـكُمْ * أقـــول يا بُشْراى هــذا غُلامْ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هــذه الطبعة . (٢) فى ف : « وأحسنهم وأسعدهم » . (٣) التكملة عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة .
(٤) كذا فى «ف» والمنهل الصافى والدرر الكامنة . وفى السلوك : « باقيا » . وفى م : « كافا »
(٥) نسبة إلى سنبس (بكسر أوله والموحدة) : قبيلة من طيئ . (٦) فى المنهل الصافى : « توفى ببغداد فى محرّم سنة خمسين وسبعمائة » .

ومن شعره قصيدته التى أوّلها[(1)] : [الكامل]

كيف الضلالُ وصُبْحُ وجهك مُشْرِقُ * وشَذاك فى الأكوانِ مِسْكٌ يَعْبَقُ

يا من إذا سَفَرت محاسنُ وجهِهِ * ظلّت به حَدَقُ الخلائق تَحْدِقُ

أوضحتُ عُذْرى فى هواك بواضح * ماءُ الحَيَا بأديمه يترقرقُ

فإذا العَذُول رأى جَمالك قال لى * عجبًا لقلبك كيف لا يتمزّقُ ٥

يا آسرًا قلب المُحِبّ فدمعُهُ * والنومُ منه مُطْلَقٌ ومُطَلَّقُ

أغْنيتنى بالفكر فيك عن الكَرى * يا آسِرى فأنا الغَنِىُّ المُمْلِقُ

ومنها أيضا :

لم أنسَ ليلةَ زارنى ورقيبُه * يُبْدى الرِّضا وهو المَغيظُ المُحْنَقُ

حتى إذا عَبَث الكَرَى بجفونه * كان الوِسَادةَ ساعدى والمِرْفَقُ ١٠

عانقتُه وضممتُه فكأنه * من ساعِدَىّ مُمَنْطَقٌ ومطوّقُ[(2)]

حتى بدا فَلَقُ الصباح فَراعَهُ[(3)] * إنّ الصَّباح هو العدوُّ الأزرقُ

وقد آستوعبنا من شعره وأحواله قطعة جيّدة فى تاريخنا « المنهل الصافى » .

رحمه الله تعالى إن كان مسيئا .

وتُوُفِّىَ الشيخ الصالح المُعْتَقَد عبد الله المَنُوفىّ الفقيه المالكىّ ، فى يوم الأحد ١٥
ثامن شهر رمضان ودُفِن بالصحراء، وقبره بها معروف يُقصد للزيارة والتبرّك[(4)] .

---

(١) هـذه القصيدة واردة فى ديوانه المطبوع بدمشق فى مطبعـة حبيب افندى خالد (ص ٨١) سنة ١٢٩٧ هـ . وتقع فى نحو سبعين بيتا ، يمدح فيها السلطان الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازى ابن أرتق حين قدومه إلى بغداد . (٢) رواية ديوانه « ... من ساعدىّ مطوّق وممنطق » .

(٣) ورد هذا الشطر فى كلا الأصلين هكذا : « حتى إذا بدا فلق الصباح فراعه » ولا يخفى ما فيه ٢٠ من اختلال فى الوزن ، والصواب ما أثبتناه . (٤) لا يزال قبر الشيخ عبد الله المنوفى باقيا تحت قبة معروفة به بجبانة قايتباى بالقاهرة ، وهذه القبة تقع شرق جامع وتربة السلطان الأشرف قايتباى ، وعلى بعد مائة متر تقريبا من الجامع المذكور .

وتُوُفِّى الإمام العلّامة شيخ الشيوخ بدِمَشْق علاءُ الدين علىّ بن محمود بن حَمِيد القُــونَوِىّ الحنفىّ فى رابع شهر رمضان، وكان إماما فقيها بارعا صوفيا صالحا. رحمـــه الله.

وتُوُفِّى الشيخ الإمام البارع المُفْتَنّ الأديب الفقيه، زَيْن الدين عمر بن المظَفَّر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن علىّ المَعَرِّىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بآبن الوَرْدِىّ[(1)] ناظم «الحاوى فى الفقه» رحمه الله، وقد جاوز الستّين سنة بحلب، فى سابع عشرين ذى الحجة. وقد آستوعبنا من شعره ومشايخه نُبْذَةً كبيرة فى «المنهل الصافى» إذ هو كتاب تراجم، محلّه الإطناب فى مثل هؤلاء. ومن شعره ماقاله فى مقرئ[(2)]. [الكامل]:

---

(١) عقد لابن الوردى هذا ترجمة وافية الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبى فى مؤلفه : «أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ذكر فيها نسبه وشيوخه ومؤلفاته الكثيرة، نذكر منها أرجوزته التى سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها وعذوبة ألفاظها، لاسيما وقد نظمها وهو فى حالة غضب من رفقته، وهذه الأرجوزة ارتجلها بدمشق عنـد الامتحان المفحم، ذكر الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، أن ابن الوردى قدم دمشـق فى أيام القاضى نجم الدين يحيى بن صصرى : فأجلسه فى الصفة المعروفة بالشبابك فى جملة الشهود، وكان ابن الوردى زرى الحال فآستخف به الشهود، فحضر كتاب مشترى ملك فقال بعض الشهود : أعطوه لابن الوردى يكتبه، على سبيل الاستهزاء به، فقال ابن الوردى : أكتبه نظما أونثرا ! فزاد استهزاؤهم به وقالوا : بل نظما، فتناول الطرس وكتب عقد المشترى ارتجالا، فاعترفوا جميعا بفضله. وهذا أول عقد المشترى وهو يقع فى عشرين بيتا :

بآسم إله الخلق هذا ما آشترى * محمـد بن يونس بن سـنقرا

(عن المنهل الصافى)

ومن شعره قصيدته المشهورة باللامية التى مطلعها :

اعـتزل ذكر الأغانى والغـزل * وقل الفصـل وجانب من هزل

فانها حوت من الحكم والآداب ما لم تحوه منظومة أخرى مثلها.

ومن مؤلفات ابن الوردى التى لم يذكرها مترجموه «تحرير الخصاصة فى تيسير الخلاصة» وهو حل لألفية جمال الدين أبى عبد الله محمد بن مالك. نسخة خطية كتبت سـنة ٩٧٤ هـ محفوظة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم [٣٣٥ نحو]. راجع أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهبا ج ٥ ص ٣ وما بعدها، والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٩٠ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٩٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٦١) وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ٢٤٣) وفوات الوفيات لابن شاكر (ج ٢ ص ١٤٥).

(٢) تكملة عن ديوانه المطبوع فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٣٣٥) وتوجد منه نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة مطبوعة تحت رقم [١١٤٥ أدب].

ووعدت أمس بأن تزور فلم تزر * فغدوت[1] مسلوب[2] الفؤاد مشتتا

لى مهجة[3] فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل اتى

وله عفا الله عنه : [الوافر]

تجادلنا : أماء الزهر أذكى * ام الجلاب أم ورد القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف ٥

وتوفى الأمير الطواشى عنبر السحرتى لالاة السلطان الملك الكامل شعبان ، ومقدم المماليك السلطانية منفيا فى القدس، بعد أن امتحن وصودر . وكان رأى من العز والجاه والحرمة، فى أيام الكامل شعبان ما لا مزيد عليه، حسب ما ذكرنا منه نبذة فى ترجمة الملك الكامل المذكور .

١٠ وتوفى الأمير سيف الدين كوكاى بن عبد الله المنصور السلاح دار، أحد أعيان الأمراء الألوف بالديار المصرية، وكان من أجل الأمراء وأسعدهم، خلف أكثر من أربعمائة ألف دينار عينا . وهو صاحب التربة[4] والمئذنة التى بالصحراء، على رأس الهدفة، تجاه[5] تربة الملك الظاهر برقوق . وكان شجاعا مقداما . طالت أيامه فى السعادة .

١٥ وتوفى الأمير سيف الدين قطز بن عبد الله الأمير آخور، ثم نائب صفد بدمشق، وهو أحد أمرائها، فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة . وكان من أعيان أمراء مصر، ولى عدة ولايات جليلة .

---

(١) رواية الديوان : « فقدت » . (٢) رواية لديوان : « مشغول » .

(٣) رواية الديوان : « لى زفرة ... الخ » . (٤) بحثنا عن موضع هذه التربة والمئذنة فلم نجد لها أثرا . (٥) تربة الظاهر برقوق لا تزال باقية بجبانة المماليك خارج باب النصر بالقاهرة، ٢٠ وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفِّى الأمير سَيفُ الدِّين نُكْبَاى بن عبد الله البريدىّ المنصورىّ ، كان أحد مماليك الملك المنصــور قلاوون ، ولِىَ قَطْيَا والاسكندرية ، ثم أُنعِم عليـه بإمرة طبلخاناه ، واستقرّ مِهمندارًا . و إليه تُنسب دار نُكْبَاى [1] خارج مدينة مصر على النيل ، وعُنِى بعمارتها فلم يتمتع بها .

٥ وتُوُفِّى الأمير شرف الدين محمود [بن أوحد] [2] بن خَطِير أخو الأمير مسعود . وأظنه صاحب الجامع بالحُسَيْنية [3] خارج القاهرة .

وتُوُفِّى الشيخ المحدّث الواعظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مَيْلَق الشاذلىّ . كان يجلس ويُذَكِّر الناس ويَعظ ، وكان لوعظه تأثيرٌ فى النفوس .

وتُوُفِّى الشيخ المُعْتَقَد زين الدين أبو بكر بن النُّشَاشِيبى [4] . كان له قَـدَم وللناس ١٠ فيه محبّة وآعتقاد ، رحمه الله .

وتُوُفِّى الرئيس شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر الأُسْيوطىّ ناظر بيت المـال ، كان معدودا من أعيان الديار المصرية ، وله ثروةٌ . و إليـه يُنسب جامع الأسيوطىّ [5] بخُطّ جزيرة الفيل .

---

(١) بالبحث عن هـذه الدار تبين أنهـا اندرست وليس لها أثر اليوم خارج مصر القديمة فى المنطقة ١٥ الواقعة على النيل بين خط دير النحاس وبين حائط مجرى المـاء جنوبى فم الخليج بالقاهرة .

(٢) التكملة عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة . (٣) لم يرد فى السلوك ولا فى المنهل الصافى ولا فى الدرر أنه صاحب جامع خارج الحسينية ، وعلى هذا فلا معنى لظن المؤلف أن له جامعا .

(٤) نسبة الى عمل النشاب . (٥) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع الأسيوطى (ص ٣١٥ ج ٢) فقال : إنه بطرف جزيرة الفيل ممـا يلى ناحية بولاق ، كان موضعه فى القديم غامرا ٢٠ بماء النيل ؛ فلما انحسر عن جزيرة الفيـل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هـذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم عمر السيوطى ناظر بيت المـال ، ومات فى سـنة ٧٤٩ هـ ، ثم جدد عمارته بعد ما تهدّم وزاد فيه ناصر الدين محمـد بن محمد بن عثمان المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر ، وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة ٢٦ جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، فجاء فى أحسن هندام ، وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة فى أوّل جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا . وحُوّلت هـذه السنة إلى سنة خمسين . والله أعلم .

* * *

السنة الثانيــة من ولاية السلطان الملك الناصر حسن الأولى على مصر وهى سنة خمسين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى مَكين الدين إبراهيم بن قَرَوِينَة بطالا ، بعدما وَلِى استيفاء الصُّحْبة ، ونَظَـر البيوت ، ثم نَظَر الجيش مرتين ثمّ تَعطّل إلى أن مات . وكان من أعيان الكُتّاب ورؤسائهم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أُرْغُون شاه بن عبد الله الناصرى ، نائب الشام مذبوحا فى ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأوّل . وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمـد بن قلاوون وخواصّه ، ربّاه وجعله أميرَ طبلخاناه رأس نَوْبة الجَمَدارية . ثم آستقرّ بعـد وفاته أستادارا أميرَ مائة ومقدّم ألف بديار مصر ، فتحكّم على الملك الكامل شعبان ، حتى أخرجه لنيابة صَفَد ، وولى بعدها نيابة حَلَب ، ثمّ نيابة الشام . وكان خفيفا قوىّ النفس شَرِس الأخلاق ، مُهابا جبّارا فى أحكامه ، سَفّاكا للدماء غليظًا فاحشًا ، كثيرَ المـال والحَشَم .

═ وبالبحث عن مكان هذا الجامع فى الجهة التى أشار إليها المقريزى ، تبين لى أنه هو الذى يعرف اليوم بجامع الأخرس ، نسبة الى الشيخ محمد الأخرس المدفون فيه ، بشارع السبتية الجوانى بجنوبى عنابر السكة الحديدية ببولاق . وأنه خرب فاغتصب بعض أصحاب الأملاك المجاورة له جزءا منه ، فأصبح مسجدا صغيرا قديما فى حاجة الى التجديد ، وعتب بابه تحت منسوب أرض الشارع بدرجات . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه الذى كان حوالى سنة ٧٤٥ هـ ، والذى دلنى على أن هذا الجامع هو بذاته جامع الأسيوطى أنه مبين على خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ م باسم جامع البارزى ، وسبق أن ذكرنا أن ابن البارزى جدده فى سنة ٨٢٢ هـ ، فعرف الجامع باسمه الى وقت الحملة .

وكان أصله من بلاد الصِّين حُمِل إلى بُوسعيد بن خَرْبَنْدا ملك التّتار ، فأخذه دِمَشق نَجَا بن جوبان . ثم ٱرتجعه بوسعيد بعد قتل [دِمَشق نَجَا بن](١) جوبان ، وبعث به إلى الناصر هديّة ومعه مَلِكْتَمُر السَّعيدىّ(٢) . وقد تقدّم من ذكر أُرْغُون شاه هذا نبذةٌ كبيرة فى عِدّة تراجم من هذا الكتاب ، من أوّل ٱبتداء أمره حتى كيفية قتله ، فى ترجمة الملك الناصر حسن هذا ، فلْيُنظر هناك .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف الدين أُرُقْطاى بن عبد الله المنصورى ، نائب السلطنة بالديار المصرية ، ثم نائب حلب ثم ولى نيابة دِمشق ، فلما خرج منها متوجّها إلى دِمشق ، مات بظاهرها عن نحو ثمانين سنة ، فى يوم الأربعاء خامس جُمادَى الأولى .

وأصله من مماليك الملك المنصور قلاوون ، ربّاه الطواشىّ(٣) فاخر أحسن تربية إلى أن توجّه الملك الناصر إلى الكَرَك توجه معه ، فلما عاد الملك الناصر إلى مُلْكه جعله من جملة الأمراء . ثم سَيّره صحبةَ الأمير تَنْكِز إلى الشام ، وأوصى تَنْكِز ألا يخرج عن رأيه ، فأقام عنده مدّة ، ثم ولّاه نيابة حِمص سنتين ونصفا . ثم نقـلَه إلى نيابة صَفد ، فأقام بها ثمانى عشرة سنة . ثم قَدِم مصر ، فأقام بها خمس سنين(٤) وجُرِّد إلى آياس . ثم وَلِى نيابة طرابُلُس(٥) ، ومات الملك الناصر محمد ، فقَدِم مصر بعد موته

---

(١) فى الأصلين : « بعد قتل جوبان » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه ، لأن جوبان هـذا كان نائب بوسـعيد ملك التتار ، فأراد قتله فلم تمكنه الظروف فأخذ ولده « دمشق نجا » وقتله بدله . راجع ص ٢٧٣ من الجزء التاسـع من هـذه الطبعة . وراجع السلوك قسم سادس جزء أوّل الفتوغرافى لوحة (٦٠٣) . والدرر الكامنة (ج ١ ص ٥٤٢) فى الكلام على جوبان المذكور .

(٢) فى بعض المصادر : « السعدى » .

(٣) هو الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدّم المماليك السلطانية . تقدّمت وفاته سنة ٧٠٧ هـ . (ج ٨ ص ٢٢٨) من هذه الطبعة . وفى المنهل الصافى أنه توفى سنة ٧٠٦ هـ . وفى الدرر الكامنة أنه توفى سنة ٧٠٤ هـ .

(٤) فى السلوك : «فأقام بها عدّة سنين» .

(٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٢ ص ٣١٢ من الجزء المتقدّم .

فقُبِض عليه. ثمّ أفرج عنه، وبعد مدّة وَلِي نيابة حلب. ثمّ عُزِل وطُلِب الى مصر فصار يجلس رأس المَيْمَنَة. ثمّ ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية نحو سنتين. ثم أخرج لنيابة حلب ثانيا، بحسب سؤاله فى ذلك، فأقام بها مدّة. ثم نُقِل إلى نيابة الشام بعد قتل أَرْغُون شاه، فمات خارج حلب قبل أن يباشر دِمَشق، ودُفِن بحلب. وكان أميرا جليلا عظيما مُهابا عاقلا سَيُوسًا، مشكور السِّيرة محبَّبًا للرعية. وقد تقدّم من أخباره ما يُغْنى عن الاعادة هنا.

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أُلْجِيبُغا بن عبدالله المظفّرى نائب طرابُلُس، مُوسَّطا بسوق خيل دِمَشق، فى يوم الاثنين ثانى(1) شهر ربيع الآخر، بمقتضى قتله الأمير أَرْغُون شاه نائب الشام، وقد تقدّم كيفيّة قتله أَرْغُون شاه فى ترجمة السلطان حسن هذا، وأيضا واقعة توسيطه مفصّلا هناك. وكان ألجيبغا من مماليك المظفّر حاجّى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن خواصّه. وقُتِل ألجيبغا وسِنُّه دون العشرين سنة، بعد أن صار أميرَ مائة ومقدّم ألف بمصر والشام ونائبَ طرابُلُس، ووُسِّط معه إياس الآتى ذكره.

وتوفّى الأمير فخر الدين إياس(2) بن عبد الله الناصرى، موسَّطا أيضا بسوق خيل دمَشْق لموافقته ألجيبغا المقدّم ذكره على قتل أرغون شاه فى التاريخ المذكور أعلاه.

وكان أصل إياس هذا من الأَرْمن، وأسلم على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فرقّاه حتّى عَمِلَه شادّ العمائر. ثم أخرجه الى الشام شادّ الدواوين. ثم صار حاجبا بدِمَشق. ثم نائبا بصَفَد. ثم نائبا بحلب. ثم عُزِل بسعى أرغون شاه به، وقَدِم

(1) كذا فى الأصلين. وفى السلوك: «فى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر». وفى المنهل الصافى: «فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر».

(2) تقدّم فى غير موضع من الكتاب أنه يقال فيه: إياز وإياس بالزاى والسين.

دِمَشْق أميرا فى نيابة أَرْغُون شـاه لدِمَشْق ، فصار أرغون شـاه يُهينه ، وإياس يومئذ تحت حُكْمه ، فحَقَد عليه ، وآتفق مع ألجيبغا نائب طرابُلُس حتّى قتلاه ذبحا ، حسب ما ذكرناه مفصّلا ، فى ترجمة السلطان الملك الناصر حسن .

وتُوُفّى الإمام العلّامة قاضى القضاة علاء الدين علىّ آبن القاضى فخر الدين عثمان آبن إبراهيم بن مصطفى المَـارِدِينىّ الحنفىّ المعروف بالتُّرْكمانى ـــ رحمه الله تعالى ـــ ٥ فى يوم الثلاثاء عاشر المحرّم بالقاهرة . ومَوْلده فى سنة ثلاث وثمـانين وستّمائة ، وهو أخو العـلّامة تاج الدين أحمـد (١) ، ووالد الإمامين العالمَيْن : عزّ الدين عبد العزيز (٢) وجمال الدين عبد الله (٣) ، وعمّ العلّامة محمد بن أحمد ، يأتى ذكر كلٍّ واحد من هؤلاء فى محلّه إن شاء الله تعالى . وكان قاضى القضاة علاء الدين إمامًا فقيها بارعا نحويًّا ١٠ أصوليّا لُغَويًّا ، أفتى ودرّس وأَشْـغَل وألّف وصنّف ، وكان له معرفة تامّة بالأدب وأنواعه ، وله نظمٌ ونثرٌ : كان إمامَ عصره بلا مُدافعة ، لا سيّما فى العـلوم العقلية والفقه أيضا والحديث ، وتصدّى للإقرار عِدّة سنين . وتولّى قضاء الحنفيّة بالديار المصرية فى شوّال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، عوضا عن قاضى القضاة زَيْن الدين البِسْطامىّ (٤) ، وحسُنت سِـيرتُه ، ودام قاضـيا إلى أن مات . وتولّى عِوضَه ولدُه ١٥ جمال الدين عبد الله .

---

(١) هو تاج الدين أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركمانى . توفى سنة ٧٤٤ هـ عن المنهل الصافى والدرر الكامنة . (٢) هو عز الدين عبـد العزيز بن على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركمانى توفى سنة ٧٤٩ هـ عن المنهل الصافى والدرر الكامنة . (٣) هو جمال الدين عبد الله بن على ابن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركمانى . سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سـنة ٧٦٩ هـ .

٢٠ (٤) فى الأصلين هنا : «البساطى» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عما تقدّم ذكره فى ص ١٢٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة والمنهل الصافى ، توفى سنة ٧٧١ هـ .

ومن مصنّفاته — رحمه الله — كتاب «بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب»[1] و«المُنْتَخب في علوم الحديث» و«المُؤْتَلَف والمُخْتَلف» و«الضعفاء والمتروكون»[2] و«الدرّ النَّقِيّ في الردّ على البَيْهَقِيّ» وهو جليل في معناه، يدلّ على علم غزير، واطّلاع كثير، و«مختصر المُحَصّل في الكلام» و«مقدّمة في أصول الفقه» و«الكِفاية[3] في مختصر الهِداية» و«مختصر رسالة القُشَيْرِيّ» وغير ذلك .

وتُوُفّي قاضي القضاة تقيّ الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بَدْرَان السَّعْديّ الإخْنائيّ المالكيّ[4]، في ليلة الثالث من صفر، ومولده في شهر رجب سنة أربع وستّين وستّمائة، وكان فقيها فاضلا محدّثا بارعا. وَلِي شهادة الخِزانة. ثم توَلّى قضاء الإسكندرية. ثم نُقِل لقضاء دِمَشْق بعد علاء الدين القُونَوِيّ[5]، وحسُنت سيرتُه. وتوَلّى بعده جمال الدّين يوسف [بن إبراهيم][6] بن جُمْلَة .

وتُوُفّيت خَوَنْد بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز، وخلّفت أموالًا كثيرة، أُبيع موجودُها بباب القُلّة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملة ذلك قُبْقَابٌ مرصّع بأربعين ألف درهم، عنها يوم ذاك ألفا دينار مصريّة .

---

(١) في الأصلين: «بهجة الأديب بما في الكتاب العزيز من الغريب». وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة المحفوظة منه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ تفسير: المنقولة عن نسخة بخط المؤلف المذكور.

(٢) ذكره ملا كاتب جلبي في كشف الظنون (ج ٢ ص ٨٤) مطبعة العالم، تحت عنوان: «علم الضعفاء والمتروكين في رواة الحديث».

(٣) في الأصلين: «والكافية» وما أثبتناه عن المنهل الصافي والدرر الكامنة.

(٤) في الأصلين: «الشافعي» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه، وهذا اللبس حصل من أن له أخا يلقب بعلم الدين ويسمى أيضا بمحمد وهو شافعي المذهب، أما تقي الدين هذا فهو مالكي المذهب. (انظره في رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني ص ٢٥٩ ب).

(٥) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي، تقدمت وفاته في حوادث سنة ٧٢٩ هـ.

(٦) التكملة عما تقدم ذكره في سنة ٧٣٨ هـ وهي سنة وفاته.

وتُوُفِّيَ شيخ القُرَّاء شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الحسين المعروف بالهَكَّارِيّ، بالقاهرة في جُمَادَى الأولى . وكان إماما في القراءات، تَصدَّى للإقرار عِدّة سنين وآنتفع به الناس .

وتُوُفِّيَ الأمير طُقْتَمُر بن عبد الله الشَّرِيفِيّ، بعد ما عَمِيَ ولَزِم داره [1] وكان من أعيان الأمراء .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام نجم الدين عبد الرحمن [2] بن يوسف بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن عليّ القُرَشِيّ الأَصْفُونِيّ [3] الشافعي، بِمِنًى، في ثالث عشر ذي الحِجّة . وكان فقيها عالما مصنِّفا، ومن مصنَّفاته : « مختصر الرَّوْضة [4] في الفقه » .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر وهى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .

---

(١) أطلنا البحث عن معرفة موضع هذه الدار فلم نعثر لها على أثر في المصادر التي تحت يدنا .

(٢) اختلف المؤرخون في هذا الأسم، فقد ورد في الأصلين والسلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة وحسن المحاضرة للسيوطي وشذرات الذهب : «نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف ... الخ» . وفي طبقات الشافعية وبعض المصادر : «عبد العزيز بن يوسف ... الخ» .

(٣) نسبة إلى أصفون . ذكرها المرحوم علي باشا مبارك في خططه (ج ٨ ص ٥٧) فقال : أسفون بالسين أو بالصاد بعد الهمزة، قرية من قرى المطاعنة بمديرية إسنا، في بحريها إلى الغرب بنحو عشرة آلاف متر، وفي الجنوب الغربي للكيمان بنحو ثلاثة آلاف متر . وفيها جامع بمنارة مبني بالآجر ... ثم قال : وفي خطط المقريزي، أن أسفون كانت من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحي الصعيد فواكه، وكان بها دير كبير، رهبانه معروفون بالعلم والمهارة، نخربت أسفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد... الخ» وبالرجوع إلى الخطط المقريزية لم نجدها ضمن البلاد المصرية التي ترجم لها المقريزي، وربما ذكرها عرضا ضمن كلام له آخر . وهي الآن أصفون المطاعنة بلدة بصعيد مصر تابعة لمركز إسنا بمديرية قنا .

(٤) يوجد منه بدار الكتب المصرية الجزء الأخير، مخطوط تحت رقم [٣٦٧] فقه شافعي .

فيها تُوُفِّى الأمير سيف الدين دِلَنْجِي[1] بن عبد الله (ودلنجى هو المكدى باللغة التركيّة) . كان أصله من الأتراك وقَدِم إلى الديار المصريّة سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة ، ثمّ إمْرة طَبْلَخَاناة . ثمّ وَلِى نيابة غَزّة بعد الأمير تلجك ، فأوقع بالمفسدين ببلاد غَزّة وأبادهم ، وقَوِيَت حُرْمتُه . وكان شجاعا مُهابا . ٥

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العلّامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيّوب الزُّرعىّ الدِّمَشْقىّ الحنبلى ، المعروف بابن قَيِّم الجَوْزِيّة بدِمَشْق ، فى ثالث عشر شهر رجب . ومولده سنة إحدى وتسعين وستّمائة . وكان بارعا فى عِدّة علوم ، ما بين تفسير وفقه وعربيّة ونَحْو وحديث وأصول وفروع ، ولَزِم شيخ الإسلام تقىّ الدين بن تَيْمِيّة[2] بعد عَوْده من القاهرة فى سنة اْثنتى عشرة وسبعمائة ، وأَخَذ منه علما كثيرا ، حتّى ١٠ صار أحدَ أفراد زمانه ، وتصدّى للإقراء والإفتاء سنين ، وآنتفع به الناس قاطبةً ، وصنّف وألّف وكَتَب . وقد آستوعبنا أحوالَه ومصنّفاته وبعضَ مشايخه فى ترجمته فى « المنهل الصافى » كما ذكرنا أمثاله .

وتُوُفِّى الأمير حُسام الدين لاچين بن عبد الله العَلائىّ الناصرىّ . أصله من مماليك الناصر محمد . ثم صار أمير جاندار فى دولة الملك المظفّر حاجّىّ ، فإنه كان ١٥ زوجَ أُمّه . ثمّ ولى أمير آخور ، فلمّا قُتل الملك المظفّر فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، عُزِل وأُخرِج إلى حلب ، على إقطاع الأمير حسام الدين محمود بن داود الشّيبانىّ ، فدام بحلب إلى أن مات بها ، وقيل بغيرها .

---

(١) ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالعبارة فقال : (بكسر الأول وفتح اللام وسكون النون وكسر الجيم) .

(٢) هو آبن تيميّة تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحرّانى ٢٠ الحنبلى ، تقدّمت وفاته سنة ٧٢٨ هـ (ج ٩ ص ٢٧١) من هذه الطبعة .

وتُوُفِّى الشيـــخ فخر الدين أبو عبد الله محمــد بن علىّ بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرىّ، الفقيه الشافعىّ بدَمَشْق[1]، فى سادس عشرين ذى القعدة، ومولده سـنة إحدى وتسعين وستّمائة . وكان فقيها عالمـا فاضلا بارعا فى فنون .

وتُوُفِّى ٱبن قَرَمَان صاحب جبال الروم بعد مرض طويل .

٥ قلتُ : وبنو قَرَمَان[2] هؤلاء هم من ذرّيّة السلطان علاء الدين كَيْقُبَاد السَّلْجُوقِىّ، وهم مُلوك تلك البلاد إلى يومنا هذا ، وقد تقدّم من ذكرهم جماعةٌ كثيرة فى هذا الكتاب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع ونصف، وقيل خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا . ونزل فى خامس توت

١٠ وشَرِقت البلاد .

* * *

السنة الرابعة من سلطنة الملك النـاصر حسن الأولى على مصر

وهى سـنة ٱثنتين وخمسين وسبعمائة، وهى التى خُلِـع فيها السلطان حسن المذكور فى سابع وعشرين جُمـادَى الآخرة ، وحَكَم فى باقيها أخوه الملك الصالح صالح ٱبن

١٥ الملك الناصر محمد بن قلاوون .

فيها تُوُفِّى السـيّد الشريف أُدَىّ[3] أمير المدينـة النبويّة ، على ساكنها أفضـلُ الصلاة والسلام، فى السجن .

---

(١) فى الدرر الكامنة أنه توفى فى سادس عشر ذى القعدة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) يقال بالواو بدل الهمزة . وهو أدّى بن

٢٠ هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم، يتصل نسبه بالحسين بن علي .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين طَشْبُغا[1] بن عبد الله الناصرىّ الدَّوَادار . كان من جملة الأمراء فى الديار المصريّة ، فلمّا أُخْرِج الأمير جُرْجِى الدوادار من القاهرة ، فى أوّل دولة الملك الناصر حسن ، استقرّ طشبغا هذا دوادارا عوضَه ، فى شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، واستمرّ على ذلك إلى أن تُوُفِّى . وكان خيِّرا دَيِّنا فاضلا عاقلا .

وتُوُفِّى قاضى القضاة الحنفيّة بحلب ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن محمد بن أبى الحسن[2] بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله [بن أحمد[3]] بن يحيى بن أبى جَرَادة ، المعروف بآبن العَدِيم الحلبى بحلب ، عن ثلاث وستّين سنة . وقد تقدّم ذكْرُ جماعة من آبائه وأقاربه فى هذا الكتاب ، وسيأتى ذكر جماعة أخر من أقاربه ، كلٌّ واحد فى محلّه . إن شاء الله تعالى .

وتُوُفِّى ملك الغرب أبو الحسن علىّ بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحقّ ابن محيو بن أبى بكر بن حَمَامة[4] فى ليلة[5] الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل ، وقام فى الملك من بعده آبنه أبو عنان فارس . وكانت مدّة مُلْكه إحدى وعشرين سنة .

---

(١) ضبطه بالعبارة الصلاح الصفدى فى كتابه أعيان العصر فقال : (بفتح الطاء المهملة وسكون الشين المعجمة وباء موحدة وغين معجمة بعدها ألف) . (٢) كذا ورد فى الأصلين والسلوك ولم ترد هذه الكنية فى المصادر التى ترجمت له ، كالدرر والمنهل الصافى وغيرهما . (٣) التكملة عن الدرر الكامنة والسلوك . (٤) فى الأصلين : «ابن حماسة» والتصويب عن السلوك والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، للشيخ أحمد بن خالد الناصرى السلاوى طبع مصر سنة ١٣١٢ هـ (ج ٢ ص ٣) .

(٥) فى الأصلين : «فى ثالث عشر شهر ربيع الآخر» وفى السلوك : «فى ثالث عشرين ربيع الآخر» وهى رواية آبن الخطيب وآبن خلدون وغيرهما . وما أثبتناه عن الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى وهى الرواية الصحيحة ، حيث ورد فى الكتاب المذكور (ج ٢ ص ٨٥) : «والذى رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأوّل من السنة المذكورة» .

وتُوُفّى القاضى شمس الدين محمـد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد ابن محمـد بن خالد بن محمـد بن نصر المعروف بابن القَيْسَرانىّ ، مُوَقِّـع الدّست وصاحب المدرسة بسُوَيْقة الصاحب داخل القاهرة وبها دُفن، وكان معدودا من الرؤساء الأماثل .

---

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه باسم المدرسـة القيسرانية (ص ٣٩٤ ج ٢) فقال : إنها بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب ، فيما بينها وبين باب الخوخة ، كانت دارا يسكنها القاضى الرئيس شمس الدين محمـد بن إبراهيم القيسرانى ، أحد موقعى الدست بالقاهرة ، فجعلها مدرسة ووقفها فى ربيع الأول سنة ٧٥١ هـ .

وبالبحث عن هـذه المدرسة فى الجهة التى أشار إليها المقريزى ، تبين لى أنها تحوّلت إلى دار كما كانت أوّلا ، وأن هذه الدار لم تكن بجوار المدرسة الصاحبية ، أى ملاصقة لها كما يفهم من تعبير المقريزى ، بل إنها كانت مواجهة لهـا ، على الطريق بينها وبين باب الخوخة ، وكانت المدرسة المذكورة واقعة على يسار الداخل فى سـويقة الصاحب ، التى مكانها اليـوم الطريق التى تسمى شارع اللبـودية وشارع السلطان الصاحب ، على الناصية التى كان يتلاقى فيها هـذا الشارع بشارع حمام التلات ، حيث تجد على اليمين بقايا المدرسة الصاحبية .

وقد اقتضى فتح شارع الأزهر بموجب المرسـوم الصادر فى ٢٦ يونيه سنة ١٩٢٣ إزالة كثير من المبانى من ضمنها الدار التى حلت محل القيسرانية ، وبذلك زال أثرها .

والظاهر أن على باشا مبارك لم يوصله بحثه إلى أنها تحوّلت إلى دار ، فالتبس عليـه الأمر فى تحديد موضعها ، بدليل أنه لمـا تكلم فى الخطط التوفيقية على المدرسة القيسرانيـة (ص ١٤ ج ٦) قال : لعلها المدرسة التى على يمين الداخل فى أوّل درب سعادة من جهـة الجزاوى ، فى حين أن تلك المدرسـة هى المدرسة الفخرية ، التى أنشأها فخر الدين عثمان بن قزل البارومى فى سنة ٦١٢ هـ ، وسميت فيما بعد الظاهرية ، لأنها جدّدت فى عهد الملك الظاهر أبى سعيد جقمق ؛ ثم قال أيضا : ويحتمل أن تكون هذه هى المدرسة الزمامية ، فى حين أن تلك المدرسـة التى أنشأها زين الدين مقبـل الطواشى الزمام هى التى تعرف اليوم بجامع الداودى بشارع اللبودية ، الذى كان متصلا بشارع الجزاوى ، وفصلهما عن بعضهما شارع الأزهر . ثم قال بعـد ذلك : وقد تكون القيسرانية ، هى التى تعرف اليوم بجامع المغربى بجوار الصاحبية ، فى حين أن جامع المغربى المذكور هو مدرسـة الجمالىّ يوسف ، التى أنشأها جمال الدين يوسف بن كريم الدين عبد الكريم المعروف كاتب جكم ناظر الخاص فى سـنة ٨٥٦ هـ ، بين داره وبين المدرسة الصاحبية التى تكلمنا عليها فى الحاشـية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفوق ذلك ، فان جامع المغربى لا يزال باقيا ، ويقع شرقى المدرسة الصاحبيـة ، فى حين أن المدرسة القيسرانية زالت ، وكانت واقعة بحرى الصاحبية ، بينها وبين باب الخوخة ، كما ذكر المقريزى وحققناه فى هذا البحث .

وتُوُفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير رُكن الدين بيبرس الأحمدىّ، أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية، وهو مجرّد ببلاد الصعيد، فحُمِل إلى القاهرة ميّتا في يوم الأحد ثانى عشرين شهر رمضان .

وتُوُفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الفضل[1] محمد بن إبراهيم بن يوسف المرّاكُشىّ الأصل الشافعىّ بدمشق في جُمادَى الآخرة . وكان فقيها فاضلا بارعا معدودا من فقهاء الشافعيّة . ٥

وتوُفّى القاضى علاء الدين علىّ بن محمد بن مُقاتل الحَرّانىّ ثم الدِّمَشْقىّ ناظر دمشق بالقُدس الشريف، في عاشر شهر رمضان .

قلتُ : لعلّ علاءَ الدين هذا غيرُ الأديب علاء الدين بن مُقاتل الزَّجّال الحَمَوىّ، لأنى أحفظ وفاة هاذاك، في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهكذا أرّخناه في «المنهل الصافى والمُسْتَوفَى بعد الوافى» . ١٠

§ أمر النيل في هذه السنة . الماء القديم ستّ أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة . والله أعلم .

(١) في شذرات الذهب أنه يكنى بأبى عبد الله .

ذكر سلطنة الملك الصالح صالح

آبن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون

هو العشرون من ملوك التُّرك بديار مصر، والثامن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . وأمّه خَوَنْد قُطْلُو مَلَك بنت الأمير تَنْكِز الناصرىّ نائب الشام ، تسلطن بعـد خَلْع أخيه الملك النـاصر حسن فى يوم الآثنين ثامن عشرين جُمـادَى الآخرة (١) سـنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، بآتفـاق الأمراء على ذلك ، وأمره أنّ الأمراء لمـا حُمِلت لهم نَمْجَاة الملك ، وأُخبروا بأن النـاصر حسنا خَلَع نفسـه ، وهم وقوف بقُبّـة النصر خارج القاهرة ، توجّهوا الى بيوتهـم ، و باتوا تلك الليلة وهى ليـلة الاثنين بإسطبلاتهـم ، وأصبحوا بكرة يوم الاثنين طلعوا إلى القلعـة ، واجتمعوا بالرَّحْبة داخل باب النحاس (٢) ، وطلبـوا الخليفة والقضاة وسـائر الأمراء وأرباب الدولة ، وآستدعوا بالصالح هـذا من الدور السلطانيـة ، فأخرج لهم فقاموا له وأجلسـوه وبايعوه بالسلطنة ، وألبسوه شِعار المُلْك وأُبّهَة السلطنة ، وأركبوه فَرَس النَّوْبة من داخل باب السِّتارة ، ورُفعت الغاشية بين يديه ومشت الأمراء والأعيان بين يديه والأمير طاز والأمير مَنْكَلى بُغَـا آخذان بشَكِيمة فرسـه ، وسار على ذلك حـتى نزل وجلس على تخت المُـلك بالقصر ، وقبّلت الأمراء الأرض بين يديه ، وحَلَفوا له [وحلّفـوه] (٣) على العادة ، ولقّبوه بالملك الصالح ، ونُودِى بسلطنته بمصر

(١) اختلف المؤرخون فى تاريخ خلعه ، ففى السلوك كما ورد فى الأصلين (وهى الرواية الصحيحة لأن أول جمادى الآخرة كان يوم الثلاثاء) . وفى المنهل الصافى : « خلع من السلطنة فى أوائل شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة » وفى ابن إياس (ج ١ ص ١٩٤) والدرر الكامنة . « يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) تكملة عن السلوك .

والقاهرة ودُقّت الكوسات وزُيّنت القاهرة وسائر بيوت الأمراء . وقبل سلطنته كان النيل نقص عند ما كُسر عليه ، فردّ نقصه ونُودى عليه بزيادة ثلاث أصابع من سبع عشرة ذراعا ، فتباشر الناس بسلطنته .

ثم توجّه الأمير بُزلار أمير سلاح إلى الشام ، ومعه التشاريف والبشارة بولاية السلطان الملك الصالح ، وتحليف العساكر الشامية له على العادة . ثم طَلَب الأمير طاز والأمير مُغْلَطاى مفاتيح الذخيرة ليَعْتبرا[1] ما فيها فوجدا شيئا يسيرا . ثم رُسم للصاحب عَلَم الدين عبد الله بن زُنْبور ، بتجهيز تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة ، فجهّزها في أسرع وقت ، ووقف الأميرُ طاز سأل السلطانَ والأمراءَ الإفراجَ عن الأمير شَيْخون العُمَرى ، فرُسم بذلك ، وكَتَب كلٌّ من مُغْلَطاى وطاز كتابا ، وبعث مغلطاى أخاه قُطْليجا[2] رأس نَوْبة ، وبعث طاز الأمير طُقطاى صِهْره ، وجهزت له الحرّاقة[3] لإحضاره من الإسكندرية في يوم الثلاثاء[4] تاسع عشرين جُمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة المذكورة ، وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاى ، إلا أن الأمير طاز دَخَل عليه وألحّ عليه في ذلك ، حتى وافقه على مجيئه ، بعد أن قال[5] له : أخشَى على نفسى من مجىء شَيْخون إلى مصر ، فحلف له طاز أيمانا مغلّظة أنه معه على كلّ ما يريد ، ولا يصيبه من شَيْخُون ما يكره ، وأن شيخون إذا حضر لا يعارضه في شىء من أمر المملكة ، وإنى ضامنٌ له في هذا ، وما زال به حتى أذعن ، وكَتَب له مع أخيه ، فشقّ ذلك على الأمير مَنْكَلى بُغَا الفَخْرى ، وعتَب مُغْلَطاى على موافقة طاز ، وعرّفه أن بحضور شيخون إلى مصر يزول عنهم

(١) كذا في الأصلين وهي كلمة اصطلاحية « معناها الجرد ، مأخوذة من « العبرة » وانظر الحاشية رقم ١ ص ٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك : « فبعث مغلطاى أخاه قطلوبغا ... الخ » . (٣) في ف : « الحرقاه » . (٤) في الأصلين : « في يوم الأربعاء ... الخ » وتصحيحه عن السلوك وما يقتضيه السياق . (٥) في م : « إلى أن قال ... الخ »

ما هم فيه، فتقرر فى ذهن مغلطاى ذلك، وندم على ما كان منه، إلى أن كان يوم الخميس أوّل شهر رجب، وركب الأمراء فى المَوْكب على العادة، أخذ منكلى بغا يُعرف النـائب والأمراءَ بإنكار ما دار بينه و بين مغلطاى، وحذّرهم من حضور شيخون إلى أن وافقوه، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة، فآبتدأ النـائب بحضـور[2] شيخون وقال: إنه رجل كبير و يحتاج إلى إقطاع كبير وكُلَف كثيرة، فتكلّـم مغلطاى ومنكلى بغا والأمراء وطاز ساكت، قد آختبط لتغـيّر مغلطاى ورجوعه على ما وافقه عليه، وأخذ طاز يتلطّف بهم، فصمّم مغلطاى على ما هو عليه وقال: مالى وجهٌ أنظرُ به شيخون، وقد أخذتُ منصبَه ووظيفتَه وسكنتُ فى بيته، فوافقه النائب، وقال لناظر الجيش: اكتب له مثـالاً[3] بنيابة حَمـاة، فكتب ناظر الجـيش ذلك فى الـوقت، وتوجه به أيْدَمُر الدوادار فى الحـال فى حَرّاقة، وعُيِّن لسفر شيخون عشرون هَجِينا ليركبها و يسيرَ عليها إلى حَمَاة.

وآنفضّوا وفى نفس طاز ما لا يعبّر عنه من القهر، ونزل وآتفق هو والأمير صَرْغَتْمش ومَلِكْتَمُر وجماعة، وآتفقوا جميعا، و بعثوا إلى مغلطاى، بأنّ منكلى بغا رجل فِتَنِىٌّ، وما دام بيننـا لا نتّفق أبدا، فلم يَصْغَ مغلطاى إلى قولهم، وآحتجّ بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه، فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفيّة[4] من قلعة الجبل، حيث هى مسكن مُغُلطاى وخادعه، حتى أجابه إلى إخراج مَنْكَلى بُغا وتحالفا على ذلك، فمـا هو إلا أن خرج عنه طاز، أخذ دوادار مغلطاى يُقَبِّح على مغلطاى

---

(١) فى السلوك: «والأمراء الكبار». (٢) فى السلوك: «بحديث شيخون».
(٣) المثال: وثيقة رسمية تصـدر من ديوان الجيش إلى كل جندى أو مملوك، فيها مقدار ما خصه من الإقطاع موضح الحدود والمعالم، فاذا صـدّق عليها السلطان تحفظ لتسجيلها فى ديوان النظر وآنظر الحاشـية رقم ٢ من ص ٩١ من الجزء الثامن من هـذه الطبعة وآنظر الحاشـية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

ما صدَر منه ، ويُهوِّل عليه الأمر، بأنه متى أُبعد منكلى بغا وحضر شيخون أخذ لا محالة ، فمال إليه ، وبَلَغ الخبرُ منكلى بغا بُكْرَة يوم الجمعة ثانيه . فواعد النائب والأمراءَ على الاجتماع فى صلاة الجمعة، ليقع الاتفاق على ما يكون، فلم يَخْفَ عن طاز وصَرْغَتْمش رجوعُ مغلطاى عما تقرر بينه و بين طاز ليلا، فاستَعَدّا للحرب ، وواعدا الأمير مَلِكْتَمُر المحمدىّ(١)، والأمير قردم الحموىّ(٢)، ومن يهْوى هواهم، واستمالوا مماليك يَبْغُا أُرُس ومماليك مَنْجك حتى صاروا معهم رجاء لخلاص أستاذيهم، وشدّ الجميع خيولَهم ، فلمّا دخل الأمراء لصلاة الجمعة، آجتمع منكلى بغا بالنائب و جماعته، وقرّر معهم أن يطلبوا طاز وصَرْغَتْمش الى عندهم فى دار النيابة، ويقبضوا عليهما ، فلمّا أتاهما الرسولُ من النائب يطلبُهما ، أحسّا بالشرّ وقاما ليتهيآ للحضور، وصرفا الرسول على أنهما يكونان فى أثره، وبادَرا الى باب الدُّور ونحوه من الأبواب فأغلقاها ، وآستدعوا مَنْ معهم من المماليك السلطانية وغيرها ، ولبسوا السلاح ، ونزل صَرْغَتْمش بمن معه من باب السرّ ، ليمنع من يخرج من اسطبلات الأمراء ، ودخل طاز على السلطان الملك الصالح، حتى يركَب به للحرب، فَلَقِىَ الأمير صرغتمش فى نزوله الأمير أيدُغْدى أمير آخور ، فلم يُطق منعه، وأخذ بعضَ الخيول من الاسطبل وخرج منه ، فوجد خيلَه وخيلَ من معه فى آنتظارهم ، فركبوا الى الطبلخاناه، فاذا طُلْبُ مَنْكَلى بُغَا مع ولده ومماليكه يريدون قُبّة النصر، فألقوا آبن منكلى بغا عن فرسه، وجَرَحُوه فى وجهه، وقتلوا حامل الصَّنْجَق وشتّتوا شَمْل الجميع، فما استتم هذا، حتى ظهر طُلْب مُغْلَطاى مع مماليكه ، ولم يكن لهم عِلْمٌ بما وقع على طُلْب منكلى بغا ، فصدَمهم صرغتمش أيضا بمن معه صدمةً بدّدتْهم ،

(١) فى م : « تلكتمر » . وما أثبتناه عن ف والسلوك .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٥٦ ﻫ .

وجَرَح جماعة منهـم وهَزَم بقيّتهم . ثم عاد صرغتمش ليُـدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة، وكانت خيولُهم واقفة على باب السِّلسلة تنتظرهم، فمال عليها صرغتمش ليأخذها، وامتدّت أيدى أصحابه إليها وقتلوا الغلمان، فعظُم الصِّياح وانعقد الغُبار، واذا بالنائب ومَنْكَلى بُغَـا ومُغْلَطاى وبَيْغَرا ومَنْ معهم قـد نزلوا وركبوا خيولَهم، وكانوا لمّـا أبطأ عليهم حضور طاز وصرغتمش بعثوا فى استحثاثهم، فاذا الأبواب مُغْلَقة، والضجّة داخل باب القلعة، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب فلمّا توسّطوا بالقلعة حتى سمعوا ضجّة الغلمان وصياحَهم ، فأسرعوا إليهم وركبوا، فشهَرَ مغلطاى سيفَه وهَجَمَ بمن معه على صَرْغَتْمش ، ومرّ النائب وبيغرا ورسْلان بَصَل، يريد كلّ منهـم إسطبله ، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاى من صرغتمش كَسْرَةً قبيحةً ، وجُرِح كثير من أصحابه ، وفرّ الى جهة قبّة النصر وهـم فى أثره ، وانهزم منكلى بغا أيضا .

وكان طاز لمّـا دخل على السلطان عرّفه، أن النائب والأمراء اتّفقوا على إعادة الملك الناصر حسن الى السلطنة ، فمـال السلطان الملك الصالح الى كلامه ، فقام معه فى مماليكه ، ونزل الى الإسطبل واستدعَى بالخيول ليركب، فقعد[1] به أيْدُغْدِى أمير آخور واحتجّ بقِلّة[2] السُّروج ، فانه كان من حزب مُغْلَطَاى، فأخذوا الممـاليك ما وجدوه من الخيـول وركبوا بالسلطان ، ودُقت الكوسات، فاجتمع إليـه الأمراء والممـاليك والأجناد من كلّ جهة، حتى عظُم جمعُه ، فلم تغرُب الشمس إلا والمدينةُ قد أُغلقت، وآمتلأت الرُّمَيْلة بالعامة ، وسار طاز بالسلطان يريد قُبّة النصر، حتى يعرفَ خبرَ صرغتمش، فوافَى قُبّة النصر بعد المغرب، فوجد صرغتمش

(١) فى الأصلين والسلوك : « فقند به » والسياق يقتضى ما أثبتناه » .

(٢) فى الأصلين : « بقلعة السروج » وما أثبتناه عن السلوك وهو الصحيح .

قد تمادى فى طلب مُغْلَطاى ومَنْكَلى بُغا حتى أظلم الليل، فلم يشعرُ إلا بمملوك النائب
قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاى عنده فى بيت آل ملك بالحُسينيّة[1]، فبعث
صرغتمش جماعة لأخذه، ومرّ فى طلب منكلى بغا، فلقيه الأمير محمد بن بَكْتَمُر[2]
الحاجب وعرّفه أن منكلى بغا نزل قريبا من قناطر الأميرية[3]، ووقف يصلّى، وأنّ
طُلْب الأمير مجد الدين موسى بن الهذبانىّ، قد جاء من جهة كوم الرّيش[4]، ولحقه
الأمير أَرْغون الْكَى فى جماعة، فقبض عليه وهو قائم يُصلّى، وكتّفوه بعمامته، وأركبوه
بعد ما نكّلوا به، فلم يكن غيرُ قليل حتى أتوْا بهما فقُيِّدا وحُبِسا بخزانة شمائل،
ثم أُخرِجا إلى الإسكندرية، ومعهما ابنا منكلى بغا فسُجنوا بها .

وأمّا صَرْغَتْمش فإنه لمّا فرغ من أمر مُغْلَطاى ومنكلى بغا وقبَض عليهما،
أقبل على السلطان بمن معه بقبة النصر، وعرّفه بمسك الأميرين، فسرّ السلطان سرورا
كبيرا، ونزل هو والأمراء وباتوا بقُبّة النصر، وركب السلطان بُكْرة يوم السبت
ثالث شهر رجب إلى قلعة الجبل، وجلس بالإيوان وهنّئُوه بالسلامة والظفَر، وفى
الحال كُتِب بإحضار الأمير شَيْخون[5]، وخرج جماعة من الأمراء بمماليكهم إلى لقائه،
ونزلَت البشائر إلى بيت شيخون، وبيت بيبغا أُرُس وبيت مَنْجَك اليوسفىّ الوزير،
فكان يوما عظيما، وبات الأمراء تلك الليلة على تخوّف .

وأمّا شيخون لمّا ورد عليه الرسول بإطلاقه أوّلا، خرج من الإسكندريّة وهو
ضعيف، وركب الحَرّاقة، وفرِح أهل الإسكندرية لخلاصه، وسافر فوافاه كتابُ

---

(١) بالبحث تبين لنا أن هذا البيت كان بجوار جامع آل ملك بالحسينية . وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) فى السلوك «محمد بن ملكتمر الحاجب» .
(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٨٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٥) رواية السلوك : « وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه ... الخ » .

الأمير صَرْغَتْمش بأنه إذا أتاك أَيْدَمُر بنيابة حَماة، لا ترجع وأَقْبِـل إلى القاهرة فأنا وطاز معك؛ فلمّا قرأ شيخون الكتّاب تغير وجهُه، وعَلِم أنه قد حدَث فى أمره شيء، فلم يكن غيرُ ساعة، (١) حتى لاحت له حَرّاقة أيدمر، فمرّ شيخون وهو مُقْلِـع وأيدمر مُنحَدِر إلى أن تجاوزه، وأيدمر يَصيح ويُشـير بمنْديله إليه فلا يلتفتون إليه، فأمر أيدمر بأن تُجهَّز عَرَكُبه بالقِلْع، وترجع خلف شيخون، فما تجهّز قِلْع مركَب أيدمر حتى قَطَع شيخون بلادا كثيرة، وصارت حرّاقتُه تسير وأيدمر فى أثرهم فلم يُدْركوه إلا بُكرة يوم السبت، فعند ما طلع إليـه أيدمر وعرّفه ما رُسم به، من عوده إلى حَمَاة، وقرأ المرسوم الذى على يد أيدمر برجوعه إلى نيابة حماة، وإذا بالخيل يتبع بعضها بعضا، والمراكب قد ملأت وجهَ المـاء تُبادر لإشارته وإعلامه بمـا وقَع من الركوب ومسك مُغْلَطاى ومَنْكَلى بُغا، فسرّ شيخون بذلك سرورا عظيما، (٢) وسار إلى أن أرسى بساحل (٣) بولاق فى يوم الأحد رابع شهر رجب، بعـد أن مشت له الناس إلى مُنية الشيرج، فلما رأوه صاحوا ودعوا له وتلقته المراكب، وخرج الناس إلى الفُرجة عليـه، حتى بلغ كِراءُ المركب إلى مائة درهـم، وما وصلت الحـرّاقة إلا وحولها فوق ألف مركب، وركِبت الأمراء إلى لقائه وزُيِّنت الصلیبة وأُشعلت الشموع، وخرجت مشايخ الصوفية بصوفيّتهم إلى لقائه، فسار فى موْكب لم يُرَمثله لأمير قبله، وسار حتى طلع القلعة وقبّل الأرض بين يدى السلطان الملك الصالح، فأقبل عليـه السلطان وخلَع (٤) عليـه تشريفا جليلا، وقلع عنه ثيـاب السجن، وهى

---

(١) رواية السلوك: «فلم يكن غير ساعتين ... الخ». (٢) فى ف: «كثيرا».

(٣) المقصود بهـذا الساحل شاطئ النيل تجاه بولاق. ومكانه اليوم شارع المطبعة الأهلية ببولاق أحد أقسام مدينة القاهرة. (٤) هكذا فى الأصلين. وعبارة السلوك: «وخلع عنه ثياب السجن وألبسه تشريفا جليلا وخرج إلى منزله ... الخ».

مَلُّوطة[1] طرح محرّز . ثم نزل إلى منزله والتهانى تتلقاه . ودام الأمر على ذلك إلى يوم الأربعاء سابع شهر رجب رُسِم ، بإخراج الأمير يَبُغا أُرُس حارس طير نائب السلطنة بالديار المصرية فالأمير بَيْغَرا ، فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية وبه كان سكن بيبغا المذكور، وأُخْرج منه ليسير من مصر إلى نيابة غَزّة، وأُخْرج

(١) الملوطة كسفودة : قباء واسع الكمين طويلهما نامية جمعه ملاليط وهى دخيلة على اللغة العربية إذ أصلها اليونانى المنوت (Menoût) الذى ذكره ابن بطوطة فى رحلته لبلاد أزبك خان ، فى الجزء الثانى صفحة ٣٨٨ من رحلته طبع أوروبا ، وقد استعملت فى القبطية من زمن بعيد . وكانت لباسا قوميا فى عصر المماليك تصنع من الحرير الخالص (المحرّر) وتضرب وتزرّر ، تلبس فوق الشاية على البدن واللباس فى الأرجل ، وكانت قصيرة أشبه ما تكون بالنصف الأعلى من (البيجامة) المعروفة اليوم .

وقد اختفت من الملابس الرسمية بدخول السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢ هـ قال ابن إياس فى الجزء الثالث من تاريخه ص ١١٤ : وقبض على طومان باى بالبحيرة وهو لابس لبس العرب الحوّارة وعلى رأسه زنط وعليه شاش وعلى بدنه ملوطة بأكمام طوال ، وقال : وقد شنق على باب زويلة وعلى بدنه شاياة جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار وفى رجليه لباس من جوخ أزرق ، وقال فى صفحة ١٣٧ من الجزء نفسه : وظهر المماليك الشراكسة (أى بعد الفتح العثمانى) يلبسون الزنوط الحمر والملاليط على عادتهم ولا يتزيون بزىّ العثمانية ، وطلع الأمير أرزبك الناشف أحد الأمراء المقدمين القلعة وعليه منديل الأمان ، وكان لما طلع لابسا زىّ العرب وعليه زنط وشاش وملوطة بأكمام كبار ، فألبسه خاير بك نفطانا مخملا بتماسيح وألبسه عمامة عثمانية ، إلى أن قال فى صفحة ١٤٢ : وقد صار الأمراء الشراكسة الذين ظهروا كلهم بقفطانات مخملة وبعضهم بقفطانات جوخ أسود وطراطير وعليهم عمائم مدوّرة ، وفى أرجلهم سقمانات جلد فى زىّ العثمانية واختلط العثمانية مع الجراكسة حتى صار لا يعرف هذا من ذاك إلا فى شىء واحد ، الجراكسة بذقون والعثمانية بغير ذقون ... الخ .

ولئن كانت الملوطة اختفت من الأزياء الرسمية فقد بقيت عند عامة أهل مصر لعهد السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ والذى عرفها بأنها قباء واسع الكمين ، كما تقدّم فى أوّل الكلام .

وقد عرفها المرحوم أحمد تيمور باشا المتوفى فى نهاية سنة ١٣٤٨ هـ فى كتابه معجم الألفاظ العامية المصرية بقوله : « الملوطة وقد يقولون الفلوطة شىء كالقباء أو القميص لكنه قصير مسدود الصدر يلبسه نحو الحمالين فى سكة الحديد وغيرها ليكون أخف لهم ويلبسونه على الجلباب » . انتهى بحروفه .

انظر رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٣٨٨ طبع أوروبا . وانظر تاريخ ابن إياس ج ٢ ص ١٣٨ وما بعدها وج ٣ ص ١١ وما بعدها طبع بولاق . وانظر شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى مادة « ملط » . وانظر معجم الثياب ومعجم الألفاظ العامية المصرية للمرحوم تيمور باشا .

بَيْغَرا من الحمام إخراجا عنيفا ليتوجّه إلى حلب ، فركبا من فورهما وسارا . ثم رُسم بإخراج الأمير أَيْدُغْدى الأمـير آخور إلى طرابُلُس بطّـالا ، وكتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك .

وفى يوم السبت عاشره ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، ولَعِب
٥ فيه بالكرة ، فكان يوما مشهودا .

ووقف الناس للسلطان، فى الفار الضامن، ورفعوا فيه مائة قصّة فقُبِض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضربا مبرّحا وصادره، وأخذ منه مالا كثيرا .

وفيه قُبِض على الأمير بَيْبُغـا طَطَر(١) المعروف بحارس طير نائب السلطنة المتوجّه إلى نيابة غزّة فى طريقه، وسجن بالإسكندرية .

١٠ وفى يوم الأحد حادى عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية وهم سبعة نفر : مَنْجَك اليوسفىّ الوزير وفاضل أخو بيبغا أُرُس وأحمد الساقى نائب صَفَد وعمر شاه الحاجب وأمير حسين التَّترىّ وولده، والأمير محمد بن بَكْتَمُر الحاجب . فركب الأمراء ومقدّمُهم الأمير طاز ، ومعه الخيول المجهّزة لركوبهم ، حتى لقيهم وطَلع بهم إلى القلعة، فقبّلوا الأرض وخلَع السلطان عليهم، ونزلوا إلى بيوتهم فآمتلأت
١٥ القاهرة بالأفراح والتهانى، ونزل الأمير شَيْخُون والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى اسطبلاتهم ، وبعثـوا إلى الأمراء القادمين من السّجن التقادمَ السّنية من الخيول والتّعابى القماش والبُسُط وغيرها، فكان الذى بعثـه شيخون لمَنْجَك خمسـة أفراس ومبلغ ألفى دينار، وقس على هذا .

ثمّ فى يوم الآثنين ثانى عشر شهر رجب خلع على الأمير قُبْلاى الحاجب وآستقرّ
٢٠ فى نيابة السلطنة بالديار المصريّة ، عوضا عن بيبغا ططر حارس طير .

(١) رواية السلوك : « وفيه قبض على الفار بن بيبغا ططر فى طريقه وسجن بالإسكندرية » .

وفى يوم الخميس خامس عشر شهر رجب قدِم الأمير بيبغا أُرُس من سجن الكَرَك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان وقبّل الأرض وخُلِع عليه ونزل إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتّى قدّم له تَقْدِمة تليق به .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشره خلع على الأمير بَيْبُغَا أُرُس واستقرّ فى نيابة حلب عوضا عن أَرْغون الكاملى واستقر أرغون الكاملى فى نيابة الشام، عوضا عن أَيْتَمُش الناصرىّ، وخُلِع على أحمد الساقى شادّ الشراب خاناه كان، بنيابة حماة عوضا عن طَنْيَرَق، ورُسم لطنيرق أن يتوجّه إلى حلب أمير طبلخاناة بها . ثمّ رُسم بأن يكون بطّالا بدِمَشق، وسافر بَيْبُغَا أُرُس وأحمد الساقى بعد أيام إلى محلّ كفالتهما[1] ثم سأل الأمير مَنْجك الإعفاء عن أخذ الإمرة، وأن يقعد بطّالا بجامعه[2]، فأجيب إلى ذلك

---

(١) فى م : «كفالتهم» . (٢) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن موضعه يعرف بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير . أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفى فى مـدة وزارته بديار مصر فى سنة ٧٥١ هـ وبنى فيه صهريجا فصار يعرف بصهريج منجك، ورتّب فيه صوفية وقرر لهم طعاما يوميا ووقف عليه أراضى ناحية بلقينة بالغربية .

وأقول : إن هذا الجامع لا يزال قائما عامرا بإقامة الشعائر الدينية فيه، ويسميه العامة جامع المنشكية وهو داخل درب المنشكية المتفرع من شارع باب الوداع بجرى القلعة بالقاهرة .

والظاهر أن الأمير منجك بدأ فى عمارة هذا الجامع فى سنة ٧٥٠ هـ بدليل إثبات هذا التاريخ على باب المنبر ثم أتم عمارته فى سنة ٧٥١ كما ذكر المقريزى أن مئذنة هـذا المسجد من المآذن التى تسترعى الأنظار بزخرفها وجمال شكلها، وكان الجزء العلوى منها قد تهدم فأعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناءه فى سنة ١٩٤١ فعادت المئذنة كما كانت، وبهذا الجامع منبر جميل دقيق الصنع، قامت إدارة حفظ الآثار بإصلاح ما تلف من حشواته الدقيقة فى سنة ١٩٤٤ فعاد للمنبر رونقه الجميل .

ومما يلاحظ الآن أن الجامع منفصل عن مئذنته ثم عن دورة المياه، وهذه كذلك منفصلة عن المئذنة، والمفروض أن هذه المجموعة يجب أن يجمعها بناء واحد، وبالبحث عن سبب هـذا الانفصال تبين لى أن الأمير منجك كان قد أنشأ خانقاه تجاه هذا الجامع كما ذكر المؤلف فى حوادث سنة ٧٧٦ هـ من هذا الكتاب عند الكلام على وفاة الأمير منجك، وأن دورة المياه كانت ضمن بناء الخانقاه كما أن المئـذنة كانت متصلة بها، وأن الخانقاه قد خربت ولم يبق من مبانيها إلا المئـذنة التى لا تزال قائمـة وحدها إلى اليوم أمام باب الجامع، وكذلك دورة المياه كما نشاهدهما الآن . والظاهر أن الأمير منجك بنى هـذه الخانقاه تجاه جامعه مقـلدا فى ذلك الأمراء : بشتك الناصرى وقوصـون الساقى وشيخون الناصرى . وأما الصهريج (خزان الماء) فلا يزال باقيا فى وسط الجامع وتكلمنا عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٢١٧ من هذا الجزء .

بسفارة الأمير شَيْخون، وآسترد أملاكه التي كان أنعم بها السلطان على المماليك والخُدّام والجواري، ورمّم ما تشعّث من صِهْريجه وآستجدّ به خُطبة . ثم خلع السلطان على عمرشاه وآستقر حاجب الحجاب عوضا عن قُبْلاى المنتقل إلى نيابة السلطنة بديار مصر، وأنعم على طَشْتَمُر القاسميّ بتقدمة ألف، وآستقر حاجبا ثانيا وهي تقدمة بَيْغَرا .

وفيها أخرج جماعة من الأمراء وفُرِّقوا بالبــلاد الشامية، وهم : الأمير طَيْنَال الجاشــنكير وآجُبُغا الحمويّ الحاجب ومَلِكْتَمُر الســعدى(1) وقُطْلُوبُغا أخو مُغْلَطاى وطَشْبُغا الدوادار .

وفي يوم السبت تاســع شعبان وَصَــل الملك المُجاهد(2) صاحب اليمن من سجن الكَرَك، فخُلِــع عليه من الغد ورُسم له بالعود الى بلاده من جهة عَيْذَاب(3)، وبعث إليه الأمراء بتقادم كثيرة وتوجّه الى بلاده . وكانت أمّه قد رجَعَت من مكّة الى اليمن بعــد مسكه وأقامت في مملكة اليمن الصالح وكتبَتْ الى تُجّار الكارم تُوَصّيهم بابنها المجاهد وأن يُقرضوه ما يحتاج إليه، وخَتَمَتْ على أموالهم من صــنف المَتْجَر بعَدَن وتَعِزّ وزَبِيــد(4)، فقَدِم قاصدها، بعــد أن قُبِض على المجاهد ثانيــا وسُجِن بالكَرَك، بعــد أن كان رَسَم له الملك النــاصر حسن بالتوجّه إلى بلاده، لأمرٍ بَدَا منه في حقّ السلطان في الطريق، فكتب مُسفِّره يُعرِّف السلطان بذلك . انتهى .

ثم في يوم الآثنين ثاني عشر شعبان، وصل إلى القاهرة الأمير أَيْتَمُش الناصريّ المعزول عن نيابة الشام، فقُبِض عليه من الغد .

ثم قَدِم الشريف ثُقْبَة صاحب مكّة في مستهلّ شهر رمضان بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان، فخَــلَع السلطان عليه بإمرة مكّة بمفرده، وآقترض من الأمير

(1) في بعض المصادر : « السعيدى » . (2) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (3) عيذاب كانت ثغرا من ثغور مصر القديمــة على البحر الأحمر . سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (4) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

طاز ألف دينار ، ومن الأمير شَيْخون عشرة آلاف درهم ، وآقترض من التجار
مالا كثيرا ، وآشترى الخيل والمماليك والسلاح وآستخدم عِدّة أجناد ، ورُسِم
بسفر الأمير حُسام الدين لاجين العلائى مملوك آقْبُغا الجاشْنَكِير صحبته ليُقلّده إمرة
مكّة . ثم سافر الأمير طَيْبُغا المجدى فى خامس شوّال بالحج والمحمل على العادة ،
وسار الجميع إلى مكّة ، ولم يَعْلَم أحد خبرَ المجاهد صاحب اليمن حتّى قَدِم مبشِّر الحاجّ ٥
فى مستهلّ المحرّم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وأخبر بوصول الملك المجاهد إلى ممالك
اليمن فى ثامن عشر ذى الحجة من السنة الماضية ، وأنه آستولى على ممالكه .

وفى شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة شرع الأمير طاز فى عمارة قصره[1]

---

(١) هذا القصر ذكره المقريزى فى خططه باسم دار طاز (ص ٧٣ ج ٢) فقال : إن هذه الدار
بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقانى على يمنة من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب ١٠
زويلة ، أنشأها الأمير سيف الدين طاز فى سنة ٧٥٣ هـ وكان موضعها عدة مساكن هدمها ؛ وتولى الأمير
منجك اليوسفى عمارتها ، حتى كملت فى سنة ٧٥٤ هـ فجاءت قصرا مشيدا وإصطبلا كبيرا . ثم قال :
وهى باقية إلى يومنا هذا ، يسكنها الأمراء .

وأقول : إن هذه الدار لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف باسم مدرسة السيوفية بشارع السيوفية بالقاهرة ،
وبها اليوم من مبانيها الأصلية بابها الكبير بشارع السيوفية وبابها الشرقى الصغير بدرب الشيخ خليل (حارة ١٥
الميضة) بدهليزه وحواصله السفلية ، وبها بالدور العلوى قاعة كبيرة مزخرفة تشرف بوجهتها البحرية على
حوش الدار وبجوارها قاعة صغيرة ، كذلك بالدور الثالث قاعة صغيرة من البناء الأصلى لهذه الدار .

وفى سنة ١٠٨٨ هـ أجرى الأمير على أغا دار السعادة عمارة كبرى فى هذه الدار ، وجدد مقعدها
الكبير المشرف على الحوش ، وكذلك وجهتها الغربية التى لا يزال باقيا منها الدكاكين المشرفة على شارع
السيوفية ؛ وأنشأ فى نهاية تلك الوجهة من الجهة القبلية سبيلا ومكتبا لتعليم الأيتام القرآن ولا يزالان ٢٠
قائمين إلى اليوم .

وفى زمن محمد على باشا الكبير جعلت هذه الدار مخزنا للمهمات الحربية .

وفى سنة ١٨٧٢ م صدرت إرادة سنية من الخديوى إسماعيل بفتح مدرسة للبنات فاستأجرت نظارة
المعارف هذه الدار من ناظر الوقف وجددت الدور العلوى الذى يعلو الدكاكين التى بشارع السيوفية ،
وجعلت الدار مكانا لهذه المدرسة التى عرفت باسم « مدرسة البنات بالسيوفية » وبدأت الدراسة = ٢٥

و إصطبله ، تجاه حمّام الفارقانىّ[1] بجوار المدرسة البُنْدُقْدارية[2] على الشارع . وأدخل فيه عدّة أملاك ، وتولّى عمارته الأمير مَنْجَك ، وحمل إليه الأمراء وغيرهم من

= بها من يناير سنة ١٨٧٣ وهى أول مدرسة فتحت فى مصر لتعليم البنات ، ولما نقلت المدرسة من هذه الدار إلى شارع المبتديان « سميت المدرسة السنية » ولا تزال قائمة إلى اليوم بهذا الاسم .

٥ وقد عملت بهذه الدار عدة عمارات و إصلاحات لصيانتها طول هذه المدة ، وفتح لها باب آخر على شارع السيوفية ، وأقيم فى حوشها مبان حديثة ذات طابقين لمآخذ العلم التى نزلت بها ، ومنها المدرسة المحمدية ومعاهد أخرى نزلت فيها بصفة مؤقتة ويشغلها اليوم مدرسة الحلمية الثانوية للبنين من سنة ١٩٣٤ م .

(١) هذه الحمام لم يتكلم عليها المقريزى ضمن حمامات القاهرة ، ولكنه لما تكلم على دار الأمير طاز السابق ذكرها قال : إنها تجاه حمام الفارقانى ، وكذلك لما تكلم فى خططه على المدرسة الفارقانية (ص ٣٩٨ ج ٢) قال : إن هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن ١٠ طولون ، وهى الآن بجوار حمام الفارقانى تجاه البندقدارية ، بناها والحمام المجاور الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى وهو غير (آق سنقر) الفارقانى المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة .

و بما أن المدرسة الفارقانية المجاورة لحمام الفارقانى لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف بجامع على الدين أو على نور الدين الفارقانى بشارع السيوفية ، عند تلاقيه بالنصف الغربى من شارع قره قول المنشية فقد بحثت ١٥ عن حمام الفارقانى بجوار هذا الجامع ، فتبين لى أن هذا الحمام قد هدم من زمن قديم . ومكانه اليوم المنزل رقم ٤٨ وقف على أفندى طلعت بشارع قره قول المنشية . وهذا المنزل يجاور الجامع المذكور من الجهتين الغربية والقبلية ، ويتبعه دكاكين تشرف على شارع السيوفية فيما بين الجامع وبين دار ورثة عبدالله باشا فكرى.

وكان الباب العمومى لهذا الحمام بشارع السيوفية تجاه دار الأمير طاز ، فلما هدم الحمام وأقيم على أرضه مساكن جعل بابه العمومى دكانا من ضمن الدكاكين المشرفة الآن على شارع السيوفية وجعل باب المستوقد ٢٠ بابا للنزل المذكور .

ولما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقيـــة (ص ٤٦ ج ٢) على دار الأمير طاز وعلى زاوية الفارقانى (ص ٥٨ ج ٢) قال : إن حمام الفارقانى هى التى تعرف اليوم باسم حمام الألفى بحارة الألفى ، فى حين أن حمام الفارقانى كانت بجوار المدرسة الفارقانية وكان بابها على الشارع تجاه دار الأمير طاز وقد اندثرت من قديم كما ذكرنا . وأما حمام الألفى فلا تزال قائمـــة فى الحارة المتفرعة من شـــارع الصليبة بعيدة ٢٥ عن الدار والمدرسة المذكورتين .

(٢) هـــذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه باسم الخانقاه البندقدارية (ص ٤٢٠ ج ٢) وقـــد ســـبق الكلام عليها عنـــد ذكر تربة علاء الدين أيدكين البندقدارى فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الرخام وآلات العمارة شيئا كثيرا ، وشرع الأمير صرغتمش أيضا فى عمارة إسطبل[1] الأمير بدرجك ، بجوار بئر[2] الوطاويط قريبا من الجامع

---

(١) هذا الاسطبل هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم دار صرغتمش (ص ٧٤ ج ٢) فقال : إن هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون من شارع الصليبة كان موضعها مساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا سنة ٧٥٣ هـ ثم قال وهذه الدار عامرة إلى يومنا هذا (أى زمن المقريزى) يسكنها الأمراء . وفى سنة ٨٢٧ هـ وقع الهدم فى القصر خاصة .

أقول : ومن هذا الوصف يتضح أن هذه الدار كانت بخط بئر الوطاويط ومشرفة على شارع الصليبة بالقرب من المدرسة الصرغتمشية ، وبما أن الشارع المذكور لا يزال محتفظا باسمه والمدرسة الصرغتمشية لا تزال قائمة وخط بئر الوطاويط لا يزال معروفا بهذا الاسم ، ويدل عليه شارع بئر الوطاويط ، فقد بحثت فى تلك المنطقة عن دار صرغتمش واصطبله فتبين لى أن هذه الدار قد اندثرت ، ومكانها اليوم دار راشد باشا حسنى المعروف بأبى شنب فضة رقم ٩ بشارع الصليبة بالقاهرة وقد آلت هذه الدار إلى ولده أحمد بك إحسان وهى بالقرب من جامع صرغتمش ويشغلها اليوم كلية الشريعة الاسلامية أحد أقسام الجامعة الأزهرية .

ويظهر أن هذه الدار كانت آلت فى عهد دولة المماليك إلى الملك الأشرف أبى النصر قنصوه الغورى بدليل وجود بقايا من عصره فى الزاوية البحرية الشرقية من سور هذه الدار فى مدخل حارة الأربعين من الجهة الغربية وعليها اسم الملك الغورى .

(٢) تكلم المقريزى فى خططه على بئر الوطاويط (ص ١٣٥ ج ٢) فقال : إن هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه ، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها بخط الحمراء ، وحبسها لجميع المسلمين ؛ فلما طال الأمر وخربت السقايات التى كانت بخط السبع سقايات بنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط ، ولما أكثر الناس من بناء الأماكن حول مكان هذه البئر عرفت الخطة إلى اليوم بخط بئر الوطاويط . ثم قال : وهو خط عامر .

أقول : وقد دل البحث على أن هذا الخط كان يشمل المنطقة التى يحدها اليوم من الغرب جامع أحمد بن طولون ومن الجنوب درب البزابيز ، ومن الشرق حارة الأربعين ومن الجنوب شارع الصليبة ؛ وكانت هذه المنطقة يخترقها شارع بئر الوطاويط من الشمال إلى الجنوب ، ولأن المبانى التى كانت واقعة بين هذا الشارع وبين جامع ابن طولون كانت مزاحمة له ومشوهة لوجهة الجامع طلبت إدارة حفظ الآثار العربية كشف هذه الوجهة وإزالة المبانى المذكورة . وفى سنة ١٩٢٥ أزالت مصلحة التنظيم تلك المبانى وأقامت فى مكانها متنزها عاما أصبح فاصلا بين الجامع وبين طريق شارع بئر الوطاويط ، وأطلق عليه ميدان أحمد بن طولون .

=

الطُّولونى[1] وحَمَــل إليه الناس أيضا شيئا كثيرا من آلات العمارة . ثم خلَع السلطان على الأمير صرغتمش المذكور ، وآستقرّ رأس نَوْبة كبيرا ، فى رتبة الأمير شَيْخون باختيار شيخون ، وجعل إليــه التصرُّف فى أمور الدولة كلِّهـا من الولاية والعَزْل والحُكم ، ما عدا مال الخاصّ ، فإن الأمير شيخون يتحـدّث فيه ، فقصَد الناسُ صرغتمش لقضاء أشغالهم ، وكثرت مهابتُه ، وعارض الأمراءَ فى جميع أفعالهم ، وأراد ألا يعمل شىءٌ إلّا من بابه وبإشارته ، فإن تحـدّث غيرُه غَضِب وأبطَـل ما تحدّث فيه وأخرق بصاحبه ، فأجمع الأمراء باستبداد السلطان بالتصرُّف ، وأن يكون ما يُرْسَم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نَوْبة ، فطال صرغتمش وآستطال وعَظُم ترفُّعـه على الناس ، فتنكّرت له الأمراء وكَثُرت الأراجيف بوقوع فتنة ، وإعادة الملك الناصر حسن ومَسْك شيخون ، وصاروا الأمراء على تحرّز وآستعداد ، فأخذ صرغتمش فى التبرؤ مما رُمِى به ، وحلف للأمير شيخون وللأمير طاز ، فلم يُصدّقه طاز وهمّ به ، فقام شَيْخون بينهما قياما كبيرا ، حتى أصلح بينهما ، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صَرْغتمش فركِب إليه وتصافيا .

= وبما أن المؤلف قال : إن إسطبل الأمير بدرجك الذى عمره الأمير صرغتمش دارا له يقع بجوار بئر الوطاويط قريبا من الجامع الطولونى ، وبما أن تلك الدار مكانها اليوم منزل راشد باشا حسنى رقم ٩ بشارع الصليبة السابق التعليق عليها فى الحاشية السابقة قد بحثت عن مكان بئر الوطاويط بجوار تلك الدار ، وإنى أرجح أنها كانت فى المنزل رقم ٢٩ ميدان أحمد بن طولون ، وهو وقف الشيخ عبد الرازق القاضى وهـذا المنزل يجاوره من الجهة الشرقية منزل راشـد باشا حسنى الذى حل محل إصطبل الأمير بدرجك المجاور لبئر الوطاويط كما ذكر المؤلف . وعلمنا من كبار السن المقيمين بمنزل وقف الشيخ عبد الرازق القاضى وهو من الأماكن الأثرية بأنه كان يوجد بهذا المنزل بئر قديمة وردمت .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وفى هذه الأيام من سنة ثلاث وخمسين رتّب الأمير شَيْخون في الجامع الذى[1] أنشاه العلامة أكمل الدين محمد الرومىّ الحنفىّ مُدَرِّسا ، وجعل خَطِيبَه جمال الدين خليل بن عثمان الرومىّ الحنفىّ ، وجَعَل به درسا للمالكيّة أيضا وولّى تدريسه نورَ الدين السّخاوىّ المالكىّ ، وقرّر له ثلثمائة درهم كلّ شهر ورتّب به قُرّاء ومؤذّنين وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وقرّر لهم معاليمَ بلغَت فى الشهر ثلاثة آلاف درهم .

قلت : ذلك قبل أن تُبْنى الخانقاه تُجاه الجامع المذكور .

وفى عاشر جُمادَى الآخرة خلَع السلطان على الأمير شَيْخون العُمَرىّ واستقرّ رأسَ نَوْبة كبيرا عوضا عن صرغتمش لأمرٍ اقتضى ذلك ، وعند لبس شيخون الخلعة قَدِم عليه الخبر بولادة بعض سراريه ولدًا ذكَرًا ، فَسُرّ به سرورا زائدا ، فإنه لم يكن له ولد ذكر .

وفى هذه الأيام ٱدّعى رجل النبوّة ، وأنّ معجزته أن يَنْكِح امرأة فتَلِد من وقتها ولدا ذكرا يُخبر بصحّة نبوّته ، فقال بعضُ مَن حضر : إنك لبئس النبىّ ، فقال :

---

(١) هذا الجامع تكلم عليه المقريزى فى خططه باسم جامع شيخون (ص ٣١٣ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل ، أنشاه الأمير الكبير سيف الدين شيخون الناصرى رأس نوبة الأمراء فى سنة ٧٥٦ هـ وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا ، ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدّتهم ، ثم قال : وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر .

وأقول : إنّ ما ذكره المقريزى من أنّ هذا الجامع أنشئ فى سنة ٧٥٦ هـ لا يتفق والواقع ، فانّ هذا التاريخ هو تاريخ بناء خانقاه شيخون الواقعة تجاه هذا الجامع ، وقول المقريزى : من أجل جوامع ديار مصر ينطبق كذلك على الخانقاه وليس على الجامع المذكور .

وأما هذا الجامع فانه أنشئ فى سنة ٧٥٠ هـ يؤيد ذلك أنه يوجد فى نهاية طراز الوجهة العمومية للسجد كتابة مذكور فيها : « وكان الفراغ من ذلك الجامع فى شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة » وفى سنة ٧٥٣ هـ رتب فيه شيخون المدرّسين كما ذكر المؤلف .

وهذا الجامع لا يزال باقيا إلى اليوم تقام فيه الشعائر الدينية و يعرف بجامع شيخون البحرى لوقوعه تجاه الخانقاه التى تعرف اليوم بجامع شيخون القبلى و يفصل بينهما شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة .

لكونكم بئس الأمة، فضَحِك الناس من قوله ، فحُبِس وكُشِف عن أمره ، فوجدوا له نحو آثنى عشر يوما من حين خرج من عند المجانين .

وفى يوم الأربعـاء عاشر شهر رجب قَدِم كتاب الأمير أَرْغُون الكاملىّ نائب الشام يتضمن أنه قُبِض على قاصد الأمير مَنْجَك الوزير بكتابه إلى أخيه بَيْبُغَا أُرُس نائب حلب يحسّن ، له الحركة والعصيان ، وأرسل الكتاب وإذا فيه أنه آتفق مع سائر الأمراء ، وما بَقِىَ إلا أن يركب ويتحرّك ، فآقتضى الرأى التأنّى حتى يحضُر الأمراء والنائب إلى الخدمة من الغد ويُقرأ الكتاب عليهم ليدبّروا الأمر على ما يقع عليه الآتفاق ، فلمّا طلَع الجماعة من الغد ، إلى الخدمة لم يحضُر منجك ، فطُلِب فلم يوجد ، وذكر حواشيه أنهم من عشاء الآخرة لم يَعْرِفوا خَبَره (١) ، فركب الأمير صَرْغَتمش فى عدّة من الأمراء وكَبَس بيوت جماعته فلم يَقع له على خبر ، وتفقدوا مماليكه فَفُقِد منهم آثنان ، فنُودِى عليه من القاهرة ، وهُدِّد من أخفاه وأُخْرِج عيسى ابن حسن الهجّان فى جمـاعة من عرب العائذ على النُّجُب لأخذ الطرقات عليه ، وكُتِب إلى العربان ونوّاب الشام وولاة الأعمـال على أجْنِحة الطيور بتحصيله فلم يقدروا عليه ، وكُبِست بيوت كثيرة .

ثم فى يوم الأربعـاء رابع عشرين شهر رجب قَدِم الخبر بعصيان الأمير أحمد الساقى نائب حَماة وبعصيان الأمير بَكْلَمش نائب طرابُلُس .

وفى يوم السبت سابع عشرينه ، كُتِب بإحضار الأمير بَيْبُغَا أُرُس نائب حلب الى الديار المصرية ، وكُتب ملطّفات لأمراء حلب تتضمّن أنّه : إن آمتنع من الحضـور فهو معزول ، ورُسِم لحامل الكتاب أن يُعـلِم بيبغا أُرس بذلك مشافهةً بحضرة أمراء حلب .

(١) فى ف : « لم يعرف له خبر » .

فقدم البريد من الشام بموافقة ابن دُلْغادر الى بيبغا أرس وأنّه تسلطن بحلب، وتلقّب بالملك العادل وأنه يُريد مصر لأخذ غُرمائه، وهم طاز وشَيْخون وصَرْغتمش ومُنْلار وأرْغون الكاملىّ نائب الشام، فلمّا بلغ ذلك السلطانَ والأمراءَ رَسَم للنائب بعَرْض أجناد الحَلْقة، وتعيين مضافيهم من عَبْرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها ليُسافروا .

ثم قَدِم البريد بأنّ قَرَاجا بن دُلْغادر، قَدِم حلب في جَمْع كبير من التُّرْكُمان، فركب بيبغا أُرُس وتلقّاه، وقد واعد نائب حَمَاة وطرابُلُس على مسيره أوّل شعبان الى نحو الديار المصرية ، وأنهم يلقوه على الرَّسْتَن[1]، فأمر السلطان الأمير طُقْطَاى الدَّوادار بالخروج الى الشام على البريد وعلى يده ملطّفات لجميع أمراء حلب وحماة وطرابلس، فسار طقطاى حتّى وصل دمشق وبعث بالملطّفات الى أصحابها ، فوجد أمر بيبغا أرس قد قَوِى، ووافقه النوّابُ والعساكر وابن دُلغادر بتُرْكُمانه، وحيَّار[2] بن مُهَنّا بعُرْبانه ، فكَتَب نائب الشام بأن سفر السلطان لا بد منه، وإلا خَرَج عنكم الشام جميعُه ، فاتّفق رأىُ أمراء مصر على ذلك، وطلَب الوزيرَ وتَّهم له بتهيئة بيوت السلطان، وتجهيز الإقامات في المنازل، فذَكَر أنّه ماعنده مال لذلك، فرسم له بقَرْض مايحتاج إليه من التجّار ، فطلَب تجّار الكَارِم وباعهم غلالا من الأمراء بالسعر الحاضر ، وعدّة أصناف أُخَر، وكَتَب لمُغْلَطَاى بالإسكندريّة، وأَخَذ منه أربعمائة

(١) ذكرها أبو الفداء اسماعيل في كتابه تقويم البلدان فقال : « ومن الأماكن القديمة المشهورة مدينة الرستن، وكانت عامرة في قديم الزمان، وهي اليوم (عصر أبي الفداء) خراب وبها بيوت كالقرية وآثار العمارة والجدران وبعض العقود بها ظاهر، وكذا بعض أبواب المدينة وأسوارها وقنيها . وهي في جنوب نهر العاصى على جبل أكثره تراب، سطحها في المتوسط الآخذ الى حمص وهي بين حمص وحماة . ويقال : إنها خراب من زمن فتوح الشام» . (٢) هو حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل . مات بنواحى سلمية في سنة ٧٧٦ هـ (عن المنهل الصافي جـ ٢ ص ٥١ د ب) .

ألف درهم، وأخذ من النائب مائة ألف درهم قرضًا، ومن الأمير بلبان الأستادار مائة ألف درهم ، فلم يمض أسبوعٌ حتى جهّز الوزيرُ جميعَ مايحتاج إليه السلطان .

وخرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بُزلار والأمير كلتا والأمير فارس الدين ألبكى . ثم خرج الأمير طيبغا المجدى وابن أرغون النائب وكلاهما مقدّم ألف فى يوم السبت خامس شعبان وخرج الأمير شيخون العُمَرى فى يوم الأحد سادسه بتجمّل عظيم ، فبينما الناس فى التفرج على طُلبه إذ قيل قُبِض على منجك اليوسفى، وهو أن الأمير طاز[1] لمّا رحل ووصل الى بلبيس قيل له : إنّ بعض أصحاب منجك صحبة شاورشى مملوك قُوصون، فطلبهما الأمير طاز وفحص عن أمرهما فرابه أمرُهما ، فأمر بالرجل ففُتّش فإذا معه كتاب منجك لأخيه بيبغا أُرُس ، يتضمّن أنه قد فعل كلّ مايختاره ، وجهّز أمره مع الأمراء كلّهم ، وأنه أخفى نفسه وأقام عند شاورشى أيّاما ثم خرج من عنده الى بيت الحُسام الصّقرى أستاداره وهو مقيم حتّى يعرف خبره ، وهو يستحثه على الخروج من حلب ، فبعث به طاز الى الأمير شيخون، فوافى الاطلاب خارجة، فطلب شيخون الحُسام الصّقرى وساله فأنكر، فأخذه الأمير صرغتمش وعاقبه . ثمّ ركب الى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه فاذا منجك ومملوكه ، فأخذه صرغتمش وأركبه مكتوف اليدين الى القلعة ، فسُيِّر من وقته الى الاسكندرية فحُبِس بها .

ثمّ ركب السلطان الملك الصالح من قلعة الجبل فى يوم الاثنين سابع شعبان فى بقية الأمراء والخاصكية ونزل الى الرّيدانية[2] خارج القاهرة وخلع على الأمير قُبْلاى نائب الغيبة باستقراره نائب الغَيْبة ورتّب أمير على المارديني أن يُقيم

(١) رواية السلوك : « وسبب ذلك أن الأمير طاز ... الخ » .
(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

بالقلعة ومعــه الأمير كُشلى السّلاح دار ليُقيما داخل باب القُلّة، ويكون على باب القلعة الأمير أُرْنان والأمير قُطْلُوبُغا الذهبى ورتّب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى مع والى مصر لحفظ مصر. ثم استقلّ السلطان بالمسير من الريدانية فى يوم الثلاثاء بعـــد الظهر.

فقَدِم البريد بأنّ الأمير مُغْلَطاى الدوادار خرج من دِمَشق يريد مصر وأنّ الأمير أَرْغُون الكاملى نائب الشام لمّا بلغه خروج بيبغا أُرُس بمن اجتمع معه من العساكر، عزم على لقائه فبلغه مخامرة أكثر أمراء دمشق فاحترس على نفسه وصار يجلس بالميدان وهو لابسٌ آلةَ الحـرب . ثم اقتضى رأىُ الأمير مسعود بن خَطِير أنّ النائب لا يَلْقَ القوم، وأنه يُنادى بالعَرْض للنفقة بالكسوة فاذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكُسْوة(١)، منعهــم من عبورهم الى دمشق وسار بهـم الى الرّمْـلة فى انتظار قدوم السلطان، وأنه استصوب ذلك وفعله، وأنه مقيم بعسكر دِمَشْق على الرملة، وأن الأمير أَلْطُنْبُغا بُرْنَاق نائب صــفد سار الى بيبغا أُرُس وأن بيبغا أرس سار من حلب الى حمـاة واجتمع مع نائبها أحمد الساقى وبَكْلَمش نائب طرابُلُس، وسار بهم الى حِمْص، وعند نزوله على حمص وصل إليه مملوكا(٢) الأمير أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر فقَبَض عليهما وقيّدهما وسار يريد دمشق فبلغه مسيرُ السلطان واشتهر ذلك فى عسكره وأنه عُزِل عن نيــابة حلب فانحلت عزائم كثير ممن معــه من المقاتلة، وأخذ بيبغا أرس فى الاحتفاظ بهم والتحرز منهم الى أن قَدِم دمشق يوم الخميس(٣) خامس عشرين شهر رجب، فاذا أبواب المدينة مغلّقة والقلعة محصّنة، فبعث الى

(١) راجع الحاشية رقم ١٣ ص ١٥٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين : « مملوك الأمير أرقطاى » . والتصويب عن السلوك .

(٣) فى الأصلين : « يوم السبت » وتصويبه من السلوك والتوفيقات الإلهامية .

الأمير إياجى نائب قلعتها يأمره بالإفـراج عن قـردم وأن يفتح أبواب المدينـة ، ففتح أبواب المدينة ولم يُفْرِج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابُلُس من الغد ليُغيرا على الضِّياع فوافى بعضُ عسكر بيبغا أُرُس تجَّابا يُخبر بمسك منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة ، وعاد أحمد و بكلمش فى يوم الاثنين رابع
٥ عشر شعبان وقد نزل طاز بمن معه المزيرب فارتجّ عسكرُ بيبغا أُرُس وتواعد قَرَاجا بن دلغـادر وحَيّار بن مهنا على الرحيل ، فمـا غَرَبَت الشمس إلا وقـد خرجا بأثقالها وأصحابهما وسارا ، فخرج بيبغا أُرُس فى أثرهما فلم يدركهما ، وعاد بُكرة يوم الثلاثاء فلم يستقرّ قراره ، حتى دُقّت البشائر بقلعـة دِمَشق ، بأن الأمير طـاز والأمير أرغون الكاملى نائب الشام وافَيـا دِمَشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقة ، فبُهِت
١٠ بيبغا أُرُس وتفرّق عنه مَنْ كان معه ، فركب عائدا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان ، فكانت إقامته بدمَشق أربعـةً وعشرين يوما ، أفسَدَ أصحابهُ بدِمَشق فيهـا مفاسدَ وقبائحَ من النهب والسَّبْى والحريق والغـارات على الضِّـياع من حلب إلى دمشق وفعلوا كما فعـل التتار أصحابُ قازان وغيره ، فبعث السلطان الأمير أَسَنْدَمُر العلائى إلى القاهرة بالبشارة فقدِمَها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان ، ودقّت البشائر لذلك
١٥ وزُيِّنت القاهرة .

وأمّا السلطان الملـك الصالح فإنه ٱلتقى مع الأمـير أَرْغُون شاه الكاملى نائب الشام على بُدّعَرْش من عمل غزّة ، وقد تأخّر معه الأمير طاز بمن معه فدخلوا غزّة ، وخلَعَ السلطان على أرْغُون المذكور باستمراره فى نيابة دِمشق ، وأنْعَم عليه بأربعمائة ألف درهم وأنعم على أمير مسعود بن خَطِير بألف دينار ، وعلى كل أمراء دمشق كل واحد
٢٠ قَدر رُتبته ، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم ، وتقـدّم الأمير شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دمشق وتأخر الأمير صَرْغَتمش

صحبةَ السلطان ليدبّر العسكر، ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها فى يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان، وخرج الناس إلى لقائه وزُيِّنت مدينة دمشق، فكان لدخوله يومٌ مشهود، ونزل السلطان بقلعة دمشق، ثم ركب منها فى الغد يوم الجمعة ثانيـة إلى الجامع الأموى فى مَوْكب جليل حتى صلى به الجمعـة وكان الأمراء قد مَضوا فى طلب بيبغا أُرُس . ٥

وأما بيبغا أُرُس فانه قَدِم إلى حلب فى تاسع عشرين شعبان، وقد حُفِـرت خنادق تُجـاه أبواب حلب وغُلِّقت وامتنعت القلعة عليه ورمَتْه بالحجارة والمجانيق، وتبعهم الرجال من فوق الأسوار بالرّمى عليه، وصاحوا عليه فبات تلك الليلة بمن معه وركب فى يوم الخميس مستهلّ شهر رمضان للزحف على مدينـة حلب، وإذا بصياح عظيم والبشائر تدُقّ فى القلعة وهم يَصيحون : يا منافقون، العسكر وصل، ١٠ فالتفتَ بمَن معـه فاذا صناجقُ على جبل جَوْشَن[1] فانهزموا عنـد ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية، ولم يكن ما رَأَوْه على جبل جَوْشَن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وعسكر طرابُلُس كانوا مختفين من عسكر بيبغا أُرُس عند خروجه من دمشق فساروا فى أعقابه يريدون الكَبْسَة على بيبغا أُرُس وتَعبُّوا على جبـل جوشن فعنـد ما رآهم بيبغا لم يَشُكّ أنهم عسكر السلطان فانهزم . وكان أهل باتقُوسا[2] قد وافقوهم ١٥

---

(١) هو جبل مطلّ على حلب فى غربيها . فى سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . وقد أكثر شعراء حلب من ذكره كثيرا، فقال منصور بن المسلم بن أبى الخُرْجين النحوى الحلبى من قصيدة :

عسى مورد من سفح جوشن ناقع * فانى إلى تلك المـوارد ظمآن
وما كل ظن ظنـه المـرء كائن * يحـوم عليـه للحقيقـة برهان

انظر معجم البلدان لياقوت (جـ ٢ ص ١٥٥) وشرح القاموس مادة « جوشن » . ٢٠

(٢) قرية من قرى حلب، سميت باسم جبل باتقوسا، وهو فى ظاهر حلب من جهـة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا) .

وتقدّموا عنهم فمسكوا المضايق على بيبغا وأدركهم العسكر المذكور من خلفهم فتمزق عسكرُ بيبغا أُرُس وقد آنعقد عليهم الغُبار، حتى لم يُمكن أحدٌ أن ينظر رفيقَه فأخذهم العربُ وأهلُ حلب قَبْضًا باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب وغيره ونجا بيبغا أُرُس بنفسه بعد أن آمتلأت الأيدى بنهب ما كان معـه وهو شىء يجلّ عن الوصف، وتتبّع أهلُ حلب أمراءَه ومماليكَه وأخرجوهم من عِدّة مواضع فظَفِروا بكثير منهم، فيهم أخوهُ الأميرُ فاضل والأميرُ أَلْطُنْبُغا العـلائى شاد الشراب خاناه وأَلْطُنْبُغا بُرْنَاق نائب صفد ومَلِكْتَمُر السعيدى وشادى أخو نائب حماة وطَيْبُغا حلاوة الأوجاقى وآبن أيدُغْدِى الزراق ومَهْدِى شاد الدواوين بحلب وأسنباى قريب آبن دُلْغَادِر وبهادُرُ الجاموس وقليج أرسلان أُستادار بيبغا أُرُس ومائة مملوك من مماليك الأمراء، فقُيِّدوا الجميع وسُجِنوا، وتوجّه مع الأمير بيبغا أُرُس أحمد الساقى نائب حَمَاة وبَكْلمش نائب طرابُلُس وطَشْتَمُر القاسمى نائب الرَّحْبـة وآقبغا البالسى وطَيْدَمُر وجماعة أُخر، تبلغ عِدّتُهم نحوَ مائة وستة عشر نفرا .

ثم دخل الأمراء حلب وأخذوا أموال بيبغا أُرُس، وكتبوا إلى قَرَاجا بن دُلْغَادر بالعفو عنه والقبض على بيبغا أُرُس ومَنْ معه ، فأجاب بأنّه ينتظر فى القَبْض عليـه مرسومَ السلطان، وقد نَزَل بيبغا أُرُس عنده، وسأل إرسال أمان لبيبغا أُرُس وأنّه مستمرّ على إمرته ، فجُهِّز له ذلك فآمتنع من تسليمه ، فطَلَب الأمراءُ رمضانَ من أمراء التُّرْكُمان، وخُلع عليه بإمرة قَرَاجا بن دُلْغَادر وإقطاعه، وعاد الأمراءُ من حلب وآستقرّ بها الأمير أَرْغُون الكاملى نائبُ الشام، وعاد الجميع إلى دِمَشْق ومعهم الأمراءُ المقبوضُ عليهم فى يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، وصلّوا العيد بدمشق مع السلطان الملك الصالح صالح، وأقاموا إلى يوم الآثنين ثالث شوّال، جلس السلطان بطارِمَة قلعة دِمَشْق وأخرجوا الأمراءَ فى الحديد ونُودى عليهم : هذا جزاء من يخامر على

السلطان ويخونُ الأيمان . ووسّطوهم واحدًا بعـد واحد ، وقد تقدّم ذكرُ أسمائهم
عند القبض عليهم فوُسِّط الجميعُ ، ما خلا مَلِكْتَمُر السَّعيدى[1] فإنه أُعيد إلى السجن ،
وخَلَع السلطان على أَيْتَمُش الناصرىّ وآستقرّ فى نيابة طرابُلُس[2] عوضًا عن بَكْلَمُش
السِّلاح دار ، وخَلَع على طَنْبَرَق بنيابة حَمَاة عوضا عن أحمـد الساقى ، وعلى الأمير
شهاب الدين أحمد بن صُبَيح[3] بنيابة صَفَد عوضا عن أَلْطُنْبُغَا بُرْناق .

ثم صلّى السلطان صـلاة الجمعة بالجامع الأموىّ وهو سابع شـوّال وخرج من
دِمَشْـق يريد الديار المصريّة بأمرائه وعساكره ، فكانت مدّةُ إقامته بدمشـق
سبعةً وثلاثين يوما وسار حتّى وصل القاهرة فى يوم الثلاثاء خامس عشرين شوّال
من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، ومشى بفرسه على الشُّقَق الحرير التى فُرِشت له بعد
أن خرج الناس إلى لقائه والتفرّج عليه ، فكان لدخوله القاهرة أمرٌ عظيم لم يتّفق
ذلك لأحد من إخـوته ، وعند ما طَلَع إلى القلعة تلقّته أمّه وجواريه ونَثَروا على
رأسه الذهبَ والفضّة ، بعد أن فُرِشت له طريقُه أيضا بالشِّقاق الأطلس الملوّنة ،
والتهانى تزُفّه ، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى .

وفى قدوم السلطان الملك الصالح يقول العلّامة شهاب الدين أحمـد بن
أبى حجلة التِّلِمْسانى الحنفىّ تغمده الله برحمته : [الكامل]

الصالحُ الملكُ المعظَّمُ قـدْرُهُ * تُطْـوَى له أرض البعيـد النازح
لا تعجبوا من طَيِّهـا فى سَـيْرِهِ * فالأرضُ تُطْوَى دائمًـا للصالح

ثم عَمِل السلطان عِدّة مهمّات بالقلعة والقصر السلطانىّ ، وخَلَع على جميع الأمراء
وأرباب الوظائف .

(١) فى الدرر الكامنة : « السعدى » . (٢) فى السلوك : « واستقر فى نيابة حلب » .
(٣) فى السلوك : « أحمد بن صبح » .

ثمّ قُبِضَ على الوزير علَم الدين عبـد الله بن أحمد بن زُنْبور وهـو بخلعته قريب المغرب ، وسبب ذلك أنّه لمّـا فُرِّقت التشاريفُ على الأمراء ، غَلِط الذى أخذ تشريف الأمير صَرْغتمش ، ودخل إليه بتشريف الأمير بَلَبَان السِّنانى الأستادار ، فلمّا رآه صرغتمش تحرّك ما عنـده من الأحقاد على ٱبن زُنْبـور المذكور ، وتنمّر[1] غَضبًا ، وقام من فوره ودخل إلى الأمير شَيْخون وألقَى البُقْجَة قدّامَه وقال : انظُر فعلَ الوزير معى ، وحَلّ الشاش وكشف التشريف . فقال شيخون : هذا وقع فيه الغلط فقام صَرْغَتْمش وقد أخذه من الغضب شِبْهُ الجنون وقال : أنا ما أرضى بالهوَان ، ولابُدّ من القبض عليه ، ومهما شئتُ فَأَفْعَل ، وخرج فصادف ٱبنَ زُنْبور داخلا إلى شَيْخون وعليه الخِلْعة ، فصاح فى مماليكه خُذوه ، ففى الحال نزعوا عنه الخِلْعة ، وجَرّوه إلى بيت صرغتمش ، فسجَنَه فى موضع مُظْلم من داره ، وعَزَل عنه ٱبْنَه رزق الله فى موضع آخر . وكان قبل دخوله إلى شيخون رتّب عِدّة ممـاليك على باب خِزانة الخـاص ، وباب النحاس وباب القلعة[2] وباب القرافة[3] وغيره من المواضع وأوصاهم بالقبض على حاشية ٱبن زنبور وجميع الكُتّاب ، بحيث لا يدعو أحدا منهم يخرج من القلعة ، فعنـد ما قَبَض على ٱبن زُنْبور ٱرتجّت القلعة وخرجت الكتّاب ، فقبَضت ممـاليكُ صرغتمش عليهم كلّهم ، حتى على شهود الخِزانة وكُتّابها ، وكُتّاب الأمراء الذين بالقلعة ، وٱختلطت الطّاعة بمماليك صرغتمش وصاروا يَقْبِضون على الكاتب ، ويمضون به إلى مكان ليعرّوه ثيابه ، فإن ٱحترموه أخذوا مِهْمازه من رجله ، وخاتمه

---

(١) فى السلوك : « وتميز غضبا » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) المقصود بهـذا الباب باب القرافة الذى كان بالقلعـة ، بدليل ذكره هنا مع أبوابها ، وقول المؤلف : « وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زنبور وجميع الكتّاب ، بحيث لا يدعون أحدا منهم يخرج من القلعة » . وقد سبق التعليق على هذا الباب فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

من إصبعه، أو يَفْتدِى نفسه منهم بمالٍ يدفعه لهم، حتى يُطلقوه، وفيهم من آختفى
عند الغِلْمان ، فقرّروا عليه مالا ، وآسترهنوا دواتَه ، بحيث إنّ بعض غِلْمان أمير
حُسَيْن أخى السلطان ، جمع ستَّ عشرةَ دواة من ستة عشر كاتبا ، وأصبح يُجبيهم
ويدفعُ لهم أدويَتهم . وذهب من الفَرَجيات والعمائم والمناديل شىءٌ كثير . وساعة
القبض على ابن زُنْبور، بعث الأمير صرغتمش الأمير جُرْجى والأمير قَشْتَمُر فى عِدّة ٥
من المماليك إلى دُور آبن زنبور بالصناعة(١) بمدينة مصر . وأوقعوا الحَوْطة على
حريمه ، وختموا بيوته وبيوت أصهاره وكانت حُرُمهم فى الفَرَح وعليهنّ الحُلِىّ
والحُلَل، وعندهنّ معارِفُهنّ ، فَسَلب المماليكُ كثيرا من النساء اللّاتى كنّ فى الفَرَح،
حتّى مكّنوهنّ من الخروج إلى دورهنّ، نخَرج عامّة نساء آبن زنبور وبناته ولم تبق
إلّا زوجتُه فوكّل بها ؛ وكُتِبَ إلى وُلاة الأعمال بالوجه القبلىّ والوجه البحرىّ ١٠
بالحَوْطة على ماله وزراعته ، ومَالَه من القُنود والدّواليب وغيرها ، وخَرج لذلك
عِدّةٌ من مُقَدَّمى الحَلْقة ، وتوجّه الحُسام العلائىّ إلى بلاد الشام ليوقّع الحَوْطة
على أمواله ، وأصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشرين شوّال ، فأخرج
آبن الوزير آبن زنبور رزق الله بُكْرة، وهدّده ونزل به من داره من القلعة إلى بيته،
وأخَذَ زوجة آبن زُنْبور أيضا وهدّدها، وألْقَى آبنها رزق الله إلى الأرض ليضربه فلم ١٥
تَصْبِر، ودلّته على موضع المال فأخذمنه خمسةعشر ألف دينار وخمسين ألف درهم .
وأخرج من بئر صندوقا فيه ستّة آلاف دينار ومصاغ . ووَجَد له عند الصارم مشدّ
العمائر ستّة آلاف دينار ومائة وخمسين ألف درهم ، سوى التُّحَف والتفاصيل

(١) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة ، وكانت على
النيل ، وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر ينتهى إلى الطريق التى يمر فيها اليوم شارع الديورة شرق ٢٠
ميدان فم الخليج ، حيث كان النيل يجرى قديما . ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت فى المنطقة
التى يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ، ولا أثر اليوم لشىء من تلك الدور التى آندثرت .

وثياب الصوف وغير ذلك . وألزَمَ محمد [ابن](١) الكُوراني والى مصر بتحصيل بنات آبن زُنْبُور، فنُودِى عليهن ، ونَقْل ما فى دُور صِهْرى آبن زنبور، وسُلِّما لشادّ الدواوين ، وعاد صَرْغَتْمش إلى القلعة ، فطلب السلطانُ جميعَ الكُتّاب وعَرَضهم ، فعيّن موفَّق الدين هبــة الله [بن إبراهـيم](٢) للوزارة و بدر الدين [كاتب يَلْبُغا لنظر الخــاصّ](٣) و [تاج الدين أحمــد بن الصاحب](٤) أمين الملك عبد الله بن الغَنّام لنظر الجيش ، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت [وآبن السعيد لنظر الدولة](٥) وقَشْتَمُر مملوك طُقُزْدَمُر لشدّ الدواوين .

وفى يوم الأحد تاسع عشرين شــوّال خَلَع على الجميع ، وأقبل الناس إلى باب صَرْغَتْمش للسعى فى الوظائف فولّى الأسعد حربة آستيفاء الدولة ، وولّى كريم الدين أكرم آبن شيخ ديوان الجيش . وسلم المقبوض عليهم لشادّ الدواوين وهم : الفخر [آبن](٦) قَرَوِينَة ناظر البيوت ، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة والفخر مستوفى الصُّحبة ، والفخر بن الرضى كاتب الإسطبل ، وآبن معتوق كاتب الجهات ، وطلب التاج بن لفيتة ناظر المَتْجر وناظر المطبخ وهو خال آبن زُنْبور فـلم يوجد ، وكُبِست بسببه عِدّةُ بيوت ، حتى أُخِذَ وصار الأمير صَرْغَتْمش يَنزِل ومعه ناظر الخــاصّ وشهود الخزانة ويَنْقُل حواصل آبن زُنْبور من مصر(٧) إلى حارة زَوِيلة فأعياهم كثرةُ ماوجدوه له ، وتُتُبِّعت حواشى ابن زنبور ، وهُجِمت دور كثيرة بسببهم .

(١) التكملة عن السلوك . (٢) التكملة عن السلوك . (٣) التكملة عن السلوك .
(٤) التكملة عن السلوك . (٥) التكملة عن السلوك . (٦) الزيادة عن السلوك .
(٧) مصر المذكورة هنا المقصود بها مدينة مصر القديمة ، وحارة زويلة هى إحدى حارات القاهرة ، قد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ثم فى مستهلّ ذى القعدة نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة[1]، وهدم منه ركنا فوجد فيه خمسة وستّين ألف دينار، حملها إلى القلعة، وطلب ابن زنبور وضربه عُريانا فلم يعترف بشىء، فنزل إلى بيته وضرب ابنه الصغير وأمّه تراه فى عدّة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا فامر بها فعُصرت ، وأخذ ناظر الخاصّ فى كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشّيرج والنّحاس والرّصاص والكبريت والعكر[2] والبقّم[3] والقند[4] والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع فى بيع ذلك كلّه. هذا والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقُل قماش ابن زُنبور وأثاثه إلى حارة زَويلة ليكون ذخيرة للسلطان، فبلغت عدة الحمّالين الذين حملوا النّصافى والأوانى الذهب والفضّة والبلّور والصّينى والكتُب والملابس الرجالية والنسائية والزراكش واللآلئ والبُسُط الحرير والمقاعد ثمانمائة حمّال، سوى ما حُمِل على البغال. وكان ما وُجِد له من أوانى الذهب والفضّة ستّين قنطارا، ومن الجواهر ستين رطلا، ومن اللؤلؤ الكبار إردبين، ومن الذهب الهرجة[5] مائتى ألف دينار وأربعة آلاف دينار وقيل ألف ألف

(١) الصناعة بمدينة مصر سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. وكانت على النيل وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر ينتهى إلى الطريق التى يمرّ فيها اليوم شارع الديورة شرق ميدان فم الخليج حيث كان النيل يجرى قديما . ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت فى المنطقة التى يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ولا أثر اليوم لشىء من تلك الدور التى اندثرت .

(٢) العكر : دردىّ كل شىء ، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره . وقد عكرت المسرجة إذا اجتمع فيها الدردىّ من الزيت ، ولعل المقصود هنا أصناف زيت الإضاءة المستعملة وقتئذ .

(٣) البقم : شجر يصبغ به وهو العندم . (٤) القند : عصارة قصب السكر إذا جمد ومنه يتخذ الفانيذ ولعله السكر المجروش .

(٥) الدينار الهرجة أو المهرجة هو الدينار الذهب الكامل الوزن الخالص العيار وهو عبارة عن ٩٠ ٪ من المثقال عادة، كما يفهم من خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٩٢)، ومن خطط على باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٣٣) وقد استعمل المقريزى الهرجة فى كتاب السلوك (ج ٢ قسم ٢ ص ٣٩٣) طبعة الأستاذ زيادة كما استعملها ابن تغرى بردى فى عدّة مواضع من كتابه النجوم الزاهرة ليدل على تمييزه عن الدينار الناقص الوزن الذى ضرب فى عهد الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٨ هـ، وعلى تمييزه أيضا عن العملة الأجنبية المسماة بالأفلورى أو المشخص ، وهذه كلها عملة شاعت على عهد المؤلف . وانظر خطط على باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٥١ و ١٤١ و ١٤٢) .

دينار، ومن الحوائص الذهب ستة آلاف حياصة، ومن الكَلَفْتاة الزركش ستة آلاف كَلْفَتاه، ومن ملابسه عدّة ألفين وستمائة فرجيّة، ومن البُسُط ستة آلاف بساط، ومن الشاشات ثلثمائة شاشٍ، ووُجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمس وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كلّ إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم فى السنة. ووجد له مائةُ عبد وستون طواشيّا وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب فى النيل، وأملاك قُوِّمت بثلثمائة ألف دينار، ورُخام بمائتى ألف درهم، ونُحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدّة خمسمائة، ووُجد له آثنان وثلاثون مخزنا، فيها من أصناف المَتْجَر ما قيمتُه أربعمائة ألف دينار، ووُجد له سبعة آلاف نِطْع (١) وخمسمائة حمار ومائتا بستان وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نُهب وما آختُلس، على أنّ موجوده أبيع بنصف قيمته. ووُجد فى حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستون ألف درهم، وبالأهراء نحو عشرين ألف إردب: وهذا الذى ذكرناه محرّر عن الثقات. وأما غيرُنا فذكر له أشياء كثيرة جدّا، أضربنا عن ذكرها خوف المجازفة.

وكان آبتداءُ آبن زُنْبُور أنه باشر فى آستيفاء الوجه القبلى، فنهض فيه وشُكِرت سيرتُه إلى أن عَرَض الملك الناصر محمد بن قلاوون الكُتَّاب ليختار منهم من يُوَلِّيه كاتب الإسطبل، وكان آبن زنبور هذا من جملتهم وهو شابٌّ فأثنى عليه الفخرُ ناظر الجيش وساعده الأَكُوز والنَّشْو، فولِّى كاتب الإسطبل عوضا عن آبن الجيعان فنالته فيها السعادة، وأعجب به السلطان لفِطْنته فدام على ذلك حتى مات الناصر فآستقرّ مستوفى الصُّحْبة ثم آنتقل عنها إلى نظر الدولة ثم ولى نظر الخاصّ بعناية الأمير أَرْغُون العلائى ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجَمَع بعد مدّة إليهما الوزارة ولم تتفق لأحد قبله هذه الوظائف.

(١) رواية السلوك: «ووجد له سبعمائة ألف نطع».

قلت : ولا بعده إلى يومنا هذا، (أعني لواحد في وقت واحد) .

وعَظُم في الدولة ونالته السعادة، حتى إنه كان يُخْلَع عليه في ساعة واحدة ثلاث خِلَع ويُخْرَج له ثلاث أفراس، ونَفَذَت كلمتُه وقَوِيت مهابتُه، واتّجر في جميع الأصناف حتى في المِلْح والكِبْريت ، ولمّا صار في هذه الرتبة كثُرت حُسّاده وسَعَوْا فيه عند صَرْغَتْمش وأغْرَوْه به ، حتى كان من أمره ما كان . وكان يقوم بكُلَف شَيْخون جميعها من ماله وصار صرغتمش يُسْمِع شيخون بسببه الكلام ، ويقول : لو مكّنتني منه أخذتُ منه للسلطان ما هو كَيْتَ وكَيْتَ ، وشيخون يعتذر له ويقول : لا يوجد من يَسُدّ مَسَدّه ، وإن كان ولا بُدّ يُقَرَّر عليه مالٌ ويستمرّ على وظائفه ، وبينما هم في ذلك قَدِم الخبر بعصيان بَيْبُغا أُرُس ، فاشتغل صرغتمش عنه حتى سافروا وعادوا إلى القاهرة ، ووقع من أمر الخِلْعة ما حكيناه .

ثم انتُدِب جماعةٌ بعد مَسْكه للسعي في هلاكه وأشاعوا أنه باق على دين النَّصْرانية ، أثبتوا في ذهن صرغتمش ذلك ، وأنه لمّا دخل إلى القُدس في سفْرته هذه بدأ في زيارته بالقُمامة (١) فقبّل عَتَبتها وتعبّد فيها ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء في بابه ولم يُصلّ فيه وتصدّق على النصارى ولم يتصدّق على غيرهم ، ورتّبوا فَتاوى أنه ٱرتدّ عن دين الإسلام .

وكان أجلّ مَنْ قام عليه الشريفُ شرفُ الدين نقيب الأشراف والشريفُ أبو العباس الصّفراوي وبدرُ الدين ناظر الخاصّ والصوّاف تاجرُ الأمير صَرْغَتْمش ، وأشهد عليه (٢) أنّ جميعَ ما يملكه للسلطان من مال بيت المال دون ماله . ثم

(١) تقدّم الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٦٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) كذلك في الأصلين والسياق يقتضي : « وأشهدوا عليه ... الخ » .

حسّنوا لصرغتمش ضَرْبَه، فأمَر به فأُخرِج وفى عُنُقه باشةٌ وجنزير وضُرِب عُرْيانا قُدّام باب قاعة الصاحب من القلعة، ثم أُعيد إلى موضعه وعُصِر وسقى الماء والملح، ثم سُلِّم لشدّ الدواوين وأمر بقتله، فنوّع عليه أنواع العذاب فتكلّم الأمير شَيْخُون فى عدم قتله فأمسك عنه ورتّب له الأكل والشرب وغُيِّرت عنه ثيابه ونُقل من قاعة الصاحب إلى بيت صرغتمش واستمرّ على ذلك إلى أن أُخرِج إلى قُوص منفيا، ومات بها بعد أن أُخذ سائرُ موجوده وأُخذ منه ومن حواشيه فوق الألْفَى ألف دينار. انتهى.

وأما أمرُ الديار المصرية فإنه لمّا كان يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجّة قَدِم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حَمَاة، و بكلمش نائب طرابُلُس من عند بن دُلْغَادِر وسُجِنا بقلعة حلب فأمر السلطان إلى نائب حلب بخَلْعه.

وفى هذه الأيام تُوفِّى الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بعد أن عَهِد لأخيه أبى بكر، فطُلِب أبو بكر وخُلِع عليه خِلْعة الخلافة بحضرة السلطان والأمير شَيْخون ولُقِّب بالمعتضد بالله أبى بكر. يأتى ذكره فى الوَفَيات على عادة هذا الكتاب. وقد ذكرناه فى المنهل الصافى بأوسع مما يأتى ذكره فيه. وأيضا فى مختصرنا المنعوت: «بمَوْرِد اللّطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة».

وأما أمر بَيْبُغا أُرُس فانه لمّا أرسل قَرَاجا بن دُلْغادر أحمد الساقى نائب حماة و بكلمش نائب طرابُلُس إلى حلب فى القيود واعتُقلا بقلعة حلب حسب ما ذكرناه، فكان ذلك آخر العهد بهما. ثم أرسل قَرَاجا المذكور بَيْبُغا أُرُس بعد أيام فى محرّم سنة أربع وخمسين وسبعمائة فاعتُقِل بقلعة حلب، وكان ذلك آخر العهد به أيضا. رحمه الله. وقيل: إنه ما حضر إلى حلب إلا رءوسهم. والله أعلم.

وفى بيبغا أُرس يقول الأديب زين الدين عبد الرحمن بن الخضر السنجارىّ الحلبىّ — رحمه الله — أبياتا منها: [الطويل]

بَغَى بَيْبُغَا بَغْيَ الممالكِ عَنْوَةً * وما كان فى الأمرِ المُرادِ موفَّقَا

أغارَ على الشقراءِ فى قَيْدِ جهلِه * لكى يركَبَ الشهباءَ فى المُلْكِ مُطْلَقَا

فلمَّا عَلَا فى ظهرِها كان راكبًا * على أدهمٍ لكنَّه كانَ مُوثَقَا

ثم رسم السلطان الملك الصالح صالح أن يُقَرَّ أهلَ الذمّة على ما أقرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — عليه من ترك تشبّههم بالمسلمين فى أمر من الأمور، وترك ركوب الخيل وحَمْل السلاح، ورفع أصواتهم على أصوات المسلمين وأشباه ذلك .

ثم رسم بنفى الأمير مَنْجك اليوسفى الوزير كان إلى صفد بطّالا . وفى هذه السنة (أعنى سنة أربع وخمسين وسبعمائة) انتهت عمارة الأمير سيف الدّين طاز التى تُجاه حمّام الفارقانى، فعمل طاز وليمة وعزم على السلطان والأمراء، ومدّ سماطا عظيما . ولمّا انتهى السّماط وعزم السلطان على الركوب، قدّم له أربعة أرؤس من الخيل بسروج ذهب وكنابيش زركش، وقدّم للأمير سيف الدين شَيْخون فرسين، ولصَرْغَتْمش فرسين ولسائر الأمراء المقدّمين كل واحد فرسا، ولم يُعهد قبل ذلك أن سلطانا نزل إلى بيت بعض الأمراء، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا هذا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الأمير ركن الدين عُمَرشاه الحاجب، صاحب القنطرة[1] خارج القاهرة .

---

(١) هذه القنطرة هى من القناطر التى كانت واقعة على الخليج المصرى داخل القاهرة، تعرف بقنطرة عمارشة تحريف عمرشاه . ذكرها المقريزى فى خططه باسم قنطرة عمرشاه (ص ١٤٧ ح ٢) فقال : إنها واقعة على الخليج الكبير يتوصل منها الى بر الخليج الغربى، ولم يذكر اسم منشئها ولا تاريخ إنشائها . وبالبحث تبين لى أن هذه القنطرة أنشأها الأمير ركن الدين عمرشاه حول سنة ٧٤٥ هـ وكانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة عمارشة الى سنة ١٨٩٨ م التى تم فيها ردم القسم الثانى من الخليج وبردمه اختفت تلك القنطرة . ومكانها اليوم بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة عمر شاه التى توصل الى سكة سويقة اللاله بالقاهرة .

ثم استهلّت سنة خمس وخمسين وسبعمائة، فكان فيها الواقعة والفتنة بين حاشية طاز وبين صرغتمش، والسبب لهذه الحركة أن الأمير صَرْغَتْمش كان يخاف من طاز ويَبغض منه وكذلك كان طاز يبغض من صرغتمش، وكان طـاز يدخل على شيخون مرارا عديدة بمسك صرغتمش، وكان شيخون يكره الفتن والفساد، وقصدُه الصلاح للأمور بكلّ ما يُمكن فكان شيخون يَعده ويُصبّره، وكان صرغتمش أيضا يخاف شرّ طاز ويقول لشيخون : هذا ما يريد الّا هلاكى، فكان شيخون يُطمّنه على نفسه ويَعده بكلّ خير، وكان إخوة طاز وحواشيه تُحرِّضه على صرغتمش وعلى إثارة الفتنة وقوىَ أمرُ طـاز وإخوته وخرج عن الحـدّ، وهم الأمير جَنْتَمُر وكُلْتاى وصُهره طقطاى، فهؤلاء الذين كانوا يُحرّكون طاز على قيام الفتنة، ومسك صرغتمش ليستبدّ طـاز بالأمر وحده، ويكونوا هم عظماء الدولة، وشيخون يعلم بذلك ويُسَكّنهم ويُرجعهم عن قصدهم، وطاز يَستَحى من شيخون، وطال الأمر إلى أن اتفق طاز مع إخوته المذكورين وغيرهم من مماليكه وأصحابه أنه يخرُج هو إلى الصيـد، فاذا غاب عن المدينة يركب هؤلاء على صرغتمش ومن يلوذ به ويُمسكونه فى غيبته، فيكون بغَيْبة طاز له عذرٌ عند شيخون من حَيائه منه، فلمّا خرج طاز الى الصيد بالبحيرة بإذن الأمير شيخون له وما عند شيخون عِلْم من هذا الاتّفاق، رتّب حاشيةُ طاز وإخوته ومن يلوذ به أمرَهم واجتمعوا ولَبِسوا السلاح وركبوا على صرغتمش فلمّا سَمع شيخون بذلك أمرَ مماليكه أن يركبوا بالسلاح وكانوا مقدار سبعمائة مملوك فركبوا ، وركب الأمير صَرْغَتْمش ومن يلوذ به، ووقع الحرب بينهم وبين إخوة طاز، وتقاتلا فانكسر إخوة طاز وقُبِض عليهم، وعلى أكابر مماليك طاز وحواشيه، فهربت البقية، فدخل صرغتمش هو ومن بقى من أكابر الأمراء إلى شيخون وقالوا : لابدّ من خَلْع الملك الصالح صالح وإعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة،

لكون الصالح كان يميل إلى طاز، فاعتذر شيخون بأعذار غير مقبولة ، وأراد إبقاء الصالح، فلم يوافقوه وما زالوا به حتى أذعن واتفقوا على خلعه فخُلع ، وأُعيد الملك الناصر حسب ما يأتى ذكره فى ترجمته .

وكان خَلْع الملك الصالح صالح فى يوم الاثنين ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، فكانت مدّة سلطنته بالديار المصرية ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، وحُبِس بالقلعة فى بعض دورها إلى أن تُوُفِّى بها فى ذى الحجة سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وله نحو سبع وعشرين سنة . ودُفِن بتربة عمّه(1) الملك الصالح علىّ بن قلاوون [الخاتونية] بالقرب من المشهد النفيسى خارج القاهرة .

وكان — رحمه الله — ملكا جليلا مليح الشكل عاقلا لم تُشْكَر سيرتُه ولم تُذَم، لأنه لم يكن له فى سلطنته إلا مجرّد الاسم فقط ، لغلَبَة شيخون وطاز وصَرْغَتْمش على الأمر ، لأنهم كانوا هم حلّ المملكة وعقدها واليهم أمورها لا لغيرهم .

وأمّا أمر طاز فانه يأتى — إن شاء الله تعالى — فى أوّل سلطنة الملك الناصر حسن ، بعد ذكر حوادث سِنى الملك الصالح هذا ، كما هى عادة هذا الكتاب انتهى والله سبحانه أعلم .

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، على أنه حكم من السنة الماضية من سابع عشر جُمادى الآخرة إلى آخرها .

(1) هذه التربة هى التى تعرف اليوم بتربة فاطمة خاتون بجوى تربة الأشرف خليل بالقرب من المشهد النفيسى بشارع الأشرف بالقاهرة سبق التعليق عليها باسم تربة المنصور قلاوون فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيها (أعنى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة) : تُوفّى قاضى القضاة نجم الدين محمد الأَذْرَعى الشّافعى بدِمَشْق على قضائها ، وتولى بعده قضاء دمشق قاضى القضاة كمال الدين المَعَرّى قاضى قضاة حلب .

وتُوفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد دهره ووحيد عصره ، زَيْن الدين المعروف بالعَضُد العَجَمى[1] الحنفى رحمه الله تعالى ، كان إماما بارعا مفتنًا فقيها مصنّفا ، وله اليدُ الطُّولَى فى علم المعقول والمنقول ، وتولى قضاء القضاة بممالك القان بوسعيد ملك التتار بل كان هو المشار اليه بتلك الممالك ، والمعوّل على فتواه وحكمه ، وتَصدّى للإقراء والإفتاء والتصنيف عدّة سنين . ومن مصنفاته «شرح المختصر لابن الحاجب» و «المواقف» و «الجواهر» وغير ذلك فى عدّة فنون[2] ، وكان رحمه الله كريما عفيفا جواد احسن السِّيرة مشكور الطريقة .

وتُوُفّى الأديب الفاضل الشاعر بدر الدين أبو على الحسن بن على المغربى المعروف بالزُّغارى الشاعر المشهور ، مات عن نيف وخمسين سنة . ومن شعره قوله : [الرجز]

أعجبُ مافى مجلس اللهو جرى * من أدْمُع الزاووق لما انسكبتْ

لم تَزِل البطّــةُ فى قَهقَهَــةٍ * ما بيننا تضحكُ حتى انقلبتْ

قال وله أيضا : [البسيط]

قالتْ وقــد أنكرتْ ســقامى * لم أرَذا[3] السُّقــم يوم بَيْنِــكْ

لئن أصابتْك عينُ غيرى * فقلتُ لا عينَ بعــد عينِكْ

---

(١) انظر السلوك آخر ج ٢ ص ٦٣١ و ج ٣ ص ١٢٣ وقد ذكر وفاته سنة ٧٥٥ خطأ . وقد ساق نسبه بأوضح من هــذا فقال ما نصه : « عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الايجى المطرزى المعروف بالعضد الشيرازى الشافعى » وانظر المنهل الصافى ج ٢ ص ٢٨٥

(٢) كتب العضد العجمى مطبوعة متداولة . انظر معجم المطبوعات لسركيس ج ٧ ص ١٣٣٢ عمود ٢

(٣) فى الأصلين : «لم أرد السقم» والتصويب عن المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٢

قال وله أيضا : [المتقارب]

فُتِنتُ بِأسمـرَ حُلوِ ألّلَى * لِسُلوانه الصّبُّ لم يَستطِعْ

تَقَطَّع قلبي وما رقّ لِي * ودَمْعِي يَرِق ولا يَنقطِعْ

وتُوفّى النُّوين أَرْتَنا[(1)]، وقيل : أَرْطنا سلطان بلاد الروم، كان نائبا عن السلطان بُوسعيد بن خَرْبَنْدا ملك التتار بجميع ممالك الروم، ودام على ذلك سنين، فلمّا مات بُوسعيد كاتَبَ أرتنا هذا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال له : أريد أن أكون نائبك بممالك الروم، فأجابه الملك الناصر محمد وكتب له بذلك، وأرسل اليه الخِلَع السنيّة وكتب له : «نائبُ السلطنة الشريفة بالبلاد الرومية[(2)]» ولم تزل رُسُلُه تتردّد إلى الديار المصرية إلى أن مات فى أوائل المحرّم من هذه السنة ، رحمه الله تعالى . وكان ملكا عارفا عاقلا سَيُوسًا مدبّرا ، طالت أيامه فى السعادة .

وتُوفّى الأمير سيفُ الدين تُلُكَ[(3)] بن عبد الله الناصرى الأمير آخور بغزّة فى عوده إلى الديار المصرية ، وقد تقدّم ذكرُه فى عدّة أماكن من هذا الكتاب .

---

(١) هكذا ضبط بالعبارة فى هامش ص٣٤٨ ج ١ من الدرر الكامنة . (٢) حدّد صاحب صبح الأعشى بلاد الروم على عهده بما لا يخرج عن حدود تركية آسيا اليوم أى بلاد الأناضول . انظر ج ٥ ص ٣٣٩ وما بعدها .

ووصف حالها السياسية وذكر ملوكها السلجوقية والتتار وكيف أن أولاد هولاكو كانوا يولون أحد أمرائهم « شحنة » على بلاد الروم فيكون لهم الفعل ولأعقاب السلجوقية الرسم . قال : وقد ولى بوسعيد صاحب إيران دمرداش بن جوبان « شحنة » على بلاد الروم سنة ٧٢٣ ثم قتل أباه جوبان فهرب دمرداش الى مصر فقتله الناصر محمد بن قلاوون . وبقى ببلاد الروم أمير من أمراء دمرداش اسمه أرتنا هذا الذى ساق المؤلف وفاته فى هذه السنة فبعث بطاعته الى بوسعيد أوّلا ثم خرج عن طاعته وكتب الى الناصر يسأله كتابة تقليد له بالبلاد الرومية وبذلك صارت بلاد الروم من مضافات الديار المصرية . انظر ذلك مفصلا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٥٨ — ٣٦٢ .

(٣) ضبط فى الدرر الكامنة بالعبارة : (بضم التاء وفتح اللام) ج ١ ص ٥١٧

وتُوُفّى الشيخ بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الفقيه الشافعى بدمشق فى شهر رمضان وكان فقيها فاضلا يُعرف بآبن إمام المشهد[1] .

وتُوُفّى القاضى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الشافعى الدّمشقى المعروف بابن القَيْسَرانى كاتب سرّ دِمَشق بطّالا كانت لديه فضيلة وهو من بيت كتابة وفضل[2] .

٥

وتُوُفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك المُحسنىّ[3] ، كان أميرا فقيها شافعيا أديبا نظَم كتاب «التنبيه فى الفقه» وكتب عِدّة مصنفات ، وكان معدودا من الفضلاء العلماء .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ الماء القديم خمس أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

١٠

*
* *

السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح صالح آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهى سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

فيها تُوُفّى الخليفة أمير المؤمنين ، الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد الهاشمى العباسى ، كان بو يع بالخلافة بعد وفاة والده بقُوص فى العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فلم يمض له ما عَهِده أبوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لمـّا كان

١٥

(١) هكذا فى الأصلين والسلوك . وقد ذكر وفاته ابن حجر فى الدرر الكامنة ج ٤ ص ٦٥ ــ ٦٦ سنة ٧٥٢ هـ . (٢) انظره فى الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٤ (٣) وردت فى المنهل وفى خطط المقريزى بيلبك ، ولكنها فى الأصلين بيليك وكذا فى السلوك بخط المؤلف وفى الدرر الكامنة لابن حجر وابن قطلوبغا وابن الفرات ، وابن إياس وهذا يطابق معاجم اللغة التركية .

٢٠

في نفسه من والده المستكفي بالله من مَيْله للملك المظفر بيبرس الجَاشْنَكِير، وأراد أن يُولّي الخلافة لبعض أقاربه بل أحضره وخلَع عليه ثم مات الملك الناصر بعد ذلك بمدّة يسيرة، فتمّت بموته خلافة الحاكم هذا الى أن مات في هذه السنة (١) . والمتولّي يومئذ لأمور الديار المصرية الأمير شَيْخون والأمير طازو والأمير صَرْغَتْمش ونائب السلطنة الأمير قُبْلاى ، والسلطان الملك الصالح صالح وكان الحاكم مات ولم يَعْهَد بالخلافة لأحد، بجمع الأمراء القضاة ، وطُلِب جماعة من بني العباس ، حتى وقع الاختيار على أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان فبايعوه ولقّبوه بالمعتضد (٢) .

وتُوُفّي (٣) قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ جمال الدين [يحيى] الحنفي المعروف بابن الفُوَيْرة في العشر الأوسط من شوّال . كان فقيها بارعا باشر توقيع الدَّسْت الشريف وكَتَب وصنّف وولي القضاء سنين .

وتُوُفّي الشيخ المُسند المعمَّر صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم المَيْدُومي (٤) المصري في شهر رمضان ودُفِن بالقرافة عن تسعين سنة . وكان مولده سنة أربع وستين وستمائة وهو آخر من حدّث عن النَّجيب عبد اللطيف وابن علّان وسمع منه السِّراجانِ : البُلْقيني وابن المُلَقِّن .

---

(١) انظر المنهل الصافي ج ١ ص ٧٤ (أ) وانظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ وانظر عقد الجمان ج ٢٤ قسم أول ص ٩٨ وانظر خلفاء مصر العباسيين في ص ٢١ من مختصر المنهل الصافي للسيوفيت .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٣ هـ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق انظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٩

(٤) الميدومي نسبة الى بلدة ميدوم إحدى قرى مركز الواسطى مديرية بني سويف وهي من القرى المصرية القديمة اسمها المصري ميراتوم والرومي ازيو والقبطي ميتوم ومنه اسمها العربي ميدوم . وإليها ينسب هرم ميدوم . وهي قرية زراعية تبلغ مساحة أراضيها ١٦٣٠ فدانا وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس .

وتُوُفّى القاضى الرئيس زين الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين يوسف ابن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح الحلبى الشافعى الكاتب ، كاتب الإنشاء بحلب ، ثم ولى صحابة[1] الإنشاء بهـا و وكالة بيت المـال الى أن مات بحلب عن نيّف وستين سنة .

٥ وتُوُفّى الأمير سيف الدين أُلجيبُغا بن عبد الله العادلى ، كان من أكابر الأمراء أقام أميرا نحو ستين سنة ، وكان قد أصابتْـه ضربةُ سيف فى وقعـة أَرْغون شاه بدمَشق بانتْ منها يدُه اليمنى ، واستمرّ على إمْرته وتقدمتـه الى أن مات فى السابع من شهر ربيع الآخر ، ودُفن بتربتـه بدِمَشق خارج باب الجابية وقـد أناف على تسعين سنة[2] .

١٠ وتُوفّى الأمير الجليل بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير بدِمَشق فى سابع شوّال ، بعد ما تنقّل فى عِدّة ولايات وأعمال : مثل حُجوبية الحُجّاب بديار مصر ونيابة غَزّة وغير ذلك . وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمَشق ونشأ بها وولى الحُجوبية بها ، وأرسله تَنْكِز الى مصر صحبة أَسَنْدَمُر رسول جُوبان ، فلمـّا رآه الملك الناصر أعجبه شكلُه فرسَمَ له بإمرة طبلخاناه بمصر وجعله من جملة الحُجّاب ،

١٥ فأقام على ذلك الى أن قَبَض السلطان على مملوكه أَلْمـاس الحاجب ولّاه عِوضَـه حاجب الحجّاب ، ولم يكن بمصر يوم ذلك نائب سلطنة ، فعظُم أمرُه إلى أن مُسك تَنْكِز رَسَم له بنيابة غَزّة ، ثم بعد موت الملك الناصر أُعْطى إمرة بدِمَشق ، ثم طُلِب الى مصر وأعيد إلى حجوبيّـة الحجّاب ثانيـا ، فـلم تَطُلْ مدّتُه لاختلاف الكلمة

(١) عبارة الدرر الكامنـة ج ٣ ص ١٠٧ : « تعانى الأدب وكتب فى الإنشاء و ولى وكالة بيت المـال ونظر الأحباس ثم ولى كتابة السر بحلب » وهى أوضح .

٢٠ (٢) انظره فى المنهل الصافى ج ١ ص ٢٥٤ (ب) .

وأُخرج إلى نيابة غَزّة ثانيا، ثم عُزل ونُقل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، ثم وَلِي نيابة غزّة ثالث مرّة وأقام بها سنين، ثم عُزل وتوجّه إلى دمشق أميرا بها. ثم وَلِي نيابة طرابُلُس فلم تَطُل مدّته بها وعُزل، وتوجه أيضا إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات . رحمه الله[1] .

٥ وتُوُفِّى في هذه السنة جماعةٌ ممن تقدّم ذكرهم من الأمراء قُتلوا بقلعة حلب وهم: الأمير أحمد الساقى نائب حماة[2] وبكْلَمِش نائب طرابُلُس[3] وبَيْبُغا أُرُس نائب حلب وغيرهم.

فأما الأمير بَيْبُغا أُرُس القاسمى ، فإن أصله من مماليك الملك الناصر محمد ابن قلاوون ومن أعيان خاصكيّته، ثم ولى بعد موته نيابة السلطنة بالديار المصرية في أوّل سلطنة الملك الناصر حسن ، ثم قُبض عليه بطريق الحجاز وحُبس ثم أُطلق ١٠ في أوّل دولة الملك الصالح صالح، وتولّى نيابة حلب بعد أَرْغُون الكاملى ، ولمّا وَلِي نيابة حلب شدّد على مَنْ يشرب الخمر بها إلى الغاية ، وظَلَم وحَكَم في ذلك بغير أحكام الله تعالى، حتى إنه سَمَّر من سكِر وطِيفَ به بشوارع حلب، وفي هذا المعنى يقول ابن حبيب : [الرجز]

أهلَ الطِّلا تُوبوا وكلٌّ منكُمُ * يَعود عن ساق التُّقَى مُشَمِّرا

١٥ فمَنْ يَبِتْ راووقه معلَّقا * أصبح ما بين الورَى مُسَمَّرا

وفيه أيضا يقول القاضى شرف الدين حسين بن ريّان[4] : [الخفيف]

تُبْ عن الخمر في حلب * والزمِ العقلَ والأدبْ

حدُّها عند بَيْبُغَا * بالمسامير والخشبْ

(١) انظر ترجمة أمير مسعود هذا في المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٥٥) وفي أعيان العصر (ج ٧ ٢٠ ص ١٤٨) ومابعدها . وانظر خطط المقريزى ج ٢ في الصفحات ٥٥ و ٧١ و ٣٥٨ و ٤٢١ و ٤٦٤

(٢) انظر السلوك (ج٣ص٥٩) (أ). (٣) انظر المنهل الصافى (ج ١ ص٢٥٢) (ب).

(٤) انظر ترجمته في المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٣) (أ) .

ثم خرج بَيْبُغا عن طاعة السلطان، ووقع له ما حكينا فى ترجمة الملك الصالح إلى أن ظُفِر به وقُتِل فى قلعة حلب، وفيه يقول بعض الأدباء : [البسيط]

لمّـا ٱعتدى بَيْبُغا العادى ومَنْ معه * على الورى فارقوا كُرْهًا مواطنَهم

خوفَ الهلاك سَرَوْا ليلًا على عَجَل * فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكِنُهـم[1]

٥ وتُوُفِّى الرئيس أمين الدين إبراهيم بن يوســف المعروف بكاتب طَشْتَمُر، كان من أعيان الكُتّاب وتولّى نظر الجيش بالديار المصرية مدّة، ثم عُزِل وأخرِج الى القُدس فأقام به مدّة، ثم أعيد الى القاهرة فأقام بها الى أن مات[2] .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بَيْغَرَا بن عبد الله الناصرى ثم المنصورى، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وهــو بطّال بحلب، وكان شجاعا مِقداما من أعيان أمراء ١٠ مصر وقد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن[3] .

وتُوُفِّى الأمـير زين الدين قَراجَا بن دُلْغَـادِر صاحب أُبُلُسْتَيْن فى رابـع عشر ذى القعدة، وقد تقدّم ذكره فى واقعة الأمير بَيْبُغَا أُرُس[4] .

وتُوُفِّى مُستوفِى الصحبة أســعد حربة أحد الكُتّاب المُسالمة فى ذى القعــدة من السنة .

١٥ وتوفى الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف ٱبن الإمام شمس الدين أبى محمد عبد الله بن العفيف محمــد بن يوسف بن عبد المنعم المقدسى النابلسى ثم الدمشقى الحنبلى فى شهر رجب ومولده سنة إحدى وتسعين وستّمائة[5] .

---

(١) انظر أخبار بيبغا فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٧٣) (ب) وما بعدها وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٣١) وانظر السلوك للقريزى (ج ٣ ص ٩) (أ) . (٢) انظر السلوك للقريزى ٢٠ فى وفيات سنة ٧٥٤ (ج ٣ ص ٩) (ب) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦٣) .

(٣) انظر الدرر الكامنة (ج ١ ص ٥١٤) . (٤) انظر المنهل الصافى ج ٣ ص ١٥ وانظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٤٢٥ وانظر السلوك للقريزى فى وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠

(٥) انظر السلوك للقريزى فى وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ٩

وتُوُفِّى الشيخ إمام الدين محمد بن زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن على بن محمد بن الحسن القَيْسى القَسْطَلّانى الشافعى بالقاهرة فى عشرين المحرّم، ومولده بمكّة المشرّفة فى سنة إحدى وسبعين وستمائة (١) .

وتُوُفِّى حاكم الموصل وسِنْجار الأمير بدر الدين حسن بن هندوا . كان من أعيان الملوك وكان بينه و بين صاحب ماردِين عداوة ، ووقع بينهما حروب قُتِل فى بعضها حسن هذا بعد القبض عليه (٢) .

وتُوُفِّى القاضى شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب [بن الشهاب (٣) أحمد بن محيى الدين يحيى] بن فضل الله بن المُجَلِّى بن دَعْجان بن خَلَف القرشىّ العُمَرى ، نسْبته الى عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه . [مات فى شوّال (٣) من هذه السنة] .

[مولده (٤) فى ثالث ذى الحجّة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بدمشق، ومات بها فى شهر رمضان وكان إماما بارعا كاتبا بليغا أديبا مترسّلا، كتب المنسوب الفائق وتنقّل فى الخدم حتى ولى ناظر ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدّة طويلة ، وهو أوّل كاتب سرّ ولى بمصر من بنى فضل الله، ولّاه الأشرف خليل بن قلاوون بعد عزل عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير، فدام فى كتابة السرّ سنين، الى أن نقله الملك الناصر محمد بن قلاوون الى كتابة سرّ دِمَشق، عوضا عن أخيه محيى الدين

---

(١) انظر السلوك للقريزى فى وفيات ٧٥٤ ج ٣ ص ٩ وانظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) انظر السلوك فى وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨

(٣) التكملة عن الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٢٤

(٤) أما من ساق المؤلف بقية ترجمته من أول القوس [الى آخر الترجمة فهو شرف الدين عبد الوهاب عم أبيه وقد سبقت وفاته فى سنة ٧١٧ فى ج ٩ ص ٢٤٠ من هذه الطبعة . وانظر السلوك فى وفيات سنة ٧٥٤ وأعيان العصر الصفدى ج ٣ ص ٤٣٢ وانظر أولاد ابن فضل الله فى مختصر المنهل الصافى ص ٢١٧ وراجع أعيان العصر ج ٢ ص ٤٠٨ — ٤١٦ وانظر المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٦٠ والمقريزى الخطط ج ٢ ص ٥٦ .

يحيى بن فضل الله ، وولى عوضه القاضى علاء الدين بن الأثير ، ولمّا مات رثاه الشعراءُ والعلماءُ ورثاه العلاّمة شهاب الدين محمود بقصيدته التى أوّلها : [الطويل]

لِتبْــكِ المعالِى والنُّهى الشرفَ الأعلَى * وتَبْكِ الورَى الإحسان والحِلْمَ والفضلا[1]

ومن شــعر القاضى شرف الدين المذكور يمدح الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى : [الكامل]

تَهَبُ الألوفَ ولا تَهاب لهم * ألفًــا إذا لاقيتَ فى الصَّــفِّ
أَلْفٌ وأَلْفٌ فى نَــدًى وَوَغًى * فلأجل ذَا سَمَّــوْك بالأَلْــفى[2]

قال : وله أيضا لمّــا خُتِن الملك الناصر محمد بن قلاوون . [الخفيف]

لم يُرَوِّع له الخِتَانُ جَنَانًا[3] * قد أصاب الحديدُ منه حديدا
مثلمــا تنقصُ المصابيح بالقَــطِّ فــتزداد فى الضيــاء وُقُــودا

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة ثمــانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا . والله سبحانه أعلم .

*
* *

السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهى ســنة خمس وخمسين وسبعمائة وفيهــا خُلِـع الملك الصالح المــذكور فى ثانى شوّال .

---

(١) انظر هذه القصيدة فى ص ٤٦١ من الثالث من أعيان العصر للصفدى .

(٢) انظر هذه القصيدة فى ص ٤١١ من الجزء الثالث من أعيان العصر للصفدى

(٣) وانظر هذه الأبيات فى المصدر المتقدّم .

وفيها تُوُفِّيَ العلّامة زَين الدين أبو الحسن علىّ بن الحسين بن القاسم بن منصور ابن علىّ المَوْصِلىّ الشافعىّ الشهير بآبن شيخ العُوَيْنَة[1] بالمَوْصِل عن أربع وسبعين سنة، وكان إمامًا فقيها بارعا مصنِّفا ناظمًا ناثرًا، نَظَم كتاب «الحاوى» فى الفقه، وشرح «المختصر» و «المفتاح»، وقدِم الى الشام متوجِّها الى الحجاز الشريف وهو القائل:

[الطــويل]

وما آخترتُ بُعْدَ الدار عمّن أُحِبُّهُ * صُدودًا وحاشَى أن يُقال صُدُودُ

ولكنّ أسبابَ الضرورةِ لم تَزَلْ * الى غير ما تَهْوَى النفـوسُ تَقودُ[2]

وتُوُفِّيَ القاضى شهاب الدين أحمد آبن القاضى شمس الدين إبراهيم بن المسلم آبن هبة الله بن حسّان بن محمد بن منصور الجُهَنِىّ الشافعى الشهير بآبن البَارِزِىّ[3]، ناظر أوقاف دِمَشق وبها مات عن نيِّف وثمانين سنة.

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر آبن القُدْوة نجم الدِّين عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عبد المحسن القَبّانى الحنبلى، كان إماما زاهدا عابدا أفتى ودَرَّس وحَدَّث وباشر مشيخة المالكيّة بالقُدْس الى أن مات[4].

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام العالم العلّامة فخر الدين أبو طالب أحمد بن علىّ بن أحمد الكوفى البغدادىّ الحنفىّ الشهير بآبن الفصيح، مات بدِمَشق وقد قارب الثمانين سنة، وكان إماما عالما بارعا فى فنون، ناظما ناثرا، نَظَم «الكَنْز فى الفقه» و «السراجية

(١) شيخ العوينة جده الأعلى. انظر سبب هذه التسمية فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٣–٤٤).
(٢) روى له هذين البيتين صاحب عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥).
(٣) انظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥) وانظر المنهل الصافى (ج ١ ص ٤٨) (ب) وانظر أولاد البارزى فى ص ١٢ من مختصر المنهل الصافى.
(٤) انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٦٨).

فى الفرائض» وقدم إلى دمشق وتصدّى للافتاء والتدريس والإقراء الى أن مات بها ومن(١) شعره وهو فى غاية الحسن : [الوافر]

أمرّ سواكه من فوق دُرّ * وناولنيه وهو أحبّ عندى
فذقت رضابه ما بين نَدّ * وخمر أمزجا منه بشَهْدى(٢)

٥ وله أيضا : [الرجز]

زار الحبيبُ فحيّا * ياحُسْنَ ذاك المُحيّا
من صدّه كنتُ ميْتا * من وصْله(٣) عُدتُ حيّا

وتُوفّى الشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الظاهرى الدمشقى الشافعى مدرّس الفَروخشاهيّة(٤)، كان فقيها فاضلا . مات بدمَشق عن نيّف
١٠ وثمانين سنة . وكان(٥) له نظم وينشئ المقامات ، وله القصيدة الحجازية التى أولها : [الطويل]

سَرت نَسْمةُ الوادى فأذكرتِ الصِّبا * ليالِى مِنًى فانصبّ مدمعه صَبّا

وتُوفّى الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن علاء الدين علىّ بن الحسن الهَرَوى الحلبىّ الحنفىّ المعروف بالشيخ زاده . كان فقيها متصوّفا زاهدا . قال آبن حبيب
١٥ أنشدنى بيتين بالفارسى وذكر لى معناهما وآقترح علىّ نظمهما بالعربى فقلت : [الكامل]

---

(١) انظر المنهل الصافى (ج ١ ص ٩٤) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٠٤) .

(٢و٣) انظر هذه الأبيات فى عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٦) .

(٤) المدرسة الفروخشاهية تعرف بعز الدين فرخشاه وواقفتها حظ الخير خاتون بنت إبراهيم
٢٠ ابن عبد الله والدة عز الدين فرخشاه وهى زوجة شاهنشاه ابن أخى صلاح الدين سنة ٥٨٧ وهى(أى اليوم) فى مقابلة التكية السليمانية بالشرف الأعلى شمالى حديقة الأمة . (عن خطط الشام لكرد على) (ج ٦ ص ٩٥) ومختصر تنبيه الطالب ص ٢٧ — ٢٨ (٥) انظر المنهل الصافى ج ١ ص ٧٩ والدرر الكامنة (ج ١ ص ١٦٧) .

ألحاظُه شَهِدت بِأنّى مُخطِئٌ * وأَتَتْ بخطّ عِذاره تَذْكارَا

ياحاكِمَ الحُبِّ اتّئِد فى قِصَّتِى * فالخطُّ زورٌ والشُّهودُ سَكارَى .

ومن إنشاء الشيخ زاده المذكور قوله : [الطويل]

وما العيشُ إلاّ والشَّبيبةُ غَضّةٌ * ولا الحبُّ إلاّ والمحِبّون أطفالُ

وهم زعموا أنّ الجنونَ أخو الصِّبَا * فليتَ جنونًا دام والناسُ غُفّالُ ٥

وكانت وفاته بحلب عن نيّف وخمسين سنة[1] .

وتُوُفِّى الشريف علاء الدين أبو الحسن علىّ ابن الشريف عزّ الدين حمزة بن علىّ ابن حسن بن زُهْرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبى نقيب الأشراف بحلب، وبها مات عن نيّف وسبعين سنة، وكان رئيسا كاتبا مجيدا عارفا مُثْرِيًا[2] .

وتُوُفِّى الصاحب الوزير علَم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم الشهير ١٠ بآبن زُنْبور المصرى القِبطىّ المقدَّم ذكرُه ولى الوزارة ونظر الجيش والخاصّ ولم تجتمع لأحد قبله ، ثم نُكِب وصُودر وأُخذت أموالُه وذخائرُه التى وصفناها فى ترجمة الملك الصالح ومات بقُوص معتقلا[3] .

وتُوُفِّى الوزير الصاحب موفّق الدين أبو الفضل هبَة الله بن سَعيد الدولة القِبْطىّ المصرىّ، ولى نظر الدولة ثم الخاصّ ثم الوزارة إلى أن مات، وكان مشكور ١٥ السِّيرة حسن الأخلاق، وعنده تواضع وكَرَم ومعرفة وعقل[4] .

---

(١) انظر المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٢٧ (ب) وانظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٦) .
(٢) انظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ١٦ — ١٧) والسلوك للقريزى فى وفيات سنة ٧٥٥ (ج ٣ ص ٢٣) (ب) . (٣) انظر أخبار ابن زنبور فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٤٠ — ٢٤١) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٥٧ — ٢٥٨) وخطط المقريزى (ج ٢ ص ٥٩ — ٦٢) وابن اياس ٢٠ (ج ١ ص ١٩٧ — ١٩٨) والخطط التوفيقية (ج ٣ ص ٣٠) . (٤) انظر السلوك للقريزى فى وفيات سنة ٧٥٥ (ج ٣ ص ٢٣) (ا) وانظر خطط المقريزى (ج ٢ ص ٥٠ و ٧٣ و ٣٢٣) وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٣٧) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٠٠) .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدى الناصرى، نائب طرابُلس. مات بها وتولّى عوضه مَنْجَك اليوسفىّ الوزير أخو بيبغا أُرُس، وكان أيتمش وافر الحشمة لين الجانب بعيد الشرّ قريب الخير، وعنده عقل وسكون ووقار، وولى الحجوبيّة والوزارة بالديار المصرية، ثم ولى نيابة دِمَشق مدّة سنين، إلى أن قُبِض عليه وسُجِن بثغر الإسكندرية، ثم أُطلِق وولى نيابة طرابُلُس بعد بَكْلَمَش الناصرىّ فدام على نيابتها إلى أن مات[1] .

وتُوُفِّى السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج صاحب الأَنْدَلُس وما والاها، طُعِن بخَنْجر فى جَبِينه فى يوم عيد الفِطْر، فمات منه وسلطن بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن يوسف[2] .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين إياجى بن عبد الله الناصرى، نائب قلعة دِمشق، كان شجاعا مقداما أظهر فى فتنة الأمير بيبغا أُرُس أمرا عظيما من حفظ قلعة دمشق وقاتل بِيبُغا أُرُس قتالا عظيما وقام فى ذلك أتمّ قيام .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين مُغْلَطَاى بن عبد الله الناصرىّ، بطّالا فى عاشر شهر رمضان، وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصّكيّته وتولّى رأس نَوْبة ثم صار أمير شِكار ثم ولى الأمير آخورية الكُبْرَى، ثم أُمسِك وحُبِس بعد أمور وقعت له ثم أُطلِق وأُخرج الى الشام بطّالا، فدام به إلى أن مات رحمه الله تعالى[3] .

---

(١) انظر المنهل الصافى ج ٣ ص ٤٩١ (ب) والدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥١ — ٤٥٢ وانظر الإحاطة لابن الخطيب ج ١ ص ٤٠ وج ٢ ص ٣ وانظر الملوك النصريين فى مختصر المنهل الصافى ص ٣٦٧

(٢) انظر المنهل الصافى ج ٣ ص ٣٩١ (ب) وخطط المقريزى ج ٢ ص ٦٠

(٣) انظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .

وتُوُفِّى تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغَنّام القِبْطىّ المصرىّ فى شوّال تحت العقوبة ، وهو أحد الكُتّاب المعدودة وتولّى عِدّة وظائف و باشر عدّة مباشرات، وكان مشكور السِّيرة . رحمه الله (١) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا وخمس أصابع .

(١) انظر السلوك للمقريزى ج ٣ ص ٢٣ (ب) .

ذكر سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر

قد تقدّم ذكُره فى سلطنته الأولى من هذا الكتاب وذكرنا أيضا سبب خَلْعه من السلطنة بأخيه الملك الصالح صالح ثم ذكرنا فى ترجمة أخيـه الصالح سَبَب خَلْع الصالح وإعادة الناصر هـذا فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا . والمقصود هنا الآن ذِكْرُ عَوْد الملك النـاصر حسن الى مُلكه فنقول : ولمـّا قُبِض على أصحاب الأمير طاز ٥ اتّفق صَرْغَتْمش مع الأمير شَيْخون على خَلْع الملك الصالح من السلطنة وسلطنة الملك الناصر حسن ثانيا وأبرموا ذلك حتى تمّ لهم فقاموا ودخلوا الى القلعة وأرسلوا طلبوا الملك الصالح ، فلمّا توجّه اليهم أخِذ من الطريق وحُبِس فى بيت من قلعة الجبــل وأرسلوا أشهدوا عليه بأنه خَلَع نفسه من السلطنة ، ثم طلبوا الملك الناصر حسنًا من محبسه بالقلعة ، وكلّموه فى عوده ، وأشرطوا عليه شروطا قَبِلها . فأخذوه إلى موضع ١٠ بالقلعة ، فيه الخليفةُ والقُضاة ، و بايعوه ثانيا بالسلطنة ، وألبسوه تشريفَ السلطنة وأُبَّهَــة الملك ، وركب فرس النَّوبة ومشت الأمراء بين يديه الى الإيوان ، فـنزل وجلس على تخت الملك ، وقبّلوا الأمراء الأرض بين يديه على العادة ، وكان ذلك فى يوم الاثنين ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ولم يغيّر لقبـه بل نُعت بالناصر كما كان أوّلا على لقب أبيه ، ونُودِى بآسمه بمصر والقاهرة ، ودُقَّت البشائر ١٥ وتمّ أمره وحالما قَلَع الملك الناصر خِلْعة السلطنة عنه ، أمر فى الحال بمَسْك الأمير طاز ، فشفَع فيه الأمير شَيْخون لأنه كان أمّنه وهو نَزِيله ، فرَسَم له السلطان بالتوجّه إلى نيابة حلب ، فخرج من يومه وأخذ فى إصــلاح أمره ، إلى أن سافر يوم الجمعة سادس شوّال وسار حتّى وصل حلب ، فى الخامس من ذى القعدة ، وكانت ولايُته لنيابة حلب عوضا عن الأمــير أَرْغُون الكاملىّ ، وطُلِب أرغون إلى مصر ، فحضر ٢٠ أرغون الى القاهرة وأقام بها مدّة يسيرةً ثم أُمسِك ، وأقام طاز فى نيابة حلب ، ومعه أخوه كُلْتاى وجَنْتَمُر وكلاهما مقدّمان بها .

ودام الملك الناصر حسن فى الملك إلى أن دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة والخليفة يوم ذاك المُعتضد بالله أبو بكر، ونائبُ السلطنة بمصر الأمير آقْتَمُر عبدالغنى وأتَابَك العساكر الأمير شَـيْخون العُمَرِى ، وهو أوّل أتابك سمى بالأمير الكبير ، وصارت من بعـده الأتابكية وظيفةً إلى يومنا هـذا ، ولَبِسها بخلعة و إنمـا كانت العادة فى تلك الأيام مَنْ كان قـديمَ هجرة من الأمراء سُمّى بالأمير الكبير [[1]] من غير خِلْعة فكان فى عصر واحد جماعةٌ كلٌّ واحد منهـم يسمَّى بالأمير الكبير] حتى وُلِّى شيخون هذا أتابكيّة العساكر — وسُمِّى بالأمير الكبير — بطَلَب تلك العادة القديمة وصارت من أجلّ وظائف الأمراء، تم ذلك . انتهى .

وكان نائب الشام يوم ذاك أمير علِى المَـارِدِينى، ونائب حلَب طاز، وصاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن ابن الشيخ حسين سِبْط أرْغُون بن أبْغَا بن هُولا كو . وفى هـذه السنة أيضا كَمُلَت خانقاة[2] الأمير الكبير شَيْخون العُمَرِى بالصَّلِيبة والربع[3]

(١) العبارة المحصورة بين المربعين [] غير موجودة فى الأصل الفتوغرافى .

(٢) هذه الخانقاه سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٦ ص ١٣١ بالجزء السابع من هـذه الطبعة . وأضيف الى ما سبق ذكره أن كل خانقاه تشتمل عادة على مسجد جامع للصلاة وعلى خلاوى ودورلسكنى الصوفية . وهذه الخانقاه لاتزال قائمة الى اليوم وتعرف بجامع شيخون القبلى لوقوعها تجاه جامع شـيخون البحرى الذى سبق التعليق عليه و يفصل بينهما شارع شيخون وتعد هذه الخانقاه من أكبر وأكمل الخوانق فى القاهرة فمسجدها الجامع لا يزال عامرا باقامة الشعائر الدينية والخـلاوى و يعلوها مساكن الطلبة دور ين لا تزال باقيـة تشرف بشكلها المدرسى الجميـل على صحن الجامع ولكنها معطـلة الآن من السكنى والتدريس وفى هذه الخانقاة قبر منشئها رحمه الله .

(٣) الربع بفتح الراء المشـددة هو عدة مساكن علوية تحتها حوانيت (دكاكين) ووكائل للتجارة ، ولكل ربع باب يتصل مباشرة بسـلم داخل وجهة البناء المشرفة على الطريق العام و بواسطته يصعدالسكان الى مساكن الربع المخصصة لسكنى العامة بالأجرة الشهرية .

وهذا الربع أشار اليـه المقريزى فى خططه عند كلامه على خانقاه شيخون التى تكلمنا عليها فى الحاشية السابقة ، فقال : « وأنشأ عدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة » .

ومن المعاينة تبين لى أن هذا الربع كان واقعا بجوار الخانقاه من الجهة الغربية وقد هـدم وزال أثره وجعل بابه الذى كان بشارع شيخون دكانا ضمن الدكاكين التى تجددت فى مكان الحوانيت القـديمة التى كانت أسفل الربع المذكور .

والحمّامان(١) وفرّغت هذه العمارة ولم يتشوّش أحد بسببها، ورتّب فى مشيختها العلّامة أكمل الدين(٢) محمد البابَرْتى(٣) الحنفى، وأشركه فى النظر.

ودام السلطان حسن فى السلطنة ولم يُحرك ساكنا إلى أن آستهلّت سنةُ ثمانٍ وخمسين وسبعمائة قبَض على أربعة من الأمراء وسُجنوا بثغر الإسكندرية، وهم: الأمير بِجُا السلاح دار، وطُقْطاى الدّوادار، وقُطْلُوبُغَا الذهبى، وخليل بن قَوْصون وخلَع على الأمير علم دار باستقراره فى الدوادارية، وخلَع على الأمير قَشْتَمُر باستقراره حاجبًا ووزيرا، وكان القبضُ على هؤلاء الأمراء بعـد أن ضُرب الأمير شيخون بالسيف، وحُمل إلى داره(٤) جريحا ولزِم الفراش الى أن مات، حسب ما يأتى ذكره.

(١) بمعاينة هذين الحمامين تبين لى أنهما كانا متجاورين ولهما مستوقد واحد وكان أحدهما خاص للرجال والثانى خاص للنساء، وأن حمام الرجال لا يزال باقيا وعامرا الى اليوم ويعرف بحمام الصليبة لقربه منها، ويقع بابه بين الدكاكين الواقعة غربى الخانقاه بشارع شيخون، ويستعمل الآن للرجال والنساء لكل جنس ساعات معينة لاستحمامه.

وأما حمام النساء فقد كان بابه بشارع الركبية وقد هدم بسبب توسيع شارع الركبية وما بقى من أرضه أقيم عليه الدكاكين القائمة الآن فى أوّل شارع الركبية على يسار الداخل فيه من جهة الصليبة.

(٢) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٨٦ هـ. ونسبه كما يأتى: « محمدى بن محمد بن محمود الرومى البابرتى ... الخ » وانظره فى السلوك الجزء الثالث والرابع (ص ٢٤ ب) وانظره فى الدرر الكامنة (٤ ص ٢٥٠).

(٣) نسبة إلى بابرتى (بفتح الباء الثانية وسكون الراء): قرية من أعمال بغداد. عن معجم البلدان الياقوت ولب اللباب للسيوطى.

(٤) دلنى البحث على أن دار شيخون هى بذاتها دار الأمير قوصون السابق التعليق عليها باسم اسطبل قوصون فى الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة وذكرنا فى الحاشية المذكورة أن اسطبل الأمير قوصون (دار قوصون) كان مخصصا لسكنى كل من صار أتابك العساكر (أى قائد الجيش) فلما عين شيخون أتابكا سكن فى هذه الدار فعرفت به يؤيد ذلك ما ذكر مؤلف هذا الكتاب فى حوادث شهر ربيع الآخر من سنة ٧٧٩ هـ من أن قطلقتمر العلائى الطويل ضرب رنكه (رسم الشعار الخاص به) على اسطبل شيخون بالرميلة تجاه باب السلسلة وهـذا الوصف ينطبق تماما على اسطبل قوصون السابق ذكره. ثم ذكر المؤلف فى أواخر حوادث الشهر المذكور أن طشتمر الدوادار نزل إلى بيت شيخون بالرميلة وسكن به ليحكم بين الناس. ثم ذكر فى حوادث شهر ذى الحجة من تلك السـنة أن بركة الجوبانى سكن فى بيت قوصون بالرميلة تجاه باب السلسلة وهذا دليل آخر على أن دار شيخون هى بذاتها دار قوصون، مع العلم بأن شيخون العمرى وقطلقتمر العلائى وطشتمر الدوادار وبركة الجوبانى تولون الأتابكية بالتعاقب.

وأمر ضَرْب شَيْخون كان في يوم الاثنين من شعبان سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة، وهو أن السلطان الملك الناصر حسنا جلس في اليوم المذكور على كرسي المُلك بدار العدل للخدمة[1]، والأمراء جلوسٌ في الخدمة والقضاةُ والأعيانُ وجميع أرباب الدولة، وبينما السلطان جالسٌ على كرسي المُلك وثَبَ مملوك من المماليك السلطانية يُسمَّى قُطْلُوخَجا السلاح دار على الأمير الكبير شَيْخون، وضربه بالسيف ثلاثَ ضَرَبات أصابت وجهَه ورأسَه وذراعه، فوَقع شيخون مَغْشيًّا عليه، وأُرْجِف بموته، وقام السلطان من على الكرسي ودخل الى القصر، ووقعت الهَجّة، فلمّا سَمِعت مماليكُ شيخون بذلك، طلعوا القلعة راكبين صُحبة أمير خليل بن قَوْصون أحد الأربعة المقبوض عليهم بعد ذلك، فحَمَلوا شيخون على جَنوِيّة[2] وبه رَمَق، ونزلوا به الى داره، وأحضروا الجرائحية فأصلحوا جراحاته، وبات شيخون تلك الليلة، وأصبح السلطان الملك الناصر حسن نزل لعيادته من الغد، فدخل عليه وحلَف له أن الذي وقع لم يكن بخاطره ولا له عِلْم به، وكان الناس ظنوا أن السلطان هو الذي سلّطه على شيخون، فتحقّق الناس براءةَ السلطان، وطَلَع السلطان الى القلعة وقد قبض على قُطْلُوخَجا المذكور، فرَسم السلطان بتسميره فسُمِّر. ثم وُسِّط في اليوم المذكور، بعد أن سأل السلطان قطلوخجا السلاح دار المذكور عن سبب ضرب شيخون بالسيف، فقال: طلبتُ منه خُبزا فمنعني منه وأعطاه لغيري. ولزِم شيخون الفِراش من جِراحه الى أن مات في ذي القعدة من السنة، وبموته خَفّ عن السلطان أشياء كثيرة، فإنه كان ثقيلَ الوَطْأة على السلطان الى الغاية، بحيث إن السلطان كان لا يفعل شيئا حتى يُشاوره حقيرَها وجليلَها، فلما مات ٱلتفت السلطان حسن الى إنشاء مماليكه، فأمّر منهم جماعةً كثيرة على ماسيأتي ذكره.

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء.

ثم أخذ السلطان حسن فى شراء دار أَلْطُنْبُغا المـارِدانى ويَلْبُغا اليَحْيَاوى بالرُّمَيلة وهدَمهما وأضاف إليهما عدّة دور وإسـطبلات أُخَر، وشرَع فى بناية مدرسـته المعـروفة به تُجاه قلعـة الجبل، التى لم يُبْنَ فى الإسـلام نظيرها، ولا حكاها مِعْمار[1] فى حسن عملها، وذلك فى سنة ثمـانٍ وخمسين المذكورة .

ولـمـا شَرَع فى عمارتها جعل عليها مشدّين ومهندسين وٱجتهد فى عملها . وأما مصروفها وما ٱجتمع بها من الصُّنّاع والمعلّمين فكثير جدا لا يدخل تحت حصر ، وقيل : إن إيوانها يعادل إيوان كِسْرى فى الطول .

قلت : وفى الجملة إنها أحسن ما بُنِى فى الدنيا شرقا وغربا فى معناها بلا مدافعة .

وفى هذه السنة[2] وَقَع أمرٌ عجيب، قال ٱبن كثير فى تاريخه : «وفى هذه السنة حَمَلت جارية من عتقاء الأمير الهيدبانى[3] قريبا من تسعين يوما ، ثم شَرَعت تَطْرح ما فى بطنها، فوضعت قريبا من أربعين ولدا، منهم أربع عشرة بنتا . وقد تشكل الجميع، وتميّز الذكر من الأنثى، فسبحان القادر على كل شىء .

قلت : وٱبن كثير ثقة حُجّة فيما يَرْويه وينقله . انتهى .

---

(١) تقدم الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) يريد بها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وبالرجوع الى تاريخ ابن كثير المسمى بالبـداية والنهاية (النسخة الفتوغرافية) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ (القسم الثالث من الجـزء الرابع ص ٣٦٨) وجدنا تباينا ظاهرا بين الروايتين فآثرنا إثبـات رواية ابن كثير هنـا ، ونصها : « وفى شهر شعبان من هذه السنة حكى ... عن جارية من عتقاء الأمير سيف الدين تمر المهمندار أنها حملت قريبا من سبعين يوما ثم شرعت تطرح ما فى بطنها فوضعت قريبا من أربعين يوما فى أيام متوالية ومتفرقة أربعة عشر بنتا وصبيا بعدهن ، كلهن يعرف بشكل الذكر من الأنثى » .

(٣) هكذا ورد فى الأصلين . وفى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٧ (ا)) : «الأمير الهمدانى» . وفى ٱبن كثير كما هو وارد فى الحاشية السابقة رقم ٢

ولما مات شَيْخون انفرد صَرْغَتْمش بتدبير المملكة، وعظُم أمره وآستطال في الدولة، وأخذ وأعطى وزادت حُرْمتُه وأثرى وكثُرت أمواله، الى أن قبض عليه الملك الناصر حسن حسب ما يأتي ذكره في محلّه، إن شاء الله تعالى.

ثم إنّ السلطان قَبَض على الأمير طاز نائب حلب، في أوائل سنة ثمانٍ وخمسين المذكورة بسفارة صَرْغَتْمش، وقيّده وحمَله إلى الإسكندرية لحبسه بها، وولّى عوضَه في نيابة حلب الأمير مَنْجك اليوسفيّ الوزير، نُقِل إليها من نيابة طرابُلُس. ثم عَزَل السلطان عزّ الدين بن جَماعة[1] عن قضاء الشافعية بديار مصر، وولّى عوضَه بهاء الدين بن عَقِيل[2]، فأقام آبنُ عَقِيل في القضاء ثمانين يوما وعُزِل، وأعيد آبن جماعة ثم نَقَل السلطان مَنْجك اليوسُفيّ المذكور من نيابة حلب إلى الشام عوضا عن أمير علي المَارِدِيني، ونَقَل المارديني إلى نيابة حلب، كلّ ذلك في سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة المقدّم ذكرها، وخلَع السلطان على تاج الدين بن رِيشة وآستقرّ في الوزارة ثم نَفَى السلطان جماعة من الأمراء، منها الأمير جُرجِي الإدريسيّ، وأنعم بإقطاعه وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر على مملوكه يَلْبُغا العُمَرى صاحب الكَبْش[3] وهو الذي قَتَل أستاذَه الملك الناصر حسنا المذكور، حسب ما يأتي ذكرُه في وقته من هذا الكتاب في هذه الترجمة، ثم خَلَع عليه وجعله أميرَ مجلس عوضا عن الأمير تَنْكِز بُغَا المارِدِيني. ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة

---

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن صخر الكناني الشافعي عز الدين. توفي سنة ٧٦٧ هـ عن الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨ وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٢٣). وسيذكر المؤلف وفاته ضمن من توفوا في السنة المذكورة.

(٢) هو بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل توفي سنة ٧٦٩ هـ. وسيذكر المؤلف وفاته ضمن من توفوا في السنة المذكورة.

(٣) سماه المؤلف صاحب الكبش، لأنه كان من الأمراء الذين سكنوا بالكبش. وقد سبق التعليق عليه في الحاشيتين: رقم ٢ ص ٢٧٠ ورقم ٢ ص ١١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

تسع وخمسين وسبعمائة ، أمسك السلطانُ الأميرَ صَرْغَتْمش الناصرىّ ، بعد ما أقعد
له قواعد مع الأمير طَيْبُغَا الطويل ويَلْبُغَا العُمَرى وغيرهما ، وأمسك معه جماعة من
الأمراء ، وهم طَشْتَمُر القاسمى حاجب الحجاب ، وطَيْبُغا الماجارى وأَزْدَمُر وقُمارى
وأرْغُون الطَّرْخانى وآقْجُبا الحموىّ ، وجماعة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات ،
٥ وكان سبب مسكه أنّ صَرْغَتْمش كان قد عظُم أمرُه بعد موت شَيخون ، وآستبدّ
بأمور الدولة وتدبير الملك ، فلما تمّ له ذلك ، ندَب الملك الناصرَ حسنا لمسك طاز
ووغّر خاطرَه عليه ، حتى كان من أمره ما كان ، فلمّا صَفَا له الوقت بغير منازع ،
لم يَقْنع بذلك ، حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن ومَسْكه وآستقلاله بالمُلْك ،
فبلغ الناصرَ ذلك فآتّفق مع جماعة من الأمراء على مسكه عند دخوله على السلطان
١٠ فى خلوة ، فلّما كان وقت دخوله وقفوا له فى مكان رتّبهم السلطان فيه ، فلما دخل
صَرْغَتْمش احتاطوا به وقبضوا عليه ، ثم خرجوا لمن عيّن لهم من الأمراء المقـدّم
ذكرُهم ، فقبضوا عليهم أيضا فى الحال ، وحُبسوا الجميع بقلعة الجبل ، فلما بلغ مماليك
صرغتمش وحواشيه من المماليك ، ركبوا بالسـلاح وطلعوا الى الرميلة ، فنزل إليهم
المماليك السلطانية من القلعـة ، وقاتلوهم من بُكْرة النهار الى العصر عدّة وجوه ، إلى
١٥ أن كانت الكَسْرة على ممـاليك صَرْغَتْمش . وأخذتْهم السيوف السلطانية ، ونُهبت
دار صَرْغَتْمش عند بئر الوطاويط[1] ، ونُهبت دكاكين الصليبة ، ومُسك من الأعجام
صوفية المدرسـة الصَّرْغَتْمشية[2] جماعةٌ لأنهم ساعدوا الصَّرْغَتْمشية وأحموهم عنـد

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء. (٢) هذه المدرسة تكلم عليها المقريزى
فى خططه (ص ٤٠٣ ج ٢) فقال : إنها خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبى العباس أحمد بن طولون ،
٢٠ كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صارت عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش
الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ فى بناء المدرسة فى شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ وانتهت فى جمادى الأولى
سنة ٧٥٧ هـ ، وقد جاءت من أبدع المبانى وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا وجعل الأمير صرغتمش
هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية ورتب بها درسا للحديث وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبه لهم . =

كَسْرتهم ؛ وما أُذِّن المغرب حتى سكن الأمر و زالت الفتنــة ، ونُودى بالأمان والبيع والشراء .

وأصبح الملك الناصر حسن فى بُكْرة يوم الثلاثاء وهو سلطان مصر بلا منازع ، وصَفَا له الوقت ، وأخَذ وأعْطى ، وقرّب مَن ٱختار وأبعدَ من أبعد ، وخلع على الأمير أُلْحاى اليوسفىّ واستقرّ به حاجب الحجاب عوضا عن طَشْتَمُر القاسمىّ ، وخَلَع على جماعة أُخر بعدّة وظائف ، ثم أخذ فى ترقية مماليكه والإنعام عليهم ، وأعيان مماليكه : يَلْبُغا العُمَرىّ وطَيْبُغا الطويل وجماعةٌ من أولاد الأمراء .

وكان يَميل لإنشاء أولاد الناس (1) وترقيهم الى الرتب السنية ، لا لحبّه لهم ، بل كان يقول : هؤلاء مأمونُو العاقبة ، وهم فى طىّ عَلَمى ، وحيث وجّهتهم إليه توجّهوا ، ومتى

= وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال باقية ببديع مبانيها وبهيج منظرها عامرة بالشعائر الدينية وتعرف بجامع صرغتمش بشارع الخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة بجوار جامع ابن طولون من الجهة البحرية الغربية للجامع . والظاهر من قول المقريزى أن هذه المدرسة بين جامع ابن طولون و بين قلعة الجبل يقصد أنها بين الجامع و بين الطريق التى توصل الى قلعة الجبل . ومذكور على كتفى باب هذه المدرسة أن بناءها تم فى ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ ، وقال المقريزى : إنه تم فى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ والفرق بسيط لأن الشهرين متصل بعضهما ببعض .

وقــد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عــدة ترميمات و إصلاحات عظيمة فيما تهــدم من بناء هذه المدرسة ، منها إعادة مئذنتها الى حالتها الأولى و بناء القبة التى فوق الإيوان الشرقى الذى به المحراب طبق طرازها الأصلى .

و بهذه المدرسة قبر منشئها تحت القبة الثانية الغربية وعليه تركيبة من الرخام مزخرفة بنقوش فارسية .

(1) قال المقريزى فى خططه عن السلطان حسن : لم يكن مثله فى الدولة التركية حزما وعزما ، أمّر أولاد الناس لأول مرة فى تاريخ الدولة التركية ليستعيض بهم عن الجند التركى ، ولكنه عوجل قبل ذلك . ولم يأت بعــده من أحيا تلك الفكرة إلا ابن أخيه الأشرف شــعبان بن حسين ، فانه اتخذ من المصريين أمراء بدل الأمراء المماليك ، ولكنه عوجل كعمه وخمــدت الفكرة بموتهما . انظر خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣١٨) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٥) وابن إياس (ج ١ ص ٢٢٥) .

أحببتُ عَزْلَهم أمكننى ذلك بسهولة ، وفيهم أيضا رِفْقٌ بالرعية ومعرفةٌ بالأحكام ، حتى إنه كان فى أيامه منهم عِدّة كثيرة ، منهم أمراء مقدّمون ، يأتى ذكر أسمائهم فى آخر ترجمته ، إن شاء الله تعالى .

ثمّ أخرج السـلطانُ صَرْغَتْمش ورُفقتَه فى القيود الى الإسـكندرية ، فسُجن صرغتمش بها إلى أن مات فى ذى الحجـة من السنة ، على ما سيأتى ذكرُ صرغتمش فى الوفيات من حوادث سنين الملك الناصر حسن .

ثم إن السلطـان عَزَل الأميرَ منْجك اليوسفى عن نيابة دِمَشق فى سنـة ستين وسبعمائة ، وطَلَبه الى الديار المصرية ، فلما وصل منجك الى غزّة بلَغه أن السلطان يُريد القبضَ عليه ، فتسحّب ولم يُوقف له على خَبَر ، وعَظُم ذلك على السلطان وأكثَر من الفحص عليه ، وعاقَب بسببه خلائقَ فلم يُفِدْه ذلك .

ثم خَلَع السلطان على الأمير علىّ الماردِينىّ نائب حلب ، بإعادته إلى نيابة دِمَشق كما كان أوّلا ، واستقرّ بَكْتَمُر المؤمنىّ فى نيابة حلب عوضا عن علىّ المـاردينى ، فلم تَطُل مدّته بحلب وعُزِل عنها بعد أشهر بالأمير أَسَنْدَمُر الزينى ، أخى يَلْبُغا اليَحْيَاوىّ نائب الشام كان .

ثم خَلَع السلطان على فخـر الدين بن قَرَوِينة باستقراره فى نَظَر الجيش والخاصّ معا ، ثم ظهر الأمير منجك اليوسفىّ من اختفائه فى بيت بالشّرف الأعلى بدمشق ، فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، بعد أن اختفى به نحو السنة ، فأُخذ وأُحضر الى القاهرة ، فلمّا مَثَل بين يدى السلطان وعليـه بُشْت عَسَلى(1) وعلى رأسه مِئْزَر صفح

(1) رواية السلوك : «وهو لابس بشتا من صوف وقـد اعتم بمئزر من صوف» . انظر السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٣) .

عنه لكونه لم يخرج من بلاده، ورَسَم له بإمرة طبلخاناة بدمشق، وأن يكون طرخانا[1] يقيم حيث شاء، وكُتِبَ له بذلك توقيعٌ شريف .

ثم في هـذه السنة وقع الوباء بالديار المصرية، الى أوائل سنـة اثنتين وستين وسبعمائة، ومات في هـذا الوباء جماعةٌ كثيرة من الأعيان وغيرهم، وأكثرهم كان لا يتجاوز مرضُه أربعة أيام الى خمسة، ومَنْ جاوز ذلك يطولُ مرضُه، وهذا الوباء ٥ يقال له : الوباء الوَسَطِىّ (أعنى بين وباءين) .

وفي هذه الأيام عَظُم يَلْبُغا العُمَرى في الدولة حتى صار هو المشار اليه، وثَقُلَت وطأتُه على أستاذه الملك الناصر حسن، مع تمكُّن الملك الناصر في مُلْكه، وكان يلبغا العمرى وطَيْبُغا الطويل وتَمان تَمُر هم أعظم أمرائه وخاصّكيّته من مماليكه .

فلمّا أن استهلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة بلَغ الملكَ الناصرَ أنّ يَلْبُغا يُنْكِر عليه ١٠ من كونه يُعطِى الى النساء الإقطاعات الهائلة، وكونه يختص بالطواشية ويُحكّمهم في المملكة وأشـياء غير ذلك، وصارت الخاصكيّة يَنْقُلون للسلطان عن يلبغا أمورا قبيحة في حقّه في مثل هذا المعنى وأشباهه، فتكلّم الملك الناصر حسن مع خواصّه بما معناه : إنه قبض على أكابر أمرائه من مماليك أبيه، حتى استبدّ بالأمر من غير منازع، وأنشأ مماليكه مثل يَلْبُغا المذكور وغيره، حتى يَسْـلَم من مُعارض، فصار ١٥ يلبغا يعترض عليه فيما يفعله، فعظُم عليه ذلك ونَدِم على ترقيه، وأخذَ يترقّب وقتا يُمسك يلبغا فيه .

(١) الترخان : الأمير في اللغة التركية ، وقد استعملت في المصادر التي تحت يدنا بمعنى المعزول أو المتقاعد بغير عمل، يجرى عليه ما يكفيه من أموال الدولة، فكأنهم أرادوا بها «أقام شريفا في داره غير مهان» فالطرخانيات في الاصطلاح القديم هي الإحالة على المعاش الآن تقريبا . انظر ابن إياس ٢٠ ج ١ ص ٢٥٣ وج ٢ ص ٧٥ وج ٣ ص ١٦ وانظر صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ وما بعدها . وقد وردت بهذا المعنى كثيرا في الضوء اللامع والدرر الكامنة والمنهل الصافى ... الخ .

واتّفق بعد ذلك أن السلطان حسنا خرج الى الصيد ببرّ الجيزة بالقرب من الهرمين[(١)]، وخرجت معه غالبُ أمرائه يَلْبُغا وغيره على العادة، فلمّا كان يوم الثلاثاء ثامن جُمادى الأولى[(٢)] من سنة اثنتين وستين المذكورة، أراد السلطانُ القبض على يَلْبُغا لما بلغه عن يلبغا أنه يريد الركوب عليه هناك، فصبَر السلطان حسن حتى دخل الليلُ، فركب ببعض خاصّكيّته من غير استعداد ولا اكتراث بيلبغا، وسار يريد يَكْبِس على يلبغا بخيّمه فنمّ بعض خاصّكيّة السلطان بذلك الى يلبغا، فاستعدّ يلبغا بمماليكه وحاشيته لقتاله، وطلب خُشْداشيته وواعدهم بالإمريات والإقطاعات، وخوّفهم عاقبة أستاذهم الملك الناصر حسن المذكور، حتى وافقه كثير منهم، كلّ ذلك والملك الناصر فى غفلة استخفافا بمملوكه يلبغا المذكور، حتى قارب السلطان خيْمة يلبغا، خرج اليه يلبغا بمن معه وقاتله، فلم يثبُت السلطان لقلّة من كان معه من مماليكه، وانكسر وهرَب وعدّى النيلَ وطلَع الى قلعة الجبل فى الليل، هى ليلة الأربعاء التاسع[(٣)] من جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة، وتبِعه يلبغا ومن معه يريد القلعة، فاعترضه ابن المُحسنى أحد أمراء الألوف بمماليكه، ومعه الأمير قَشْتَمُر المنصورى، ووافقا يلبغا ببولاق وقعةً هائلة، انكسر فيها يلبغا مرتين، وابن المحسنىّ يتقدّم عليه، كلّ ذلك وابن المحسنىّ ليس له عِلْم من السلطان أيْن ذهب، بل بلغَه أنه توجه إلى جهة القلعة، فأخَذ فى قتال يلبغا وتعويقه عن المسير إلى جهة القلعة، واشتدّ القتال بين يلبغا وابن المحسنىّ حتى أردف يلبغا الأمير أُلجاى اليوسفىّ حاجب الحجّاب وغيره، فانكسر عند ذلك ابن المحسنى وقَشْتَمُر،

---

(١) أى على الجانب الغربى للنيل، والمقصود بالهرمين الهرمان الكبيران المعروفان بأهرام الجيزة الواقعان غربى مدينة الجيزة على حافة الصحراء . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

(٢) فى م : «تاسع جمادى الأولى... الخ» . وفى ف : «رابع جمادى الأولى» وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق .

(٣) انظره فى السلوك (ج ٣ و ٤ لوحة ٦٣ (أ)) .

وقيل : إنّ يلبغا لمّا رأى شدّة ٱبن المحسنى فى القتال دسّ عليه من رجّعه عن قتاله وأوعده بأوعاد كثيرة، منها أنه لا يُغيّر عليه ما هو فيه فى شىء من الأشياء خوفا من[1] طلوع النهار قبل أن يدرك القامة ، وأخذ السلطان الملك الناصر حسن، لأنّ الناصر كان طلع إلى قلعة الجبل فى الليل، ولم يشعر به أحد من أمرائه ومماليكه وخواصّه، وصاروا فى حَيْرة من عدم معرفتهم أين توجّه السلطان، حتى يكونوا معه على قتال يلبغا، وعَلِم يلبغا أنه متى تعوّق فى قتال ٱبن المحسنى إلى أن يطلُع النهار، أتت العساكر الملكَ النـاصر من كل فَجّ، وذهبت رُوحه، فلما ولّى ٱبنُ المحسنى عنه ٱنتهز يلبغا الفرصة بمن معه وحرّك فرسه وصحبته مَن وافقه إلى جهة القلعة، حتى وصل إليها فى الليل . والله أعلم .

وأمّا أمر السلطان حسن، فإنه لمّا ٱنكسر من مملوكه يَلْبُغا وتوجّه إلى قلعة الجبل، حتى وصل إليها فى الليل، ألبَس مماليكه المقيمين بالقلعة، فلم يجد لهم خيلا لأنّ الخيول كانت فى الربيع ، وبينما هو فى ذلك طَرَقه يلبغا قبل أن يطلُع النهار وتجتمع العساكر عليه، فلم يجد الملك الناصر قوّةً للقائه، فلَبِس هو وأَيْدَمُر الدوادارى زِىّ الأعراب ليتوجّها إلى الشام ونزلا من القلعة وقت التسبيح، فلقيهما بعضُ المماليك فأنكروا عليهما وأمسكوهما فى الحال، وأحضروهما إلى بيت الأمير شرف الدين [موسى][2] بن الأُزْكُشى أستادار العالية ، فحملهما فى الوقت إلى يلبغا حال طلوع يلبغا إلى القلعة، فقتلهما يلبغا فى الحال قبل طلوع الشمس .

وكان عمْر السلطان حسن يوم قُتِل نيفًا على ثلاثين سنة تخمينا، وكانت مدّة مُلْكه فى سلطنته هذه الثانية ستّ سنين وسبعةَ أشهر [وسبعةَ أيام][3] وكان قتلُه وذهابُ

(١) فى م : « خوفا على طلوع النهار ... الخ » . (٢) التكلة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٥) . (٣) التكلة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٥) .

ملكه على يد أقرب الناس إليه من مماليكه وخواصّه ، وهم : يلبغا العُمَرى وطَيْبُغَا الطويل وتمان تَمُر وغيرهم وهم من مشــترواته ، اشــتراهم ورباهم وخوّلهم فى النعَم ورقاهم إلى أعلى المراتب، خوفا من أكابر الأمراء من مماليـك أبيه ، فكان ذهابُ رُوحه على أيديهم ، وكانوا عليه أشدّ من تلك الأمراء ، فإنّ أولئك لمـا خلعوه من السلطنة بأخيه الملك الصالح، حبسوه بالدور من القلعة مكرّما مبجّلا ، وأجروا عليه الرواتب السنيّـة ، إلى أن أعادوه إلى ملكه ثانيا، وهم مثـل شَيْخون وصَرْغَتْمش وقُبْلاى النائب وغيرهم ، فصار يتذكّر ما قاساه منهم فى خَلْعه من السلطنة وتحكّمهم عليه، فأخذ فى التدبير عليهم حتى قَبَض على جماعة كثيرة منهم وأبادهم. ثم رأى أنه ينشئ مماليكه ليكونوا له حِزْبا وعَضُدا ، فكانوا بعكس ما أمّله منهم، ووثبوا عليه، وكبيرُهم يَلْبُغا المقدّم ذكرُه، وعندما قبضوا عليه لم يُمهلوه ساعةً واحدة، وعندما وقع نظرُهم عليه قتلوه من غير مشاورة بعضِهم لبعض، موافاةً لحقوق تربيته لهم وإحسانه إليهم، فكان بين فعل مماليك أبيه به وبين فعل مماليكه له فرق كبير، ولله در القائل: مُعاداة العاقل، ولا مُصاحبة الجاهل .

قلت : لا جَرَم أنّ الله تعالى عزّ وجلّ عامل يَلْبُغا المذكور من مماليكه بجنس ما فعله مع أستاذه ، ووثبوا عليـه وقتلوه أشرّ قِتلة ، على ما سـيأتى ذكره إن شاء الله تعـالى .

وآستولى يلبغا العُمَرى الخاصكىّ على القلعة والخزائن والسلاح والخيول والجمال، وعلى جميع ما خلفه أسـتاذه الملك الناصر حسن، وأقام فى المملكة بعده آبنَ أخيه الملكَ المنصورَ محمـد آبن الملك المظفّر حاجّى آبن الملك الناصر محمـد بن قلاوون كما سيأتى ذكره بعد حوادث سنين الملك الناصر حسن، كما هى عادة هذا الكتاب .

وكان الملك الناصر حسن سلطانا شجاعا مقداما كريما عاقلا حازما مدبّرا سَيُوسا ، ذا شهامة وصرامة وهَيْبة ووقار، عالى الهمة كثير الصدقات والبرّ ، ومما يدلّ على علوّ همته مدرسته التى أنشأها بالرميلة تُجاه قلعة الجبل[1] فى مدّة يسيرة، مع قصَر مدّته فى السلطنة والحَجْر عليه فى تصرفه فى سنين من سلطنته الثانيـة أيضا، وكان صفته للطول أقرب، أشقر وبوجهه نَمَش، مع كَيْس وحلاوة، وكان متجملا فى مَلْبَسه ومَرْكبه ومماليكه و برْكه ، اصطنع مرّة خَيْمة عظيمة، فلمّا نجزت ضُربت له بالحوش السلطانى من قلعة الجبـل، فلم يُرَ مثلها فى الكِبَر والحسن، وفيها يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التِّلمسانىّ المغربى . رحمه الله تعالى :

[الطويل]

حَوَتْ خَيْمةُ السلطان كلّ عَجِيبةٍ * فأمسيتُ منهـا باهتًـا أتعجّبُ
لسـانِىَ بالتقصـير فيها مُقَصِّر * وإن كان فى أطنابها بات يُطْنِبُ

وكان السلطان الملك الناصر حسن مُغْرما بالنساء والخُدّام، واقتنى فى سلطنته من الخدّام ما لم يقتنه غيرُه من ملوك التُّرك قبله ، وكان إذا سافر يستصحب النساء معه فى سفره لكونه ما كان له مَيْلٌ للشّباب كعادة الملوك من قبله ، كان يَعِفُّ عن ذلك ، وفى محبته إلى النساء وواقعته مع يلبغا يقول[2] بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا :

[الكامل]

---

(١) لا تزال هـذه المدرسة قائمة الى اليوم ، وهى أضخم وأفخم مساجد مصر طرّا ، روى الإسحاقى أنه لمـا دخل السلطان سليم مصر وزار المدارس والمساجد قال عن مدرسة السلطان حسن : هذا حصار عظيم وقال عن مدرسة المؤيد هذه عمارة الملوك ، وعن مدرسة الغورى : هذه قاعة تاجر. انظر تاريخ الإسحاقى طبع حجر ص ٢٨٤ — ٢٨٥ — وروى السخاوى وغيره أن السلطان حسن لم يدفن فيها وإنما دفن فيها أحد سلالته . انظر التبر المسبوك للسخاوى ص ٢٥١ وقد ظلت مدرسة لطلاب العلم لعهد صاحب كتاب واقعة الشراكسة أى حوالى سنة ١١٢٣ هـ انظر ص ١٩

(٢) رواية المنهل الصافى : «وفى قصته مع يلبغا وصحبته للنساء يقول بعض الأدباء» . انظر المنهل الصافى «ج ٢ ص ٣٦ (ب)» .

لمّا أتى للعاديات وزُلْزِلَتْ * حفِظَ النساءَ وما قَرَا للْوَاقِعَهْ
فلأجلِ ذاك المُلك أضحى لم يكنْ * وأتَى القتالُ وفُصِّلَتْ بالقارِعهْ
لو عامل الرحمنَ فاز بكَهْفِهِ * وبنصره في عصره في السابِعهْ
من كانت القَيْنات مِنْ أحزابِه[1] * عَطْعط به الدّخانُ نارٌ لامِعهْ
تبّت يدا من لا يخاف مِن الدعا * في الليلِ إذْ يَغْشَى يَقَعْ في النازِعهْ

وخلّف السلطان الملك الناصر حسن، تغمّده الله برحمته، من الأولاد الذكور عشرة: وهم أحمد وقاسم وعليّ وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحيى وموسى ويوسف ومحمد، وستًّا من البنات، وخَلّف من الأموال والقُماش والذهب العَيْن والسلاح والخيول وغيرها شيئا كثيرا. استولى يَلْبُغا على الجميع، وتصرّف فيه حسب ما أراده.

وكان السلطان حسن محبا للرعية، وفيه لِينُ جانب، حُمِدت سائر خصاله، لم يُعب عليه في مُلْكه سوى ترقّيه لمماليكه في أسرع وقت، فإنه كان كريما بارّا بإخوته وأهله، يميل الى فعل الخير والصدقات، وله مآثر بمكة المشرّفة، واسمه مكتوب في الجانب الشرقيّ من الحَرم، وعُمِل في زمنه بابُ الكعبة الذي هو بابها الآن[2]، وكسا الكعبة الكُسوة التي هي الى الآن في باطن البيت العتيق، وكان كثيرَ البرّ لأهل مكة والمدينة، الى أن كانت الواقعة لعسكره بمكة في أواخر سنة إحدى وستين وسبعمائة التي كان مقدّم عسكرها الأمير قندس[3] وابن قراسُنقُر وحصل لهم الكَسْرة والنهب والقتل من أهل مكة وإخراجهما من مكة على أقبح وجه،

(١) رواية ابن إياس: «من كانت الأنعام من أحزابه» وعقب على الأبيات بما يأتى: «أراد الناظم بقوله»: عطعط الإشارة الى مغنّ كان اسمه «عطعط» وأشار «بالدخان» الى اسم مشبب، كانا يغنيان بالديار المصرية والبلاد الشامية. انظر تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ٢١٠).

(٢) يريد زمن المؤلف وهو القرن التاسع الهجرى. (٣) انظر أخبار هذه الفتنة مفصلة فى «شفاء الغرام فى أخبار البلد الحرام» لأبى الطيب محمد بن أحمد الفاسي ص ٢٨٤ — ٢٨٥ (طبع ليبزج)

غَضب بعد ذلك على أهل مكة وأمر بتجهيز عسكر كبير الى الحجاز للانتقام من أهل مكة، وعزم على أنه ينزعها من أيدى الأشراف الى الأبد، وكاد يتم[1] له ذلك بسهولة وسُرعة، و بينما هـو فى ذلك وقع بينه و بين مملوكه يَلْبُغا وكان من أمره ما كان .

وكان السلطان حسن يميل الى تقـدمة أولاد الناس الى[2] المناصب والولايات حتى إنه كان غالب نوّاب القلاع بالبلاد الشامية فى زمانه أولاد ناس، ولهـذا لم يخرج عليه منذ سلطنته بالبلاد الشامية خارجى، وكان فى أيامه من أولاد الناس ثمانية من مقدّمى الألوف بالديار المصرية، ثم أنعم على ولديه بتقدمتى ألف فصارت الجملة عشرة، فأما الثمانية فهم: الأمير عمر بن أرغون النائب وأَسَنْبغا بن الأبى بكرى ومحمد ابن طُوغَاى ومحمد بن بهادُر رأس نَوْبة ومحمد بن المُحْسنى الذى قاتل يَلْبُغا وموسى بن أرقطاى وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى بن الأَزْكشى الأستادار، فهؤلاء من مُقدّمى الألوف. وأما الطبلخانات والعشرات فكثير، وكان بالبلاد الشامية جماعة أُخر فكان ابن القُشْتُمرى نائب حلب وأمير على المَارِدينى نائب الشام وابن صبيح[3] نائب صَفَد وأمّا من كان منهم من المقدّمين والطبلخانات نوّاب القلاع فكثير. وقيل: إن سبب تغيير خاطر يَلْبُغا من أستاذه الملك الناصر حسن — على ما قيل — إنه لما عَمِل ابن مولاهم[4] البلِيّقة[5] التى أولها :

(١) فى الأصلين : «وكان» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٢) فى ف : «من المناصب...الخ» .

(٣) يلاحظ أن هذا الاسم يرد فى الأصلين وفى بعض المصادر التى تحت يدنا تارة باسم «ابن صبح» وأخرى باسم « ابن صبيح » . (٤) هو سراج الدين عمر بن مولاهم ولم نقف له على تاريخ وفاة وقد ذكر المؤلف هذه البليقة فى المنهل الصافى بتمامها، كما ذكر أيضا بليقة عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الشيخ زين الدين المروزى الشافعى الحموى الأصل الشهير بابن الخراط نزيل القاهرة وأحد أعيان موقعى الدست . وسيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٨٤٠ هـ. انظر البليقتين فى المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٠٤ (أ) (ب) .

(٥) البليقة تجمع على بلاليق وهى أغنية شعبية هزلية (عن دوزى) وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

مَنْ قال أنا : جُنْدى خَلَق، لقد صدق، عندى قبا، من عهد نوح، على الفتوح
لو صادفوا شمس السطوح، كان آحترق

ورَقَصوا بهـا بين يَدى السلطان حسن، أشاروا « بالجندى خلق » إلى يَلْبُغا وهو واقف بين يدَى السلطان حسن والسلطان حسن يَضْحَك و يستعيدُها منهـم فغَضِب من ذلك يلبغا وحَقَد على أستاذه السلطان وهذا يبعُد وقوعُه لكنّه قد قيل.

قلت : وقد أثبتنا هـذه البلّيقة — والتى عَمِلها الشيخ زَيْن الدين عبد الرحمن ابن الخرّاط فى الفقيه التى أوّلها :

من قال أنا * فقيه بَشَر * لقد فَشَر

— فى تاريخنا المنهل الصافى فى ترجمة ابن الخرّاط المذكور بتمامها وكمالها وهما من أظرف البلاليق فى معناهما . والله أعلم . انتهى .

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن الثانيـة على مصر وهى سـنة ست وخمسين وسـبعمائة على أنه حكم — فى السنة الخالية بعـد خلع أخيـه الملك الصالح صالح — من شوّال إلى آخرها .

وفيها (أعنى سنة ست وخمسين) تُوُفّى قاضى القضاة شيخ الإسلام[1] تقىّ الدين أبو الحسن على بن زين الدين عبـد الكافى بن علىّ بن تمّام بن يوسـف بن موسى ابن تمّـام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علىّ بن سـوّار بن سليم الأنصارى

(١) عقد له ولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب صاحب طبقات الشافعية الكبرى ترجمة ممتعة تقع فى ثمانين صفحة . ومما قاله فى أوّل الترجمة بعد تصحيح نسبه : «الشيخ الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولى المتكلم النحوى اللغوى الأديب الحكيم المنطقى الجدلى الخلافى النظار شيخ الاسلام قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن» . انظر هذه الترجمة ص ١٤٦ ج ٦ من طبقات الشافعية الكبرى .

السُّبْكى الشافعى — رحمه الله تعالى — بشاطئ النيل فى ليلة[1] الاثنين رابع جُمادى الآخرة، ومولده فى [أول يوم من][2] شهر صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة بسُبْك[3] الثلاث وهى قرية بالمنوفية من أعمال الديار المصرية بالوجه البحرى، وكان — رحمه الله — إماما عالما بالفقه والأصلين والحديث والتفسير والنحو والأدب وفى شهرته ما يُغنى عن الإطناب فى ذكره . وقد استوعبنا ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» بأوسع من هذا فلينظر هناك لمن أراد ذلك . ومن شعره : [الكامل]

إنّ الوِلايَةَ ليس فيها راحةٌ * إلّا ثلاثٌ يَبْتَغِيها[4] العاقِلُ
حُكْمٌ بِحَقٍّ أو إزالةُ باطِلٍ * أو نَفْعُ مُحتاجٍ سِواها باطِلُ

وتُوُفّى قاضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير[5] بن على السَّخاوىّ[6]

---

(١) رواية المنهل الصافى ج ٢ ص ٤١٢ : «فى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة» .
(٢) التكملة عن المنهل الصافى المصدر المتقدم . (٣) هذه القرية هى بذاتها سبك الضحاك التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٧ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) رواية الطبقات الكبرى للشافعية : «يبتغيها ... الخ» . (٥) سماه المقريزى : «على بن عبد الصمد ابن على» . (٦) السخاوى : نسبة الى بلدة سخا، وأصلها من المدن المصرية الكبيرة القديمة، اسمها المصرى «خاسوخوت» والرومى : «أكسويس» والقبطى : «سخوى» ومنه اسمها العربى سخا، وكانت فى عهد الفراعنة قاعدة للقسم السادس بالوجه البحرى . وذكر مانيتون أنها كانت عاصمة مصر فى عهد الأسرة الرابعة عشرة، ولكن لم يظهر فيها من الآثار ما يؤيد هذه الرواية .

ولا يزال يوجد من أطلال المدينة القديمة تل أثرى مرتفع كانت مساحة أرضه حوالى ١٢٠ فدانا» ثم أخذ التل فى النقصان بسبب ما نقل من أتربته تدريجا لتسميد الأراضى الزراعية ولأعمال أخرى . وقد استصلحت أغلب أرض هذا التل وأصبحت صالحة للزراعة، والباقى من التل تبلغ مساحته حوالى ٤٠ فدانا .

وفى عهد العرب كانت سخا قاعدة كورة (قسم) كبيرة .

وردت فى كتاب المسالك لابن حوقل «صخا» بالصاد وقال : إنها بين مسير وسنهور، وهى مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بعسكر وجند وغلات وبها القمح والكتان الكثير وزيت الفجل .

وردت كذلك فى نزهة المشتاق للادريسى «صخا» فى البرية بالقرب من منبول ولها إقليم متصل . وفى معجم البلدان سخا كورة بمصر وقصبتها (قاعدتها) سخا بأسفل مصر وهى قصبة كورة الغربية وبها دار الوالى . =

المصرى المالكى قاضى قضاة الديار المصرية بها وقــد قارب الثمانين سنة فى ليــلة الاثنين ثانى جُمادَى الأولى (١) ودُفن بالقرافة .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب (٢) شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الدِّمشقى الشاعر المشهور المعروف بالخيّاط بطريق الحجاز . ومن شعره قوله : [السريع]

خَلَّفتُ بالشـامِ حبيبى وقـد * يَمَّمْتُ مِصرًا لـغِنًى طـارِقِ

والأرضُ قد طالت فلا تَبْعُدِى * باللهِ يا مِصرُ على عاشِـــقِ

وتُوُفِّى القاضى تاج الدين (٣) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن ابن عبد الحق السَّعْدِىّ البارْنَبَارِى (٤) المصرى كاتب سِرّ طرابُلُس وكان فاضلا كاتبا

= وورد فى كتاب الانتصار لابن دقاق بأن سخا مدينــة قديمة حسنة ولها إقليم واسع وقد تغيرت أحوال هذه المدينة الكبيرة حتى أصبحت الآن قرية من قرى مركز كفر الشيخ بمديرية الغربية بمصر .

وعدد سكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس ومساحة أراضيها ١٤٠٠ فدان وهى مركز تفتيش سخا التابع لمصلحة الأملاك الأميرية وبها محطة كبيرة للتجارب الزراعية ومحلج للقطن ملك الحكومة وقسم لتربيــة مواشى وزارة الزراعة وبها منزل فخم لاستراحة من يقصد هذه الجهة من الوزراء، ومنزل آخر لاستراحة كبار الموظفين .

(١) رواية السلوك (ج ٣ و٤ لوحة ٢٥) : «رابع جمادى الأولى» . (٢) عقد المؤلف له ترجمة وافية فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢٨) . (٣) رواية السـلوك : «ابن عبد العزيز... الخ» انظره فى (ج ٣ و ٤ ص ٢٥) وانظره فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٨٥ (أ)) .

(٤) البارنبارى : نسبة الى بلدة بارنبارة إحدى القرى المصرية القــديمة وهى المعروفة اليــوم باسم «برمبال» القديمة إحدى قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية بمصر . وردت فى نزهة المشتاق للادريسى محرفة باسم «برنبليز» على بحر أشموم (البحر الصغير) ووردت محرفة كذلك فى نسخة دوزى طبع ليدن باسم «برنبلين» والصواب «برنبلير» بدليل وجود الراء الأخيرة فى أسمائها المذكورة بعد، فوردت فى معجم البلدان لياقوت باسم «بيورنباره» قال والعامة تقول : بارنبارة بليدة من نواحى مصر قرب دمياط على نهر أشموم بين البسراط وأشمــوم (أشموم الرمان) يعمل بها الشرب الفائق الجيــد العريض (والشرب قماش رقيق رفيع يصنع من الكتّان) . ووردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى وفى التحفة السنية لابن الجيعان باسم «بارنبارة» من أعمال الدقهلية . وفى تاج العروس للزبيدى «بورنباره» قال : وعلى السنة العامة : «بارنبار» . وفى العهد العثمانى حرف اسمها من بارنبار الى برنبال . وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ قسمت الى بلدتين وهمــا : برنبال الكبيرة هــذه وبرنبال الصغيرة وهى قرية أخرى . ومن ســنة ١٢٥٩ هـ عرفت باسمها الحالى وهو برمبال القديمة وهى واقعة على البحر الصغير الذى كان يعرف قديما ببحر أشموم .

وتبلغ مساحة أطيانها حوالى أحد عشر ألف فدان . وسكانها هى والعزب التابعة لها حوالى ثمــانية آلاف نفس، منها ٥٥٠٠ نفس يسكنون البلدة الأصلية .

خَدَم الملوك وباشر كتابة سِرّ طرابُلُس . وكان له شعر جيِّد وكتابةٌ حسنة . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن يوسف [بن عبد الدائم] (١) بن محمد الحلبى النحوى المقرئ الفقيه الشافعى المعروف بابن السَّمين — رحمه الله — فى جُمادى الآخرة (٢)، وكان إماما عالما أفتى ودرّس وأقرأ عدّة سنين . ٥

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قُبْلاى بن عبد الله الناصرى فى يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول ، وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، وولى نيابة الكَرَك ثم الحجوبية الثانية بمصر، ثم نُقِل الى الحجوبية الكبرى بها ، ثم ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية . وقد تقدّم من ذكره نبذة جيدة فى عِدّة تراجم .

وتُوُفِّى القاضى زَيْن الدين خِضْر ابن القاضى تاج الدين محمد بن زَيْن الدين ١٠ خِضْر بن جمال الدين عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين علىّ كاتب الإنشاء بالديار المصرية . ومولده ليلة الأحد رابع ذى الحجة سنة عشر وسبعمائة . كان فاضلا قادرا على الكتابة سريعَها ، يكتب من رأس القلم التواقيعَ والمناشير واعتمد القاضى علاء الدين على بن فضل الله عليه . وكان له نظمٌ ونثرٌ . رحمه الله تعالى . ومن شعره فى مِقَصّ قوله : [الطويل] ١٥

يُحرِّكنى مولاى فى طَوع أمرِه * ويُسْكِنُنى [شانِيه] (٣) وسْطَ فؤادِه
ويقطعُ بى إن رام قَطْعًا وإن يَصِلْ * يَشُقّ بحدّى الوصلَ عند اعتمادِه

(١) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٣٩) . (٢) رواية الدرر الكامنة والسلوك (فى عاشر جمادى الآخرة) . (٣) فى ف و م « بياض » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٦١ (أ)) . ٢٠

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آص ملك بن عبد الله بطالا[1] بدمَشق فى شهر رمضان. وكان من أعيان الأمراء، وتنقَّل فى عِدّة وظائف وأعمال، وكان مشهورا بالشجاعة، رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قردم بن عبـد الله الناصرى الأمير آخور بَطّالا بدِمَشق فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان، وقد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا، مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى وعشرون إصبعا. والله سبحانه وتعالى أعلم.

*
* *

السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهى سنة سبع وخمسين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّى السـيد الشريف شرف الدين أبو الحسن على بن الحسين بن محمـد الحُسَينى نقيب الأشراف بالديار المصرية، وفيها تُوُفِّى عن سبعين سنة — وكان رحمه الله — إماما عالمـا فاضلا، درّس بالقاهرة بمشهد الحُسين[2] والفخرية[3]، وولى حِسْبة القاهرة ووكالة بيت المـال، وكان معدودا من الرؤساء العلماء .

وتُوُفِّى قاضى القضاة نجم الدين أبو عبد الله محمـد ابن القاضى فخر الدين عثمان ابن أحمد بن عمرو بن محمد الزُّرعى الشافعى قاضى قضاة حلب فى صفر، وكان — رحمه الله — إماما عالمـا فاضلا وأفتى ودرّس وولى الحكم بعدّة بلاد .

(١) البطال هنا فى اللغة وفى بقية ما سلف من الكتاب هو لفظ اصطلاحى معناه : الخالى من الخدمة والعمل، فهو مرادف لكلمة طرخان السابق شرحها فى هذا الجزء ص ٣١١ وقد استعملت بنفس المعنى فى جميع المصادر التى تحت يدنا . انظر صبح الأعشى (ج ٧ ص ٢٠٠) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ وما بعدها من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وتُوفّى صاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن بن الحسين بن آقبُغا(١) بن أيلكان(٢)
ببغداد، وملَك بعده بغداد ابنُه الشيخ أُوَيْس . والشيخ حسن هذا هو سِبْط الملك
أَرْغُون بن أَبْغا بن هُولاكُو بن طُولون بن چنكزخان ملك التتار صاحب «اليَسَق»(٣)
والأحكام التركية . وكان في أيام الشيخ حسن الغلاءُ العظيم ببغداد حتى أُبيع بها الخبزُ
بسنج(٤) الدراهم وبَرِح الناس عنها، وكان مشكور السيرة . رحمه الله تعالى . ٥

وتُوفّى الشيخ الإمام شرف الدين إبراهيم(٥) بن إسحاق بن إبراهيم المُنَاوِى الشافعى
في يوم الثلاثاء خامس شهر رجب(٦)، وكان — رحمه الله — فقيهاً عالماً، ناب في الحُكم
بالقاهرة، وأفتى ودرّس وشرح الفرائض «من الوسيط» وغيره .

وتُوفّى الشيخ الإمام العالم كمال الدين أحمد بن [عمر بن أحمد بن](٧) مَهدى النَّشَائى(٨)
الشافعى في يوم الأحد(٩) حادِى عشر صفر ومولده في أوائل ذى القعدة سنة إحدى ١٠

---

(١) كذا في م و ف والمنهل الصافى (ج ٢ ص ١٩ (ب) والسلوك : (ج ٣ و ٤ ص ١٧ (أ)) . وفي الدرر الكامنة (ج ٢ ص ١٤) : « الحسن بن آقبغا » . (٢) في السلوك نفس المصدر المتقدم : « أبلكان » بالباء الموحدة . (٣) قد تقدم الكلام على معنى : « اليسق » في الجزء السادس ص (٢٦٨) من هذه الطبعة . فانظره . (٤) رواية هامش : «م» والمنهل الصافى (ج ٢ ص ١٩ (ب) : « بيع بها بصنج الدراهم » بالصاد المهملة . (٥) في الأصلين : ١٥ « شرف الدين محمد بن إسحاق» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ١٧) والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٢٧) (أ) . (٦) في الدرر في المصدر المتقدم : «مات في شهر رمضان» .

(٧) التكملة عن السلوك (ص ٢٧ (أ)) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٢٤) وطبقات الشافعية (ج ٥ ص ١٧٥) . (٨) النشائى : نسبة الى بلدة نشا إحدى القرى القديمة المصرية ، وهى اليوم إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية بمصر ، اسمها المصرى القديم : «نسات» والرومى : «نكسيس» ٢٠ والقبطى : « دنوسة » ووردت في قوانين الدواوين لابن مماتى ، وفي التحفة السنية لابن الجيعان ، « نشا » من أعمال الغربية . وتبلغ مساحة أطيان هذه البلدة حوالى ٥٥٠٠ فدان . وعدد سكانها هى والعزب التابعة لها حوالى ٦٠٠٠ نفس منها ٣٠٠٠ نفس يسكنون البلدة الأصلية .

(٩) اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففى السلوك المصدر المتقدم : « توفى يوم الأربعاء حادى عشر صفر» وفي الدرر الكامنة المصدر المتقدم : « مات يوم السبت عاشر صفر» . ٢٥

وتسعين وستمائة . وكان — رحمه الله — إماما عالما خطيبا فصيحا مصنّفا ولى خطابة جامع الأمير أيْدَمُر الخطيرى ببولاق (١) وإمامته ودرّس به وهو أوّل مَن ولى خَطابته وإمامته . ومن مصنّفاته : كتاب «جامع المختصرات» (٢) وكتاب « المنتقى » (٣) وعلّق على « التنبيه » (٤) استدراكات ، وله غير ذلك . والله أعلم .

٥ § أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا . والله أعلم .

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك الناصر حسن الثـانية على مصر وهى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة .

١٠ فيها تُوُفّى الأمير الكبير أتابَكَ العساكر شَيْخُون بن عبد الله العمرى الناصرى اللالا مدبّر الممالك الإسلامية بالديار المصرية فى السابع من ذى الحجة بالقاهرة من جرح أصابه لمّا ضربه قُطْلُوخَجا السلاح دار فى مَوْكب السلطان حسن حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة السلطان حسن هذه الثانية . وقيل : كانت وفاته فى أواخر ذى القعدة (٥) وسنّه نيّف على خمسين سنة . وكان أصله من كتابية الملك الناصر محمد

١٥ ابن قلاوون وكان تُركىّ الجنس ، جَلَبه خواجا عمر (٦) من بلاده وباعه للملك الناصر

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٣ من الجزء الثامن من هـذه الطبعة . (٢) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٧٥] فقه شافعى . (٣) هو منتقى الجوامع ، يقع فى ستة مجلدات مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٨٣] فقه شافعى .

(٤) هو تأليف الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى . توجد منه

٢٠ عدّة نسخ خطية ومطبوعة بأرقام مختلفة . راجع فهرس فقه الإمام الشافعى . (٥) فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ١٨٩ (أ)) : « إلى أن مات فى سادس عشر ذى القعدة » . وفى الدرر الكامنة : « إلى أن مات فى سادس عشرى ذى القعدة » . (٦) فى ف : « قراجا عمر » .

وترقّى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتابك العساكر بالديار المصرية، وهو أوّل من سُمِّى بالأمير الكبير[1]، وليها بخلعة، وصارت من بعده وظيفة. وهو صاحب الجامع والخانقاه بخُطّ[2] صليبة أحمد بن طولون. وقد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الناصر حسن والملك الصالح صالح وغيرهما ما يُستغنى عن ذكره هنا ثانيا. ودُفن بخانقاته المذكورة. وفى شيخون يقول بعض شعراء عصره مضمّنا : [البسيط] ٥

شَيخو الأميرُ المفدّى كلُّه حَسَنٌ * حوَى المحاسن والحُسنى ولا عجبُ

دع الذين يلومونى عليه سُدًى * لِيذهبُوا فى مَلامِى أيّةَ ذهبُوا

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر ابن أمير غازى[3] الفارابى الإتقانى الحنفى بالقاهرة، ودفن بالصحراء خارج القاهرة — وكان رحمه الله — إماما عالما مُفْتِنًّا بارعا فى الفقه واللغة العربية والحديث ١٠ وأسماء الرجال وغير ذلك من العلوم، وله تصانيف كثيرة منها : «شرح الهداية[4]» فى عشرين مجلّدا «وشرح الإخسيكتى[5]» «وشرح البَزْدَوى[6]» ولم يكمّله، وولى التدريس بمشهد أبى حنيفة ببغداد. ثم قَدِم دِمَشق فأفتى بها ودرّس وآشتغل وصنّف بدمشق كتابا فى منع رفع اليدين فى الصلاة فاضلا عن تكبيرة الافتتاح. ثم طُلب الى القاهرة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من هذا الجزء. (٣) فى الأصلين : «أمير فارس». وما أثبتناه عن السلوك (ج٣ و٤ ص٢٨) وعن المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٦٨ (ب) وعن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٤٤١). ١٥

(٤) ويسمى هذا الشرح : «غاية البيان ونادرة الزمان فى آخر الأوان» توجد منه عدّة أجزاء مخطوطة من نسخ متعدّدة تحت أرقام مختلفة محفوظة بدار الكتب المصرية. (٥) هو محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الإخسيكتى : نسبة الى إخسيكث؛ بلد فى ما وراء النهر على شاطئ نهر الشاش من بلاد فرغانة وله المنتخب الحسامى وقد شرحه عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى. (٦) هو على ابن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد أبو الحسن فخر الإسلام البزدوى، له «كنز الوصول الى معرفة الأصول» ويعرف بأصول البزدوى وله شرح يسمى «كشف الأسرار» لعبد العزيز ابن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى. توفى البزدوى فى سمرقند سنة ٤٨٢ هـ (عن تاج التراجم ص ٣٠). ٢٠

مكرّما معظّما حتى حضرها وصار بها من أعيان العلماء لا سيّما عند الأمير صَرْغَتْمش الناصرى، فإنه لأجله بنى مدرسته بالصليبيــة[1] حتى ولّاه تدريسهـا . ولمـا مات — رحمه الله تعالى — ولى تدريس الصَّرْغَتْمشية العلّامة أرْشد الدين السرائى الحنفى.

وتُوُفِّى قاضى القضاة نجم الدين أبو إسحـاق إبراهيم آبن القاضى عمـاد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطَّرَسُوسى ثم الدمشقى الحنفى قاضى قضاة الحنفية بدِمَشق بها عن نحو أربعين سنة وكان — رحمه الله — إماما عالمـا علّامة أفتى ودَرّس وناب فى الحكم عن والده بدمشق ثم استقل بالوظيفة من بعده عِدّة سنين وحُمِدت سـيرتُه . وله مصنّفات كثيرة منها : كتاب « رفع الكُلْفة عن الإخوان فى ذكر ما قدّم القياس على الاستحسان » وكتاب « مَنَاسِـك الحج » مُطَوّل وكتاب « الاختلافات الواقعـة فى المصنّفات » وكتاب « محظورات الإحرام » وكتاب « الإرشادات فى ضبط المشكلات » عدّة مجلدات وكتاب « الفتـاوى فى الفقه » وكتاب « الإعلام فى مصطلح الشهود والأحكام[2] » وكتاب « الفوائد[3] المنظومة فى الفقه » .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَرْغُون[4] بن عبد الله الكاملى المعروف بأرغون الصّغير بالقُدس بطّالا قبل أن يبلغ الثلاثين سنة من العمر وكان أرغون خصيصا عند الملك الكامل ثم عند أخيه الملك الصالح إسماعيل وتَرَقّى حتى صار أميرَ مائة ومقدّم ألف بديار مصر . ثم ولى نيابة حلب ثم نيابة الشام ثم أُعيد الى نيابة حلب ثانيا الى أن طُلِب الى القاهرة وقُبِض عليـه واعتُقِل بالإسكندرية مدّة ثم أُخرِج الى القدس

(١) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هـذا الجزء . (٢) فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٠ (أ)) : « والحكام » . (٣) وتسمى « الفوائد البدرية » وهى تشمل ألف بيت ، وتوجد منها نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٣٤٥] فقــه حنفى . (٤) عقد له المؤلف ترجمة وافية فى المنهل (ج ١ ص ١٨٥ (ب)) .

بطّالا، فمات به . وكان أميراً جليلا عارفا شجاعا كريما وفيه بر ومعروف وله مآثر، من ذلك بيمارستان(١) بحلب وغيره . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الشيخ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد المحسن العَسْجدىّ الشافعىّ . كان معدودا من فقهاء الشافعية . رحمه الله.

وتُوُفّى القاضى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأُطْرُوش الحنفىّ محتسب القاهرة وقاضى العسكر بها كان من بيَاض الناس وله وجاهة . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العـلّامة محبُّ الدين أبو عبد الله محمود ابن الشيخ الإمام علاء الدين أبى الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القُونَوىّ الشافعىّ فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر وكان فقيها مصنِّفا ومن مصنَّفاته : «شرح ابن الحاجب فى الأصول» وكتاب «اعتراضات على شرح الحاوى» فى الفقه لأبيه . وله غير ذلك .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وإصبع . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وست أصابع . والله أعلم .

---

(١) لا يزال هذا البيارستان من جملة الآثار القديمة الباقية فى حلب داخل باب قنسرين ، وهو يمثل للرائى من الداخل والخارج روعة الهندسة المصرية الشرقية . عمره الأمـير أرغون الكاملى نائب (حاكم) حلب سنة ٧٥٨ هـ ووقف عليه قرية بنش العظمى من الغربيات وقد ظل يؤدى خدمته الإنسانية فى حلب حتى أواخر القرن العاشر ثم أهمل أمره وحولت وارداته من قرية بنش سنـة ١٢٠٤ هـ الى أوقاف الجامع الكبير بحلب . وصفه الشيخ محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٢ هـ فقال : «تدخل الى هذا البيارستان فتجد حجرتين لجلوس الأطباء، ثم تجد صحنا واسعا يحيط بطرفه القبلى والشمالى رواقان ضيقان مرفوعان على أعمـدة عظيمة ووراءهما حجر صغيرة خاصـة لحبس المجانين فيها . ثم استطرد الشيخ الطباخ فقال : قد بلغنا أنه كان بأطراف الصحن الخارجى وعلى أطراف الحوض الذى فى وسطه توضع أنواع الرياحين ليناظرها المجانين، وكانوا يأتون بآلات الطرب وبالمغنين فيداوون المجانين بها أيضا » .

وختم الشيخ الطباخ قوله بأن بلاط الصحن كان متوهنا جدا، فاهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ هـ فى تبليطه وتجديد حوضه . وكان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الأصفر قلعتا منذ ١٥ سنة وأخذتا الى متحف الآستانة » . انظر تاريخ حلب للطباخ (جـ ٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهى سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

فيها تُوُفّى الأمـير سيف الدين صَرْغَتْمش بن عبـد الله الناصرىّ فى سجنه بثغر الإسكندرية فى ذى الحجة . وكان أصله من مماليك الناصر محمـد بن قلاوون وترقّى حتى صار من أكابر الأمراء ومدبِّرى الديار المصرية مع الأمير شَيْخون وبعده وقد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الصالح والملك الناصر حسن ما يكتفى بذكره هناك : ولمّا حبَسه الملك الناصر حسن بثغر الإسكندرية كَتَب إليه صَرْغَتْمش كتابا يتخضّع إليه فيه وفى أوّله : [الكامل]

قلبى يُحـدّثنى بأنّك مُتلِفى * رُوحى فداكَ عَرَفْتَ أم لم تَعرِفِ (١)

فلم يلتفت الملك الناصر لكتابه وفعَل به ما قُدّر عليـه وكان صرغتمش عظيما فى الدولة فاضـلا مشاركا فى فنـون يُذاكِر بالفقه والعربيه ويُحبّ العلماء وأرباب الفضائل ويُكثر من الجـلوس معهم وهو صاحب المدرسـة (٢) بخُطّ الصليبـة وله بِرٌّ وصدقات، إلا أنه كان فيه ظلمٌ وعَسْف مع جَبَروت .

وتُوُفّى (٣) القاضى شرف الدين أبو البقاء خالد بن عمـاد الدين إسماعيل بن محمـد ابن عبـد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المخزومى الشافعىّ المعروف بابن القَيْسَرانىّ الحلبى ثم الدِّمشقى بدمشق عن نيّف وخمسين سنة وكان كاتبا فاضلا مصنفا باشر كتابة الإنشاء بدمشق ووكالة بيت المـال وسَمِـع الكثير .

---

(١) هذا البيت من فائية عمر بن الفارض المشهورة . راجع ترجمته فى المنهل الصافى ج ٢ ص ٢١٤ (ب)
(٢) راجع الحاشية ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء .
(٣) انظره فى السلوك ج ٣ و ٤ ص ٣٠ (أ) والمنهل الصافى ج ٢ ص ٥٤ (ب) .

وتُوُفّى قاضى الإسكندرية فخر الدين أبو العبّاس محمد بن أحمد بن عبد الله (١) الشهير بابن المُخَلِّطة فى يوم الجمعة سابع شهر رجب، ولِىَ قضاءَ الإسكندرية أشهراً، بعد أن كان دَرّس بالقاهرة بمدرسة الصَّرْغَتْمشية : دَرس الحديث . وكان فاضلا عارفا بالأصول وله سماع وتولى بعده قضاء الإسكندرية ابن التَّنَسِى (٢) .

وتُوُفّى ملك الغرب أبو عِنان فارس آبن السلطان أبى الحسن علىّ آبن السلطان (٣) أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المَرِينىّ المغربى بمدينة فاس (٤) بعد أن حَكَم خمس سنين وكان مشكورَ السِّيرة ، رحمه الله .

---

(١) انظره فى السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠ (ب) . (٢) التنسى : نسبة إلى تنس (بفتحتين مع التخفيف)، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يلى مراكش على بعد ١٠٣ ميل غربى مدينة الجزائر . وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة .

وأولاد التنسى فى الإسكندرية من بيت علم ورياسة ، تولى منهم قضاة القضاة المالكية على عهد ابن خلدون أحمد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله الشهير بابن التنسى، ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفى سنة ٨٠١ هـ ويلوح لنا أن آبن التنسى الذى معنا هو أبوه جمال الدين هذا .

انظر شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص ٢٢٤ وانظر ذخيرة الأعلام للقمرى ص ١٩٠ وقاموس لبنكوت الجغرافى ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لبابا التنبكتى ص ٧٤ و ٢٨٥

(٣) ورد نسبه هكذا فى الأصلين والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠) وورد فى الدرر الكامنة برواية تختلف عما ورد فيهما ، ونصها : « فارس بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحميد المرينى أبو عنان ابن أبى الحسن » انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢١٩) .

(٤) اسمها اللاتينى فــزّا أو فسّا وهى عاصمة مراكش الثانية على خط عرض ٦/٣٤ شمالا وخط طول ١/٥ غربا وتبعد من شرقى المحيط الأطلسى بمائة ميل تقريبا وعلى بعد ٢٤٥ ميلا شمال شرق مدينة مراكش . وهى أعظم مدن المغرب الأقصى ازدحاما بالسكان وأكبرها إطلاقا من الناحيتين التجارية والعلمية لأنها محط القوافل إلى قلب الصحراء . وتقع المدينة على سفح جملة هضاب مغطاة بالحدائق والكروم وهى مدينتان : فاس القديمة ذات الأسوار فى الغرب، والجديدة فى الشرق . وشوارعها ضيقة . وبها نحو ١٥٠ مسجدا أعظمها جامع القرويين الشهير وجامع مولاى إدريس مؤسس فاس وهذا الأخير أعظم الأماكن المقدسة فى مراكش .

وتُوُفّى الشريف مانع بن على بن مسعود بن جمّاز بن شيحة الحُسَيْنى أمير المدينة بها وتولّى المدينةَ الشريفة بعده ابنُ عمّه فضل بن القاسم[1] فى ذى القعدة .

وتُوُفّى الأمير سيف بن فضل بن مُهَنّا بن عيسى بن مُهَنّا بن مانع بن حديثة ابن غُضَيّة فى ذى القعدة وكان جوادا شجاعا ، ولى إمرة آل فضل غير مرة . وقيل إنه قُتِل سنة ستين وهو الأصحّ .

وتُوُفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كُرّ[2] الحنبلى إمام أهل المُوسيقى ، وله فيها تآليف حسنة ويتصل نسبه إلى الخليفة مَرْوان بن محمد الحمار . وكان صوفيّا فقيهًا وله زاويةٌ[3] عند مشهد الحسين بالقاهرة . ومولده فى شهر

= وتستمد المدينة حياتها من نهر فاس يفترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة كلها تدخل منها فى كل دار . وليس فى المغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس .

وفى المدينة من البيوت العربية الجميلة والمستشفيات والمدارس عدد وفير وصناعتها شهيرة من الحرير والطرابيش والأحذية مما هو مشهور فى إفريقية الشمالية كلها .

وقد لمع اسم فاس فى العصور الوسطى إلى النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى حيث كانت عاصمة المغرب والأندلس يفد إليها العلماء والطلاب من جميع أنحاء شمال إفريقية وأسبانيا ، وبلغ سكانها مئات الآف من الأهلين . ولا تزال بها بقية من المجد الذاهب حيث سكانها اليوم يقربون من مائتى ألف نسمة فيهم عشرة آلاف يهودى . انظر معجم لبنكوت الجغرافى ومعجم البلدان لياقوت .

(١) هو فضل بن القاسم بن جماز بن شيحة . توفى فى ذى القعدة سنة ٧٥٣ هـ (عن الدرر الكامنة ص ٢٣٢ ج ٣) . (٢) رسمت هذه اللفظة فى السلوك (ج ٣ و ٤ (ب) هكذا : «كور» .

(٣) دلنى البحث على أن هذه الزاوية كانت واقعة فى الجهة القبلية من المسجد الحسينى وبالقرب منه ، جدّدها الأمير يشباى رأس نوبة كبير حوالى سنة ٨٠٥ هـ وجعلها مدرسة كما ورد فى الضوء اللامع للسخاوى . وفى القرن الماضى جدّدها محمد أفندى البزدار وجعلها جامعا وسبيلا ، عرف بجامع البزدار ، وقد خرب هذا الجامع فى عصرنا الحاضر ولم يبق منه كما شاهدته إلا الواجهة البحرية وفيها باب الجامع وشباك السبيل .

وفى سنة ١٩٣٠ أزالت مصلحة التنظيم مجموعة المبانى الواقعة بين جامع سيدنا الحسين وبين شارع جوهر القائد (الشنوانى سابقا) وجعلت مكانها ميدانا عاما ، وبذلك زالت آثار جامع البزدار الذى كان فى محل زاوية ابن كر المذكور . ولما كان السبيل الملحق بهذا الجامع هو من الأسبلة الأثرية ، وفيه قاعة ذات سقف أثرى مزخرف من العصر العثمانى فقد اضطرت إدارة حفظ الآثار العربية للمحافظة على نموذج هذا الأثر أن تنقله بحجارته وشكله إلى مكان آخر . وفى سنة ١٩٣٥ نقل السبيل إلى درب القزازين (النساجين) المتفرع من شارع أم الغلام بقسم الجمالية بالقاهرة وأقيم فى مكانه الحالى برسمه الأصلى .

ربيع الأوّل[1] سنة إحدى وثمانين وستمائة بالقاهرة ، وكان فاضلا قرأ القرآن على الشّطنوفى[2] وحفظ الأحكام[3] لعبد الغنى [بن عبد الواحد][4] « والعُمْدة فى الفقه » للشيخ موفّق الدين[5] والمُلْحة للحريرى وسمع على أشياخ عصره مثل الدِّمياطىّ[6] والأَبَرْقُوهىّ[7] وغيرهما وصنف كتابا فى الموسيقى سماه : « غاية المطلوب ، فى الأنغام والضروب » وقد أوضحنا أمره وما يتعلّق بفنّه الموسيقى فى المنهل الصافى إذ هو محلّ الاستيعاب .

وتُوُفّى الأمير الطّواشى صفى الدين جوهر بن عبد الله الجَنَاحى البَنْخاصى مقدّم المماليك السلطانية ، وقد قارب المائة سنة من العمر . وكان من أعيان الخدّام وأماثلهم .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين تَنْكِزبُغَا بن عبد الله المارِدِين أمير مجلس وزَوْج أخت السلطان حسن ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية ، لا سيما فى دولة الناصر حسن . وكان عاقلا مدبرًا سيُوسًا .

وتُوُفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن الهَكّارى الكُردِى الشافعى بدمَشق فى ذى القعدة . ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة وكان فقيها فاضلًا .

---

(١) فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٣٨ ب) : «قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : اجتمعت به غير مرة وسألته عن مولده فقال : فى رابع عشر شهر ربيع الأوّل...الخ» .

(٢) هو على بن يوسف ابن حريز بن فضل بن معضاد النور أبو الحسن اللخمى المعروف بالشطنوفى الشافعى . توفى يوم السبت ودفن يوم الأحد ٢٠ من ذى الحجة سنة ٧١٣ هـ (عن غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ . (ص ٥٨٥ ج ١) .

(٣) هو عمدة الأحكام فى الحديث — تأليف الحافظ أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلى المقدسى الحنبلى ؛ تقدمت وفاته سنة ٦٠٠ هـ .

(٤) تكملة عن النجوم الزاهرة طبعة الدار (ص ١٨٥ ج ٦) .

(٥) هو عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين ؛ تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ وانظر مختصر طبقات الحنابلة ص ٤٥

(٦) هو الحافظ الدمياطى عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدمياطى أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . تقدمت وفاته سنة ٧٠٥ هـ

(٧) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهى . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين مَلِكْتَمُر[1] بن عبد الله السَّعْدى فى ذى القعدة[2] بحَماة بَطّالا بعد أن ولى عدّة وظائف وتنقّل فى عدّة ولايات . رحمه الله تعالى .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وثمـانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السنة الخامسة من سلطنة المـلك الناصر حسن الثانية على مصر وهى ســنة ستين وسبعمائة .

فيهـا تُوُفّى قاضى القضاة تقىّ الدين أبو عبــد الله محمد بن شهاب الدين أحمد ابن شَأس المـالكىّ قاضى قُضاة الديار المصرية فى يوم الأربعاء رابع شوّال ودُفِن بالقــرافة . وكان إماما بارعا فى مذهبــه أفتى ودرس وناب فى الحكم ، ثم آستقل بالقضاء ، وكان مشكورَ السِّيرة ، من علم وفضل . رحمه الله .

وتُوُفّى قاض قُضاة حَمَـاة تقىّ الدين أبــو المظفّر محـود بن بدر الدين محمــد ابن عبد السلام بن عثمان القَيْسى الحنفىّ الحموى الشهير بابن الحكيم[3] ، باشر قضاء حماة تسع عشرة ســنة ، وحُمِدت سيرته ومات بمنزلة ذات الحج[4] من الحجاز ، وقــد جاوز ستين سنة وكان عالمـا زاهدا وَرِعًا .

(١) فى السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣١ (ب) . « السعيدى » . (٢) فى السلوك المصدر المتقدم : « فى ثامن ذى الحجة » . (٣) فى السلوك : (ج ٣ و ٤ ص ٣١ (ب) « بابن الحكم الحنفى » . (٤) ذات الحـاج أو ذات الحج هى منزلة من منازل طريق ركب الحاج الشامى بعــد عمّان بثلاث مراحل للذاهب إلى المدينة المشرفة .

قال صاحب درر الفرائد المنظمة نقلا عن حسن بن عيسى مقدم الركب الشامى فى زمنه ما يلى : « ثم يرحل إلى ذات حج وبها محل شريف يسمى التابوت يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم حفر بيده الشريفة ذلك الموضع فنبع المـاء وفاض ، وبجانبه بركة قديمة البناء ، وأصلحت من نحو خمس سنين لسقاية الحاج » أى حوالى سنة ٩٦٠ هجرية . انظر الجزء الثانى من درر الفرائد المنظمة ص ٥٢ — ٥٣

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة شيخ الإسلام وقُطْب الوجُود أبو البقاء وقيل أبو الوفاء خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكى المَالِّقى (١) ثم المكىّ العالم المشهور، صاحب التصانيف فى مذهبه بمكة المشرفة بعد أن انتهت إليه رياسة مذهبه ولم يُخَلَّف بعده مثلُه.

٥ وتُوُفّى القاضى جمال الدين إبراهيم ابن العلّامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبى الحنبلى بحلب عن أربع وثمانين سنة وكان فاضلا كاتبا ماهرا فى صناعته، كتَب فى ديوان الإنشاء بمصر وولى كتابة سرّ حلب ثلاث مرات نيِّفا وعشرين سنة وحدّث عن جماعة من حُفّاظ الديار المصرية والإسكندرية. وكان عارفا بالاصطلاح والكتابة، وله نظمٌ ونثر. ومن شعره ما كتبه لوالده متشوّقا

١٠ بقوله : [السريع].

هل زمنٌ ولّى بكم عائدٌ * أم هل ترى يرجع عيشٌ مضى

فارقتُكم بالرغم منى ولم * أختره لكنّى أطعتُ القضا

قلت: لو كانت وظيفته قضاء حلب كان فى قوله : «أطعت القضا» تورية.

وكان جوادا ممدّحا وفيه يقول البارع جمال الدين محمد بن نُبَاتة المصرى قصيدته

١٥ المشهورة التى أوّلها : [الطويل]

أجيراننا حيّا الربيع دياركم * [وإن لم يكن فيها لطرفى مربع] (٢). انتهى

وتُوُفّى القاضى تاج الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن على بن أبى القاسم بن على ابن أبى الفضل العُذرى الدمشقى الحنفى المعروف بابن السكّاكرى (٣). كان عارفا بعلل

---

(١) الزيادة عن نيل الابتهاج للشيخ أحمد بابا التنبكتى ص ١١١—١١٢ وزاد : «توفى فى شوّال من السنة».

٢٠ (٢) التكملة عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٤٠ (ا) ولا توجد هذه القصيدة فى ديوانه المطبوع. ولابن نباتة فيه وفى أبيه المدائح الكثيرة والمراثى. وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٢٧ — ٢٩).

(٣) هكذا فى الأصلين : وعبارة الدرر الكامنة جـ ١ ص ٣٢٤ ما يلى : «كان عارفا بالشروط بارعا فيها غاية فى إخراج علل المكاتيب وقد كتب فى مجلس الحكم بحلب... الخ». وهى أوضح وعبارة الأصلين قلقة.

المكاتيب الحكيمة خبيرا بسـلوك طرائقها العلمية والعملية وكتب الحكم والإنشاء بحلب ومات عن خمس وستين سنة . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير عز الدين[1] طُقْطاى بن عبد الله الصالحىّ الدّوادار بطرابُلُس عن بضع وأربعين سـنة معتَقَلا . وكان أميرا فاضـلا جليلا رئيسا وفيه يقول الشـيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدىّ تغمّده الله برحمته : [الكامل]

هـذا الدّوادارُ الذى أقلامُه * تَذَرُ المَهَارِقَ مثلَ روضٍ نافِحِ[2]

تَجرِى بأرزاق الوَرَى فَمِدادُها * وَبْلٌ تحـدّرَ من غَمـام سافِحِ[3]

أستغفر الله العظيم غَلِطتُ بل * نهـرٌ جَرَى من لُجّ بحـر طافح

و إذا تكون كريهـةٌ فيمينُهُ * تَسْـطُو بحدّ أسـنّةٍ وصفائحِ

يا فخرَ دهر قد حواه [فإنه][4] * عِزٌّ لمولانا المليـك الصـالح

وتُوُفّى الخان جانبـك خان بن أُزْبك خان صاحب كرسىّ سَرَاى[5] و بلاد

---

(١) فى الأصـلين : « سيف الدين » والتصويب عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٣٧ (أ) وأعيان النصر للصفدى (ج ٣ قسم أول ص ١٥٢) والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣١ (أ) .

(٢) فى الأصلين : « فائح » وما أثبتناه من أعيان العصر . (٣) فى الأصلين : «سائح» والتصويب عن أعيان العصر. (٤) التكلة عن أعيان العصر للصفدى (ج٣ قسم أول ص ١٥٤) وقد أفرد له الصفدى ترجمة مطولة . (٥) سراى بالفارسية هى القصر ، وهنا هى عاصمة القبيلة الذهبية فى الجزء الغربى من الأمبراطورية المغولية التى أسسها جنكيز خان الشهير . بناها بركة خان المتوفى سنة ٦٦٥ هـ حفيد جنكيز خان (بعد وفاة ياقوت صاحب معجم البلدان لأنه لم يذكرها فى معجمه) فى أرض سبخة على بسيط من الأرض على الشط الشرقى لنهر الأتل (الفـولجا) ، الى الجانب الشمالى الشرقى غربى بحر الخزر (قزوين) على مسيرة يومين من مصبه . وصارت فرضة كبيرة للتجار ورقيق الترك ومدينة عظمى ذات حمامات وأسواق ووجوه بر ، مقصودة بالاجلاب من جميع بلاد التتر الذين كان منهم ملوك الترك بالديار المصرية ، كما سيلى فى الحاشية التالية :

قال ابن فضل الله العمرى «وكان فى وسطها بركة ماء للاستعمال ، أما شرب أهل البلدة فكان من النهر (الفلجا) تجلب فى جرار الفخار وتصف على عجلات وتجر الى المدينة وتباع فيها » . وهـذا الوصف ينطبق اليوم على مدينة تزاريف الروسية وهى على أحد روافد الشط الشرقى لنهر الفولجا على خط عرض ٤٤ ′٤٨ =

الدّشت[(1)] بها، بعد أن حَكَم ثمانى عشرة سنة . ونسبه يتّصل بِجنْكِزْخان وتولى بعده الملك آبنه بردبك . خان والله أعلم بالصواب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا وثلاث أصابع . وقيل أربعة أصابع من غير زيادة والله سبحانه أعلم بالصواب . ٥

= شمالا وطول ١٥/٥٥ شرقا وعلى بعد ٢٠٠ ميل شمال غرب استراخان . ولا تزال حول تزاريف أطلال مدينة عظمى ظهر على ضوء حفريات جريجورى سنة ١٨٤٥ أنها بقايا سراى عاصمة القبيلة الذهبية .

واقد خرب تيمور سراى سنة ٧٨٤ هـ وخربت مرة أخرى سنة ١٤٧٢ م ، وفى سنة ١٤٨٠ هاجمت بقايا مدينة سراى قوة روسية بمساعدة قوة أخرى من قوات خانات القريم . وفى سنة ١٥٥٤ م تم فتح الروس لاستر خان وكانت بقايا مدينة سراى فى حالة تخريب تام . ١٠

انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٧ وانظر تقويم أبى الفداء ص ٢١٦ وانظر دائرة المعارف الاسلامية مادة Sarâi وانظر قاموس لبنكوت الجغرافى Tzarew وأطلس اسبرونر التاريخى للعصور الوسطى ..

(١) بلاد الدشت هى القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى أسسها جنكيزخان وهى بلاد القبجاق أو القبيلة الذهبية نسبة الى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبى . وكانت حدود بلاد الدشت فى عهد أصحاب تقويم البلدان وصبح الأعشى والمنهل الصافى كما يلى : ١٥

«من بحر قسطنطينية الى نهر اريس مسيرة ٨٠٠ فرسخ طولا ، وعرضها من باب الأبواب الى مدينة بلغار مسيرة ٦٠٠ فرسخ وأكثر مساحاتها قرى ومراع» . وهى اليوم تشمل الجزء الغربى من التركستان الروسية وبلاد القوقاز وولاية قازان الحالية وما والاها شرقا وغربا فى الحوض الأدنى لنهر الفولجا الى بسارابيا على حدود رومانيا . وكانت قاعدتها مدينة سراى التى تقدّم ذكرها فى الحاشية السابقة . وقد توغل خاناتها فى روسيا ربولاندا والمجر ودلماشيا ، وأسلم منهم بركة خان المتوفى سنة ٦٦٥ هـ وهو بانى سراى العاصمة قرب مصب نهر الفولجا . وكان غالب القبيلة الذهبية من الترك والتركمان التتر ومنهم كانت جمهرة جيوش مصر فى القرون الوسطى . قال صاحب مسالك الأبصار « رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مشترى المماليك منهم ثم صار من مماليكه من انتهى إليه الملك والسلطنة ، فمالت الجنسية للجنسية ، حتى أصبحت مصر منهم آهلة المعالم محمية الجوانب ، منهم أقماركوا كبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماء أهلها ، وحمد الاسلام لهم مواقفهم فى حماية الدين ، حتى إنهم جاهدوا فى الله أهليهم فى موقعة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ ، التى كسر فيها المظفر قطز عساكره ولاكو ملك التتار بعد أن عجزت منهم عساكر سائر الأمصار . وكذلك جاهدوا فى الله بنفس الصلابة والعزم والقوة الصليبيين حتّى قضوا عليهم القضاء المبرم فى عكا ، على عهد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ ، وظلوا قوة مصر الحربية حتى تغلب عليهم الظاهر برقوق الذى أسس دولة الشراكسة كما سيأتى فى أصل الكتاب . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦ وما بعدها والمنهل الصافى ج ١ ص ١٩٣ (أ) وانظر تقويم البلدان لأبى الفدا ص ٢١٧ والسلوك للمقريزى طبعة الأستاذ زيادة ج ١ ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ، وأطلس اسبرونر التاريخى للعصور الوسطى .

٢٠ ٢٥ ٣٠

* * *

السنة السادسة من سـلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهى سـنة إحدى وستين وسبعمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصارى الحنبلى النحوى فى ليلة الجمعة الخامس من ذى القعدة ودُفِن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفيّة[1] خارج باب النصر من القاهرة . وكان بارعا فى عدّة علوم ، لا سيما العربية فإنه كان فارسها ومالك زمامها وهو صاحب الشرح على ألفية ابن مالك فى النحو المسمّى «بالتوضيح» «وشرح أيضا البُرْدة»[2] [وشرح] « بانت سعاد » وكتاب « المُغْنى » وغير ذلك ومات عن بضع وخمسين سنة وكان أوّلا حنفيّا ثم استقرّ حنبليّا وتنزّل فى دروس الحنابلة[3] .

وتُوُفّى قاضى القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان [بن داود] ابن محمد بن عبد الحق الدمشقى الحنفى باليمن[4] عن ثلاث وستين سـنة . وكان إماما بارعا مفتنا ، أفتى ودرّس بدمشق و باشر بها عدّة وظائف ، منها : كتابة الإنشاء والنظر فى الأحكام ورحل إلى العراق وخراسان ومصر والحجاز واليمن . وكان له شعر جيّد من ذلك قوله : [السريع]

---

(١) دلنى البحث أن مقابر الصوفية مكانها اليوم المقابر المعروفة الآن بجبانة باب النصر فى المنطقة الواقعة على جانبى القسم الجنوبى من شارع نجم الدين الموصل من باب النصر إلى العباسية بالقاهرة .

(٢) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٠٩) . (٣) انظر له ترجمة وافية فى الدرر ج ٢ ص ٣٠٨ وما بعدها ولحفيده عبد الله بن محمد فى التبر المسبوك للسخاوى ص ٣٦١ فى وفيات سنة ٨٥٥ هـ .

(٤) ترجم له صديقه الصفدى فى أعيان العصر ترجمة طويلة وصف فى أثنائها خبر وفاته فقال «ثم إنه دخل الى اليمن ومعه مملوكه طشتمر فلما وصل الى المهجم توفى رحمه الله تعالى ، قيل : إنه قتل كان معه قطعة بلخش عظيمة ، لأنه كان يدعى أنها لصاحب اليمن» انظر الجزء الثالث من أعيان العصر قسم ١ ص ٣ — ٨

لمـا بَدَا فى خَدّه عارِضٌ * وشاق قلبى نَبْتُهُ الأخضرُ
أمطر أجفانِىَ مسـتمطِرًا * فقلتُ هـذا عارِضٌ مُمْطِرُ

وتُوفّى الشيخ الإمام الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدى العلائى الدمشقى الشافعى، كان إماما حافظا رحّالا عارفا بمذهبه، سمع بالشام ومصر والحجاز وتقدّم فى علم الحديث وجَمع وألّف وصنّف ودَرّس بالصلاحية[1] والتّنكِزية[2] بالقدس، [وبها توفى[3]] وكانت وفاته فى المحرّم من هذه السنة . وقال الإسنوىّ: سنة ستين . ومولده بدمَشق فى سنة أربع وتسعين وستمائة .

وتُوفّى القاضى ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد الشهير بابن خطيب بيت الآبار الدّمشقى . مات بالقاهرة عن نيف وسبعين سنة . وكان مقدّما فى الدولة الناصرية و باشر الحِسْبة ونظر الأوقاف وغيرهما ، [وكان لأهـل الشام نعم الذخيرة[4]] .

---

(١) هى بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط وقفها السلطان صلاح الدين على الشافعية سـنة ٥٨٨ هـ وكان موضعها كنيسة فهدمها صلاح الدين و بنى مكانها المدرسـة وكانت وظيفة مشيختها من الوظائف السنية فى دولة صلاح الدين وأبنائه ومماليكه ، ولما فتح الأتراك مصر والشام كانت المدرسة قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، فنزل عنها الأتراك للآباء البيض المسيحيين فجعلوها مدرسـة إكليركية . وفى الحرب العظمى أرجعها الترك مدرسـة للعلوم الدينية الإسلامية . فلما سقطت القدس فى أيدى الحلفاء رجعت الى المسيحيين كنيسـة ، ولله الأمر من قبل ومن بعـد . انظر خطط الشام لكرد على ج ٦ ص ١٢٢ — ١٢٣ فى مدارس القدس . (٢) من المدارس المصرية بالقدس أنشأها الأمير تنكز الناصرى نائب الشام سنة ٧٢٩ وهى مدرسـة عظيمة ليس فى مدارس القـدس أتقن من بنائها ، وهى بجانب باب الحـرم بجوار باب السلسلة مجاورة للسـور من جهة الغرب ولا تزال عامرة الى الآن وهى مقرّ المحكمة الشرعيـة بالقدس . انظر خطط الشام لكرد على ج ٦ ص ١١٨ — ١١٩ فى مدارس القدس . (٣) الزيادة عن طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٠٤) . (٤) التكملة عن الصفدى وأفرد لصديقه ابن خطيب بيت الآبار ترجمة مسهبة فى ٨ صفحات من أخبار العصر ونعته فيه بهذا الوصف منذ وفد على مصر سنة ٧٢٧ هـ على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وفاته فى عهد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى جميع الوظائف الجليلة التى تولاها بمصر . انظر الجزء السابع من أعيان العصر قسم ٢ ص ٣٢٥ — ٣٣٨

وتُوُفّى الشيخ تقىّ الدين إبراهيم ٱبن الشـيخ بدر الدين محمد بن ناهض بن سالم ابن نصر الله الحلبى الشهير بابن الضَّرير بحلب عن بضع وستين سـنة . وكان فقيها بارعا سَمِع الحديث وجَمع وحَصّل وكتب كثيرا من الإنشاء والعلم والأدب .

وتُوُفّى الشريف زين الدين أبو الحسـن على بن محمد بن أحمد بن على محمد بن على الحسينى الحلبى نقيب الأشراف بحلب . كان رئيسـا نبيلا من بيت رياسـة وشرف ، رحمه الله تعالى[1] .

وتُوُفّى الشيخ شرف الدين موسى بن كُحُك الإسرائيلى الطبيب فى شوّال . وكان بارعا فى الطب مشاركا فى غيره .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الخطيب شهاب الدين أبو العباس أحمد [بن[2]] القسطلانى خطيب جامع عمرو — رحمـه الله — بمصر القديمة فى ذى الحجة، وكان ديِّنا خيِّرا من بيت فضل وخطابة، وقد تقدّم ذكْرُ جماعة من آبائه وأقاربه .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم اثنتـا عشرة ذراعا سواء . مبلغ الزيادة أربـع وعشرون ذراعا ، قاله غير واحد ، وتَخرِبت أماكن كثيرة من عِظَم زيادة النيل . والله أعلم .

* * *

انتهى الجزء العاشر من النجوم الزاهرة ويليه الجزء الحادى عشر
وأوّله : ذكر سلطنة الملك المنصور محمد على مصر

(١) انظر ترجمة مطوّلة لهذا الشريف فى تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٣٠ — ٣١) .
(٢) زيادة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٣) (أ) .

* * *

تنبيـــه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية القديمة وغيرها مع تحـديد أماكنها من وضـع العلامة المحقق المرحوم محمـد رمزى بك الذى كان مفتشا بوزارة المالية وعضوا فى المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية، كالتعليقات السابقة فى الأجزاء المـاضية ابتداء من الجزء الرابع . ولا يسعنا إلا أن نسأل الله جلت قدرته أن ينزل على قبره شآبيب رحمتـه، وأن يجزيه الجزاء الأوفى على خدمته للعلم وأهله . وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م) .

استدراكات

كان العلامة المحقق المرحوم محمد رمزى بك قد وصّى أحد أفراد الأسرة قبل وفاته بهذه الاستدركات ليُرسلها إلى دار الكتب المصرية فجاءتنا بطريق البريد بعد وفاته .

باب الصفا

ورد فى الحاشية رقم ٣ صفحة ٩١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أن باب الصفا كان واقعا تقريبا فى النقطة التى يتقابل فيها شارع سوق المواشى بشارع الفسطاط بمصر القديمة .

و بإعادة البحث تبيّن لى أن هذا الوصف خطأ . والصواب أن هذا الباب كان واقعا فى السور البحرى لمدينة الفسطاط على رأس الطريق التى كانت تمر فى المنطقة التى بها اليوم جبانة السيدة نفيسة الجديدة فيما بين باب الصفا المذكور وآمتداد شوارع الأشرف والخليفة والركبية حيث كانت تسير الطريق قديما بين الفسطاط والقاهرة . وقد بيّنا هذا الوصف فيما كتبناه عن هذا الباب فى صفحة ٦٥٤ بالعدد الخامس من مجلة العلوم الصادرة فى سنة ١٩٤٢ وعلى الخريطة المرفقة بالعدد المذكور .

شارع نجم الدين

ورد فى الحاشية رقم ١ ص ٦٧ بالجزء السادس من هذه الطبعة ما يفيد أن شارع نجم الدين الممتدّ من جبانة باب النصر من الجنوب إلى الشمال منسوب إلى الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الذى أنشأ مسجدا ظاهر باب النصر سنة ٥٦٦ هـ على ما جاء فى المقريزى ص ٤١٢ ج ٢ ثم جدّدت هذه التسمية نسبة إلى الشيخ صالح المحدّث نجم الدين أبى الغنائم محمد بن أبى بكر الشافعى المشهور بغنائم السعودى صاحب الزاوية التى فى نهاية هذا الشارع من الجهة البحرية .

العش

ورد بالحاشية رقم ٣ ص ٢٦١ بالجزء السابع من هذه الطبعة أن ناحية العش التى وُلد بها الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بضواحى القاهرة هى الناحية التى تعرف اليوم باسم منية شبين إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر .

وبإعادة البحث تبين لى أن هذا الإرجاع خطأ ، والصواب أنه من الاطلاع على كتاب الانتصار لابن دقماق ظهر لى أن ناحية العش هى ناحية أخرى كانت واقعة غربى البركة المعروفة بالعكرشة ، وبما أن حوض العكرشة لا يزال موجودا ومعروفا تحت رقم ٤٧ بأراضى ناحية أبى زعبل وشرق سكنها تبين لى من ذلك أن ناحية العش التى وُلد بها الملك السعيد بركة خان بضواحى القاهرة هى التى تسمى اليوم كفر الشيخ سعيد بجوار سكن ناحية أبى زعبل بمركز شبين القناطر ومن توابعها .

حلوان

ورد فى الحاشية رقم ٢ صفحة ٩٠ بالجزء التاسع من هذه الطبعة ما يفيد أن حلوان البلد أنشأها عبد العزيز بن مروان على النيل فى سنة ٦٧ هجرية والصواب أنه أنشأها فى سنة ٧٠ هجرية بعد أن اشترى أرضها من أهلها فى تلك السنة .

وورد فى الحاشية المذكورة أن مدينة حلوان الحمامات أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٢ هجرية — ١٨٧١ ميلادية . والصواب أن هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الحمامات لأنها كانت أنشئت هى والفندق ونقطة البوليس فى السنة المذكورة فى الخلاء ، قبل أن تبنى مدينة حلوان الحمامات التى فى الجبل بمدة أربع سنوات .

وأما مدينة حلوان الحمامات ذاتها فقد أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٥ هجرية — ١٨٧٤ ميلادية وقد تكلمنا على ذلك فى الرسالة التى طبعناها عن مدينة حلوان فى مجلة العلوم سنة ١٩٤٤ .

فهرس

الجـــزء العـاشـــر

من

كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

فهرس الملوك والسلاطين الذين تولوا مصر[1]

من سنة ٧٤٢ هـ إلى سنة ٧٦١ هـ

---

(١) يلاحظ أنه ابتداء من سلطنة السلطان صلاح الدين رأس الأسرة الأيوبية لقب بالسلطان ولقب بذلك أولاده ومن تولى بعدهم من الملوك والسلاطين إلى انتهاء الكتاب سنة ٨٧٢ هـ (١٣٦٧ م) وقد فاتنا ابتداء من سلطنة صلاح الدين أن نبدل بكلمة "ولاة" كلمة "سلاطين وملوك" الى آخر سلطنة الملك الناصر محمد ابن قلاوون الثالثة . ومن سلطنة المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون منوالي كتابتهم بأسماء سلاطين وملوك إلى آخر الكتاب .

فهــرس الأعــلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(١) فى الأصلين : «عزيز» وصوابه : «ابن أبى غرير» بالغين المعجمة مصغرا . عن الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم ؛ لعبد الباسط بن خليل الظاهرى .

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط

(أ)

(ن)

(ى)

فهرس أسماء البلاد والجبال والأماكن والأنهار وغير ذلك

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ك)

(ن)

فهرس وفاء النيل من سنة ٧٤٢ إلى سنة ٧٦١ هـ

فهرس اسماء الكتب

فهـــرس الموضـــوعات

إصـــلاح خـــطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية نوضحها هنا ليستدركها القارئ فى بعض المواضع التى وقعت فيها :

ص	س	خـــطأ	صـــواب
١٣	٩	جركتمر و بهادر	جركتمر بن بهادر
١٤	بالهامش	١٥	١٠
	»	٢٠	١٥
٢١	٢	ناصر ناصر الدين	ناصر الدين
٦٥	٢٢	ص ١١١	ص ٢١١
٧٩	٩	الشُّـو بك	الشَّـو بك
١٠٠	١٤	عل	على
١١٤	١٥	منظرة البقل	منظرة البعل
١٢٢	١٦	العـــلابى	العـــلائى
١٣٨	٢٠	عطفة القصاصين	عطفة القفاصين
١٥٥	١٧	بيت الأبّار	بيت الآبار
١٦٠	١٨	اعتمادا عل ما ورد	اعتمادا على ما ورد
١٦٧	١٨	ص ٢٩	ص ٢٦
١٦٨	٣	ابن مراحل	ابن مراجل
١٨٧	١٣	الجاووشية	الجاويشية
٢٠٤	٩	سَكَّنَ	سَكِّنْ
٢٠٦	٢١	جـــزء	جـــزء

ص	س	خطأ	صواب
٢١٣	١٨	مشق	دمشق
٢٣٢	أعلى الصفحة	٣٣٢	٢٣٢
٢٣٤	»	٣٣٤	٢٣٤
٢٤١	١٠	المنصور	المنصورى
٢٦٧	٣٠	علبه	عليه
٢٨١	١	بيت ابن زنبور [1]	بالصناعة [1]
٢٨٨	٥	العجمى الحنفى	العجمى الشافعى
٢٩١	١٣	وابن علان	وابن علاق
٣٠٤	١٥	محمدى محمد	محمد بن محمد
٣٢٠	٨	السعدى	السّعْدى
٣٣١	٨	الماردين	الماردينى
٣٣٤	٦	المهارِق	المهارَق

***

قام بتصحيح هذا الجزء والأجزاء السابقة ابتداء من الجزء الثانى مع وضع فهارس شاملة لكل جزء من أجزائه :

محمد البرهامى منصور و أحمد لطفى السيد

المحرران بالقسم الأدبى

بدار الكتب المصرية

* * *

كَمُلَ طبع (الجزء العاشر) من كتاب "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة"
بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الخميس ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٦٨
(٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩) م

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية


Bibliotheca Alexandrina
0561409